

ابن واصل

كتاب مفتح الكروب
في أخبار بني أيوب

الجزء الثالث

عصر أولاد صلاح الدين وأخيه الملك العادل

٥٩٠ - ٦١٥ هـ

(١٠) بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ذكر ما استقرت الحال عليه من الممالك

بعد وفاة السلطان - رحمه الله -

لما توفي السلطان الملك الناصر - رحمه الله - :

استقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها ولده الملك الأفضل نور الدين على .

وبالديار المصرية وما ينسب إليها الملك العزيز عماد الدين عثمان .

وبحلب وبلادها الملك الظاهر غياث الدين غازي .

وبالمنعجم الملك العزيز سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين (٢) بن أيوب .

(١) كنا قد اتخذنا نسخة كبرديج التي رمزنا لها بحرف (ك) أصلاً لنشر الجزئين الأول والثاني من هذا الكتاب ، وكنا نريد أن نتخذها أصلاً كذلك لنشر هذا المجلد الثالث ثم قابلها على نسخة ملاجلي التي تبدأ بالتأريخ للحوادث بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ ، أي سنة ٥٩٠ هـ وهي السنة التي يبدأ بها هذا المجلد الثالث ، واسكتنا بعد مقابلة نحو العشرين صفحة الأولى وجدنا أن نسخة ملاجلي تفضل نسخة كبرديج بكثير ، فهي أكثر تفصيلاً واستيفاءً ، وهي أقدم عهداً ولهذا نحينا المحاولة الأولى جانباً ، واتخذنا نسخة ملاجلي أصلاً لنشر هذا المجلد الثالث مع مقارنة النص بنسختي كبرديج وباريس والمراجع التاريخية الأخرى ، والنص في نسخة كبرديج متصل يكمل ما وقفنا عنده في المجلد الثاني ، أما في نسخة ملاجلي فيبدأ بالبسملة ، ومعنى هذا أن ناسخ هذه المخطوطة قد جزأ الكتاب أجزاء ، فجعل القسم الذي نشرناه في المجلدين الأول والثاني والذي ينتهي بوفاة صلاح الدين جزءاً أولاً ، وجعل ما بعد ذلك جزءاً ثانياً . انظر عن النسخ المختلفة ووصفها وقيمتها مقدمة المجلد الأول من نشرتنا هذه ، ثم انظر أيضاً مقدمة هذا المجلد الثالث .

(٢) هكذا ضبط الاسم (ابن خلصان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٠٨) بعد أن ترجم

لصاحبه ، ولكنه لم يشرح معناه ، وإنما قال : « وهو اسم تركي » .

وبالكرّك والشوّبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين
أبو بكر بن أيوب .

وبحماة وسلمية والمعرّة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد
ابن الملك المظفر تقي الدين .

وبحمص والرحبة وتدمر الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه .
وبيعابك وأعمالها الملك الأجدد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه
ابن شاهنشاه^(١) بن أيوب .

وييد الملك الظاهر خضر بن السلطان صلاح الدين بusrى ، وهو في خدمة
أخيه الملك الأفضل .

وييد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون ، منهم :

سابق الدين عثمان بن الداية ، بيده شيزر وأبو قيس^(٢) .

وناصر الدين منكورس بن خمارتكين بيده صهيون وحصن برزاية^(٣) .

وبدر الدين دلدزم بن بهاء الدين ياروق بيده تل باشر .

وعز الدين أسامة بيده كوكب وعجلون .

وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن المقدّم بيده بعثرين وكفر طاب
و حصن أفامية .

والملك الأفضل هو الأكبر من أولاد السلطان ، والمعهود إليه بالسلطنة ،

(١) الأصل : « شاهان شاه » ، والتصحيح عن نسخة (ك)

(٢) أبو قيس أو بوقيس حصن في مقابلة شيزر . راجع : (ياقوت : معجم البلدان)

و . (Le Strange : Palest. Under Moslems. P. 325)

(٣) هكذا ضبطت عند (ياقوت : معجم البلدان) حيث ذكر أنها حصن قريب من اللاذقية

على سن جبل شامق .

وعند دمشق جماعة كثيرة من أمراء الدولة ، وعند الملك العزيز بمصر^(١)
جمهور العساكر من الصلاحية ، والأسدية ، والأكراد ، وهو أمكن من الملك
الأفضل لعظم الديار المصرية وكثرة مغلّاتها .

ذكر المراسلة إلى الديوان العزيز

(١٢) وماتوفى السلطان — رحمه الله — ، كتب الملك الأفضل إلى الإمام
الناصر لدين الله أمير المؤمنين **بالنساء العمادى**^(٢) منه :

« أصدر العبدُ هذه الخدمةَ وصَدَّرُ مشروحَ بالولاء ، وقالبه معمورٌ بالصفاء ،
ويده مرفوعةٌ إلى السماء ، للابتهاال بالدعاء ، ولسانه ناطقٌ بشكر النعماء ، وجنانه
ثابتٌ بين النيابة والمحبة على الخوف والرجاء ، وطرفه مُغضٍ من الحياء ،
وهو للأرض مُقبِّل ، وللغرض مُتقبِّل ، وهو يمت^(٣) بما قدَّمه وأسلمه سلفه^(٤)
من الخدمات . وذخره ذخِر الأوقات لهذه الأوقات ، وقد أحاطت العلوم الشريفة
بأن الوالد السعيد ، الشهيد^(٥) الشديد السديد ، المبيد للشرك^(٦) المبيد ، لم يزل
أيام حياته ، وإلى ساعة وفاته ، مستقيماً على جدِّ الجد ، مستنياً^(٧) في صَوْن
فريضة الجهاد إلى بذل الجُهد ؛ ومصر — بل الأمصار — باجتباده في الجهاد
شاهدة ، والأنجاد والأغوار في نظر عزمه واحدة ، والبيت المقدس من فتوحاته ،

(١) هذا اللفظ ساقط في (ك) .

(٢) أورد هذه الرسالة أبو شامة في (الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٢٥) نقلاً عن العماد .

(٣) كذا في الأصل وفي الرضتين ، وفي (ك) : « بعد » .

(٤) هذا اللفظ غير موجود في نص الرسالة الذي أورده صاحب الروضتين .

(٥) أضيف هذا اللفظ عن نص الروضتين .

(٦) في (ك) : « المثير للشك » .

(٧) النص في الروضتين : « مستليماً » .

والمُلكُ العقيمُ من نتائج عزماته . وهو الذي ملكَ ملوكَ الشُّركِ وغَلَ أعناقها ،
وأسرطواغيت الكُفْرَ وشَدَّ خناقها ، وقعَ عَبْدَةُ الصَّلبانِ وقَصَمَ^(١) أصلابها ،
وجمع كلمة الإيمان وعَصَمَ جَنابها ، ونظَمَ أسبابها ، وسدَّ الثُّغور ، وسدَّدَ الأمور ،
وقَبِضَ وعدُّهُ مبسوط ، وأمرُهُ^(٢) محوط ، ووزَرُهُ محطوط ، وعمله بالصَّلاح^(٣)
منوط ، وما خرج من الدنيا إلا وهو في حكم الطاعة الإمامية داخل ، وبتجربها
الراجح إلى دار المقامة راحل ، وما تكن له وصية إلا بالاستمرار على جادتها ،
والاستكثار من مادتها ، وإن مضى الوالدُ على طاعة إمامه ، فالملك — أولاده
وأخوته^(٤) — في مقامه .

ثم كتب إليه كتاباً^(٥) آخر بالإنشاء العمدى منه :

« أصدر العبدُ هذه الخدمة ومطالعُ عبوديته مشرقة الأنوار ، ومشارعُ موالاته
صافية عن الأكدار ، ويَدُّ ابتِهاله بالضراعة مبسوط ، وهمةُ اتصاله بالطاعة
منوطة ، وعينُ استكائه لمهابة تلك الجلالة مُطرقة ، وقدمُ مناصحته من صحته
في نهج النُجْحِ متطرقة ، وبصيرة هدايته على الثبات قويه (٢ ب) وسريرة
ولايته من وِرْدِ المبرّات رويّة ، وزنادُ رويّته بسناء المخالصة والمصافاة وريّة .

قد سبقت مطالعته بالحداثة التي فجأت وجمعت ، والناية التي داعت
وصدّعت ، من انتقال والده مملوكِ الدار العزيزة إلى جوار رحمة الله ورضوانِ

(١) النص في الروضتين : « وقصم » .

(٢) هذه الجملة ساقطة من نسخة (ك) .

(٣) الأصل : « وأخوه » ، والتصحيح عن (ك) .

(٤) انفرد ابن واصل بإيراد هذه الرسالة ، ولا وجود لها في كتاب الروضتين أو غيره

من المراجع المتداولة المعروفة .

رصوانه ، وجنات جنانه وغرفات^(١) غفرانه . ولقد أسعده الله لما توفاه على طاعه أمير المؤمنين ، وقد عرفت مقاماته مدة حياته في إحياء فروض الجهاد وسننه ، والجري في إعلاء منار الدولة القاهرة على جدّد الجدّ وسننه ، ولولا اعتصام العبد بطاعة الدار العزيزة لكادت مطالعته تُظلم ، ومطالبه لا تلتئم ، وعقودُ مناجحه لا تنتظم ، لكن بركة استمساكه بالعبودية شملت ، ومقاصده بسبب الاعتزاز ونسب الاعتزاء إليها كملت ، والكلمة على الطاعة اتحدت ، والمظاهرة من الجماعة تمهدت ، وانتظر المملوك ما يصله من الأمثلة^(٢) الشريفة المشرّفة ، والإجابة المُسعدة المُسعدة ، فطال انتظاره ، وأبطأ عليه من ليل أمله من صبح النجاح إسفاره ، فتراجعت به ظنونه ، وتراجعت عليه شجونته ، ولا شك أن مهام الديوان [العزيز^(٣)] كثيرة ، وأن آمال رجاء الرجال بظال فضله مستبيرة ، ولكنه رجاء من عوارف الباب الشريف الذي ليس بمرتبج^(٤) مرتبج^(٤) ، وأمل من مذاهب مواهبه التي منهج جدتها وحدها غير منهج ، أنه إذا ازدحمت الآمال على الديوان ، وتنافست في تلقى نفائس الإحسان ، قدّم أمرُ العبد ، ونجّل نفعُ أوامره من أوامره بالورد العد .

وأرسل الملك الأفضل القاضي ضياء الدين أبو الفضائل القسيم بن يحيى

(١) في (ك ٤٣٣) : « عرفان » .

(٢) المثال (والجمع مثالات وأمثلة) والمقصود به هنا التقليد الذي كان يصدر من الخليفة العباسي إلى أحد ملوك الأيوبيين بأقراره على ملكه ، أما المثال في العصر المملوكي فهو مصطلح معناه الورقة التي كانت تخرج من ديوان الجيش إيذانا بأعطاء أحد المماليك إقطاعا من الإقطاعات الحالية ، فاذا وقع السلطان على المثال بالموافقة أرسل إلى ديوان النظر لتسجيله وحفظه ، ويسكب بذلك « مربعة » فيها اسم المقطع ورتبته ، ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء حيث يسكتب منشور الإقطاع ، أنظر : (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٥٣)

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك ٤٣٣) .

(٤) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

ابن عبد الله بن الشهرزورى رسولا إلى الديوان العزيز ، وبعث معه عدد والده وملابسه وخيله ، وأضاف إلى ذلك من الهدايا النفيسة ماعزاً وجوده وقوم بآلاف ، وأضاف إلى ذلك أنواعاً من الطيب والألطف ، ونساء بارعات في الحسن من السبي^(١) .

وكان القاضى بهاء الدين بن شداد — رحمه الله — لما توفى السلطان بدمشق كما ذكرنا ، فلما توفى السلطان اعتمد عليه الملك الأفضل غاية الاعتماد واحترمه غاية الاحترام ، وكان يشاوره في جليل الأمور ودقيقها . فورد (١٣) كتاب الملك الظاهر — صاحب حلب — إلى أخيه الملك الأفضل يرغب إليه في أن يتحننه بالقاضى بهاء الدين ليكون عنده ويتيمين برأيه ، فأجابه الملك الأفضل إلى ذلك وسيره إليه ، فوصل القاضى بهاء الدين إلى حلب ، فأعظمه الملك الظاهر وفوض إليه قضاء بلاده ، وصار أقرب الناس إليه منزلةً ، ولم تزل منزلته عنده عظيمة وله الإقطاع الجليل والحرمة التى لم يصل إليها أحد من المعممين ، إلى أن توفى الملك الظاهر — رحمه الله — وولى ولده الملك العزيز ، وقام بأتابكيت الأتابك شهاب الدين طغريل الخادم ، فازدادت منزلة القاضى بهاء الدين عواً وعظمة ، وكان الملك العزيز ينزل بنفسه إليه في كل وقت ، ويأخذ رأيه في المهمات العظيمة ، ولم تزل له هذه المنزلة العظيمة ، إلى أن توفى في أيام الملك العزيز — رحمه الله — وقد أناف على التسعين سنة .

(١) ذكر صاحب الروضتين (ج ٢ ، ص ٢٢٥) — نقل عن ابن القادسى — نبأ عنفرادات هذه الهدية ، تنقله هنا لأهميته ، قال : « وفي يوم الثلاثاء مسهل رمضات حمل ابن الشهرزورى ما كان أصحبه الأفضل من حمل الشام إلى الديوان العزيز ، وهو صليب الصلבות الذى كان قد أخذه والده ، وذكر أنه ذهب يزيد على العشرين رطلاً ، مرصعاً بالجواهر ، ومعه خادم مختص بخدمته ، وحمل فرس أبيض ، وزرديته ، وخوذته — وكانت صفراء مذهبة — ، ودبوس حديد ، وسيف ، وأربع زرديات ، وقالوا : « هذه تركته ، وبها كان يقاتل » ، وتحفا جمة من الثياب ، وحمل في جملة التحف أربع جوار من بنات ملوك الروم ، فبين ابنة «روزان» ، وبنت «رحب حيلة» .

وقصدت خدمته^(١) بحلب سنة سبع وعشرين وستمائة ، وحضرت مجلسه واستفدت منه ، وأقامت بمدرسته^(٢) التي أنشأها إلى جانب داره — رحمه الله — نحو سنة وكسر .

ولما وصل القاضي بهاء الدين إلى خدمة الملك الظاهر ، وسيّره رسولا إلى الإمام الناصر لدين الله ، وأحجبه من الهدايا أضعاف ما سيّره أخوه الملك الأفضل ، ورتبه في أبهة جميلة ، وعدة من الجند أسنى لهم العطايا ، وأعطى القاضي بهاء الدين ألفي دينار وخزانة من خلع وثياب ومصوغات ذهب وفضة ، وقال : « أنفق منها واخلع » . ومضى بهاء الدين في مضارب وخيم وحجّاب وحشم ، فأبلغ الرسالة ، وعاد إلى صاحبه مكرّماً .

وعاد القاضي ضياء الدين إلى الملك الأفضل بعد إبلاغ رسالته مكرّماً محترماً .

(١) هذه إشارة لها أهميتها يذكر فيها المؤلف أنه تعلّد على بهاء الدين بن شداد ودرس عليه في مدينة حلب سنة ٦٢٧ هـ .

(٢) المدرسة الصاحية أو مدرسة القاضي بهاء الدين بن شداد بحلب عرّف بها (محمد كرد علي : خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٠٥) قال : « أنشأها القاضي بهاء الدين يوسف المعروف بابن شداد ، قال ابن خلكان : إن حلب كانت قبل أن يتصل ابن شداد بخدمة الملك الظاهر قليلة المدارس ، وليس بها من العلماء إلا قسيس ، فاعتنى بترتيب أمورها ، وجمع الفقهاء بها ، وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة ، وكان الملك الظاهر قد قرّر له إقطاعاً جيداً يحصل منه جلة مستكثرة ، فمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي الشافعية ، وذلك في سنة إحدى وستمائة ، ثم عمّر في جوارها داراً للحديث ، وجعل بين المكاين تربة يدفن فيها ، ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدتها التفهاء من البلاد وحصلت بها ، الاستفادة والاشتغال ، وكثر الجمع بها ، وموقع هذه المدرسة في الزاوية الغربية من الحنية المعروفة الآن بحنية الفريق شرق محلة الفاحية ، ولم يبق منها ولا من دار الحديث سوى حجر مكتوب ، وقد كانتا عامرتين في القرن العاشر كما في أملاص النبلاء ، انظر أيضاً : (ابن الشحنة : لدر المتخف في تاريخ مملكة حلب ، ص ١١١) .

ذكر ما اعتمده الملك الأفضل من الأمور

التي آلت به إلى زوال ملكه

لما أفضى الملكُ إلى الملكِ الأفضل ، استوزر ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير^(١) ، وفوض إليه أموره كلها . وهذا ضياء الدين من أهل الجزيرة ، وكان مترسلاً فاضلاً ، وهو صاحب « المثل السائر » و « المعاني المبتدعة » وغيرها من الكتب ، وله أخوان فاضلان هما : عز الدين صاحب التاريخ المشهور ، ومجد الدين أبو السماعات صاحب كتاب « جامع الأصول في الحديث » ، وكان متقدماً عند ملوك الموصل من بني أتابك رنكي — رحمه الله — وهؤلاء الإخوة الثلاثة كانوا فضلاء أعياناً [نبلاء]^(٢) متقدمين في الدول .

وكان ضياء الدين المذكور لما اتصل بخدمة الملك الأفضل شاباً غرّاً ، فحسن للملك الأفضل إبعاد أمراء أبيه وأكابر أصحابه ، وأن يستجدَّ له أمراء وأصحاباً غيرهم ، وقال :

« هؤلاء خواصُّ السلطان وينظرون إليك بتلك العين ، ويعتقدون أن حقهم واجب وجوب الدين ، وهم — بحكم المعرفة لك من الصغر — يتبسطون ويشتطون ولا يقنعون ، وأعمالُ دمشق لا تسعهم^(٣) ، وجميعها لا تقنعهم ،

(١) طبعت أخيراً مجموعة من رسائل ضياء الدين بن الأثير ، وهي تضم عدداً كبيراً من الوثائق الديوانية الهامة التي تلقى أضواء جديدة على تاريخ البيت الأيوبي وتاريخ مصر والشام وما جاورها في هذه الحقبة من الزمن . انظر : (رسائل بن الأثير ، نشر وتحقيق أنيس المقدسي ، بيروت ١٩٥٩) ، وانظر ترجمة ضياء الدين عند . (ابن خلكان : الوفيات) و (السيوطي : بنية الوفاة) و (أبو شامة : الروضتين) و (المقرئ : السوكن ج ١) و (ابن تفرج : بردى : النجوم ، ج ٦) و (سركيس : معجم المطبوعات العربية) و (مقدمة المقدسي لرسائل ابن الأثير)

(٢) أضف ما بين الحاصرتين عن : (ك ٣٥)

(٣) في (ك) : لا تسعهم .

والأعمال المصرية لهم أفسح وأوسع ؛ وأما الغرباء ، فإنهم يقنعون بأى شئ أعطيتهم ، ويعترفون بحقك ويعظمونك » .

وساعده على هذا القول جماعة من أصحابه ممن لا رأى عنده ولا معرفة . فأصغى الملك الأفضل إلى هذا القول ، وأعرض عن أصحاب أبيه ، ففارقه جماعة ، منهم :

الأمير نحر الدين جهار كس^(١) .

وفارس الدين ميمون القصرى .

وشمس الدين سنقر الكبير .

وتوجه هؤلاء إلى الملك العزيز فاحترمهم وأحسن إليهم ، ودولى نحر الدين جهار كس أستاذية داره ، وفوض إلى فارس الدين وشمس الدين سنقر صيدا وأعمالها ، وكان ذلك لهما فاقرةًهما عليه ، وزادها أعمال نابلس وبلادها^(٢) .

ولما رأى القاضى الفاضل من الملك الأفضل ووزير ضياء الدين بن الأثير مالا يعجبه ، عزم على مفارقة الملك الأفضل والتوجه إلى الديار المصرية ، واستأذن الملك الأفضل فى ذلك فؤذن له .

(١) هو أبو منصور جهار كس بن عبد الله الناصرى الصلاحى الملقب بفخر الدين كان من أمراء الدولة الصلاحية ، وقال (ابن خلكان : الوفيات ، ج ١ ، ص ٢٢١) فى ترجمته : « إنه كان كريما نبيل القدر على الهمة ، وأنه بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه » ثم قال : « ورأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم ترفى شئ من البلاد مثلبا فى حسنها وعظمتها وإحكام بنائها ، وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا وربما معاقه » ، وتوفى جهار كس فى سنة ٦٠٨ هـ ومعنى جهار كس باللغة العربية : أربعة أنف .

(٢) لاحظ أن المقرئى عند كلامه عن أولاد صلاح الدين يتدل عن مفرج الكروب دون أن ينص على هذا النقل ، انظر : (المقرئى : الملوك ، نشر الدكتور زيادة ، ج ١ ، ص ١١٤ وما بعدها) .

قال عماد الدين الكاتب :

فقلتُ للملك الأفضل : « لِمَ تركتَ القاضي الفاضل يرحل ، والمُلكُ
بتحوله يتحوّل ؟ » .

فقال : « ما الذى كنتُ أفعله وهو لا يقبل منى ؟ » .

فقلت : « كان ينبغى أن تتركب إلى داره وتفعل كلّ ما يؤثره ، فكنتُ
تملك به أمرك ، وتأمين به فى ملكك » .

قال : « نعرف الصواب » ، ولم يرد الجواب .

وكان القاضي بهاء الدين بن شداد قد فارق الملك الأفضل قبل ذلك
— كما ذكرنا — وصار إلى الملك الظاهر ، وكذلك فارقه جمال الدين أبو غالب
عبد الواحد بن الحصين ، واتصل بخدمة الملك الظاهر وتقدّم عنده .

ولما وصل القاضي الفاضل إلى الديار المصرية ، خرج الملكُ العزيزُ
عماد الدين إلى استقباله ، وأعظمه غاية الإعظام ، وأحلّه محل الوالد ، وصار لا يصدر
[أمراً إلا ^(١) عن رأيه ومشورته .

واستمال الملكُ العزيزُ — رحمه الله — أصحابَ والده وأمرائه ومماليكه وأحسن
إليهم وقربهم ، فعظم بذلك شأنه ، واجتمعت كلُّهم على نصرته وتقرير قواعد
ملكه ، والملكُ الأفضل يفعل ضد ذلك بأصحاب أبيه ، ويقدم عليهم مَنْ استجدّه
ممن لا يُؤثر به ولا ينبغى الاعتماد عليه .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عز (ك ٤٣٦) وبها يستقيم المعنى .

قال عماد الدين الطائبي :

« وكنتُ أنا من سيم^(١) البغد ، وسُم منه الود ، وتفرد الوزير بوزره ،
ومدَّ الجزريُّ في جزره ، ولأجل أهلي وأملاكي بدمشق لزمته الإقامة ،
وإلى قضاء الله فيها الاستئانة ، وقيل للملك الأفضل : « هذا العاد ، يتعذر عليه
الاعتماد ، فإنه لا يصبر على ما تعطيه ، وغير ما كان له من أهلك ياباه
ولا يرضيه ، ونحن نكفيك أمر كفايته ، ونبلغ لك أمد بلاغته ، وأى حاجة
لك إلى العبارة البارعة ، والفصاحة الصادقة ، والبلاغة البالغة ، والأشغال
الفارغة ؟ ! وأمرُ الملك يتمشى بالكلام المفهوم ، والخطاب المعلوم ، ومن بقي
يرغبُ في الغريب ، ولا أرب فيه للأريب ، ونحن نقوم لك بما لا غنى عنه
من الكتابة ، ولا نخطئ الغرض بالإصابة » .

ومكث الملك الأفضل أشهراً للغنى عنى مُظهِراً ، وبظاهر دعاوى أولئك
الجماعة مُستظهِراً ، وعملوا نسخاً أيّمانٍ كان في عقودها حنثها ، وفي عهودها
نكثها ، ولم يخفَ عن الملك الأفضل ما هو الأفضل ، وأنه بمن لا حاصل
له ولا طائل^(٢) على طائل^(٢) لا يتحصل ، فاستدعاني وقال :

« مالك انقطعتَ عمن يصلك ، وامتنعتَ عمن بفضلِكَ يعرفك
ولا يجولك ؟ » .

فقلتُ : « شغلني المصابُ الصلاحى ، عن إصابة صلاحى » .

ولم يزل بخطابه يُبجِّلنى ، وبعتابه يُنحِلنى ، وبتربيته يُقربنى ، وبتقريبه
يرغبنى ، حتى عدتُ إلى قوله ، وعُدتُ بطوِّله ، وأجرى لى ما جرى به جودُ

(١) فى ك : د اختار .

(٢) هذان اللفظان - اقطان - من (ك) .

جوده ، وأمنت العدم بوجوده ، ولو كُفيت شر الشركاء ، لدامت مغارس
مكارمه مستمرة على الزكاء ، ولكنهم أوهموه أنى عزيز عند العزيز ،
وأن ولاءه من سرِّ قلبى فى الحرز الحرز ، وأنه أبقى على بمصر الإقطاع ،
وأن شكرى لإنعامه قد شاع ، وأنت إذا أوليته جيلا ضاع ، وإذا أودعته سرا
ذاع ، فلبسنى بتجميل دولته على وَهْمِهِ وَهْمُهُ ، وأنس بى لتكميل رُتبته والغنى
بعد عُدْمِهِ ، وكنت أرى فيه — مع قيامه يا كرامى واحترامى — وقفة ، ورأيت
عُصْبَةَ العصبية إليه متلفتة وعليه مُلتَفَّة ، وغاب الجزرى على أمره ونهيه ،
وآل الوثوق به فى أحكام ملكه إلى وَهْنِهِ وَهْنِهِ .^(١)

ذكر ابتداء الوحشة بين الأخوين

الملك الأفضل والملك العزيز - رحمهما الله -

لما أبعد الأفضل أكابرَ أمراء أبيه وأصحابه ، وأعرض عنهم حتى فارقوه
وصاروا إلى أخيه الملك العزيز ، وقعوا فى الملك الأفضل عند الملك العزيز ،
وحسنوا له الاستبداد بالملك والقيام بالسلطنة مقام أبيه .

وكان القدس من البلاد المضافة إلى الملك الأفضل ، فأشار ضياء الدين

(١) للمعاد الكاتب ثلاث رسائل صغيرة أُرِخَ فيها للحوادث التى تمت بعد وفاة السلطان
صلاح الدين ، وهذه الرسائل هى : « العتبى والعقبى » و « نحلة الزحلة » و « خطفة البارق وعطنة
الشارق » ، وكلها — رغم أهميتها القصوى مفقودة وإن كان أبو شامة قد لحصها تلخيصا موجزا
جدا فى الصفحات الأخيرة من الجزء الثانى من كتابه « الروضتين فى أخبار الدولتين » ، غير
أن ابن واصل ينقل هنا أجزاء كثيرة وهامة جدا من هذه الرسائل ، ومما يزيد فى أهمية هذه
الأجزاء أنها لا توجد فى الروضتين أو فى أى مرجع آخر من المراجع التى أوتيت للأوبيين ،
ولهذه الفقرة أهمية خاصة لأن المعاد يتحدث فيها عن نفسه ، وعن علاقته بالعزيز والأفضل ابن
صلاح الدين .

وزيرُهُ عليه بأن يَحْلِيَ القدس ويسلمه إلى أخيه الملك العزيز، وقال : « هو محتاج إلى أموال ورجال ونواب وكلفة عظيمة ، فأعطه لأخيك ، واستجلب بذلك مودته » .

فكاتب الملك الأفضل أخاه الملك العزيز في ذلك ، وفَوَّض إليه القدس وعمله ، فسَرَّ الملكُ العزيز بذلك وقبله ، وشكر الملكَ الأفضل ، فلما بلغ النواب بالقدس ذلك ، خافوا من محاسبة الملك العزيز لهم ، لأنهم كانوا قد مدوا أيديهم في الوقوف ، ومن جملتها ثلث نابلس وعملها ، فإن السلطانَ الملكَ الناصر — رحمه الله — كان قد وقف ذلك على عمارة القدس ومصلحته ، فخان الولاية في ذلك ، فلما سمعوا عَزَمَ الملكُ الأفضل على تسليم القدس إلى الملك العزيز ، كتبوا إلى الملك الأفضل يبدلون له القيام بالقدس ورجاله من وقته فقط ، ولا يُحْجونه إلى بذل شيء آخر من ماله ، فأجابهم إلى إبقائه في أيديهم (٥) وبدا له [الرجوع] ^(١) عما كان قد كاتب به أخاه ، فتغير الملكُ العزيز لذلك وتكدرَ باطنه .

ولما تقدم عند الملك العزيز ميمون القصرى وسنقر الكبير أقرَّهما على عملهما بالشام وزادهما نابلس ، وذلك كله من أعمال الملك الأفضل ، فاستوحش لذلك الملك الأفضل وتغيرَ قلبه ، وتكدرت الوحشة بين الأخوين ، واستمر الحال على ذلك إلى آخر هذه السنة — أعني سنة تسع وثمانين وخمسمائة — .

(١) أضفنا هذا اللفظ لينتقم به العن .

ذكر المتجددات بالشرق في هذه السنة

بعد موت السلطان — رحمه الله —

لما توفي السلطان — رحمه الله — كان أخوه الملك العادل بالكرك — وقد ذكرنا ذلك — فلما بلغته وفاة أخيه ، قدم إلى دمشق وأقام فيها وظيفة العزاء ، ثم توجه إلى البلاد الشرقية خوفاً عليها من غائلة العدو ؛ وكنا قد ذكرنا أن السلطان فوض إليه ما وراء الفرات من الولايات ، فلما قطع الفرات ، أقام بقلعة جعفر ، وضبط أمور تلك الناحية .

وكان بكتمر — صاحب أخلاط ، وكنا قد ذكرنا تملكه لها بعد سيده شاهر من — لما بلغته وفاة السلطان ، ضرب البشائر في بلاده فرحاً بموته ، ولقب نفسه الملك الناصر ، وراسل عز الدين مسعود^(١) بن مودود بن زنكي بن آق سنقر — صاحب الموصل — وعماد الدين زنكي بن مودود — صاحب سنجار — ، وصاحب ماردين — وهو حسام الدين يولق^(٢) أرسلان بن إيلغازي بن ألبى بن تيمرتاش بن إيلغازي بن أرتق ، وكان صبياً صغيراً ، ملك بعد أبيه قطب الدين

(١) انظر ترجمته بالتفصيل عند : (ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٦ — ٢١٠) و (أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧) و (سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨) و (ابن شداد : المحسن البوسفية) و (سعيد الديوهجي : الموصل في العهد الأنابكي ، بغداد ١٩٥٨ ، ص ٣٢ ، ٣٣) و (ياسين بن خير الله العمري : منية الأدباء في تاريخ الموصل الهدباء ، نشر سعيد الديوهجي ، الموصل ١٩٥٥ ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، ١٠٩ ، ١٣٧) و (زامباور : معجم الأسرات الحاكمة ، الترجمة العربية) و (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ — ٢٩٦) .

(٢) ولي حسام الدين يولق حكم ماردين في جمادى الآخرة سنة ٥٨٠ هـ ، وخلفه أخوه ناصر الدين أرتق حوالي سنة ٥٩٧ هـ ، انظر : (زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، الترجمة العربية ، ص ٣٤٥) .

إيلغازى ، وقام بأتابكيتته مملوك^(١) لأبيه — ؛ وإنما راسل هؤلاء فى معنى الاتفاق معه على تجديدته ومساعدته على حرب الملك العادل وأخذ البلاد منه ، فكان أول خارج فى إنجاده عسكر ماردىن ونزلوا الموزر ؛ ثم تحرك عز الدين — صاحب الموصل — .

فكى عز الدين بن الأثير ، قال :

لما وصلت الأخبار بوفاة صلاح الدين إلى عز الدين ، جمع أهل الرأى من أصحابه فاستشارهم فيما يفعله ، فأشار عليه أخى مجد الدين أبو السعادات — وكان من أكابر أصحابه — بالإسراع فى الحركة (ه ب) وقصد البلاد التى بيد الملك العادل ، فإنها^(٢) لا مانع لها منه ؛ فقال مجاهد الدين قايمار :

« ليس هذا برأى ، فإننا نترك وراءنا مثل عماد الدين — صاحب سنجار — ، ومعز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى — صاحب الجزيرة — ، ومظفر الدين كوكبورى^(٣) — صاحب إربل — ، وإنما الرأى أن نراسلهم ونستميلهم ونأخذ رأيهم وننظر ما يقولون » .

فقال مجد الدين :

« إن كنتم تفعلون ما يشيرون به ويروونه فاقعدوا ، فإنهم لا يروون إلا هذا ، لأنهم لا يؤثرون حركتكم ولا قوتكم ، وإنما الرأى أن يبرز هذا السلطان ويكاتبهم ويراسلهم ويستميلهم ، ويبذل لهم اليمين على ما بأيديهم ، ويعلمهم

(١) هذا المملوك هو نظام الدين البقش ، انظر المرجع السابق .

(٢) الأصل : « فإنه » ، والتصحيح عن نص ابن الأثير المنقول فى (الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧) .

(٣) له ترجمة طويلة مفصلة عند (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٣٧٠ — ٣٧٧) وعنه ضبطنا الاسم بالشكل ، وقال إن كوكبورى كلمة تركية معناها ذئب أزرق .

(٢) مفرج الكرب

أنه على الحركة ، فليس فيهم إلا من يجب ، ولا يمكنه المخالفة خوفاً أن يقصد ولايته ، لاسيما إذا رأوا جده وخلو البلاد الجزرية من مانع وحام ، فهم لا يشكّون أنه يملكها سريعاً فيحميهم ذلك على موافقته ، ومتى أراد الإنسان [أن] ^(١) يفعل فعلاً لا يتطرق إليه الاحتمالات ، بطلت أفعاله ، وإنما إذا كانت المصلحة أكثر من المضرة أقدم ، وإن كان بالعكس أحجم .

وظهرت إمارات الغيظ على مجاهد الدين فسكت ، لكون مجد ^(٢) الدين هو الحاكم ورأيه المتبع .

وأقام عز الدين بالموصل يرأس المذكورين فلم ينتظم بينه وبين أحد منهم أمر غير أخيه عماد الدين — صاحب سنجار — ، فإنهما اتفقا على قواعد استقرت بينهما .

فرحل عز الدين بعساكره إلى نصيبين ، ووصل إليه أخوه عماد الدين زنكي ، وبعثوا رسالهم إلى الملك العادل يقولون : « تخرج من البلاد وتعيدها إلينا » . فكتب الملك العادل إلى بني أخيه : الملك العزيز ، والملك الأفضل ، والملك الظاهر ، وإلى الملك المنصور — صاحب حماة — ، والملك الأحمـد — صاحب بعلبك — ، وابن عمه الملك المجاهد — صاحب حمص — يستنجد بهم ، فبادروا إلى إنجاده بالعساكر ؛ ووصل إليه الملك المنصور — صاحب حماة — ، وتوجّه إليه عسكر حمص ودمشق وبعالبك مع الملك الظافر خضر ، ورحل الملك العادل إلى حرّان ، فنزل ظاهرها .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المرجع السابق .

(٢) الأصل : « مجاهد الدين ، وهو خطأ ، والتصحيح يقتضيه السياق ، والنص عند ابن الأثير : « فسكت أخي ، لأنه هو كان مخدوم الجميع على الحقيقة ، والحاكم فيهم ، واتباع الرحوم — يعني صاحب الموصل — قول مجاهد الدين ، وأقام بالموصل .. الخ ، انظر المرجع السابق ،

ولما نزل عز الدين مسعود بن مودود بنصيبين ابتداءً به مرضُ الإسهال، (١٦) ثم سار عز الدين مسعود وأخوه عماد الدين زنكى فى عساكرهما إلى تل مؤزن^(١) من شَبَخْتان قاصدين الرُّها . فأرسل الملكُ العادل إلى عز الدين يطلب الصلح ، ويسأل أن تكون حرَّان والرُّها والزَّرَقَة وما معها بيده على سبيل الإقطاع من عز الدين ، فلم تقع الإجابة إلى ذلك .

واشتدَّ المرضُ بعز الدين — صاحب الموصل — وهو نازل تل مؤزن ، وعجز عن الحركة ، فحُمِلَ فى مَحَنَّة ، وعاد إلى الموصل فى طائفة يسيرة من العسكر ومعه نائبه مجاهدُ الدين ، وترك سائر العسكر مع أخيه عماد الدين زنكى لتقرير قواعد الصلح مع الملك العادل .

ثم رحل عماد الدين زنكى إلى سنجار ، ورجع عسكر الموصل إلى الموصل . وراسل صاحبُ ماردین الملكَ العادل فى الصلح ، وتضرَّع إليه فى أن يرضى عنه ، ووقع هذا كاه والملك الظافر خضر لم يقطع القرات بعدُ ، فكاتبه عمه الملك العادل يأمره بمنارلة سَرُوج وكانت بيد عماد الدين زنكى ، وأمدَّه الملكُ العادل بالملك المنصور — صاحب حماة — ، والأمير عز الدين إبراهيم بن المقدَّم ، فنازلوا سَرُوج فى ثامن رجب من هذه السنة — أعنى سنة تسع وثمانين وخمسمائة — ، وفتحوها من الغد .

وأما بكتمر^(٢) — صاحب أخلاط — فإنه وثب عليه جماعةٌ من الباطنية فقتلوه رابع عشر جمادى الأولى من السنة .

(١) الأصل : « تل مورن » ، وك : « تل موزر » ، وقد ضبط الاسم بعد مراجعته : (ياقوت : معجم البلدان) حيث ذكر أنه بلد قديم بين رأس عين وسروج .
(٢) هو سيف الدين بكتمر مملوك ظهير الدين إبراهيم ، ولى الحكم فى خلاط فى ربيع الثانى سنة ٥٨١ هـ لى أن قتل فى رابع عشر جمادى الأولى سنة ٥٨٩ هـ ، خلفه بدر الدين آقنقر بن سكران . انظر : (زامباور : المرجع السابق ، ص ٣٤٨) .

ثم رحل الملك العادل في منتصف رجب إلى الرقة فملكها في العشرين منه ،
ثم رحل إلى الحلب فملكه ، ثم توجه إلى نصيبين فنزل ظاهرها ، وأنته رسل
عماد الدين — صاحب سنجار — يطلب منه الصلاح .

ذكر وفاة

عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل

ولما رجع عز الدين^(١) إلى الموصل ، تزايد به المرض إلى أن توفي في السابع
والعشرين من شعبان من هذه السنة ، فكانت مدة ما بين وفاته ووفاته السلطان
الملك الناصر نصف سنة ، وكانت مدة ملكه الموصل ثلاث عشرة سنة
وستة أشهر .

ذكر صفته وسيرته - رحمه الله -

(٦ ب) كان أسمر مليح الوجه ، حسن اللحية ، خفيف العارضين ؛
مكي ابن الأثير عن أبيه : أن عز الدين كان أشبه الناس بجده الشهيد
عماد الدين زنكي ابن آق سنقر .

قال : « وكان لين الجانب ، كريم الأخلاق ، كثير العطاء ، غزير
البذل ، شديد الحياء ، لم يحدث أحدا قط إلا وهو مطرق . وكان رقيق القلب ،
كثير الرحمة لرعيته » .

قال : « وحكى لي أخى مجد الدين أبو السعادات قال : قال لي يوما :

(١) انظر خبر مرضه ووفاته وترجمته في : (ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٠)
وانظر أيضاً . (ابن خلكان . الوفيات ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ - ٢٩٦) .

ما نمت البارحة إلى سَحَر ، فقلنا له : ما سببُ ذلك ؟ قال : كنت سمعتُ أن ابن فلان مريض — وذكر إنساناً بَيَّاعاً^(١) بالموصل — فسمعت البارحة صوت مَأْتَم ، فظننت أنه توفي ، فضاقت صدري ؛ وبلغني أنه ليس لأبويه غيره ، فشقَّ ذلك عليّ ، وقيمتُ من الفراش إلى أطراف السطح لئلي أعلم مَنْ هو الميت ، فطال الأمر عليّ إلى الثالث الآخر من الليل ، ثم قلت : لِمَ أعذبُ نفسي ؟ فأرسلت خادماً ففتح أبواب الدار ، وأرسلَ من الأجناد مَنْ يستعلم مَنْ هو الميت ، فعاد وذكر شخصاً لم أعرفه ، وحينئذ نمت .

وهذا من أتم ما يكون من الشفقة ، إذ حصل له هذا القلق العظيم على رجل من رعيته ليس له معه تقدم صحبة ولا خدمة .

قال : « وكان ديناً خيراً ، ابنتي بجوارده مسجداً ، فكان يخرج إليه ويصلي فيه » .

وكان عادلاً ، فمما روى ابن الأثير من عدله :

« أنه كان بالموصل إنسان من أعيان الدولة ، وكان يتولى ديوان الخاتون بنت حسام الدين تمر تاش^(٢) ابن إيلغازي بن أرتق — وهي أم عز الدين — ولذلك الإنسان بها جأء عظيم ، وكانت له قرية تجاور قرية لرجل عجمي مقيم بالموصل ، فتعدَّى في حدود قرية العجمي ، وأخذ شيئاً من أرضه ، وطال النزاع بينه وبين العجمي ، فلم ينتصف منه ، فاتفق أنه ورد إلى الموصل واعظاً ، فأحضره عز الدين مسعود — رحمه الله — وأمره أن يجلس للوعظ في دار المملكة ، وحضر عز الدين ، وتقدم بأن لا يُحجب

(١) الأصل : « بيما » ، وما هنا قراءة ترجيحية .

(٢) حسام الدين تمر تاش بن إيلغازي الأرتقي ، ولي الحكم في مardin سنة ٥١٦ هـ إلى سنة ٥٤٧ هـ حيث خلفه والده نجم الدين أبي ، أما الخاتون ابنته ووالدة عز الدين مسعود فاسمها فلانة خاتون . انظر : (زامباور : المرجع السابق ، ص ٣٤٥ — ٣٤٧) .

أحدٌ ، فاجتمع عالمٌ كثير ، فتكلم ذلك الواعظ ، فقام ذلك العجمي وصاح واستغاث ويده قصة يشكو فيها حاله ، فأخذت منه وأمر بالجلوس إلى أن يفرغ المجلس . فلما فرغ المجلس ، وقف عز الدين على قصته ، وأحضر القاضي (١٧) وتقدم عليه بأن يحكم بين العجمي وخصمه ، فحكم ، فظهر الحق بيد العجمي ، وأسجل القاضي على نفسه في المجلس وأشهد عليه ، وسلم إلى العجمي حقه ، وأسخط عز الدين والدته في اتباع الحق .

وأوقف عز الدين أوقافاً حسنة منها المدرسة^(١) المعروفة به بالموصل بباب دار الملك للفريقين : الحنفية والشافعية ، ورتب فيها الفواكه والحلواء والدعوات في المواسم والأعياد ، وشيرج الوقيد، وغير ذلك .

ذكر استيلاء نور الدين أرسلان شاه

ابن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر

على الموصل

كان عز الدين — رحمه الله — لما رجع مريضاً ووصل إلى دُنَيْسِر ، أوصى بالملك بعده لولده نور الدين أرسلان شاه ، وجعل القيم بأمره مجاهد الدين

(١) سميت « المدرسة العزية » نسبة إلى عز الدين مسعود ، انظر عنها : (ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٤٥ ، والكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٣) وقد زار بن خلكان هذه المدرسة ووصفها عند كلامه عن عز الدين مسعود بقوله : « وكان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة ، وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية ، فدفن في هذه المدرسة في تربة في داخلها — رحمه الله — ، ورأيت المدرسة والتربة وهي من أحسن المدارس والترب » ، ومدرسة ولده نور الدين أرسلان شاه في قباتها ، وبينهما ساحة كبيرة ، ، هذا ولم يبق من المدرسة العزية حتى اليوم سوى غرفة واحدة مربعة الشكل فيها مرقد الإمام عبد الرحمن ، وفوق الغرفة قبة مثمنة الشكل كالقباب التي بنيت في الموصل في القرنين السابع والثامن للهجرة ، وقد وصف المدرسة وهذه الحجرة والحراب وما بهما من نقوش أثرية الأستاذ المحقق مؤرخ الموصل سعيد الديوه جي في كتابه سالف الذكر : (الموصل في العهد الاتابكي ، ص ١٤١ — ١٤٢) .

قايمآز ، فلما وصل إلى الموصل وهو مريض ، أرسل إليه أخوه^(١) شرف الدين هندو أمير أميران بن مودود يطلب أن يجعل الملك له بعده ، وأرسلت والدته الخاتون ابنة حسام الدين تمر تاش — صاحب ما ردين — في المعنى ، وبالغت في الطلب لولدها شرف الدين ، وجمعا جموعا ، وجنّدا أجنادا ، وقال شرف الدين : « إن ملكني أخى الموصل بعده وإلا ثرت في البلد وأخذته قهراً ، فإن عجزت سرت إلى الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب » ، وأرعد وأبرق .

وكان عمر نور الدين أرسلان شاه يومئذ عشرين سنة ، وكان الملك العادل يومئذ نازلا^(٢) بنصيبين ، فلهذا قوى جنان شرف الدين ، وظن أن أخاه عن الدين يعهد إليه بالملك إذ هو كبير البيت ليزد الملك العادل . وقال عز الدين لمجاهد الدين :

« حلف الناس لولدى نور الدين ، فأبى أخاف أن أموت وليس لكم ملك ، والملك العادل في البلاد ، وأخاف أن يحدث ضرر لا يمكن تلافيه » .

فتوقف مجاهد الدين في ذلك خوفاً من الفتنة .

قال ابن الأثير :

« ثم أرسل نور الدين أرسلان شاه إلى أخى مجد الدين مع خادم والده — وهو أمين الدين يمين — يطلب منه أن يشير على مجاهد الدين قايمآز بتحليف الناس وترك التواني فيه ، ووعدده الزيادة والإقطاع وتمليك القرايا ، وأرسل معه خاتما » .

قال : « فرد أخى مجد الدين الخاتم وقال : خاتم المولى إنما يعطى على بلاد ،

(١) (ك) : « أخيه » ، وما هنا هو الصحيح .

(٢) (ك) : « نازل » ، وما هنا هو الصحيح .

وأما هذا الأمر فهو أيسر من أن يُؤخذَ عليه خاتم ، والذي رسم به فأنا مشدود الوسط فيه ، والمولى لا يشكرني على هذا ، فأني أفعله خدمةً لوالده الذي أنا في خدمته ، إذ هو مراده ، ولو أراد غيره لا تَبَعْتُهُ ولم يبدُ مني إلا ما يوافق غرضه والمصلحة له ولدولته ، وأنا أشكر الله تعالى حيث كانت إرادةُ والده موافقة لإرادته ، فإذا خدمتُ خدمةً وافقتُ الغرضين ، وأما ما وعدته من إنعام وزيادة فليس لي رغبة في شيء منه ، فإن لي من نعمته ما يفضل عني .

ثم ركب مجدُ الدين من وقته ، واجتمع بمجاهد الدين قايمار بالقلعة فرآه مفكراً ، وشكا إليه مجاهدُ الدين وقال :

« هذا شرف الدين يريد الملكَ لنفسه ، والمولى عزُّ الدين يريد له ولده ، والملكُ العادلُ بنصيبين ، والفتنة قد رفعتُ رأسها » .

وبينما هما في الحديث ، وإذا رسول قد جاء من عند عز الدين يقول لمجاهد الدين :

« قد ضجرتُ مما أقولُ لك في تخليف الناس لولدي ، وأنت تهمل الأمر ، والعدو بالقرب منكم ، وأتم بغير سلطان ، وأنا^(١) فما أظن أني أعيش يوماً آخر ، فما تنتظر ؟ » .

فضجر مجاهد الدين ، وأعاد ما كان يقول لمجد الدين ، فقال له مجد الدين :

« أنت تفعل هذا بنفسك والدولة معك ، ولو شئت لم يكن منه شيء ؛ والرأي أن تأمر بإحضار الأمراء وأر باب المناصب والمقدمين وأعيان البلد وتحلفهم لولده كما يريد ، ومهما بقينا على هذه الحال وليس لنا سلطان لا نزال في صداعٍ مع شرف الدين » .

فاستدعى مجاهدُ الدين الجماعة ، وكتب نسخَ اليمين ، وحلف الجماعة بمقتضاها ؛
ولما سمع الذين اجتمعوا مع شرف الدين ذلك تفرقوا عنه ، فحينئذ بعث شرفُ الدين
إلى مجاهد الدين يقاتبه لكونه حلفَ الناس قبلةً ، وقال : « أنا أردت أن أخدم
المولى نور الدين وأتولى القيام بأمره » .

ثم توفي عز الدين — رحمه الله — وأركب مجاهدُ الدين نورَ الدين في موكب
(١٨) السلطنة ، ومُحلت السناجق^(١) على رأسه ، ومشى مجاهدُ الدين في ركابه
راجلا وهو يحمل الفاشية^(٢) ؛ واستقر الملك بالموصل وبلادها .



(١) السناجق (ج : سناجق) لفظ تركي كان يعلق أصلا على الرمح ، ثم أطلق على الراية
التي تربط به ، وكانت السناجق تحمل بين يدي السلطان في مواكبه .
(٢) الفاشية هي السرج أو الغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الفرس فوق البرذعة ،
وكان أمراء الأتابكة ثم سلاطين الأيوبيين والمماليك بعدهم يخرجون في المواكب وبين أيديهم
الفاشية ، وقد وصفها (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧) بأنها سرج من أديم مخروزة
بالذهب ، يحالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه (السلطان) عند الركوب
في الواكب الحفلة ، كالمبادين والأعماد ونحوها ، يحملها أحد الركاب دارية ، رافعا لها على يديه
بلفتها بعينا وشمالا .. إلخ .

ودخلت سنة تسعين وخمسمائة :

والملكُ العادلُ سيفُ الدين أبو بكر بن أيوب بالبلاد الشرقية ، وقد استقرَّ ملكه بها . ورجعت النجدُ إلى بلادها ، واستحكمت الوحشةُ بين الأخوين : الملك العزيز والملك الأفضل ، واتفق رأيُ الأمراء بمصر على أن تكون المملكةُ مجمعةً للملك العزيز عماد الدين عثمان ، وقالوا : « هو أولى أولاد السلطان بذلك ، إذ هو المحي لسُنَّة والده في الشجاعة والكرم » ؛ وأشاروا على الملك العزيز بالتوجه إلى الشام لتجتمع له الملكتان ، وتنظم ممالكُ والده في سلكه ، فبرز إلى البركة^(١) ، وبذل الأموال ، واستخدم الرجال ، وبلغ ذلك الملك الأفضل ، فاشتد خوفه .

وكان من جملة الأسباب الباعثة الملك العزيز على الحركة أن ثغر جبَّيل — وهو من جملة الفتوح الصلاحية — وكان مستحفظه رجلاً كردياً متنمساً ، فأرغبه الفرنج ، وبذلوا له مالا ، فسلمَّ الثغر إليهم ، فظهر الضعفُ عن استخلاصه ، وخرج الملكُ الأفضل وخيمَ على البقاع ليستخلصه ، فتعذَّر ذلك عليه ، فقالت الأمراء للملك العزيز : « توانيتَ ، فطُرقت^(٢) البلادُ واستولى عليها الفرنج » ، فحينئذ صمم على الحركة ، وخرج بمضاربته وجحافله لقصد الشام .

(١) المقصود بها « بركة الجب » ، أو « بركة الحاج » ، وقد عرفتُها (المقرئ) : الخطاط ، ج ٣ ص ٢٦٥ - ٢٦٧) بقوله : « هذه البركة في الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها ، عرفت أولاً بحج عميرة ، ثم قيل لها أرض الجب » ، وعرفت اليوم بركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة ، وعند عودهم .. إلخ .

(٢) (نك) : « إن أنت توانيتَ طُرقت البلاد » ، والتعبير هنا أسلم .

ذكر مفارقة

الأمير صارم الدين قايماز النجمي الملك الأفضل

كان الأمير صارم الدين قايماز النجمي من أكبر أمراء الدولة الصلاحية ، وهو مملوك نجم الدين أيوب بن شاذي والد الملوك ، فاستوحش من الملك الأفضل لإعراضِ وَجَدَهُ مِنْهُ ، فمضى مغاضباً إلى إقطاعه بالسواد ، فسيرَ إليه الملكُ الأفضل رسولاً يستعطفه ويسترضيه ، فأتاه الرسولُ ، وخان في الرسالة ، وسوّل له العصيانَ وَحَمَّاهُ عَلَيْهِ ، وأوهمه أنه إنما قال ذلك نُصْحاً لَهُ ، وما كان قصدُ الرسول إلا إبعاده ، فازدادت بذلك وحشة صارم الدين ، ثم عاد الرسولُ من عنده (٨ ب) وبلغَ الملكُ الأفضل عنه ما أوحشه ، ثم سلّاه عنه بأن قال : « الآن ملكتَ قيادَ مُلْكِكَ ، وخلصتَ من تحكمه ، وغنمتَ إقطاعه ، فأنت تعطيه لأضعاف رجاله » .

وكان مقصود هذا القائل أن يفرد بالملك^(١) الأفضل من غير مزاحم ، ثم انحاز صارم الدين إلى الملك العزيز وصار من جملة أصحابه .

ولما تحقق الملكُ الأفضل أن الملكَ العزيزَ قاصدُهُ ، مال إلى مرضاته وقال : « إن كان قصدُ أخى من محاربتى أن تكون الخطبة والسكة باسمه فأنا أجيب إلى ذلك وأتبعُ رضاه » ، فأنكر عليه أصحابه — وخصوصاً وزيره ضياء الدين ابن الأثير — وقالوا له : « الله ، الله ، لا يقوم هذا بخاطرك ، وابدل ما عندك من الأموال وقوّبها عساكرك ، ولا تدخل تحت الضيم ، ونحن بين يديك كما تحب ، وأنت الأكبر من أولاد السلاطان ، وأولى منه بالخطبة والسكة » .

(١) ك : « أن يفرد بالملك الملك الأفضل » .

فقال :

« أعرف هذا الذى تقولون ، لكنى لا أؤثر الفتنة وأحب سلامة الإسلام
بانتظام الصلح بينى وبين أخى » .

قال عماد الدين الطائب — رحمه الله — :

قلت للملك الأفضل :

« دعنى أكتب إلى أخيك وأستعطفه وأتلف له ، وأنا أعلم أنه لا يردُّ قلى
بالسيف ، وأنه يروقه براعتى ، ويصنى إلى قولى ، وإذا أهديتُ له نصيحةً صحيحةً
قبلها منى » .

فقال له نصحاؤه :

« هذا يوالى أخاك فى هواه لا فى دواك ، فأعرض عن هذا وخذ فى حديث
غيره ، فما عندنا سوى الإباء ، ولا اعتدال مع الاعتداء^(١) ، وأين النخوة
والحمية ، والنفوس الأبية ، وما هذه الرقة والرِّكة ، ولنا الشُّوكَةُ والسكَّة ، ونحن
عبيدك وخدمك ، ونطرح نفوسنا تحت قدمك ، فإياك أن تُعرَف إلا بالجد
والعزيمة الصادقة » .

فأصغى إلى قولهم » .

ذكر خروج

الملك الأفضل من دمشق لمحاربة أخيه الملك العزيز

ثم خرج الملك الأفضل بعساكره ، ونزل برأس الماء ، ووصل إليه رسول
أخيه الملك الظاهر — صاحب حاب — بالمظاهرة والمؤازرة ، ووعدته بالإنجاد

(١) (ك) : د الاعتداء . .

على الملك العزيز، وشرط عليه أن لا يُبرم أمراً ولا يحله إلا بموافقته ، وأن تكون كلمتهما واحدة (١٩) ، فوق الاتفاق بينه وبين أخيه الملك الظاهر على ذلك ، وحلف كل منهما لصاحبه بالمعاضدة والموافقة .

وكان الملك الأفضل قبل ذلك قد سَيرَ إلى أخيه الملك العزيز رسولاً يسأله عن سبب خروجه إلى الشام ، فلم يُصرِّح له الملكُ العزيز بالجواب ومغلطه . ثم سَيرَ الملكُ الأفضل رسولاً إلى عمه الملك العادل — وهو بالشرق كما ذكرنا — يستنجد به ويخبره بقصد أخيه له ، ويسأله أن يعاونه عليه ، فأبطأ عليه الجواب ، فسَيرَ الأمير عز الدين بن الزنجبيلي^(١) إليه رسولاً على نجيب ليسرع وصوله إليه ، وأرسل رسالاً أيضاً إلى الملك المنصور — صاحب - اة - ، والملك المجاهد — صاحب حمص — ، والملك الأجد — صاحب بعلبك — ، يستنجد بهم ، فوردت رُسُلُهم كلهم إليه بأنهم على عزم نصرته ومساعدته ، وأنهم لا يتأخرون عن الوصول إليه ، وذلك في أوائل جمادى الآخرة من هذه السنة .

ذكر وصول الملك العزيز إلى الشام

ورجوع الملك الأفضل إلى دمشق

ومنازلة الملك العزيز لها

رحل الملك العزيز من الديار المصرية في العساكر المتوافرة من الصلاحية والأسدية والأكراد وغيرهم .

(١) الأصل : « الزنجبيلي » ، والزنجبيلي نسبة إلى زنجيلة قرية من قرى دمشق ، وقد مر في (الجزء الثاني من هذا الكتاب ، ص ١٠٣ ، هامش ١) ذكر للأمير عز الدين أبي عمرو عثمان بن علي الزنجبيلي الذي كان أميراً من أمراء الأيوبيين باليمن ثم غضب عليه سيف الإسلام طغتكين فماد إلى دمشق وتوفي بها سنة ٥٨٣ هـ ، ولا أحسب أنه هو المقصود هنا، فهذه أحداث سنة ٥٩٠ هـ .

وبلغ الملك الأفضل قربُ الملك العزيز ونزوله بالقصير من الغور ، والملك نازلٌ بالفوار ، فضاق ذرعه ، وكرَّ راجعاً إلى رأس الماء ، فلم يشعر إلا بمقدمة العساكر المصرية قد خالطت ساقته وكادوا يكبسونه ، فولى منهزماً بمن معه إلى دمشق ، ودخلها يوم الجمعة لخمس مضيئ من جمادى الآخرة .

وغد ذلك اليوم وصل الملك العزيز إلى الكسوة في قوة ظاهرة ، ثم رحل من الكسوة يوم الأحد ونازل دمشق ؛ وكان الملك الأفضل قد استحلف أهل البلد وأنفق فيهم ، وخلق على مقدمي الحال ، ونصب آلات القتال على الأسوار .

ذكر وصول الملوك إلى دمشق

ثم وصل الملك العادل سيف الدين — رحمه الله — إلى دمشق ، ووصل الملك الظاهر — صاحب حاب — ، والملك المنصور — صاحب حماة — ، والملك المجاهد — صاحب حمص — ، والملك الأجد — صاحب بعلبك — ، ودخلوا دمشق ونزلوا بها .

(ب) ذكر اجتماع الملك العادل بابن أخيه

الملك العزيز ووقوع الاتفاق

ولما استقر الملك العادل بدمشق ، سیر إلى ابن أخيه الملك العزيز يشفع له في الملك الأفضل ويسأله الاجتماع به ، فواعده الاجتماع بصحراء^(١) المزّة ، فركب الملك العادل والملك العزيز واجتمعا بها راكبين ، وسأل الملك العادل الملك العزيز أن يصالح أخاه ويعود ، فقال له الملك العزيز :

(١) (ك) : « بصحن المزّة » .

« أنا داخل في رضاك ، وأى شيء أمرتني به امتثلته : وأقبل كل شيء .
تشير به على ، وألتزم كل شرطٍ تشرطه ، وأنت عمنّا وشفقتكُ تسمنا » .

فقال له الملك العادل :

« نَفْسُ الْآنِ الْخُلَاقِ عَنِ الْبَلَدِ ^(١) » .

وكان البلد قد ضويق مضايقةً شديدة ، وقُطعت أنهاره وثماره ، وطارَت
البركةُ من بساتينه ، وكان ذلك في أيام المشمش وزمان إقبال الثمار بدمشق ،
فقبل الملك العزيز ما أشار به عمّه الملك العادل ، وتأخر إلى صوب داريا والأعوج .
ثم بعث الأمير نحر الدين جِهَارَكُس — أستاذ داره ، وهو أجل الأمراء
الصلاحية وأمثابهم — إلى عمّه الملك العادل ليقرر معه قواعد الصالح على شرائط
وقع الاتفاق عليها .

ولما تقررَت القواعد ، رحل الملك العزيز من منزله التي كان نازلاً بها ^(٢)
إلى مرج الصَفَر فنزله ، وحصل له مرض وقع الإرجافُ عليه بسببه ، ثم عوفي
من ذلك المرض ، وأمر بعمل نسخة لليمين جامعةٍ لمقترحات جميع الملوك ، حاسمة
لمواد الخلاف ، من جملة ما تتضمن .

« أن الملك الأحمَد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه ، والملك المجاهد
أسد الدين شيركوه يكونان مؤازرين للملك الأفضل وتابعين له ، وأن الملك

(١) ابن واصل ينقل هنا عن رسالة « العتي والعقي » للمعاد الأصفهاني ، وقد خصها
أبو شامة في الصفحات الأخيرة من كتاب « الروضتين » ، غير أن ابن واصل ينقل هنا عن هذه
الرسالة أخباراً كثيرة أسقطها أبو شامة في تلخيصه .

(٢) (ك) : « من منزله التي كان نازلاً به » وما هنا هو الصحيح .

المنصور — صاحب حماة — يكون في حيز الملك الظاهر — صاحب حلب —
ومؤازرا له .

وبعث كل من الملوك أميراً من عنده ليحضر الحلف .

قال عماد الدين الطائب :

« وندبني الملكُ الأفضلُ فيمن ندبه من الأماثل والأعيان لنكون شاهدين
عقد^(١) الحلف » .

قال : « فخرجنا من دمشق في جمعٍ جَمَّ من الرسل والشهود والأتباع
والجنود ، وذلك ليلة السبت ثاني عشر رجب سنة تسعين وخمسمائة . (١١٠)
وأدجلنا^(٢) تلك الليلة ، وصبحنا الحميمَ بكرة ، وضيّقنا النوبتيّة — مع سعتها —
كثرة . ولما أذن لنا الملكُ العزيز ، رفعني واصطفاني لمشافهته ، وتناول نسخة
اليمين وتأمّاهي ، وأنكر منها كلمات ، وابتكر^(٣) مقترحات ، والتمس تغيير
شروط فقال له الرسل — وأكثروهم ترك — :

« نحن لا نقدر على تغيير ما قرّر ، وما لنا إلا أن نعود ونذكّر
لمرسلينا الغرض » .

فقلنا لهم : « كيف نرجع بلا فائدة ، والصواب إثبات المقترح ، فإذا رجعنا
أعلمناهم بالحال .

(١) (ك) : « شاهدين على الحلف » .

(٢) يوجد على هامش هذه الصفحة تمليك هذا نصه : « نظر في هذا التاريخ المبارك
العبد الفقير إلى (كذا) تعالى ، وأخرجهم إلى عفوه وكرمه محمد بن المرحوم حسن غفر الله
له ولوالديه ولمن دعا له بالتوبة والمغفرة والمسلمين أجمعين (كذا) ، آمين ، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله و (صحبه) وسلم تمليكاً كثيراً ، في تاريخ الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة سبع
وسبعين وثمانمائة من الهجرة النبوية » ، انظر مقدمتنا لهذا الجزء .

(٣) (ك) : « وأنكر مقترحات » .

فقالوا للملك العزيز :

« أحضر كاتبك وعين ما تلتزمه من الشروط . »

فأشار إلى الملك العزيز وقال :

« هذا كاتب البيت ويمين الدولة ، وبقلمه يتسدد^(١) هذا الخلل . »

فعلمت أن ذلك يصعب على الملك الأفضل ، ويعتب على بسببه ، ولم يمكن رد كرامة الملك العزيز ، فأثبت جميع ما أملاه واشترطه ؛ ولما خرجنا من عنده ، ردني إليه وأجلسني وآتسني بالحديث ، فرددت معي تاج الدين السكندی ، فأجلسته عنده معي لثلا أتقرّد بالخلوة معه ، فتظّنّ بي الظنون ، ويبتذل عند الملك الأفضل قدرى المصون ، ولم يزل الملك العزيز معنا في المفاوضة حتى قربت العشاء ، وأبطأنا عن الرسل ، وقالوا :

« ما هذا بنجر^(٢) صحيح ، وما هذا إلا خبط ، أحضرنا هؤلاء الشهود معنا على العهد وهم فروع فصاروا أصولا ، واستجدوا علينا الفضول فصولا^(٣) . »
قال : « نخرجنا إليهم فوجدناهم يرجعون بنا الظنون ، فاجتمعنا معهم على المشاورة »
فقالوا : « لا يمكننا القعود ولا بد من سرعة العود . »

فعدنا إلى دمشق ، فوصلتنا بكرة الأحد والجماعة منتظرون لنا ، فأنهينا القصة ، وأعلمنا الملك الأفضل بانفرادنا بالملك العزيز ، فأهمّه ذلك ولم يعجبه ، وقال : « ربما ظنّ الملك العادل أنى مقصوداً باطنياً ينافى مقصود ، وإنى إنما أرسلتكم إلى الملك العزيز برسالة باطنة تخالف الظاهر . »

ثم اجتمع بالملك العادل ، وتقى عنه الريبة ، وأطلعه على الصورة . ونفّذ الملك العزيز أمناه وأمرأه ليتولوا إنشاء العهد .

(١) (ك) : « يند » .

(٢) الأصل : « الحبر » ، والتصحيح عين (ك ، س ٤٤٠) .

(٣) الأصل : « للفضول فضولا » ، والتصحيح عن (ك) .

ذكر تزوج

الملك العزيز بآبنة عمه الملك العادل

وخطب الملكُ العزيزُ ابنةَ عمِّه الملكِ العادل ، وندب القاضي المرتضى محمد بن (١٠ ب) القاضي الجليس عبد العزيز السعدى وكيلا عنه ، وحضر قاضى القضاة محيى الدين^(١) بن زكى الدين وجميعُ عدوله ، وَوَكَّلَ الملكُ العادلُ القاضي محيى الدين أبا حامد بن الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون فى تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز ؛ وكتب عماد الدين السطاب الكتابَ فى ثوب أطلس ، وأنشأ خطبة المقدوهى^(٢) :

« الحمد لله الذى خلق من الماء بشراً ، فجعله نسباً وصيهراً ، وشرع النكاح ووضعهُ صلةً للأرحام وبرّاً ، وشدّه به أزرّاً ، ورفع به قدراً ، وأطلع بسناء سنته فى العالم فجراً ، وأجرى به أجراً .

نحمده على أنعمه التى تجلّت لعيون مجتليها بيضاً غُرّاً ، وأياديه التى ملأت الأيدى حوافل غُرّاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تتخذها يوم القيامة ذخراً ، ونعدها يوم الفرع الأكبر جنةً وسيراً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً ، وأسماءهم وأسمائهم فى الدنيا والآخرة ذِكْراً ، الذى بعثه إلى الخلق كافةً عرباً ومُجَمَّاً ، وبدواً وحضراً ، وبينَ لهم مناهج الهدى

(١) هو قاضى القضاة محيى الدين أبو المعالى محمد بن القاضى زكى الدين على بن محمد ، ولد بدمشق سنة ٥٥٠ هـ وكان أنيرا لدى صلاح الدين ، وهو الذى اختاره ليلقى أول خطبة للجمعة فى المسجد الأقصى بعد استعادته سنة ٥٨٣ هـ ، وتوفى بدمشق فى سابع شعبان سنة ٥٩٨ هـ ، انظر ترجمته بالتفصيل فى : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ — ٣٧٩) و (ابن قفري بردى : النجوم ، ج ٦ ، ص ١٨١) .

(٢) هذا نموذج طريف خطبة عقد الزواج فى العصر الأيوبي .

إيجاباً وإباحة وندباً وحظراً ، فقال صلى الله عليه وسلم : « تناكحوا تكثروا ، فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة » ، وكفى بالنكاح فى تحقيق مباحاته نفراً — صلى الله عليه وعلى آله صلاة تجمع لهم شرف الدنيا والآخرة — .

وكان من قضاء الله وقدره النكاحُ المسطورُ فى هذا الكتاب الذى فاح فى مناقش الأولياء نشرأ ، ولاح فى مشارق الآلاء يسراً ، وجمع فى سماء المعالى للأيام والليالى شمساً وبدراً ، وأمر بأحكام عهده للدين أمراً ، وسراً بإبرام عقده للدولة سرراً ، قرنه الله بالميامن والبركات التى تتأبد دهرأ ، وتتخذ عصرأ .

ثم قرئ كتاب الصداق ، وعقد العقد بحضور الملك الظاهر صاحب حلب .

ذكر انتظام

الصلح بين الملوك والحلف

ثم اجتمع الفقهاء من جانب الملوك آخر النهار ، وعملوا نسخة اليمين ، وطوّلوا المجلسَ بالمناظرة فيها والجدال .

قال عماد الدين :

« ولو أنهم توافقوا لوَفَّقُوا ، ولم يقعوا من المراء فيما وقعوا ، وَلَأَعْطَوْا القوسَ باريها ، وجَرَّت القضيةُ (١١١) أحسن مجاريها ، وكنتُ حرَّرتُ نسخةً يمينٍ يُعجز نسخُها ، وَيَبْعُدُ بعد لزوم عقدها فسُخِّها ، لكنهم اختلفوا ولم يتفقوا ، وولّدوا من ذلك الاختلاف وفاقاً ، وهيهات أن يتفق الضدان ، ويجتمع الفرقدان ، فحرّروا يميناً فى الفاظها حنثُها ، وأبرموا نسخةً فى معانيها نقضُها ، لتعليق عقودها على شروط يتنوع وجودها » .

ذكر خروج

الملك لوداع الملك العزيز

وسفره إلى الديار المصرية

ولما كان يوم الجمعة مستهل شعبان من هذه السنة ، خرج الملكُ الظاهر

غازي — صاحب حلب — لوداع أخيه الملك العزيز .

قال عماد الدين الطنبي :

« وكنت خرجتُ في خدمة الملك العادل ، فلما ظهر له موكبُ الملك الظاهر ، تأخر وعاد ، فصحبتُ الملكَ الظاهرَ ، وسرتُ في عراضه ، فأشار عليّ بالسبق أحدُ حبابه ، فسقتُ وسبقتُ ، فلقيتُ الملكَ العزيزَ وقد ركب لتلقى أخيه ، فوقف لي ، وأبدى لي وجهَ البشاشة^(١) ، وهمتُ بالنزول فأبى ، وهويتُ أقبل يده فجذبها ، وأحلى مساءلته ومسايرته وأعذبها ، وعدتُ معه وأنا صاحبه ومجاوره ومحادثه ، إلى أن لقي أخاه الملك الظاهر ورجع به إلى سرادقه ، فنزلا ويده في يده ، وجلس الملك العزيز والملك الظاهر إلى جانبه ، وثأفيتُ السيدين ، ونافقتُ القمرين ، ثم أذن للخواص والأمرء والأعيان فدخلوا ، ومُدَّ الإخوانُ فأكلوا ، ثم تفرق الملسكان الأخوان بعد أن أهدى كلُّ منهما للآخر أنواع الهدايا ، ثم خرج الملك العادل لوداع الملك العزيز في خواصه ، ثم خرج الملك الأفضل فودّع أخاه — وهو آخر من خرج — ولم يبق من الأكابر والملوك إلا من ودّعه ، ثم رحل الملك العزيز من مرج الصفر ثالث شعبان ، وتوجه إلى الديار المصرية بعساكره . »

(١) هذه معلومات هامة وطريفة عن علاقة العماد الكاتب بملوك بني أيوب .

ذكر رجوع الملوك إلى بلادهم

ولما كان يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان ، عمل الملك الأفضل بدمشق دعوة حضر فيها عمه الملك العادل ، وأخوه الملك الظاهر ، وجميع الملوك والأمراء والأكابر .

وفي يوم الخميس رابع عشر شعبان ، رحل الملك الظاهر إلى حلب (١١ ب) وتفرق الملوك إلى بلادهم ، وأقام الملك العادل بدمشق إلى ليلة الأحد تاسع شهر رمضان ورحل إلى بلاد الشرق .

ذكر المتجدد

من الحوادث في هذه السنة بعد ذلك

قال عماد الدين الطنبي :

« لما اتسع الضيق ، وأبتلع الريق ، دخلت على الملك الأفضل على العادة ، وهو جالس في وساد السيادة ، وتحدثنا في الحوادث ، وحمدنا الله تعالى على حل لواء اللاؤاء^(١) ، فقال لي الملك الأفضل : « قد نظمت أبياتاً أكتبها إلى أخي الملك العزيز في استعطافه واستأثته » ، وقال : « كنت فارقت أخي منذ تسع سنين وما التقينا إلا في هذه السنة » . وأنشدني في المعنى لنفسه :

نَظَرْتُكَ نَظْرَةً مِنْ بَعْدِ تِسْعٍ تَقَضَّتْ بِالتَّفَرُّقِ مِنْ سِنِينَ

(١) الأصل : اللاؤاء ، والتصحيح عن (ك) ، واللاؤاء : الشدة .

وَغَضَّ الدَّهْرُ عَنْهَا طَرْفَ غَدْرِ مَسَافَةً قُرْبِ طَرْفٍ^(١) مِنْ جَبِينِ
وَعَادَ إِلَى سَجِيَّتِهِ فَأَجْرَى بَغْرَقَتَنَا الْعُيُونُ مِنَ الْعُيُونِ
فَوَيْحَ الدَّهْرِ لَمْ يَسْمَحْ بِوَضَلٍ يُعِيدُ بِهِ الْهَجُوعَ إِلَى الْجُفُونِ
فَرَاقًا ثُمَّ يُعَقِّبُهُ بَيْنَيْنِ يُعِيدُ إِلَى الْحِشَاءِ عَدَمَ الشُّكُونِ
وَلَا يُبْدِي جُيُوشَ الْقُرْبِ حَتَّى يُرْتَّبُ جَيْشَ بُعْدٍ فِي الْكَمِينِ
وَلَا يُدْنِي مَحَلِّي مِنْكَ إِلَّا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزَّبُونِ
فَلَيْتَ الدَّهْرُ يَسْمَحْ لِي بِأُخْرَى وَلَوْ أَمْضَى بِهَا حُكْمَ الْمُنُونِ

فقلت : « الله درُك ، ما أبدع هذا المعنى ، وألطف هذه الطريقة ، وأكرم
هذه السجية الكريمة ! ! فكانب أخاك بما فيه استعطاف واستطاف ، فما يجرى
منه بعد هذا خلاف » .

قلت^(٢) : كان الملك الأفضل رحمه الله فاضلاً متأدباً ينظم الشعر الجيد ،
وسأذكر بعد ذلك شيئاً من شعره في موضعه . لكنه كان قليل السعادة ،
ضعيف الآراء .

قال عماد الدين :

« ولو ترك وفطنته الذكيّة ، لجرت الأمور على السداد ، لكن أصحابه
وجلساؤه أفسدوا أحواله ، ورموا أكابر أمرائه بالمكاتبه والخيانة ، فتمكنت
الوحشة في قلبه وقلوب (١٢ ١) أمرائه ، وقالوا له : « أنت ولي عهد السلطان
— رحمه الله — والأكبر من أولاده ، وأحق بالملك من أخوتك » ، وقصدوا

(١) في (الروضين ، ج ٢ ، ص ٢٢٩) : « قرب عين » .

(٢) المتحدث هنا هو ابن واصل مؤلف الكتاب .

تشتيت الشمل الناصري ، وتشعيت البيت السلطاني ، فتفرق عن الملك الأفضل كبراء دولته ، فقارقه الأمير عز الدين أسامة — صاحب عجلون وكوكب — وهو من أجلاء الأمراء الصلاحية ، فإنه لما رأى من الأحوال مالا يعجبه فارق الأفضل وتوجه إلى الملك العزيز ، ففرح بوصوله إليه وأكرمه غاية^(١) الإكرام ، ولما استقر عز الدين أسامة عند الملك العزيز أخذ في تحريضه على الملك الأفضل ، وتقوية عزمه على قصده وأخذ دمشق منه ، وقال له : « إن لم تنصر الدولة الصلاحية خُذلت ، وإن لم تصنها ابتُذلت ، وأخوك [الملك الأفضل]^(٢) قد غاب على اختياره وحكم عليه وزيره الضياء الجزري ، وقد أفسد أحوال الدولة ، فهو يتصرف فيها برأيه الفاسد ، ويحمل أخاك على مقاطعتك ومباينتك ، فإن أغفيت أغفلت ، وإن أمهلت أمهلت ، وإن لفت غلظوا . وإن تمت تيقظوا ، ولا تلتزم باليمين فإن من شرطها صفو الوداد وصحة النية ، ولم يوجد ذلك ، فخنثهم في أيمانهم قد تحقق ، وبرئت أنت من العودة ، فاقصد البلاد فإنها في يدك قبل أن يحصل للدولة من الفساد مالا يمكن تلافيه » .

ثم فارق الملك الأفضل الأمير شمس الدين بن السلار — وهو من أكابر الدولة الصلاحية^(٣) — وتوجه إلى الملك العزيز ، فساعد عز الدين أسامة على التحريض على الملك الأفضل ، وتقوية عزم الملك العزيز على قصده .

ثم وصل إلى الملك العزيز القاضي محيي الدين بن الشيخ شرف الدين

(١) نسخة (س) بها خروم كثيرة كما سبق أن أوضحنا في الجريئين السابقين ، والصفحات الماضية من هذا المجلد كلها لا مقابل لها في (س) ، وبهذا اللفظ تتقابل مع نص نسخة (س) في صفحة ١١٣ منها ، وسنعمل على مقابلة الأصل على هذه النسخة كما وجدنا للأصل مقابلا بها .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٣) هذه اللفظة ساقطة من (س) .

ابن أبي عسرون ، فاحترمه الملك العزيز وولاه القضاء بالديار المصرية ، وصم إليه النظر في أوقافها .

وأقبل الملك الأفضل بدمشق على القصف والشرب وسماع الأغاني والأوتار ليله ونهاره ، وأشاع ندماءه أن عمه الملك العادل — لما كان عنده — حسن له ذلك ورخص له فيه ، وأنه حضر عنده ليلة وهو في شربه ولهوه ، مجلس وسمع الغناء ، واستحسن المجلس واستطاب ما هو فيه وندماؤه ، وقال للملك الأفضل : « أي حاجة بك إلى التكتم ، اعلان بما أنت فيه وافعله (١٢ ب) ظاهراً ، فلا خير في اللذات من دونها ستر » ، فقبل وصية عمه وتظاهر بلذاته ، وصرف إليها سائر أوقاته ، وفوض أمر مملكته ^(١) إلى وزيره صياء الدين بن الأثير يدبرها برأيه الفاسد ، وبقي الأمر على ذلك مدة .

ثم إن الملك الأفضل أصبح يوماً تائباً من غير سبب يعلم ^(٢) ، وأزال المنكرات ، وأمر بإراقة الخمر ، وبضرب آنية الشرب دراهم ودنانير في دار الضرب ، وأقبل على الزهد والعبادة ، ولبس خشن الثياب ^(٣) ، وشرع في نسخ مصحف بيده ، واتخذ لنفسه مسجداً يخلو فيه لعبادة ربه تعالى ، وواظب على الصيام في أكثر الأوقات ، وجالس الفقراء .

(١) (س) : « المملكة » .

(٢) هذا اللفظ ساقط من (س) .

(٣) (س) : « ولبس ثياب القطن » .

ودخلت سنة إحدى وتسعين وخمسة

ووردت الأخبار في أولها أن الملك العزيز على عزم الخروج إلى الشام بعساكره ، فأشار العقلاء من الناس على الملك الأفضل بمكاتبة أخيه الملك العزيز وملاطفته واسترضائه ومصافاته ، ولو فعل لصاح حاله ، واستمر ملكه ، فإن أخاه الملك العزيز كان يُقنعه أن يقيم الملك الأفضل الخطبة والسكة بدمشق له ، إذ هو صاحب الديار المصرية ، وعنده معظم العساكر الصلاحية ، ولو فعل ذلك الملك الأفضل وانقاد إلى أخيه الملك العزيز لما عارضه الملك العزيز في دمشق ، ولأبقاها عليه ، ولم يتمكن الملك العادل من الاستيلاء على ممالك أولاد أخيه ، لكن ترك رأى العقلاء ، وقبل ما أشار به عليه وزيره ضياء الدين ابن الأثير ، فإنه أشار بأن يعتصم بعمه الملك العادل ، ويلتجئ إليه ويستجير به ، ويستنجد به على أخيه ، وكان هذا من فاسد^(١) الرأي ، فإنه أدّى به^(٢) إلى ما سذكروه إن شاء الله تعالى .

ذكر توجه

الملك الأفضل إلى الشرق مستنجداً بالملك العادل^(٣)

ولما تواترت الأخبار إلى الملك الأفضل بأن أخاه^(٤) الملك العزيز على عزم الخروج إلى الشام ، وأن مقصده إقامة الخطبة والسكة باسمه ، وأن الجميع (١١٣) يكونون^(٥) تحت حكمه ، اضطرب لذلك وانزعج له .

(١) (س) : د من أفند الرأي .

(٢) هذه الجملة غير موجودة في (س) .

(٣) هذا العنوان غير موجود في (س) .

(٤) (س) : د أخيه ، وما هنا هو الصحيح .

(٥) (س) : د يكون ، .

قال عماد الدين الكاتب :

« خطب^(١) الأفضل الذُّعْرُ ، وذَعَرَهُ الخُطْبُ ، وقال : « ما أصدق ذلك عن أخي وإذا أتى من مصر أخي ، فَمَنْ مُصْرِي خِي » ، قال : « فقلنا له : راسله وجامله ، واستسبعفه واستعطفه ، وتقرب إليه وقاربه ، ولعله يعتبك فعاتبه ، ولا تتعلق بمن عهد^(٢) يَهِي ، وتصرفه على ما يشتهي لا ما تشتهي ، فالأخ أولى بالمساعفة والمساعدة ، وما يطالب إلا إقامة الخطبة له ، فأجبه إلى ذلك ، ولا تضايقه فيه ولا تنافسه » .

قال : « فكاد يصغى إلى هذا النصيح ، فلما خلا به وزيره الضياء وأصحابه ، حرّفوه عن ذلك كله ، وحسّنوا له أنه لا ينبغي له العُدول عن عمّه الملك العادل ، وأنه ينبغي له أن يرحل إليه مستجيراً به وماتجئاً إليه ، فقبل رأيهم ، وبرز إلى القصر يوم الثلاثاء رابع شهر جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم توجه إلى الشرق ، فلقية الملك العادل بصفين — وقد كان نازلاً بالرقّة — فنزلاً بالخيّم بصفين ، وقال له الملك الأفضل : « أنت عمى ومقام والدى ، وبقوة مساعدتك يقوى ساعدى ، ومع إقامتك عندى بدمشق لا يُقدم على الملك العزيز » ؛ وسأله وتضرع إليه أن يسير إلى دمشق ، وألح عليه فى المسألة ، فأجابه الملك العادل إلى ذلك ، فرحل الملك العادل من صفين متوجهاً إلى دمشق مستهلاً جمادى الآخرة فى عساكره ، ودخلها تاسع جمادى الآخرة واستقر بها^(٣) .

(١) عند هذا اللفظ تنتهى ص ١١٣ ب من نسخة (س) ، ويضطرب النص هناك بعد ذلك فنقطع المقابلة بين النصين .

(٢) (ك) : عقده .

(٣) هذان اللفظان ساقطان من (ك) .

ذكر توجه

الملك الأفضل إلى أخيه الملك الظاهر

وابن عمه الملك المنصور — صاحب حماة — واتفاقه معهما

ولما رحل الملكُ العادلُ إلى دمشق ، توجهَ الملكُ الأفضلُ إلى حلب ، فخرج إليه أخوه الملكُ الظاهرُ مائتياً ، وكان قد وقع بينهما حلف واتفاق ومراسلة تتضمن أنهما يكونان يداً^(١) واحدة ، ويحتملان على حرب الملك العزيز إن قصد دمشق ، وبذل الملكُ الأفضلُ للملك الظاهر جَبَّةً واللاذقية وأعمالها ، فاستضافهما الملكُ الظاهرُ إلى ممالكه ، ولما التقيا ، ذكره الملكُ الأفضلُ العهدَ (١٣ ب) السابق وألزمه إنجاز وعده ، فأجابه إلى ذلك بشرائط اتفقا عليها ، وصعد معه إلى قلعة حلب ، فنزل بها ضيفاً له ، ثم رحل الملكُ الأفضلُ من عنده متوجهاً إلى حماة ، فلما قاربها ، خرج إلى لقائه ابنُ عمه الملكُ المنصورُ ناصرُ الدين محمد بن الملك المنصور ، وأضافه بحماة ، وتحالفا وتعاهدا .

ذكر وصول

الملك الأفضل إلى دمشق

ولما قضى الملكُ الأفضلُ أَرَبَهُ من اتفاق صاحب حلب وصاحب حماة معه ، توجه إلى دمشق فدخلها ثالث عشر جمادى الآخرة وبها عمه الملكُ العادلُ مظاهراً

(١) (ك) : يد .

له في الظاهر ومؤازراً ، واتفق اجتماعهما وهو في أول إقبال ثمارها ومشمشها ،
وهي في غاية طيبتها وبهجتها ، فأقاما بها كل يوم يركبان ويتسايران ، وأفضى
الملك الأفضل إلى الملك العادل بأسراره ، وشاهد الملك العادل اختلال أحواله ،
ولم يعجبه سيرة وزيره ضياء الدين بن الأثير ، وكان الملك العادل يَجِبُه الملك الأفضل
بالتحذير منه ، وهو لا ينزل عنه ولا يبرأ منه .

وأبطأ خبرُ الملك العزيز ، وسكن ما في القلوب من الخوف منه ، وبالغ الملك
الأفضل في إكرام عمه الملك العادل والقيام بوظائفه ، وأشار على الملك الأفضل
أصحابه أن ينزل لعمه الملك العادل عن السنجق ، ويتوثق منه يمين ، فاجتمعا
يوماً في الجؤسق وطلب منه اليمين ، وسأله الاختصاص بالركوب^(١) بالسنجق ، فأجابه
إلى ذلك ، وصار بعد ذلك الملك العادل يركب كل يوم بالسناجق السلطانية ،
ويركب الملك الأفضل في خدمته .

ذكر أمور

وقعت أوجبت الاستيحاء عند الملك الظاهر

من عمه الملك العادل وأخيه الملك الأفضل

كان الملك الأفضل قد اتفق معه أخوه الملك الظاهر على موآرة الرسل
بينهما ، فاتفق أن الملك الأفضل أرسل رسلاً في مقاصد ، فرجعوا من غير
حصول مقصود ، وكان السبب في ذلك أن الملك المنصور — صاحب حماة —

(١) هذا اللفظ ساقط من (ك) ، وقد ذكر (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ،
ص ٨ —) نقلاً عن المختصر في أخبار البشر لأبي القدا — أن أول من حمل السنجق على رأسه
من الملوك في ركوبه هو سيف الدين غازي بن زنكي ، ثم أصبح هذا من تقاليد سلاطين بني
أيوب والمماليك في مصر والشام ، أما السنجق — كما عرفه صاحب صبح الأعشى — فكان
راية صغيرة صفراء اللون .

والأمير عز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن المقدّم — صاحب بقرين^(١) وأفامية وكفر طاب — كان الشرط أنهما يكونان (١٤) مضمومين إلى الملك الظاهر ، فاتفقا أنهما نفرا من ذلك في هذا الوقت ، وراسلا الملك العادل معتصمين به ولائذين بجانبه ، فقبلهما وضمهما إليه ، وكان شرط الملك الظاهر ردّ الخارجين إليه .

وكان أيضاً الأمير بدر الدين دلدزم بن بهاء الدين ياروق — صاحب تل باشر — قد حبسه الملك الظاهر في السنة الماضية ليُسَلَّم إليه تل باشر ، وحبس معه جماعة من بني عمه ، وكان الملك العادل — قبل مجيء الملك الأفضل إليه — قد توجه إلى حلب وصعد إلى قلعتها ، وشفع إلى ابن أخيه الملك الظاهر في المذكورين ، وضمن للملك الظاهر عنهم ما يطالبهم ، فقبل الملك الظاهر شفاعته و أمر بإطلاقهم له ، وقدموا مع الملك العادل إلى دمشق ، فأحسن إليهم واستخدمهم ، فبعث الملك الظاهر إلى الملك العادل يطالب منه أن يقوم له بما ضمنه عنهم ، فلم تقع الإجابة إلى ذلك ، فحصل عنده استيحاش من هذه الأمور .

وكان السبب في ميل الملك المنصور إلى عمه الملك العادل وخروجه عن الملك الظاهر ، أن الملك الظاهر كان قد اتفق معه أنه يضيف إليه جبةً واللادقية ، وبكسراييل^(٢) وصهيون ، وحلف له الملك الظاهر أنه يستخلص له ما ليس في يده منها ، وإن احتاج إلى محاصرة حاصر ، وكان هذا الاتفاق في السنة الماضية ، وحلف الملك المنصور أنه يكون تبعاً له ومؤازراً .

ولما كانت هذه السنة ، ووقع من الاضطراب ما ذكرناه ، خاف الملك

(١) (ك) : « بارين » واللفظان صحيحان .

(٢) الأصل : « بكسراييل » ، والصحيح ما أثبتناه ، راجع : (مفرج الكروب ، نشرتنا هذه ، الجزء الثاني ، ص ٢٥٩) حيث قال ابن واصل : « وفي الجبل على سمت طريق حاة حصن حصين يعرف بكسراييل » .

المنصور من اتفاق الملك العادل والملك الأفضل عليه ، فالتجأ إلى الملك العادل ، وفعل مثل ذلك عز الدين بن المقدم ، فأجابهما الملك العادل إلى ما طلبا من الاتفاق معه ، وتحالفوا على ذلك .

ولما جرى ما ذكرناه ، وتحقق الملك الظاهر أن عمه الملك العادل وأخاه الملك الأفضل لم يفيأ له بما عاهداه عليه ، كاتب أخاه الملك العزيز واستنهضه لقصد الشام ، ووعدته القيام معه ونصرته ، فقوى عزم الملك العزيز وتهيأ له .

ذكر قدوم

الملك العزيز إلى الشام بعساكره

(١٤ ب) ثم خرج الملك العزيز إلى الشام بعساكره الكثيرة المتوافرة من الصلاحية والأسدية والأكراد ، فوصل إلى الفوار — من أرض السواد — وخيّم به ، فكاتب الملك العادل الأمراء الذين مع الملك العزيز ووعدهم الوعود الجميلة وأخذ في إفسادهم عليه وتنفير قلوبهم منه .

ذكر اضطراب بعض العسكر

على الملك العزيز ومفارقتهم له

وكانت الأمراء الصلاحية والأمراء الأسدية ينافس كل فريق منهم الآخر ويطلب عثارَه ، وكانت الأمراء الصلاحية متقدمة عند الملك العزيز ، فحسدتها الأمراء الأسدية ، وأخذوا الملك العادل بدقيق حيله يعمل في تأكيد الإيقاع بين الفرقتين ، ويوقع الفرقة والاستيحاء بينهما ، وكذا في الإيحاء بين الأسدية والملك العزيز ، فكاتب الملك العزيز سراً يخوفه من الأسدية ويغريه بإبعادهم ، وكاتب الأسدية

بالتنقير من الملك العزيز وتخويفهم منه واستماتهم إليه ، فاستوحش الملك العزيز من الأسدية واستوحشوا منه ، فكانوا إذا لقوه عرفوا في وجهه التنكر ، وعرف في وجوههم مثله ، وتمادى الأمر إلى أن تمكن الخوف منه في قلوبهم والخوف منهم في قلبه ، ولما تمكن الاستيحاء منهم ، عزموا على مفارقتة وحسنوا ذلك للأكراد المهرانية فوافقهم^(١) عليه .

وكان مقدم الأمراء الأكراد حسام الدين أبا الهيحاء السمين ، وما كان يظن الملك العزيز أنه يبحث في يمينه ، وأنه تصدر منه مخامرة عليه ، فاجتمعت عليه الأمراء الأسدية وخوفوه من الملك العزيز ، ولم يزالوا به حتى أجابهم إلى مفارقتة والانضمام إلى الملك العادل والملك الأفضل ، ولما اتفقوا على ذلك ، عزموا على مضايقة الملك العزيز واتباعه في المنازل ، وأن يكتبوا نوابيهم وأصحابهم بالقاهرة ليستقبلوه ويحولوا بينه وبين القاهرة ، ويكونوا هم والملك العادل والملك الأفضل خلفه ، فيؤخذ أخذاً باليد (١١٥) وتنزع منه البلاد ؛ فلما كانت عشية اليوم الرابع من شوال من هذه السنة ، رحل الأمير حسام الدين أبو الهيحاء السمين والأكراد المهرانية والأسدية رحلة واحدة بدد دخول الليل وهم لا بسون غدة الحرب .

وكان الأمير هكندري^(٢) — وهو أكبر الأمراء الحميدية — مخالفاً لهم ومعاقداً ، فجاء إلى الملك العزيز وأخبره بما اجتمع عليه القوم ، فما تحلل الملك العزيز ولا تنزع من مكانه ، ولا أظهر ارتياحاً لما وقع من هذه الحادثة ، بل ثبت مكانه واستقر ، فقالت له الأمراء الصلاحية :

(١) (ك) : د فوافقوا منهم عليه .

(٢) كذا في الأصل وفي (ك) ، ولم أجده ذكره في المراجع المعروفة المتداولة هنا في حواشي هذا الكتاب .

« دعنا نقتلهم ونقاتلهم ونتركهم عبرة للمعتبر » .

فقال لهم الملك العزيز :

« لا تُرهَبوهم واتركوهم يذهبوا أين شاءوا لعلنا نصفو من كدرهم ، وهذا ليلٌ ، ولا يُؤمَنُ فيه الاختلاط ، ولا يَعْرِفُ الإنسانُ فيه صديقَه من عدوه ، والأولى الأخذ بالحزم والاحتياط » .

وكان المفارقون للملك العزيز معظم العسكر .

وثبت الملك العزيز في معسكره بالفوار ومعه خواص أصحابه على الخطر ، وبات تلك الليلة ثابت الجأش والجنان ، وما أظهر أسفاً على فراق مَنْ فارقه من عسكره ، واستدعى رُسُلَ الملوك الذين عنده وأجاب كُلاًّ منهم عن رسالته ، وخلع عليهم وسرَّحهم .

ذكرى رجوع الملك العزيز

بمن بقي معه من عساكره إلى الديار المصرية واستقراره بها

وأصبح الملك العزيز راحلاً بمن بقي معه من عساكره إلى الديار المصرية ، وسار إليها على تيقظ وتحفظ ويزَ كَيَّة^(١) ، وسلك طريق اللجون والرملة ، وخاف من الأسدية المقيمين بالقاهرة أن يوافقوا أصحابهم الغادرين ويسلكوا سيرتهم في الغدْر به ، فقدم بين يديه أمراء على النجْب ، وكان نائبه بالقاهرة الأميرُ بهاء الدين قراقوش الأسدي ، فبقى على الصفاء للملك العزيز وخلص النية ، وتبعه على ذلك من بقي من الأسدية ، ووصل الملك العزيز إلى البلاد ، وأمَّنَ كلَّ من

(١) اليزك لفظ فارسي ، معناه : طلائع الجيش ، انظر : (Dozy : Suppl. Dict. Arab.)

وجدته من مُخَلَّنِي الخارجين عليه ، وطيب قلوبهم وأكرمهم وأحسن إليهم ،
واستقر في كرسی مُلكه .

ومدحه القاضي السعيد (١٥ ب) ابن سناء الملك بقصيدة ذكر فيها نفاق
الأسدية عليه وفراقهم له ، منها :

وَشَرِيدٌ ^(١) بِأَسِيكَ مَا يَنَامُ	مَنْ قَرَّ مِنْكَ فَلَا يُبْلَامُ
عُ مِنْ الْخَطُوبِ وَمَا يُضَامُ ^(٢)	وَجَنَابُ عِزِّكَ مَا يُرَا
وَلَرُبَّمَا خَافَ ^(٣) الْفَلَامُ	فَرَّتْ نَحْوُكَ غِلْمَةٌ
مَ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَقَامُ ^(٤)	هَابُوا مَقَامَكَ ذَا الْعِظِيمِ
وَشَدِيدُ بَطْشِكَ لَا يُقَرُّ ^(٥) (م) عَلَى سَطَاهُ وَلَا يُقَامُ ^(٦)	وَهُمُ الْأَسُودُ ، فَمَا لَهُمْ
طَارُوا كَمَا طَارَ النِّعَامُ ^(٧)	سَخِرَتْ بِهِمْ أَوْهَامُهُمْ ^(٨)
هَزُّوْا ، وَبِالْأَوْهَامِ هَامُوا	لَا يَنْفَعُونَ ، وَلَنْ يَضُرَّ (م) وَإِنْ مَضَوْا ، أَوْ إِنْ أَقَامُوا ^(٩)
يَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ الْكِرَامُ ^(١٠)	فَلَا يَنْ عَفْوَتَ فَإِنَّمَا
سَرَ مَا أُسْتَحَقُّوا الْإِنْتِقَامُ ^(١١)	وَإِنْ أَنْتَقَمْتَ فَإِنَّ أَيْ
فِي الشَّامِ ^(١٢) صَيْدُهُمْ حَرَامُ	مَا دَارُهُمْ حَرَمُ ^(١٣) ، وَلَا
سِ سِوَى الْهُمُومِ لَهُمْ مُدَامُ ^(١٤)	وَهُمْ بِهِ سَكْرَى ، وَلَيْبَ

-
- (١) الديوان : د وطريد ،
(٢) الديوان : د ولطالما فرّ ،
(٣) الديوان : د أوهامه ،
(٤) بين هذا البيت وألقى قبله -- في الديوان -- بيت آخر لم يأت به ابن واصل هنا ، ونصه :
« ومضوا وما سئل الحسام فكيف لو سئل الحسام » ،
(٥) يوجد قبل هذا البيت في الديوان بيت آخر وهو :
ولو اهتمدوا بعد الضلالة لاستقوا واستقاموا
(٦) الأصل : « حرما » ، والنصحیح عن الديوان .
(٧) الديوان : « بالشام » ،
(٨) (١٠) ك : « بهم » ،
(٩) (٤) منرج الكروب

يَتَأَسَّفُونَ ، وَمِنْ نَدَا مَتَّهِمْ يُقَالُ لَهُمْ نِدَامٌ^(١)
 سَتُسْوَ قَهُمْ بِيَدِ الزَّمَانِ ، فَنِي أَنَا مِلْكُ الزَّمَانِ
 قُمْ فَأَمْلِكِ الدُّنْيَا بَاجِدٍ مَعَهَا ، فَقَدْ آنَ الْقِيَامُ
 وَرُمِ السَّمَاءُ تَنَلُ كَوَا كَيْبَهَا ، فَمَا يُعْنِي^(٢) الْمَرَامُ
 وَلَا أَنْتَ وَحْدَكَ لَيْسَ يُنْ جِي مِنْكَ إِلَّا الْإِنْهَرَامُ
 تُغْنِي عَنِ الْجَيْشِ اللَّهُا لَأَنَّكَ الْجَيْشُ اللَّهُا
 وَتُنِيرُ آفَاقَ^(٣) السَّمَاءِ لَأَنَّكَ الْبَدْرُ التَّامُ
^(٤) لَا زَالَ مَلَكَكَ لَا يَزُو لُ وَلَا يُضَارُّ وَلَا يُضَامُ
 تَبْقَى مُوقَفًا لَا انْصِرَا فَ تَتَّقِيهِ^(٥) وَلَا انْصِرَامُ^(٦)
 وَتَزِيلُ^(٧) رَاحَتِكَ النَّدَى ، وَحَلِيفُ دَوْلَتِكَ الدَّوَامُ

(١١٦) ذكر رحيل

الملك العادل والملك الأفضل

إلى مصر متبعين للملك العزيز

ولما جرى [ماجرى]^(٨) من مفارقة الأمراء المذكورين للملك العزيز وصل
 إلى دمشق بكرة الثلاثاء^(٩) خامس شوال^(٩) ، رسول حسام الدين أبي الهيجاء

(١) الديوان : د يتنادمون ، ومن بدا منهم يقال له ندام ،

ونص المتن هنا أوضح وأصح .

(٢) (ك) د يفتي ، . (٣) (ك) : د وتغير في فلق السماء ، .

(٤) الأبيات الأربعة السابقة لهذا البيت غير موجودة في الديوان ، ومكانها هناك سبعة أبيات أخرى ، فانظرها هناك .

(٥) (ك) : د ينفذ ، . (٦) هذا البيت غير موجود في الديوان .

(٧) الديوان : د وتريك ، . (٨) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

(٩) هذان التقطان ساقطان من (ك) .

السمين إلى الملك العادل يحثه على سرعة^(١) الرحيل إلى الديار المصرية ، ويخبره أن الملك العزيز قد فارقه أكثر العسكر وهو في جمع قليل ، فإن لم يسرع النهضة خلفه بالعساكر فات المقصود ، وإن بادر بالنهضة هو والملك الأفضل ومن معهما من العساكر ، ساعدوها على اللحاق به وإدراكه^(٢) قبل أن يصل إلى مقر ملكه ، وانتزعوا البلاد منه وسلموها إلى الملك العادل والملك الأفضل ، فاستدعى الملك العادل الملك الأفضل وجلسا خلوة ، وتوثق كل واحد منهما بصاحبه بالأيمان المؤكدة ، فيقال إنهما اتفقا على أن يكون للملك العادل ثلث الديار المصرية ، وثلثاها للملك الأفضل ، ولما وقع الاتفاق بين الملكين على هذا الأمر ، ضربت كوسات^(٣) الملك العادل ، ونفرت بوقاته ، ونشرت راياته ، وبرز في عساكره متوجهاً في ساعته في عساكره وجموعه إلى الديار المصرية ، وأصبح الملك الأفضل يوم الأربعاء غد ذلك اليوم راحلاً في جموعه وحشده ، واجتمع الملكان بالعسكر الخارجين على الملك العزيز ، واتفقت كلمتهم ، ورحلوا كلهم طالبين الديار المصرية .

وكانت الأسدية قد حرصت على الجدد في السير ليسبقوا الملك العزيز إلى مصر فلم يقدرُوا ، واجتهدوا في أن يدركوه فلم يصلوا إلى ذلك وسبقهم^(٤) إليها ، فأمرهم الملك العادل بالثبوت ، وأخبرهم أن الغرض المقصود ما يفوت .

(١) (ك) : « مسارعة » .

(٢) (ك) : « فبادروا إليه قبل أن يصل .. » .

(٣) عرف (الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٩) الكوسات بقوله : « وهي صنوجات من نحاس شبه الشمس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع خاص ، ومع ذلك طبول وشبابة ، يدق بها مرتين في الليلة في كل ليلة ، ويدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة ، ومرة قبل التذبح على الموادن ، وتسمى الدورة بذلك في القلعة ، وكذلك إذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه ، ويقال للذي يضرب بالبوب المنفّر ، والذي يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض الكوسى (نفس المرجع ، ص ١٣) .

(٤) (ك) : « وأسبقهم » .

وكان عزُّ الدين جُرْدِيك النورى نائباً عن الملك العزيز بالقدس ، فبذل له الملكُ الأفضل^(١) إقطاعاً ، وطالب منه تسليم القدس فسلمه إليه ، فسلم الملكُ الأفضل^(٢) باتفاق منه ومن الملك العادل إلى حسام الدين أبى الهيجاء السمين ، وسار معهما إلى الديار المصرية .

ولما علم الملك العادل باستقرار ابن أخيه الملك العزيز (٦ اب) بالديار المصرية ، سرَّه ذلك ، إذ لم يكن فى الباطن يختارُ إزالة ملكه ، وكان شديد الميل إليه والمحبة له ، وسار الملكُ العادل على سكون وهدوء إلى أن وصل فى مدة مديدة .

ذكر نزول

الملك العادل والملك الأفضل

^(١) على بليس محاصرين لها

ووصل الملكُ العادلُ والملكُ الأفضل^(٢) بعساكرهما ومن انضم إليهما من الأسدية والأكراد إلى الديار المصرية ، ونازلوا بليس وبها جموعُ الصلاحية ، وكان نزولهم عليها وزيادة النيل قد بلغت منتهاها ، واحتتمت البلاد بما غمرها من الماء ، وغلا السعر وتعذرت الأقوات ، والصلاحية بها مستظهرون ، وقد اشتدت مثونة الأسدية والأكراد ، وكثرت غراماتهم ، وظهر ندمهم على ما فعلوا ، وعرف الملك العادل أن المصلحة الشاملة فى الصلح وانهظام الشمل ، فبعث يستدعى القاضى الفاضل ليتفق معه على ما فيه صلاح ذات البين .

(١) هذا سطر ساقط من نسخة (ك) .

(٢) هذه الفقرة ساقطة من (ك) .

ذكر وقوع

الصلح بين الملوك

كان الملك العزيز لما رجع على الصورة التي ذكرناها ، وتحقق أن عمه وأخاه قد قصدها بعساكرها ومن انضاف إليهما من عساكره المفارقين له ، احتاج إلى استخدام الرجال وتقوية من بقي معه بالمال ، ولم يجد في بيت ماله ما يفي له بهذا المقصود ، فعرض أهل مصر عليه بذل أموالهم ، وتضرع إليه الأمثال والأغنياء في أن يجيب سؤلهم في قبول أموالهم ، فشكرهم على ذلك ، ولم يقبل منه شيئاً ، وتحقق محبتهم له وخلوص نيتهم وقال :

« الله سبحانه يكفيني ويغنيني ، وليس اعتمادي في النصر إلا عليه » .
وكان الملك العزيز — رحمه الله — محبباً إلى الرعية لما كان متصفاً به من حسن السيرة والعدل والكرم المفرط .

ولما نازل عمه وأخوه بلبيس ، كان فيها خواص أصحابه وخلص أجناده فبينما هو في ضيق ذات يده وخوفه ، إذ ورد رسول عمه الملك العادل يطالب منه الاجتماع بالقاضي الفاضل — رحمه الله — ، وكان القاضي الفاضل قد تنزه عن ملابتهم (١١٧) ومخالطتهم ، واعتزل بنفسه عنهم لما رأى من اختلال أحوالهم وفساد أمورهم ، وأحوجه الملك العزيز أن يابى دعوة عمه الملك العادل ويخرج إليه ليفرج هذه الغمة ، فركب من القاهرة ، وخرج إليه .

ولما علم بذلك الملك العادل ، ركب وتلقاه أحسن تلقٍ ، واجتمع به ، واتفق معه على ما فيه المصاحبة الشاملة للكل ، وأشار بأنه ينبغي أن يعفو الملك العزيز عن الأمراء الأسدية والأكراد ، وأن يصفح^(١) عن جرمهم ليرجعوا

إلى خدمته ويردّ إليهم إقطاعاتهم ، وحلف الملك العادل لابن أخيه الملك العزيز ، واختار المقام عنده بمصر لتقرير قواعد ملكه ، وأشار بأن يحلف كلٌّ من الأخوين لصاحبه ، وأن يرجع الملك الأفضل إلى بلاده ، ولما وقعت الأيمان والاتفاق ، خرج الملك العزيز واجتمع بعمه الملك العادل وأخيه الملك الأفضل ، واتفقوا في الظاهر^(١) اتفاقاً تاماً .

ذكر رجوع

الملك الأفضل إلى دمشق

ومقام الملك العادل بمصر عند الملك العزيز

ولما انتظم الصالح ، رجع الملك الأفضل إلى دمشق بعساكره ، ورجع الملك العزيز إلى القاهرة وصحبته عمه الملك العادل ، فنزل الملك العادل بالقصر ، وأمر ونهى وحكم وتصرف في كبير الأمور وحقيقتها ، وعزل القاضي محيي الدين ابن أبي عصرون عن قضاء الديار المصرية ، وولى القضاء زين الدين يوسف الدمشقي .



(١) الأصل : « الظاهر » ، وما هنا صيغة (ك) ، ومعنى أفضل .

ودخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة

يوم وصول الملك الأفضل إلى دمشق

وفي اليوم السابع والعشرين من صفر ؛ نقل تابوت والده الملك الناصر — رحمه الله — من القلعة إلى التربة التي هو مدفون بها الآن ، وكانت مدة مقام تابوته بالقلعة ثلاث سنين .

ولزم الملك الأفضل الزهد والتقناعة ، وأقبل على العبادة ، والأمور كلها مفوضة إلى وزيره صياء الدين بن الأثير الجزري ، وقد اختلت الأحوال به غاية الاختلال ، وكثر شاكوه ، وقل شاكره .

وبلغ ذلك الملك العادل فأنكره ، (١٧ ب) وتقرر بينه وبين الملك العزيز الخروج إلى الشام لتهديد القواعد وإزالة ما حدث من الفساد ، وذلك بعد أن ضبط الملكُ العادل لملك العزيز الملكُ بمصر ، وعيّن الإقطاعات ، وطمّن^(١) الارتفاعات ، وعمر الأعمال ، ووفر الأموال ، وقرب إلى الملك العزيز عن الدين أسامة — صاحب عجلون وكوكب — فصار صاحب سر الملك العزيز وحاجبه والواسطة بينه وبين الملك العادل ، وألصق أيضاً به مملوك والده صارم الدين قايماز النجمي ، فصار من أهل صفوته وخالسته .

(١) الأصل : « نَحَرَ » وما هنا صيغة نك ، وهي أفضل ، والارتفاعات (والمفرد ارتفاع)

هي أوجه الإيرادات المالية المختلفة للدولة .

ذكر تبريز

الملك العادل بنية السفر إلى الشام

وتقرير قواعده

لما كثرت الأخبار بمصر بما يعتمده ضياء الدين بن الأثير — وزيرُ الملك الأفضل — من الأحوال الرديئة والسيرة المذمومة بالشام ، تحركت عزيمة الملك العادل للسفر بعساكر الملك العزيز ، ووعد بإزالة ضياء الدين بن الأثير وطرده عن البلاد وإصلاح ما فسد من الأحوال .

قلت^(١) : هكذا حكى عماد الدين الطائب

وعندى أنه ربما ذكر ذلك تقية في ذلك الوقت وخوفاً من الملك العادل ، وإلا فالذى أعتقده وبلغنى من جهات عديدة ، أن الملك العادل لما قدم إلى دمشق نجدة للملك الأفضل ، ورأى من ركة الملك الأفضل ما رأى ، حدثته نفسه بالاستيلاء على دمشق وتملكها ، وصار يعمل الحيلة في ذلك ، ولما قصد الملك العزيز البلاد بعساكره ، توصل الملك العادل إلى تحصيل غرضه بإيقاع الخلف بين الصلاحية والأسدية ، وبين الأسدية والملك العزيز ، ونفّر كلاً^(٢) منهم من الآخر ، وأوجب ذلك رجوع الملك العزيز إلى مصر على الصورة التى ذكرناها ، ولما تم له ذلك ، حسن للملك الأفضل قصد الديار المصرية ، واجتمع بالخارجين على الملك العزيز ، وكان قصد أولئك لحاق الملك العزيز ومنعه من الدخول إلى الديار المصرية ، ولم يكن ذلك فى الباطن من هوى الملك العادل ولا اختياره ، ولم يزل يثبطهم ويستوقفهم (١١٨) حتى وصل الملك

(١) لم يكن ابن واصل ليقنع بالنقل عن سابقه من المؤرخين ، بل هو يحاول أحياناً مناقشة آرائهم والإدلاء برأى له جديد ، وهذا مثل مناقشاته .

(٢) ك : « وتغير كل » .

العزیز إلى کرسی ملکہ ، ووصل الملك العادل والملك الأفضل إلى بلبيس - كما ذكرنا - وحصرها ، فلم یظن أحد إلا أن الأمر قد تم ، وأن الملك العزیز قد تلاشى أمره بالكلية ، فحينئذ أراد الملك العادل أن یقلد المنة^(١) العظمی للعزیز ، بأن ردّ الملك العزیز إلى ملکہ ، وأبقى علیه بلاده بعد أن وقع الإشراف علی أخذها ، فحينئذ استدعى القاضي الفاضل - كما ذكرنا - وقرّر قواعد الصلح ، وردّ الملك الأفضل إلى بلاده ،^(٢) ووصل إلى مصر^(٣) ، وقرّر قواعد الملك العزیز ورتب أموره ، وتمكّن منه التمكن الكلی ، فحينئذ طلب منه فی الباطن أن تكون دمشق له ، ویكون نائباً عنه بها ، ویعطى الملك الأفضل موضعاً صغيراً بعد إخراجہ من دمشق ، وتكون الخطبة والسكة للملك العزیز فی الممالك الأیویة^(٤) كلها ، ویكون هو السلطان الأعظم مكان أیه ، فأجابہ الملك العزیز إلى ذلك ، وتحالفاً واتفقا علیه ، لكن كان ذلك كله بينهما ، ولم یظهر للناس سرّه إلا بعد وقوع ما وقع علی ما سند کرد إن شاء الله تعالى .

فبرز الملك العادل إلى بركة الحب^(٥) ونزل بها ، وبرزت العساكر المصرية وفي الظاهر أنه یسير وحده بالعساكر لإصلاح أحوال الشام ویقیم الملك العزیز بمصر ، ولما نزل الملك العادل^(٥) بتلك المنزلة ، خرج الملك العزیز بعزم تشييعه والمقام عنده فی تلك المنزلة فی ذلك الشهر إلى حين توديعه ، وكان الخروج من القاهرة مستهل ربيع الأول من هذه السنة .

وكان عماد الدين الكاتب قد سافر إلى الديار المصرية قبل ذلك لیام تتعاقب به .

(١) فی النسختين : « المانة » ، وما أثبتناه قراءة ترجیحیة .

(٢) هذه الفترة ساقطة من (ك) .

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

(٤) (ك) : « بركة الحبش » ، وما هنا هو الصحيح .

(٥) (ك) : « الملك العزیز » ، وهو خطأ واضح .

قال عماد الدين :

« وخرجت أنا أيضاً بنجيمتى لللازمتى القاضى الأجل الفاضل ، وحاجتى إليه فى نجاح مالى من المقاصد والرسائل ، ووصل إلى مصر الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك الناصر رسولا إلى الملك العزيز من جهة أخيه الملك الظاهر - صاحب حلب - ، ومعه سابق الدين عثمان بن الداية - صاحب شيزر - ، والقاضى بهاء الدين بن شداد ، فقيموا بتلك المنزلة عند الملك العزيز ، وشاع أن الرحيل منها (١٨ ب) أول شهر ربيع الآخر لتجتمع العساكر وتزاح عِلَّتُها .
قال : « وكان الملك العادل يؤثر مسير الملك العزيز ليتمكن من أغراضه ^(١) ، ولأن العساكر مع اختلافها تجتمع مع الملك العزيز لعلو همته ، وسمو قدره ، وسماحة يده ، وسعة صدره » .

قال : « فاجتمع الملك العادل والملك العزيز وأشار عليه أن يسافر بنفسه ، وقال له مامعناه : إن الدولة الصلاحية بإدارتك ^(٢) صلاحها ، وبفلاحك فلاحها ، وبنهضتك نهض جناحها ، وبسعدك يسعد نجاحها ، وإن لم تجتمع الكلمة عليك لم تجتمع كلمة الإسلام ، ولم تستقر العصمة من الكفر بالشام ، وفى كل بلد من إخوتك سلطان ، مامنه لأمرك إذعان ، وغداً عند الحاجة إلى الاستنفار والاستنصار ، وكلُّ منهم على سِمة النفار ، تنزل النوازل والدوائر بالديار ، فاستخر الله تعالى وانشط ، ولدولتك احتط ^(٣) ، وسرُّ مستقبل النصر ساراً ،

(١) (ك) : « أرضه » .

(٢) فى الأصل : « بادالك » ، ولا يستقيم بها المعنى ، وفى ك : « تدا إليك » وماها

قراءة ترجيحية .

(٣) (ك) : « والذة قلبك أحبط » .

وللجحفل المجرّ جاراً ، وللدولة الناصرية ناصراً ، ولأيدى المتعدى عنها قاصراً ،
وأنت سلطاننا ونحن الأتباع ، والأنصار والأشياع » .

وذكر عماد الدين من هذا شيئاً كثيراً عن الملك العادل ، فأجابه الملك العزيز
إلى ذلك ، وضربت الخيام ، ونُصبت الأعلام ، وتكاملت العساكر وتنامت ،
 واجتمعت وتضامت^(٤) .

قال : « وكان الملك الأفضل لما بلغه ذلك يكذب الحديث عنه تارة ،
ويصدقه أخرى ، ويقول : قد استوثقت من كلّ منهم باليمين ، وما منهم من يهَيّ
موثقه ، وما وثقت — بعد الله تعالى — من الناس إلا بعمى ، وهو يعصمني ،
ويقيني إنه يقيني » .

وانفصل الملك الزاهر من مصر عند قرب الرحيل ، ومعه القاضي بهاء الدين
ابن شداد بعد قضاء الأرب من أداء الرسالة عائدتين إلى صاحبهما ، فلما عبرا
بدمشق ، أخبرا الملك الأفضل بحلية الحال ، وأنهم على قصد السفر والاستيلاء
على البلاد ، فضاقت ذرّعه بذلك ، واستشار أصحابه ، فأشار عليه شيوخ الدولة
وأكابرها من الأمراء وغيرهم بأن يستقبل أخاه وعمه وينقاد إلى أوامرهما ، فإنه إذا
استقبلهما على هذه الصورة (١١٩) لا يسعيما إلا قبوله لأنهما إن غيّرا عليه
حالا بعد ذلك ، حاتّ بهما الغير ، وأرخت بقبح فعاهما السير ، فكاد يقبل
هذا القول ويصفي إليه ، فدخل عليه وزيره ضياء الدين بن الأثير فثناه عن هذا
الرأى وصرفه عنه وقال له :

« أنت أكبر الأخوة وأفضاهم ، وما ثمَّ عجز وفي الغيب لله قضايا ، وله
الطاف خفايا ، ودمشق مدينة حصينة وأهلها يحبونك ويؤثرونك » .

(٤) (ك) . . وتكاملت العساكر وتنامت ، واجتمعت وتضامت .

ثم دخل عليه أخوه الملك الظافر خضر المعروف بالمشمر ، وهو شاب وعنده
حمية وأنفة وقال :

« أين حكم الإسلام ، وقد استُجِلَّت المحارم ، وما ظننتُ أن أحداً يبحث
في يمينه وينقض عهده ، فلا تهن ولا تجزع فالبادي أظلم ، والمسلم إلى الله أسلم » .
وأحضر الملك الظافر المقدمين واستحلفهم ، واستكثر من العدد والآلات ،
وتولى أسباب تحصين البلد ، وقطع مافوق المصلى عند مسجد فلوس بتفصيل^(١) ،
ورتب الرجال حول البلد يتناوبون عليه لحفظه ، وفرّق الأمراء على الأبراج
والأسوار .

وورد إلى الملك الأفضل رُسل أخيه الملك الظاهر يُشيرُ عليه بتحسين بلده
وتقوية عزيمته على مقاتلة أخيه وعمه ، ويعده من نفسه المؤازرة والمظاهرة .
ثم أرسل الملك الأفضل الأمير فلك الدين — وهو أخو الملك العادل لأمه ،
وإليه تنسب المدرسة الفلسكية^(٢) بدمشق — رسولاً إلى الملك العادل .

(١) (ك) : « بالتفصيل » انظر أيضاً : (اروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٣٠) .
(٢) أنشأ هذه المدرسة الأمير أبو منصور فلك الدين سليمان بن نمرودة بن خلدك أخو الملك
العادل أبي بكر لأمه ، وكانت أول الأضر داراً له فحولها إلى مدرسة ، وبني بها قبراً له دفن فيه
بعد وفاته في المحرم من سنة ٥٩٩ هـ ، وأوقف عليها أوقافاً ، وموقعها بمحارة الإنتريس داخل
بابي الفراديس والفج ، انظر : (المعجمي : المدارس في تاريخ المدارس ، نشر جعفر الحني ، ج ١
ص ٤٣١ — ٤٣٢) و (ابن شداد : الأعلام الخطيرة — الجزء الخامس بتاريخ دمشق .
نشر الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥٦ ، ص ٢٣٦) .

ذكر مسير

الملك العزيز والملك العادل

إلى الشام ومنازلتهما دمشق

ولما تكاملت العساكر ببركة الجب^(١) ، سار الملك العزيز والملك العادل بالجحافل والعساكر المتوافرة ، ولما وصلا إلى الداروم ، وصل فلك الدين أخو الملك العادل لأمه رسولا من الملك الأفضل إلى عمه بمشافهة منه ، فأبلغه الرسالة ، فأقبل عليه الملك العزيز وأنعم عليه .

قال عماد الدين الطائب :

« وكنتُ حاضراً ، وخلصنا أن الأمر قد تم ، وأنه قد صلح الصلح ، ووضع الصُّبح ، فأقام فلك الدين هناك أياماً ، ثم عاد إلى دمشق مثيراً بجود النقود ، وبدور البدر ، وعاد حميد الوزد والصدّر (١٩ ب) وأقمنا نترقب كتابه فنفذ^(٢) مَنْ ذَكَرَ أَنَّ الْمَلِكَ الْأَفْضَلَ قَدْ أَبِي وَبَا ، واستوثق وسور وخندق ، وأنه لا يمنح إلى السلم ، ويقول : كما كفاني الله في الماضي يكفيني في المستقبل . »

قال عماد الدين :

« وجاءني الخبرُ أن وزيره قد قرّرَ عنده عند قرب [العساكر من] ^(٣)البلد نهب دورى وأملاكى ، فاستأذنتُ الملكَ العزيزَ في الدخول إلى البلد ، فأذن لي على

(١) (ك) : « بركة الحبش » وهو خطأ واضح .

(٢) (ك) : « فورده » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

كراهية ، فلما دخلتُ البلدَ اجتمعت بالملك الأفضل ، وقلت له القول الأفضل ، فآبى أن يسمع أو أن يقبل ، وحرمت في حظي الثاني والأول .

ثم سار الملكان : العادل والعزیز إلى دمشق فنازلاها ، ولم يحدثا قتالا ، والملك العادل مُظهِرٌ أنه على عهده وميثاقه ، لم يتغير عنه ولم يَحُلْ ، وأنه ليس مقصوده إلا إصلاح^(١) ذات البين وانتظام الشمل ، وكُتِبَ الأمرُ بدمشق والأكابر متواصلة إلى الملك العادل والملك العزيز ، لأن بعضهم كانت قد حصلت عنده نفرة من الملك الأفضل لأسباب وقعت منه ومن وزيره توجب الاستيعاش ، وبعضهم كوتبوا من جهة الملك العادل والملك العزيز بما طَيَّب به قلوبهم وبسط في آمالهم ، فكتبوا يحثونهما على معاجلة الزحف إلى البلد وانهاز الفرصة ، ويعدون من أنفسهم المساعدة وفتح الأبواب لهم .

ذكر استيلاء

الملك العزيز على دمشق

والاقتصار بالملك الأفضل على صَرْخِ خُد

ولما جرى ما ذكرناه^(٢) من المخامرة^(٣) من الأمراء المقيمين بدمشق والأكابر ، وتوثق منهم الملك العزيز والملك العادل ، ضُرب البوق وزحف العسكر على البلد ، وذلك ضحى يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب من هذه السنة — أعني سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة — مستظهرين بالعدد والآلات ، فما صدَّهم عن البلد صائداً ، ولا ردَّهم راداً ، ولم ينجذروا في طريقهم مَنْ يقاتلهم غير الملك الظافر

(١) الأصل : « صالح » ، والتصحيح عن (ك) .

(٢) هذان اللفظان ساقطان من (ك) .

خضر^(١) ابن الملك الناصر ، فإنه قاتل وثبت معه جماعة من عسكر الملك الظاهر — صاحب حلب — ، فقاتل ظناً أن عسكر دمشق يقاتلون معه ، (١٢٠) ولم يعلم حقيقة ما استقر في الباطن من الخامرة ، فلما لم يرَ معه مَنْ يقاتل ولَّى منهزماً وقد جرح .

ووصل الملك العزيز من جهة الميدان الأخضر ، ودخل من باب الفرج^(٢) وقد فتح له ، وبات عند عمته ست الشام^(٣) بنت أيوب — المعروفة بالحسامية —

(١) هو الملك الظاهر خضر ، لقبه مظفر الدين ، وكنيته أبو الدوام ، وأبو العباس ، قيل له : المشمر ، لأن أباه لما قسم البلاد بين أولاده السكبار ، قال : « وأنا مشمر » فلقب عليه هذا اللقب ، ولد بالقاهرة في خامس شعبان سنة ٥٦٨ هـ ، وهو شقيق الملك الأفضل ، حج على تيماء سنة ٦١٠ فلما وصل إلى بدر وجد عسكر الملك الكامل محمد قد سبقه خوفاً منه على اليمن ، وأمره بالرجوع ، فقال : « قد بقي بيني وبين مكة مسافة يسيرة ووالله ما قصدى إلا الحج ، فخذوني حتى أقضى مناسكى وأعود » فلم يلتفتوا إليه ، فأراد أن يقاتلهم فلم يكن له بهم طاقة ، فعاد بلا حج ، وتوفي في جمادى الأولى — أو الآخرة — سنة ٦٢٧ هـ بحران عند ابن عمه الملك الأشرف موسى ، ولم يكن وقتذاك ملكها ، وإنما كان مجتازاً لها عند دخوله بلاد الررم ، انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٦) و (الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ١٧٣) و (النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج ٢ ، ص ١٨٧) .

(٢) قال (ابن شداد : الأعلام الحظيرة — تاريخ مدينة دمشق — ، ص ٣٦) عند وصفه لهذا الباب : « محدث » أحدثه الملك العادل نور الدين ، وسماه بهذا الاسم تفاؤلاً ، لما وجد من التفريق بفتحه ، وكان بقربه باب يسمى « باب المارة » فتح عند عمارة القلعة ثم سُد ، وأثره في السور باق .

(٣) ست الشام بنت أيوب ، أخت صلاح الدين ، وشقيقة لملك المعظم توران شاه بن أيوب فاتح اليمن ، تزوجت الأمير لاجين وأنجبت منه ابنها حسام الدين عمر بن لاجين ، ثم تزوجت ثانية من ابن عمها الأمير ناصر محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، وكانت من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء ، وتعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشرطة وأدوية وعقاقير فيفرق على الناس ، توفيت في ٢٦ ذى القعدة سنة ٦١٦ هـ ، وقال النعمي في كتاب « الدارس في تاريخ المدارس » : « وقد صنف الشيخ تقي الدين بن قاضي شهبة في ست الشام كراسة ، وهي عندى » وقد أنشأت ست الشام في دمشق مدرستين تعرفان باسم « المدرسة الشامية البرانية » و « المدرسة الشامية الجوانية » وتعرف أحياناً باسم « المدرسة الحسامية » نسبة إلى ابنها حسام الدين سالف الذكر فقد دفن بعد وفاته بها . انظر ترجمتها بالتفصيل في : (النعمي : الدارس في المدارس ، ج ١ ، ص ٢٧٧ — ٣١٣) و (الوفيات لابن خلكان) و (شفاء القلوب للحنبلى) و (البداية والنهاية لابن كثير) و (شذرات الذهب لابن العماد) و (ابن شداد : الأعلام الحظيرة — تاريخ دمشق — ، ص ٢٣٣ و ٢٤١) .

والدة حسام الدين بن لاجين^(١)، وإليها تنسب مدرسة ست الشام^(٢) بدمشق .
وأما الملك العادل فإنه وصل إلى باب توما^(٣)، ففتحه له الأمير الذي كان
مستحفظاً عاياه باتفاق كان بينهما، ودخل العسكر من هذا الباب وباب شرق^(٤)،
وبات الملك العادل في الدار الأسدية^(٥).

ولما دخل الملك العزيز دمشق تلقاه أخوه الملك الأفضل، فردّه الملك العزيز
إلى القلعة، ثم خرج الملك العزيز في غد هذا اليوم إلى مُحَيِّمِهِ، وأقام به إلى أن
انتقل الملك الأفضل من القلعة بأهله وأصحابه، وأخرج وزيره ضياء الدين بن الأثير
مختفياً في صندوق من بعض صناديقه، خوفاً عليه من القتل، وكان قد ترقبه
أقوام ليقتلوه فلم يظفروا به .

قال عماد الدين :

« وكنا نظن أن للملك الأفضل مالا مجموعاً فلم يظهر شيء^(٦) لسوء تدبير
وزيره، فأقام الملك الأفضل بعد خروجه من القلعة نازلاً بمسجد خاتون^(٧)،
ووزيره مختفٍ عنده إلى أن هرب إلى الموصل » .

(١) و (٢) انظر الحاشية ٣ في الصفحة السابقة .

(٣) عرف به (ابن شداد : الأعلام الخطيرة — تاريخ مدينة دمشق — ، ص ٣٥)
قال : « باب توما . ينسب إلى عظيم من عظماء الروم اسمه توما ، وكانت له على باب كنيّة جعلت
بعد مسجداً ، وهو الآن مندود » .

(٤) عرف (ابن شداد : المرجع السابق) هذا الباب بقوله : « سمي بذلك لأنه شرق
البلد ، وكان ثلاثة أبواب : باب كبير في الوسط ، وبابان صغيران من جانبيه ، سدّ منهما الكبير
والباب الصغير الذي من قبله ، وبقي الباب الصغير الشامي » .

(٥) كانت الدار الأسدية تجاه المدرسة العزيزية وهي التي أنشأها الملك العزيز بن صلاح
الدين لصق الجامع الأموي بالقرب من تربة صلاح الدين . انظر : (النعماني : المرجع السابق ،
ج ١ ، ص ١٤٣ و ٣٨٢) .

(٦) (ك) : « فلم يظفر بشيء » .

(٧) أشار ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، نشر سائر الدعان ، ص ١٤٦ و ٢١٨ =

قال عماد الدين :

« ومن العجب أن الملك الأفضل مع علمه بشؤم وزيره ، وأن كل ما هو فيه من النقص والنقص بادباره وسوء تدبيره ، ضمه إليه^(١) وتزفرف بمناحه عليه ، فأخرجه في قماشه ، وسرّحه بريشه ورياشه ، وكان ادعى عليه بمال فأقرّ الملك الأفضل بوصوله إلى خزائنه ، وبرأه من حسابه وخيائنه^(٢) ، وانفصل إلى الموصل بمال دمشق وأعمالها ثلاث سنين ، وجمع آلافاً مؤلفة ، ولم يُفرّق الأفضل منها مائتين . »

قال عماد الدين :

« وعهدى بقوم دخلوا على متأسفين على سلامته ، واستقامة أمره في ظعنه وإقامته ، فقلت : إنما سألتنا الله تعالى كفاية شره وسوءه لا سواه ، فقد أبعد الله فلا قرّب^(٣) نواه . »

== إلى مسجدين بدمشق كان كل منهما يعرف بمسجد خاتون ، الأول يسمى « مسجد خاتون الفنية » وموقعه تحت القلعة على جسر باب الحديد ، والثاني يعرف بمسجد خاتون أو المدرسة اخاتونية البرانية ، وكان يقع على الشرف القبلي عند مكان يسمى صنماء الشام المطل على وادي الثقراء ، أوقفته صفوة الملوك زمرد خاتون ابنة الأمير جاولي ، أخت دقان لأمه ، وزوجة الملك تاج الملوك بوري ، توفيت سنة ٥٥٧ هـ . وأرجح أن المقصود هنا هو المدرسة الأولى لمقتضى البيان في المتن . انظر أيضاً : (النجمي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٠٢) .

(١) الأصل « عليه » ، وما هنا صيغة (ك) وهي أفضل .

(٢) (ك) : « وجنايته » ،

(٣) الأصل : « أبعد » ، وما هنا صيغة (ك) ، وهي أصح .

(٥) مفرج الكرب

ذكر واقعة غربية

ذكرها عماد الدين الكاتب

(٢٠ ب) قلت ^(١) : ذكر عماد الدين أمرا عجيبا أنا أستبعده والله تعالى

أعلم بصحته . قال :

« كان قرارُ الملك العادل مع الملك العزيز أن يقيم الملكُ العزيز بدمشق ، وأن يكون الملكُ العادل نائبا عنه بمصر ، ويفوض تديرها إليه ، فلما ملكَ الملكُ العزيز دمشق ، وظهرت الأمور ، وانكشف المستور ، ندم على ما كان قرره مع عمه ، فبعث إلى أخيه الملك الأفضل في السر ، وقال : « إذا طالبناك فاثبت على الامتناع ، ولا تبذل الرضى لنا إلا بإقامة الخطبة والسكّة ، ولا تنزل عن رتبتك ، فإنى أقصد لك الرضا وأفعل ما تريد ، ويكون امتناعك عذرا عند عمى » .

فلما وصلت الرسالةُ بذلك إلى الملك الأفضل أظهر هذا السرّ لنصحائه المختصين ؛ فقالوا : « لا تنخدع بهذا القول ، فربما كان هذا خديعة من أخيك ليوقعك ، وهلا كان هذا القولُ منه قبلُ في أول الأمر ؛ والمصلحة أن تطلعَ عمك الملكَ العادل على هذا السر ، فإنه كأيّيك في الشفقة ، وعلى كل حال لا يترك برّك ، فإذا استشرته أشار عليك بالمصلحة ، وقد جاء لك من السعادة ما لم يكن لك في حساب ، فإن الملكَ العادل يحصل له باطلاعه على هذا الارتياب في الملك العزيز ، وتتأكد نفاذه منه » .

فأرسل الملكُ الأفضل الحاجبَ جمال الدين محاسن بن عجم الموصلى إلى الملك

(١) هذا مثل آخر لما نقله ابن واصل لأراء غيره من المؤرخين الذين ينقل عنهم .

العاقل ، فأعاد عليه ما ذكره الملك العزيز ، فقامت قيامته وغضب غضباً شديداً ، واجتمع بالملك العزيز ، وعاتبه أشد العتب ، وقرّعه غاية القرع ، وقال : « أنا أبني وأنت تهدم » ، وذكر له ما أنهى إليه ، فأنكر الملك العزيز ذلك ، وحقق عند عمه بطلان هذا القول ، وأنه لم يرسل إلى الملك الأفضل ، ولم يقل له من هذا القول حرفاً .

وانحرف عن أخيه الملك الأفضل ، وبعث إليه مَنْ أزعجه وأحرجه ، وإلى صَرْخَدَ أحوجه ، وأخذ من الملك الظافر بُضْرَى — وكانت بيده — ، فرحل إلى حلب ، فأقبل عليه الملك الظاهر وأحسن إليه ؛ وسار الملك الأفضل إلى صَرْخَدَ بأهله وحريمه^(١) ، ومعه أخوه الملك المفضل قطب الدين موسى فتسلّوها واستوطنوها .

ودخل الملك العزيز إلى دمشق يوم الأربعاء رابع شعبان من هذه السنة (١٢١) فأظهر العدل ، وأبطل المكوس ، وأزال المظالم ، واعتقد الناس أن مقامه عندهم يطول ، وفرحوا به لما كانوا يعرفونه به من الكرم والبذل ، وإقامة منار العدل ، ولم يشعروا به إلا وقد تقدم بالتبريز وأجمع على الرحيل إلى الديار المصرية .

(١) هذا اللفظ غير موجود في (ك) .

ذكر استيلاء

الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب على دمشق وأعمالها
وسفر الملك العزيز إلى مصر

ثم سلم الملكُ العزيزُ دمشق إلى عمِّه الملك العادل ، ورحل من دمشق عشية
يوم الاثنين تاسع شعبان من هذه السنة ، فنزل بمسجد القدم^(١) ، ثم ارتحل
إلى الكُـسوة^(٢) ، وسافر بالعساكر إلى الديار المصرية .

قال عماد الدين الطائب :

« ودعته يوم السبت رابع عشر شعبان ، وقال لي عند وداعه : « أمّا مالك
بالشام فإنني إلى الملك العادل به عادل ، وأمّا قرارك بمصر فأنا بجميعه لك
ضامن كافل »

ولقد كان بوده إنجاز وعدى ، واقتناء حمدي ، لكن شرط مع عمه أن لا يفرد
شيئاً من رسمه ، فدخلت في عموم الشرط وتبدل قربي بالسخط .
وخرج الملك العادل لوداع الملك العزيز ، ولما عاد من وداعه أمر فقري
منشوره بالجامع بتفويض دمشق وأعمالها إليه .

(١) عرّف به (ابن شداد : المرجع السابق ، ص ١٥٥ — ١٥٦) بقوله : « مسجد
القدم : بقرب عالية وعويليه ، قديم ، جدده أبو البركات محمد بن الحسن بن طاهر ، وفيه قبر
جد أبيه لأمه أبي الحسن بن الواعظ الزاهد ، له منارة ووقف ، ويقال إن قبر موسى — عليه
السلام — فيه ، وفيه بئر ، وعلى باب بئر » ، انظر أيضاً : (محمد كرد علي : غوطة دمشق ،
ص ٢٣٨) .

(٢) عرّفها (ياقوت : معجم البلدان) بقوله : « قرية ، هي أول منازل تنزله التوافل إذا
خرجت من دمشق إلى مصر ، قال الحافظ أبو القاسم : وبلغني أن الكسوة إنما سميت بذلك
لأن غسان قتل بها رسل ملك الروم لما أتوا إليهم لأخذ الجزية منهم ، واقتبعت كسوتهم » ،
انظر أيضاً : (ابن شداد : المرجع السابق ، ص ١٩) .

وكانت مدة مقام الملك العزيز بدمشق بعد أخذها أربعة عشر يوماً .
وكانت مدة ملك الأفضل لها ثلاث سنين وأشهرًا .
وأبقى الملك العادل السكة بدمشق والخطبة للملك العزيز ، وأشاع أنه نائبه .
ولما استقر الملك العزيز بصَرْخَد هو وأهله كتب إلى الخليفة كتابًا يشكو
إليه فيه اغتصاب عمه وأخيه ميراثه من أبيه .
وأوله :

مولاي إنَّ أبا بكرٍ وصاحبَه عثمانَ قد أخذًا بالسيفِ إرثَ علي
فانظر إلى حظِّ هذا الاسمِ كيف لقي من الأواخرِ ما لاقى من الأولِ
فكتب الخليفة الناصر لدين الله إليه :
وافي كتابك يا ابنَ يوسفَ مُعلنًا بالصدقِ ، يُخبرُ أنَّ أضْلَكَ طاهرُ
(٢١ ب) غصبوا عليَّ حقَّه إذ لم يَكُنْ بعد النبي له يثرب^(١) ناصرُ
فاضِرُّ ، فإن غداً عليه حسابهم وابشر ، فناصرك الإمامُ الناصرُ
وللملك الأفضل أيضاً في المعنى :
أما آنَ للسعدِ الذي أنا طالبُ لإداركه يوماً يُرى وهو طالبُ
تُرى [هل]^(٢) يُريني الدهرُ أبدى شيعتي تمكُنُ يوماً من نواصي النواصبِ
يريد بالشيعة أصحابَه ، لأن اسمه علي ، وبالنواصب أصحابَ العادل أبي بكر
والعزيز عثمان^(٣) .

(١) (ك) : د له معين ناصر .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

(٣) يوجد في هامش نسخة ك أمام هذه الآيات بيتان آخران للأفضل أنبتهما أحد قراء
النسخة ويدعي منصور ، وهذا نص ما في الهامش ، وقد صحح البيتان بعدمراجعة : (ابن الغنيلي
شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ص ٧٠ ب) : وله في المعنى :

يا من يسودُّ شمره بخضابه لسان من أهل الشيعة يَحْصُلُ
ها فا خضب بسواد حظي مرة ولك الأمان بأنه لا يَنْصُلُ

ولما وصل الملك العزيز إلى القدس وبه أبو الهيجاء السمين ، وكان خائفاً
من الملك العزيز لجرمه الذى تقدم ذكره ، عزم على منازلته ، فلاذ أبو الهيجاء
بعفوه ، وبذل القدس على أن يرحل بماله ، فأجيب إلى ذلك ، وتسلم الملك العزيز
منه القدس ، وسلمه إلى سنقر الكبير .

ورحل أبو الهيجاء إلى بغداد ، فاحترمه الخليفة وقدمه على عسكر لمحاربة
العجم ، فصدر منه ما أوجب الإنكار عليه ، فتوجه إلى دقوقا فمات بها .
وفي هذه السنة سیر الملك الظاهر القاضى ^(١) بهاء الدين بن شدّاد ، وغرس الدين
قليج إلى [أخيه] ^(٢) الملك العزيز — رحمه الله — بهدايا كثيرة وقود ^(٣) .
وفيها ^(٤) خرب الملك العزيز حصن الداروم وغزة



(١) بهذا اللفظ تتقابل مرة ثانية مع نسخة س (ج ١ ، ص ١١٣٢)

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٣) مكان هذا اللفظ في (س) : « لها قبة جليلة » .

(٤) النص في (س) : « وفي هذه السنة في آخرها » .

ودخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة :

والملك العزيز مقيم بالديار المصرية ، وهو سلطان البيت الأيوبي .
وبدمشق الملك العادل .

وفي أوائل صفر منها تسلم الملك الظاهر قلعة عزاز من سيف الدين بن علم الدين سليمان بن جذر^(١) ، وكان ملكها بعد أبيه .

وفي السابع والعشرين من ربيع الآخر رحل من مصر القاضي بهاء الدين ابن شداد ، وغرسُ الدين قَلِيج بانتظام الصلح [بين الملك الظاهر وأخيه الملك العزيز]^(٢) فخطب بحلب للملك العزيز ، وضربت السكة باسمه .

وفي هذه السنة تحركت الفرنج لقصد بلاد الإسلام ، فخرج الملك العادل بالعساكر ، نفخيم بالقصبة ، وهي قريب من صور ، وجهّز إلى بيروت جماعة من العسكر ومعهم الحجارون والنقابون ، وأمرهم بهدم رِبَض بيروت ففعلوا ، وحصّن^(٣) عزُّ الدين (١٢٢) أسامة القامة ، وترك^(٤) فيها جماعة من الأجناد ليحفظوها .

(١) (س) : « حيدر » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٣) (ك) : « وجهز عز الدين أسامة للقامة » .

(٤) (س) : « وترك » .

ذكر وفاة

سيف الإسلام صاحب الدين

وفي شوال من هذه السنة توفي سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين ابن أيوب ، وكان يُلقب بالملك العزيز ، وكان ملكاً جواداً مُمدّحاً ، ومن مدحه من الشعراء شرف الدين بن عَنَيْن ومن مدائحه فيه قصيدة منها :

دمشقُ وبي شوق إليها مُبرِّحُ	وإن لام ^(١) واش ^(٢) أو ألحَّ عذولُ
بلاد ^(٣) بها الحصباءُ دُرٌّ ، وتُرْبُها	عَبِيرٌ ، وأنفاسُ الشمالِ شُمُولُ
تسلسل منها ^(٤) ماؤها وهو مطلقُ	وصَحَّ نسيمُ الروضِ وهو عليلُ

ومنها :

وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرَمَ الغنى	ورأى ظهير الدين في جميل ؟
مِنَ القَوَمِ ، أَمَّا أَحَنَفُ فَمُسَفَّهُ	لديهم ، وأَمَّا حاتمٌ فبخيـلُ
فتى ^(٥) الجَدِّ ، أَمَّا جاره فمُمَنَعٌ	عزيزٌ ، وأما جندهُ فذليلُ
وأَمَّا عطايا ماله فبِإِباحةٍ ^(٦)	عِذابٌ ، وأما ظِلُّه فظليلُ

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي الديوان : « وإن ليج » .
 (٢) (س) : « والير » ، وما هنا هو الصحيح وكذلك في الديوان .
 (٣) في الديوان : « ديار » .
 (٤) في الديوان : « فيها » .
 (٥) (س) : « د بني » ولا يستقيم بها المعنى .
 (٦) الديوان : « وأما عطايا كفه فبإِباحة » .

ذكر استيلاء

الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام على اليمن

وكان الملك المعز هذا شهماً شجاعاً ، إلا أنه في عقله ضعف ، فكان أبوه^(١) يخافه على نفسه ، فأبعده إلى الشام خوفاً منه ، فقدم على عمه السلطان الملك الناصر صلاح الدين قبل مرضه الذي مات منه بيوم واحد ، وقد ذكرنا ذلك ، ثم توجه راجعاً إلى اليمن ، فأدركته وفاة أبيه وهو بالسرين^(٢) فبعث إليه جمال الدولة كافور جماعة من الجند^(٣) فعزّوه بوالده ، ومضوا به إلى ممالك أبيه فسلموها إليه .
وسند ذكر بقية أخباره إن شاء الله تعالى^(٤) .



(١) (س) : « أبيه » ، وهو خطأ واضح .
(٢) النص في (س) (ج ١ ، ص ١٣٢ ب) : وهو في الطريق ، وقد سار قريبا من بلاد أبيه ، فبعث إليه جمال الدولة .. الخ .
(٣) النص في (س) مختلف شيئا ما ، وهو : « فمضوا به إليه ، فسلم إليه ممالك أبيه ، وكان هذا جمال الدولة هو المدير للدولة ، وسند ذكر إن شاء الله تعالى أخباره » .

ودخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة

والملك العزيز بالديار المصرية .

وعنه الملكُ العادلُ مرابط للفرنج ، وقد وصل منهم جمع كثير من داخل البحر ، وانتشروا في الساحل ، وكثروا فيه .

وكان عنُ الدين أسامة (٢٢ ب) قد ترك جماعة من الأجناد — كما ذكرنا — في قلعة بيروت يحفظونها ، وذلك بعد أن خربَ رِبَضَها ، تخافوا من الفرنج وانهزموا ، وبقيت القلعة خالية ليس فيها من يذبُّ عنها ، وعلم الفرنج بذلك فملكوها واستولوا عليها ، فلعن الناس أسامة لتفريطه فيها .

وقال عماد الدين الطنب في ذلك :

إِنَّ بَيْعَ الحصون من غير حَرْبٍ سُنَّةٌ سَنَّا بِبيروت سَامَهُ
لَعَنَ اللهُ كُلَّ مَنْ باعَ ذَا الْبَيْعِ وَأَخْزَى بِخِزْيِهِ مَنْ سَامَهُ^(١)

وسير الملكُ العادلُ إلى الملك العزيز يطلب منه النجدة ، فوصلت إليه العساكر من مصر ، ووصل إليه سنقر الكبير^(٢) — صاحب القدس — وميمون القصرى — صاحب نابلس — ونزل بهم على تل العجول بالقرب من غزة ، وكان قبل ذلك قد وقع جمع من الفرنج بأجناد في أطراف بلد القدس ، فقتلوا منهم جماعة ، وأسروا جماعة ، ورجعوا بغنائم كثيرة .

(١) أورد (أبو شامة : الروضين ، ج ٢ ص ٢٢٣) بيتين آخرين في هذا المعنى :

قال : « وظلم بعضهم والفرنج على تدين :

سلم الحصن ما عليك ملامه ما يلام الذى يروم السلامه

نطاء الحصون من غير حرب سنة سنَّها بيروت سامه ،

(٢) (س) : « سيف الدين صاحب القدس » .

ذكر فتح يافا

ثم قصد الملكُ العادل بالعساكر يافا ، فدخلها هجماً بالسيف وقتل مقاتلتها ، وأعيان من بها من الفرنج ، فامتلات أيدي المسلمين بالسبي والغنائم .

وكان هذا الفتح ثالث فتح لها ، لأنها فتحت أولاً في أول النوح ، وثانياً وجاء ملك الانكثير في جموعه فاسترجعها وهذا الفتح في الأيام الناصرية^(١) .

وفتحت هذا الفتح الثالث على يد الملك العادل .

وفتحت في زماننا فتحاً رابعاً في سنة أربع وستين وستائة [على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس — صاحب الديار المصرية والشام]^(٢) .

ذكر منازلة

الفرنج تبئين

وقدوم الملك العزيز إلى الشام

ولما جرى ما ذكرناه^(٣) عظم ذلك على الفرنج ، فقصدوا تبئين ، وكانت بيد حسام الدين بشارة ، فنزلوها نفارسهم وراجلهم ، وأحرقوا بها وضايقوها . ونزل الملكُ العادل قبالتهم ، وبعث إلى الملك العزيز يحثه على الخروج إليه

(١) النص في نسخة الأصل ونسخة ك . وهذان الفتحان في الأيام الناصرية ، وقد صحح

النص كما بالمتن ليستقيم المتن ، أما نسخة س (ج ، ص ١٣٣) فالنص فيها : « وثانياً فإن ملك الانكثير ملك الفرنج رحل إليها في جموع من الفرنج ، فاسترجعها وفتحها في الأيام الناصرية بعد ذلك .

(٢) ما بين الحاصرين زيادة عن (س) ، ولهذا النص أهميته فهو يدل على أن المؤلف

كان يكتب هذا الجزء من كتابه بعد سنة ٦٦٤ هـ .

(٣) (س) : « ذكرنا من فتح يافا » .

[من مصر]^(١) بنفسه ، فتقدم الملك العزيز إلى من عنده من العساكر بالخروج
(١٢٣) وسار في آخرهم لا يلوى على شيء حتى وصل إلى تبنين ، واجتمع بعمه
الملك العادل على مناجرتهم ساعة وصوله ، فمنعه من ذلك [عمه الملك العادل]^(١) ،
فلما جنَّ الليل رحل الفرنج^(٢) عن تبنين^(٢) عائدين إلى صور ، وسار في أثرهم
الملك العزيز والملك العادل بالعساكر يلتقطون من ظفروا به منهم [فغنموا المسلمون
شيئاً كثيراً من عسكرهم]^(٣) .

وأمر الملك العزيز بنقل الغلال إلى تبنين وإصلاح ما تهدم بالمنجنيات
من أسوارها .

ذكر رجوع

الملك العزيز إلى الديار المصرية

ثم أبقى الملك العزيز العساكر برمتها عند عمه الملك العادل ، وجعل إليه
أمر الحرب والصلح ، وعاد إلى مصر في جمع قليل .

وكان سنقر الكبير^(٤) صاحب القدس قد مات ، فولى الملك العزيز القدس
صارم الدين ختلج^(٥) ، مملوك عن الدين فرخشاه بن شاهنشاه^(٦) بن أيوب .

ولما قدم الملك العزيز مصر مدحه القاضي السعيد ابن سناء الملك بقصيدة
هذه فيها بالنصر والقدوم ، أولها :

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) هذان اللفظان غير موجوبين في (س) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٤) (س) : سيف الدين .

(٥) (ك) : جناح .

(٦) الأصل : شاهان شاه ، وما هنا صيغة (ك) و (س) .

قَدِمْتَ بالسَّعْدِ^(١) وبِالْمَنَمِ كَذَا قَدُومُ الْمَلِكِ الْمَقْدَمِ
يا قَاتِلَ الْكُفْرِ وَأَحْزَابِهِ ، بِالسَّيْفِ^(٢) وَالْدِينَارِ وَالْدِرْهَمِ
قَمِيصُكَ لِلْمُورُوثِ عَنْ يَوْسُفٍ مَا جَاءَ إِلَّا صَادِقًا فِي الدَّمِ
أَغْتَتِ تَبْنِينَ وَخَاصَّتَبَا فَرِيسَةً مِنْ مَاضِفَى ضَنِغَمِ

ومنها :

فَرُدَّهَا سَالِمَةً مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ قِيلَ^(٣) لَهَا سَلِّ
مَا انْهَزَمْتَ وَانْهَزَمُوا دُونَهَا مَتَى غَزَا جَيْشًا وَلَمْ يُهْزَمْ ؟ !

ومنها :

لَا عَدِمَ الْإِسْلَامُ عُمَانَهُ مُصْطَلَى الدَاهِيَةِ الصَّيْلِمِ
شِدْشِنَةً تُعْرِفُ مِنْ يَوْسُفٍ فِي النِّصْرِ^(٤) لَا تُعْرِفُ مِنْ أَخْزَمِ
ثُمَّ انْتَنَى مِنْ وَجْهِهِ ظَافِرًا وَالسَّيْفُ لَمْ يُثَلِّبْ وَلَمْ يُثَلِّمْ
وَجَاءَ لَمَّا جَاءَنَا بِالْحَيَا وَعَادَ لَمَّا عَادَ بِالْأَنْعَمِ
مَقْدِمُهُ صَارَ مُجَادِي بِهِ كَمِثْلِ ذِي الْحِجَةِ ذَا مَوْسِمِ^(٥)

(١) الديوان : ، بالنصر .

(٢) الأصل : ، والسيف ، ، والتصحيح عن (ك) وهذا البيت والذي يليه غير موجودين في الديوان .

(٣) الديوان : ، من بعد ما قيل .

(٤) الأصل : ، النصر ، ، والتصحيح عن (ك) ، والديوان : ، في النصر دع تعرف من أخزم .

(٥) القصيدة في الديوان أكثر أبياتاً مما هي هنا ، وهنا كذلك أبيات لا توجد في الديوان .

ذكر الهدنة مع الفرنج

وأقام الملكُ العادل يوالى الغارات على الفرنج ، ويقصدهم بنفسه وجموعه مرة بعد أخرى ، إلى أن أضجرهم وأسأهم ، فراسلوه فى طلب الصلح ، فأجاب إليه ، وحلفَ أمراءُ عسكره لهم ، وأنفذ إلى مقدمى الفرنج مَنْ استحلّفهم^(١) . واستقرت الهدنةُ ثلاث سنين ، وأمن الناسُ شرَّهم ، ورجع الملكُ العادلُ إلى دمشق ، وتفرقت الجند [جميعها إلى بلادها]^(٢) .

ذكر وفاة

عماد الدين صاحب سنجار

وقيام ولده قطب الدين محمد مقامه

وفى هذه السنة توفى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى — صاحب سنجار ونصيبين والخابور — ، وكان شهيداً شجاعاً .

فملك هذه البلاد بعده ولده قطبُ الدين محمد ، وقام بتدبير مملكته مملوكُ والده مجاهد الدين يرنقش^(٣) .

وعزم ابنُ عمه^(٤) نورُ الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى — صاحب الموصل — على قُصْدِ نصيبين وأخذها من قطب الدين ، وكان الحاملُ

(١) (س) : • الفرنج ومملوكهم خلفهم • •

(٢) حامين الحاصرين زيادة عن (س) .

(٣) (ك) : • يرنقش • ، وس : • يرنقش • •

(٤) (ك) : • عمه • ، أما (س) فالتص فيها • وعزم نور الدين • •

له على هذا العزم^(١) أن عماد الدين — صاحب سنجار —^(٢) كان قد تعدى على بعض أعمال الموصل ، وجرت بينهم مراجعات في ذلك ، فلم يرجع عماد الدين عن تعديده ، ووصل إليه رسول من نور الدين في معنى إعادة ما أخذ ، فأغلظ [عماد الدين]^(٣) القول للرسول وردّه خائباً .

فلما توفى عماد الدين جلس ابن أخيه نور الدين للعزاء في الموصل [ثلاثة أيام]^(٤) ثم قصد نصيبين فنازلها وأخذها ، وكان قطب الدين بها فاجتمى بقلعتها ، ثم هرب منها هو وأتابكه مجاهد الدين يرتقش ليلاً^(٥) إلى ديار بكر ثم إلى حران^(٦) . ثم دخل نور الدين قلعة نصيبين ،^(٧) وملكها وملك بلادها^(٨) ، وراسل قطب الدين الملك العادل ، وبذل له الأموال الكثيرة لينجده على نور الدين ، ويعيد إليه نصيبين ، [فأجابه إلى ذلك]^(٩) .

ولما ملك نور الدين نصيبين وقع المرض بكافة أمرائه^(١٠) ، وعاد إلى الموصل وقد توفى منهم جماعة .

ثم رجع نور الدين إلى الموصل (١٢٤) لما بلغت حركة الملك العادل إلى الشرق .

ثم رجع قطب الدين إلى نصيبين فملكها .

(١) (س) : « على ذلك » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٣) (س) : « إلى بلدة سنجار » .

(٤) النص في (س) : « منازلها وأخذها » ، واستولى على ما فيها من الدخائر وملك جميع بلادها .

(٥) النص في (س) : « وقع في مرض هو وجميع أمرائه » ، وبلغته حركة الملك العادل إلى البلاد الشرقية .

ذكر توجه

الملك العادل إلى البلاد الشرقية

ومنازلته ماردین وأخذ رَیضها^(١)

وورد على الملك العادل كتابُ النظام مدير مملكة حسام الدين يُولَق^(٢)
أرسلان بن إيلغازي بن ألبی الأرتقي — صاحب ماردین — يستدعيه لیسلم إليه
ماردین ، ویأخذ منه عوضاً عنها .

ووردت عليه رسلُ قطب الدين — صاحب سنجار — يستدعيه إلى نجدته^(٣) .
فسار الملك العادل إلى الشرق ، وقطع الفرات ، قلداً وصل البلاد لم یَفِ له
النظام بما تقررينهما باطناً ، وندم على ما كاتبه به ، فبعث الملكُ العادل إلى ابني
أخيه : الملك العزيز ، والملك الظاهر ، يستنجد بهما ، فوصله عسكرٌ من مصر
وهم ألفا فارس^(٤) ، ووصله عسكر من حلب ، عدتهم خمسمائة فارس ، مقدمهم
سيف الدين بن علم الدين بن جندر^(٥) .

ونازل الملكُ العادلُ ماردین ، وجدَّ في حصارها ومضايقتها ، فعُدَّت بها
الآقوات ، وأصاب أجنادها مرض عظیم ، ومالك الملكُ العادلُ الرَیضَ ونهبه ،
وبقى^(٦) محاصراً للقلعة .

(١) (س) : « أرضها » .

(٢) (س) : « ترلو » .

(٣) (س) : « نصرته » .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) يعد التصحيح ، فالنص هناك : « وهم ألفين

فارس » .

(٥) (س) : « حندر » .

(٦) (س) : « وجدَّ في محاصرة القلعة » .

وفي هذه السنة توفي الأمير غرس الدين قلیج النوری ، وكان أميراً جليلاً ، وكانت بيك [قلعتا] ^(١) الشفر وبكّاس ، وشقيف دركوش ، وهذه الحصون أعطاهما السلطان الملك الناصرُ غرس الدين قلیج — كما تقدم ذكره — ، فلما مات غرس الدين عصى [ابنه] ^(١) شمسُ الدين محمود بن قلیج — وهو الأكبر — بالشفر وبكّاس ، وعصى أخوه سيفُ الدين على شقيف دركوش [على الملك الظاهر صاحب حلب] ^(١) .

فقصد الملك الظاهر شقيف دركوش ، ونصب عليه المجانيق وضايقه ، وطلب سيف الدين قلیج الأمان [فأمّنه] ^(١) وسلم [إليه] ^(١) الحصن [على ما تقررينهما] ^(١) ؛ ثم توجه الملك الظاهرُ إلى الشفر وبكّاس ، ونصب عليها تسعة مجانيق ، وحصرها أربعة أيام ، فطلب شمسُ الدين الأمان ، وأجاب إلى التسليم ، وبعث أخاه عماد الدين أبا بكر فأخذ له الأمان ، وقرّر حاله على أن يخرج بماله ورجاله ، وجميع ما في القلعتين من سلاح وذخائر ، وأن يُعطى خُبزاً مبالغه خمسون ألف دينار ، ثم عوّض الملك الظاهرُ (٢٤ ب) شمسَ الدين عن ذخائر القلعتين بضیعة [كبيرة] ^(١) من جبل السُماق .

وكان تسلم [الملك الظاهر] ^(١) هذه الحصون في ذی الحجة من هذه السنة .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) مفرج الكروب

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة :

والملك العادل مضائق قلعة ماردين ، وقد أشرف على أخذها .

ذكر وفاة الملك العزيز

عماد الدين عثمان بن الملك الناصر — رحمهما الله —

وكان الملك العزيز في ذى الحجة من السنة الماضية قد عزم على التوجه إلى اسكندرية ودمياط للنظر في مصالحهما ، فبرز في السادس والعشرين من الشهر إلى ذات الصفا^(١) ؛ وأقام بها متصيداً إلى سابع المحرم من هذه السنة ، فاعترضه ذئب فركض خلفه ، فعثر به فرسه ، فسقط إلى الأرض [مُخَمَّ من ساعته]^(٢) .

ثم ركب وهو محموم ، وعاد إلى^(٣) الأهرام ، وقد اشدت حماه ؛ ثم توجه إلى القاهرة^(٤) فدخلها يوم عاشوراء ، وحدث به يرقان وقرحة في المعاء ، ثم احتبس

(١) (ك) : د دار الصفا ، وما بالمتن هو الصحيح ، وهي من القرى المدرسة ، وقد ذكرها صاحب (التحفة السنية ، ص ١٥٤) ضمن الأعمال الفيومية ، وقد يفهم من النص هنا أنها بين القاهرة والإسكندرية ، ولكن الصحيح أنها من قرى الفيوم ، يؤكد هذا ما ذكره المؤرخون الآخرون عن وفاة الملك العزيز ، قال ابن خلكان : د وكان قد توجه إلى الفيوم ، فطرد فرسه وراء صيد فتقطر به فرسه فأصابته الحمى من ذلك ، وحمل إلى القاهرة فتوفي بها ، ، وقال سبط ابن الجوازي في مرآة الزمان : وكان سبب وفاته أنه خرج إلى الفيوم يتصيد ، فلاح له ظبي ، فركض الفرس خلفه ، فكبا به الفرس ، فدخل مربوس السرج في قواده فحمل إلى القاهرة .. الخ ، . انظر أيضاً : (ابن تغري بردى : النجوم ، ج ٦ ، ص ١٢٨ — ١٣٠) و (المقرئ : السلوك ، ج ١ ، وفيات سنة ٥٩٥) و (محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القسم الأول : البلاد المدرسة ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٢٦٤) .

(٢) ما بين الخاصرتين زيادة عن (س) .

(٣) (ك) : د وسار عماد الدين إلى الأهرام ، :

(٤) (س) : د إلى مصر ، .

طبعه أياماً ، وانتقل إلى رحمة الله ورضوانه منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم .

فكانت مدة ملكه ست سنين إلا شهراً .
وكانت مدة عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرًا .

ذكر سيرته — رحمه الله —

كان في غاية السماحة والكرم والعدل ، والرفق بالرعية والإحسان إليهم .
فكانت الرعية ، يحبونه محبةً شديدة ، وفجعوا بموته فجيعة عظيمة ، إذ كانت الآمال معقدة بأنه يقوم مقام والده ، ويسدُّ مسدَّه .

وقد ذكرنا أن عمه الملك العادل وأخاه الملك الأفضل لما قصدها ، ونازلا بلبيس وحاصراها ، وأشرف ملكه على الزوال ، بذلت له الرعية أموالها ليزبَّ بها عن نفسه ، فامتنع مع شدة حاجته في ذلك الوقت إلى المال .

وقد حُكي أنه لما امتنع من أخذ مال الرعية ، أشير عليه بأن يقترض من القاضي الفاضل ، فإن أمواله عظيمة ، وهو غير محتاج إليها ، فامتنع من مخاطبة القاضي الفاضل (١٢٥) في ذلك ، فألحوا عليه في ذلك حتى أجاب ، وأرسل إلى القاضي الفاضل يستدعيه ، فحضر ، وكان الملك العزيز في منظره من دار الوزارة مطلة على الطريق ، فلما رأى القاضي الفاضل مقبلا لم يتمالك من شدة الحياء ، ودخل إلى دار الحرم .

فراسلت الأمراء الملك العزيز وشجعموه حتى خرج واستدعى القاضي الفاضل ، وقال له — بعد أن أطنب في الثناء عليه والتقريظ له — : قد علمت أن الأمور

قد ضاقت على ، وقلّت الأموالُ عندي ، وليس لي إلا حسن نظرك وإصلاح
الأمر لنا بمالك أو برأيك أو بنفسك »

فقال له القاضي الفاضل :

« جميع ما أنا فيه من نعمتكم ، ونحن نقدم أولاً الرأي والحيلة ، ومتى احتيج
إلى المال فهو بين يديك » .

ووردت رسالة الملك العادل إلى القاضي الفاضل^(١) باستدعائه ، وجرى من انتظام
الحال ما قدمنا ذكره .

ولقد حُكي عنه ما هو أبلغ من هذا وأحسن ، وهو أن عبد الكريم بن علي
البيساني^(٢) أخا القاضي الفاضل كان يتولى الحكم والإشراف بالبحيرة مدة طويلة ،
وحصل من ذلك أموالاً جلية ، وكان الناس يحترمونه لأجل القاضي الفاضل ،
فجرت بينه وبين أخيه نبوةٌ أوجبت انضاع حاله عند الناس ، فصُرف عن عمله ،
وكان متزوجاً بامرأة من قوم ذوى قَدْرٍ ويسار ، يعرفون ببني ميسر .

فلما صُرف عن عمله انتقل إلى الإسكندرية ومعه زوجته ، فضايقها وأساء
عشرته معها لسوء خلقٍ كان فيه .

واتصل ذلك بأبيها ، فتوجه نحو الإسكندرية ، وأثبت عند حاكمها ضررها ،
وأنه قد حصرها في محل ضيق من داره ، فمضى القاضي بنفسه إلى الدار التي فيها
الزوجة ، ورام فتح الباب الذي هي فيه فلم يقدر عليه ، فأحضر شهوداً ، وأحضر
نقاباً ، فنقب جانب الدار ، واستخرج المرأة ، وسلمت إلى أبيها ، ثم أحضر بناءً^(٣)
فسد ذلك النقب^(٤) .

(١) (ك) : « ووردت رسالة الملك العادل إلى الملك العزيز باستدعاء القاضي الفاضل » .

(٢) (س) : « النيسابوري » وهو خطأ واضح .

(٣) الأصل : « نقاباً » ، وما أثبتناه صيغة (ك) وهي أفضل .

(٤) الأصل : « البيت » ، وما هنا صيغة (ك) وهي أفضل .

واتصل ذلك بعبد الكريم ، فاهتاج على قاضى الإسكندرية بسببه ، وعزم على أن يبذل بذلا ، يأخذ منه قضاء الإسكندرية .

فقصد الأمير نحر الدين جهاركس (٢٥ ب) ومعه خمسة وأربعون ألف دينار مصرية ، وقال له : « هذه خمسة آلاف دينار لخزانتك ^(١) ، وهذه أربعون ألف دينار برسم خزانة السلطان ، وأولى قضاء الإسكندرية » .

فأخذ جهاركس المال ، ووعدته بقضاء الشغل ، واجتمع بالملك العزيز ليلا ^(٢) ، وأحضر المال بين يديه ، والملك العزيز حينئذ فى غاية الضرورة إلى بعض ذلك المال ، وقال : « هذه خزانة مال أيتك بها من غير طلب ولا تعب » . فقال : « من أى الجهات ؟ » .

فذكر له الحال .

فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه وقال :

« أعد المال إلى صاحبه ، وقل له : إياك والعود إلى مثليها ، فما كل ملك يكون عادلا ، وعرفه أننى إذا قبلت هذا القدر منه إنما أكون قد بعته ^(٣) [به] أهل الإسكندرية ، وهذا لا أفعله أبداً » .

قال نحر الدين جهاركس : « فلما سمعت ذلك منه وحمته وحمته ظهرت سمته فى وجهى ، فقال لى :

(١) (ك) : « برسم خزانتك » .

(٢) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

(٣) ١٠ بين الحاصرتين زيادة عن (ك) و (س) و (العزيزى : السلوك ، ج ١ ، ص ١٢٧) حيث أورد هذه القصة مع اختلاف يسير فى الألفاظ ، وأغلب الظن أنه كان ينقل فى هذا الموضع عن ابن واصل .

« أراك واجماً ، وأظنك أخذت شيئاً على الوساطة^(١) له ؟ » .

فقلت : « نعم »^(٢) .

فقال : « كم أخذت ؟ » .

فقلت له : « أخذتُ خمسة آلاف دينار » .

فأطرق كإطراقه أولاً ، ثم قال :

« أعطاك ما لا تنتفع به إلا مرة واحدة ، وأنا أعطيك في قباليته ما تنتفع به

مرات عديدة » .

ثم أخذ القلم ، ووقع لي بخط يده بإطلاق جهة^(٣) تعرف بطنبذا^(٤) كنت
أستغلها في السنة سبعة آلاف دينار » .

رحمه الله ورضى عنه .

(١) (س) : « على الرشا ، فلهذا قد وجت » .

(٢) (س) : « فقلت نعم قد أخذت خمسة آلاف دينار » .

(٣) هذان اللفظان غير موجودين في (س) ، هذا وقد رجعت إلى معظم الكتب الجغرافية
لمصر الإسلامية فلم أجد بها بلدة بهذا الاسم ، وأرجح أن يكون الرسم الصحيح لها « طنبشا »
التي ورد ذكرها في : (ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ٨٥) وخاصة أنه ذكر إلى جانبها
أن عبرتها ٧٢٠٠ دينار ، وأنها كانت للمقطعين ، وهذا مبلغ قرب جدا من مقدار ما كانت تغله
على جهار كس ، وهو ٧٠٠٠ دينار .

ذكر تملك

الملك المنصور ناصر الدين محمد^(١)

ابن الملك العزيز الديار المصرية

وخلف الملك العزيز الملك المنصور محمد ، وكان عمره يوم توفى والده تسع سنين وشهوراً .

وكان الغالب على أمر^(٢) الملك العزيز ثغر الدين جبار كس — وهو الحاكم في الدولة — فأحضر رجلاً^(٣) من أصحاب الملك العادل وأراه الملك العزيز ميتاً ، وسيره إلى الملك العادل وهو محاصر ماردین ، يستدعيه إلى البلاد ، فسار القاصد مجداً .

فلما كان بالشام رأى بعض أصحاب الملك الأفضل ، وقال له :

« قل لصاحبك إن أخاه الملك العزيز قد توفى ، وليس في البلاد من يمنعها ، فليسر^(٤) إليها » ، [فأخبر الملك الأفضل بذلك]^(٥) فلم يلتفت الأفضل إلى هذا القول (١٢٦) .

ومضى القاصد إلى الملك العادل فأخبره ، فتوقف ليرد عليه بعد ذلك ما يعتمد عليه .

وكانت الفرقة الأسدية والأكراد محبين للملك الأفضل ، مؤثرين له ؛

(١) ك : (أحمد) وهو خطأ .

(٢) هذا اللفظ ساقط من (ك) و (س) .

(٣) (ك) : « فأحضر رجلاً من أصحاب الملك العادل وأراه الملك العزيز ميتاً ، وسيره إلى الملك العادل » وهو خطأ واضح .

(٤) (س) : « فليسر » .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة عن س (ج ١ ، ص ١٣٧) .

والفرقةُ الصلاحيةُ بالعكس من ذلك ، لما كانوا قدموه من الإساءة إليه ،
وممالةُ الملك العزيز عليه^(١) ، فكانوا مستوحشين^(٢) منه^(٣) .

فاجتمع نحر الدين جهاركس مقدّمُ الصلاحية ، وسيف الدين ياركوج مقدّم
الأسدية ، ليتفقا على من يولى الملك .

فقال نحر الدين : « نولى ابن الملك العزيز » .

فقال سيف الدين : « إنه طفل ، وهذه البلاد ثغر الإسلام ، ولا بد لها من
قيمٍ يجمع العساكر ويقا تل بها ، والرأى أنّا نجعل الملك في هذا الطفل ، ونجعل
معه بعض أولاد الساطان الملك الناصر يدبره إلى أن يكبر ، فإن العساكر
لا تنقاد^(٤) إلا للأمير » .

وكان الملك العزيز أوصى بالملك لولده ، وأن يكون مدبره بهاء الدين
قراقوش الأسدى .

فاتفق نحر الدين [جهاركس] وسيف الدين على هذا الرأى .

فقال نحر الدين : « فَمَنْ نولى ؟ »

فأشار سيف الدين بغير الملك الأفضل لثلاثتهم .

فامتنع نحر الدين من ولايته .

فلم يزل يذكر من أولاد الساطان واحداً بعد واحد إلى أن ذكر
الملك الأفضل .

(١) هذه الجملة ساقطة من (ك) و (س) .

(٢) (ك) : « متوحشين » .

(٣) النص في (س) : « فكانوا مستوحشين من الملك العزيز وخائفين من ابنه أن يشملك » .

(٤) (ك) : « فإن العساكر بانتقاد الأمير » .

فقال نحر الدين : « هو بيد عنا » .

فقال سيف الدين : « نطلبه من صرخد ، ^(١) فيصل إلينا بسرعة ^(٢) » .

فشرع نحر الدين يغلطه .

فقال سيف الدين : « نشاور القاضي الفاضل في ذلك » .

ثم اجتمعا بالقاضي الفاضل ، وعرفاه صورة الحال ، فأشار الملك الأفضل .

هذا ما مظاه عز الدين بن الأثير :

وحكى غيره : أنه لما مات الملك العزيز اتفقت كلمة الأمراء على تنفيذ

ما وصّى به الملك العزيز ، وهو إقامة ابن الملك العزيز في الملك ، وقيام بهاء الدين

قراقوش بأتاكيته ؛ فأجلسوا الملك المنصور في مرتبة أبيه ، وترتب بين يديه

قراقوش ، وحلفت الأمراء كلهم للملك المنصور ، وامتنع عمّاه : الملك المؤيد ،

والملك المعز من الحلف ^(٣) إلا بشرط أن تكون الأتابكية لهما ، وجرت بينهما

منازعة ومشاققة كثيرة ، وأجابا بعد ذلك إلى الحلف ^(٤) ، وحلفا .

ثم وقع الاختلاف بين أمراء الدولة ، (٢٦ ب) فقال قوم منهم : « لا بد

لهذا الملك من رجل فحل مهيّب يدبره ، وقراقوش مضطرب الآراء ، ضيق

العطن ، لا يصلح لهذا الأمر » .

وقال قوم : « نرضى بهذا الخادم ، فإنه أطوع وأساس ^(٥) مقادة ، ولا نحضر

من يستطيل بسطوته ^(٦) وقدرته » .

(١) هذه الجملة سابقة من (ك) .

(٢) س : « من الأيمان » .

(٣) (س) : « وأسوس » .

(٤) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

وقال آخرون : « لا تحفظ هذه الديار إلا بملك مرهوب مخوف ، وإن فيها بقايا من جند المصريين الذين ^(١) انتزعت البلاد من أيديهم قهراً ، ويقصدها أعداء الدين ^(٢) من جهة البحر ، فمتى لم يقم بأمرها ملك قاهر لا تحفظ » .

وطال النزاع بينهم في ذلك ، ففرزوا إلى رأى القاضى الفاضل ، فقال لهم القاضى الفاضل : « إني لا أشير عليكم بعزل أحد ولا ولاية أحد ، لأن ذلك مما لا يوافق بعضكم فاستجلب عداوته ، ^(٣) ولكن اجتمعوا بعضكم ببعض وانخضوا بينكم الرأى ، فإذا رضيتم أمراً فاعرضوه على ، ففعلوا ما أشار به ، وتحاولوا بينهم الآراء ثلاثة أيام ^(٤) ، فاتفقت كتابتهم على مكاتبة الملك الأفضل على أن يقدم البلاد ، ويكون أتابكا لذلك المنصور سبع سنين ، فإذا انتهى هذا الأجل سلم الأمر إليه والتدبير ، ويشترط على الملك الأفضل أن لا يرفع فوق رأسه سنجق ، ولا يذكر اسمه في خطبة ولا سيكة .

ولما اتفقوا على ذلك عرضه على القاضى الفاضل .

فقال : « قد أصبتم الرأى ، واختتم الذى اختاره السلطان الملك الناصر — رحمه الله — لكم ، وهو ألين عريكة ، وأسهل تناولا من غيره » .

فأرسلوا القصاد إلى الملك الأفضل يستدعونه ، فلما وصلتة القُصَادُ توجه إليهم مجدا .

(١) هذه الجملة ساقطة من (ك) .

(٢) هذه الفقرة ساقطة من (ك) .

ذكر قيام الملك الأفضل بآتابكية

ابن أخيه الملك المنصور بن الملك العزيز

وكان مسير الملك الأفضل من صرخد إلى الديار المصرية لليلتين بقيتا من صفر^(١) من هذه السنة^(٢) ، في تسعة عشر نفساً ، متنكراً خوفاً على نفسه من أصحاب الملك العادل .

ولما تقرر أمرُ الإرسال إليه في طلبه ارتأى نحر الدين جباركس في نفسه ، وتحقق أن الملك الأفضل لا يصلح له ، فكاتب فارس الدين ميمون القصرى (٢٧١) صاحب نابلس يشرح له الحال ، ويعلمه أنه غير راضٍ بما جرى ، وأمره أن لا يطيع الملك الأفضل ولا يحلف له ؛ فوقع الملك الأفضل بالقاصد الذى سيّره نحرُ الدين إلى ميمون ، فأخذ منه كتاب نحر الدين فوقف عليه ، ثم قال له : « ارجع فقد قضيت الحاجة » .

وسار الملك الأفضل مجداً وصحبته ذاك القاصد ، وكان الأمراء قد أخرجوا خيمهم إلى بلبس ،^(٣) ونزلوا بها منتظرين وصول الملك الأفضل^(٤) ثم وصل الملك الأفضل بلبس خامس ربيع الأول ، وكان وصوله إليها من صرخد في سبعة أيام .

ولقيه أخوته والأعيان والأمراء ، وعمل له أخوه الملك المؤيد نجم الدين مسعود طعاماً ، وعمل له نحر الدين جباركس طعاماً ، ووطن نفسه على نزول الملك الأفضل عنده ، فنزل الملك الأفضل في خيمة الملك المؤيد ، فشقَّ ذلك

(١) هذه الكلمات ساقطة من (ك) .

(٢) هذه الجملة ساقطة من (ك)

على نحر الدين ، ^(١) وجاء إلى خدمة الملك الأفضل ، فقام إليه وأكرمه وأجلسه قريباً منه .

ثم لما فرغ من طعام أخيه صار إلى خيمة نحر الدين جهاركس فنزل فيها وأكل طعامه ^(٢) ، فحانت من نحر الدين التفاتة ، فرأى قاصده الذي كان أرسله إلى ميمون القصرى ، فدهش ^(٣) لذلك وأسقط في يده ^(٤) ، واستوحش باطنه لعله بوقوف الملك الأفضل على سوء نيته ومقصده ، فاستأذن الملك الأفضل في التوجه إلى العرب المختلفين بمصر ^(٥) للإصلاح بينهم ، فأذن له .

فخرج ، واجتمع ^(٦) بزين الدين قراجا ، وأسد الدين سرا سنقر ، واتفق معهما على مفارقة الملك الأفضل ، وأعلمهما أنه لا ينصاح لهما ، فوافقاه على ذلك ، ^(٧) وسارا مجدا إلى القدس ، واتبعاه ، فوجدوا شجاع الدين طغرل السلحدار متوجها إلى مصر ، فردوه معهم ، وقدموا القدس ، واستألوا ختاي العزى وإليه ، فقال إليهم واستألوا عز الدين أسامة ، وميمون القصرى ، فقدموا عليهم ^(٨) ، ومع ميمون سبعمائة فارس منتخبة .

ثم اتفقت كلمتهم على مكاتبة الملك العادل يستدعونه ^(٩) ليقوم بأتابكية الملك المنصور ^(١٠) ، وورد جوابه إليهم : أن لا يفارقوا مكانهم حتى يفرغ من ماردن ، ويصل إليهم .

(١) هذه الفقرة ساقطة من (ك)

(٢) هذه الجملة ساقطة من (ك)

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ك)

(٤) (ك) : « نحر » واجتمع .

(٥) النص في (ك) مختلف ، وصيغته : « وساروا مجدين إلى القدس ، واستألوا صارم

الدين فليج ، ووجدوا شجاع الدين طغرل السلحدار متوجها إلى مصر ، فردوه معهم ، واستألوا

عز الدين أسامة وميمون القصرى ، ومع ميمون .. الخ .

(٦) هذه الجملة ساقطة من (ك)

ثم سار الملك الأفضل (٢٧ ب) من بلبس إلى القاهرة ، وكان الملك المنصور قد خرج إلى لقائه ، فترجل له الملك الأفضل ، ودخل^(١) بين يديه إلى دار الوزارة ، وهي كانت مقر السلطنة .

وكتب الملك الأفضل إلى عمه الملك العادل بأنه غير خارج عن الذى يأمره به ، وأنه تحت حكمه ،^(٢) ويستطلع أوامره ونواهيته^(٣) فيما يعتمده ، فورد جوابه عليه بأن الملك العزيز^(٤) إن كان قد مات عن غير وصية فليكتب الأعيان خطوطهم له بذلك وشهادتهم له ، حتى يرى رأيه ؛ وإن كان قد مات عن وصية فلا يعدل عنها ، ولا ينبغي له التعرض إلى ديار مصر^(٥) .

ذكر مسير

الملك الأفضل إلى دمشق

وعزم الملك الأفضل على قبض من بقى عنده من الأمراء الصلاحية ، فهرب بهرام الرومى ، وبهرام القاجى ، ونفر الدين الحجاج^(١) وجماعة من المغاردة^(٢) لما علموا ذلك ولحقوا بالقدس .

(١) هذا اللفظ ساقط من (ك)

(٢) هذه الجملة ساقطة من (ك)

(٣) النص فى (ك) مختلف عما هنا ، وصيغته : « إن مات عن غير وصية فليكتب الأعيان خطوطهم ، وإن مات عن وصية فلا يعدلوا عنه ، ولا ينبغي له التعرض إلى مصر » .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى (ك) : « نفر الدين الحجاب » ، وفى (س) (ص ١١٣٩) : « نفر الدين الكفداني » ، ولم أستطع ترجيح إحدى القراءات إذا لم يرد لهذا القائل ذكر فى المراجع الأخرى التى أرخت لهذا العصر .

(٥) هذا نص له أهمية قصوى لمن يدرس تاريخ الجيش فى العصر الأيوبي والمملوك ، فهو يدل على أن لفظ « المغاردة » استعمال فى الجيش الأيوبي منذ بدايته ، و« المغاردة » (جمع مفردى) نوع من عساكر الجيش فى ذلك العصر ، وأغلب الظن أنهم كانوا أحرارا ولم يكونوا من المماليك ؛ ففى كتاب السلوك للمقرئى مثلا نصوص مختلفة ذكرت المغاردة على أنهم عنصر آخر غير المماليك =

وقبض الملك الأفضل على من بقى^(١)، منهم علاء الدين شقير، وعز الدين البكي^(٢) الفارس، وأبيك فطيس.

وبرز الملك الأفضل إلى بركة الجب^(٣)، وأقام بها أربعة أشهر، واستحلف بها الأمراء والجند.

وبلغه عن أخيه الملك المؤيد [مسعود]^(٤) أنه يريد الوثوب عليه^(٥)، فقبض عليه^(٦)، واعتقله، وأرسل الملك الظاهر موفق الدين بن النخاس إلى الملك الأفضل يحرضه على سرعة السير إلى دمشق، واغتنام الفرصة في أخذها.

فلما مرَّ موفق الدين بالقدس قبض عليه الصلاحية وأهانوه، ثم استخلصه منهم ميمون القصرى، وردّه إلى حلب، فأرسل الملك الظاهر وزيره نظام الدين الكاتب، وحمّله رسالة إلى الصلاحية بالقدس، يعرفهم أنه إنما أرسل إلى أخيه في إصلاح ذات البين، وحمّله رسالة في الباطن إلى الملك الأفضل يستحثه فيها على الخروج، وأمر نظام الدين أن لا يفارقه حتى يخرج.

== منها على سبيل المثال : د جمعت الأمراء والمفاردة وغيرهم ، وقرئت عليهم الكتب ، (السلوك ٤٨٠/١) ، و د خلع (السلطان على الأمراء والمفاردة والمقدمين وجميع حاشيته وغلماؤه ، (السلوك ٤٩٣/١) و د وأعطى الأجناد والمفاردة من الحلقة والمقدمين والبحرية ، (٥٠٧/١) و د وخلعه لكل مفردى أو مملوك أو جندى (السلوك ، ٩٢٢/١) . . إلخ وأغاب الظن كذلك أنهم سموا بهذا الاسم لتبعية المباشرة لديوان المفرد ، وكانت تخرج منه نفقة المالك من جاكيات وعلاق وكسوة إلخ

(١) النص في (ك) وهربوا إلى القدس ، وبقى منهم علاء الدين . . إلخ
(٢) (ك) : عز الدين أبيك ، وما بالمتن هو الصحيح ، فهكذا رسم الاسم في (ابن الأثير الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٥ و (المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ١٤٨)
(٣) (ك) : د بركة الحبش ، وهو خطأ واضح ، أنظر مافات هنا ، ص
(٤) زيد مأين الحاصرتين عن (المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ١٤٨) حيث ينقل من مفرج الكروب .

(٥) (ك) : د إليه ،

(٦) هذان اللفظان ساقطان من (ك)

فاجتمع نظام الدين مع الصلاحية وخدمهم حتى مكنوه من الذهاب إلى مصر^(١) ، [ورجع نظام الدين إلى حلب ، فوصل موفق الدين إلى عند الملك الأفضل ، وأخبره بما قال الملك الظاهر]^(٢) .

ثم رحل الملك الأفضل من البركة ثالث رجب سائرا إلى دمشق ، وكاتب الصلاحية الملك العادل يخبرونه بقصد الملك الأفضل دمشق .

ذكر وصول

الملك الأفضل إلى دمشق ومنازلته لها

ورتب الملك العادل ولده الملك الكامل ناصر الدين عمدا على حصار قلعة ماردين ، وسار في مائتي فارس إلى دمشق مجدداً ، ودخلها في ثمانية أنفس ، وتبعه الباقون ، ومن جعلتهم بدر الدين دلدزم الياروقى ، وعن الدين بن المقدم ، وحسام الدين — صاحب عين تاب — ، وكان دخوله إليها قبل منازلة الملك الأفضل لها بيومين .

ونزل الملك الأفضل على جسر الخشب ثالث عشر شعبان ، وزحف من الغد إلى البلد ، وجرى قتال عظيم ، ثم تقدم الملك الأفضل إلى الشرفين^(٣) والميدان الأخضر ، وضرب دهلوزه به .

(١) هذه الفقرة ساقطة من (ك) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن س .

(٣) (س) : « الباب الشرقى » .

ذكر هجوم

بعض العسكر دمشق ثم خروجهم عنها مقهورين

وتقدم مجد الدين أخو الفقيه عيسى المكارى فى جمع [قليل]^(١) من العسكر قليل ، فهجموا دمشق من باب السلامة^(٢) ، بموافقة أمير يقال له شجاع [الدين]^(٣) يونس من الأكراد فدخلوا دمشق واخترقوها ، ووصلوا إلى باب جيرون وباب البريد^(٤) ، وشرب بعضهم الفقاع فى المدينة ، فكاد العسكر الذى بها يستسلم ، ونزلوا عن الأسوار .

وصاح مجد الدين : « يا أفضل يا منصور » ، وصاحت^(٥) معهم العامة . لميلهم كان إلى الملك الأفضل^(٦) ، ولم يتصل بهم مدد من خلفهم ، وطمع الجند^(٧) الذين فى البلد فيهم فطاردهم ، وخافوا لما رأوا أنه لا مدد لهم من ورائهم ، فطلبوا باب القرايس ، وكسروا أقفاله ، وخرجوا منه .

وخرج الملك العادل من القلعة طالباً باب السلامة ، فوجد ابن أخيه الملك الظافر قد قصده ، ودخل منه جماعة ، فحمل عليهم الملك العادل ، ومعه بدر الدين دلدريم الياروقى ، وعز الدين بن المقدم ، وجماعة يناهزون سبعين فارساً ، فأخرجوهم

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك)

(٢) سمي بهذا الاسم تفاؤلاً ، لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار راجع : (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة — تاريخ مدينة دمشق — ، ص ٣٥)

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك)

(٤) للتعريف بهذين البابين أنظر المرجع السابق .

(٥) صيغة (ك) : « وصاحت العامة مثلهم »

(٦) (ك) : « الخيل »

من البلد^(١)؛ ثم أمر الملك العادل بغلقه^(٢) وحفظه على سائر الأبواب^(٣)، ورتب على كل منها^(٤) جماعة .

وقفز إلى البلد [الأمير]^(٥) رأس السكبش ، وسنقر العزيزي^(٦) ، وغيرها (٢٨ ب) نفع الملك العادل عليهم وأحسن إليهم .

ذكر تأخر

الملك الأفضل إلى ذيل عقبة الكسوة

ثم قفز من عسكر الملك الأفضل [إلى دمشق]^(٧) طغرل المهراني ، ومعه قطعة من العسكر ، فقويت نفس الملك العادل بذلك ، وكاتب علم الدين كرجي ، وعز الدين درباس المهراني ، ^(٧) وذكرهما ما كان بينه وبينهما من الصحبة ، وقال لهما : « إن بني أخي لو ظفروا بي أهانوني ، وكسروا ناموسي ، وأنا مقصودي أن أذهب بمالي وأهلي وحرمي إلى الشرق وأترك لهم مصر والشام ، فتساعدوني بتفنيده الملك الأفضل عن الحرب ، وتوقفونه عنه ، فيحصل غرضي وغرضهم ، وتحصلون أتم على الأجر » ؛ وبعث لهما مالا جزيلا .

(١) (ك) : « الباب » .

(٢) هذه الجملة ساقطة من (ك)

(٣) (ك) « على كل باب منها » .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٥) (س) : « وسيف الدين العزيزي » .

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٧) النص في (ك) مختلف كثيراً عما هنا ، وهو : « وسبّر إلى علم الدين كرجي وعز الدين درباس المهراني شيء (كذا) من المال وقال : اشتبه منكم نفقندوا ابن أخي عن الحرب ، فن غرضي أتوجه إلى الشرق ، وأخلي لهم الشام ومصر ، فأشاروا على الأفضل بالتأني ، فكاتب الملك العادل أمراء العسكر بالرغبة والرغبة ، فدخل إلى دمشق - الخ » .

(٧) مفرج الكرب

فأشارا على الملك الأفضل بالتوقف ، وأن ينتظر قدوم الملك الظاهر ، فيقع الاتفاق معه على المصلحة ، فتوقف الملك الأفضل مدة .

وشرع الملك العادل في تلك المدة يكتب أمراء العسكر بالرغبة والرغبة وبذل المال ، فدخل دمشق جماعة من الأمراء منهم : سيف الدين علي بن مهران ، ونحر الدين إياس البانياسي ، وحسام الدين عيسى بن خوشترين ، ^(١) وأخوه سيف الدين ، وسابق الدين ميثقال الجدار ، وجماعة من المفاردة ؛ وبذل لهم الملك العادل العطاء ، واستدان جملة من أموال التجار ، وأنفقها في المقربين إليه ، فتواصلوا إليه .

وعلم الملك الأفضل انتقاض أمره ، فتأخر إلى ذيل عقبة الكسوة ^(٢) .

ذكر وصول

الملك الظاهر ^(٣) إلى ظاهر دمشق

نجدة لأخيه الملك الأفضل

ورحل الملك الظاهر من حاب ^(٤) متوجهاً إلى إنجاد أخيه الملك الأفضل ^(٥) ، ولما وصل إلى حماة اجتمع به صاحبها الملك المنصور ، وكان قد وافقه وحلف له ، فبعث معه شطراً من عسكره ، واستأذنه في قصد بعين ، وأخذها من عز الدين ابن المقدم ، فأذن له في ذلك .

(١) صيغة (ك) مختلفة عما هنا ، ونصها : وأخوه سابق الدين ، واستدان جملة من أموال التجار ، وبذل لهم الأموال ، فلما رأى الملك الأفضل ذلك تأخر إلى ذيل العقبة ،

(٢) هذه الكلمات ساقطة من (ك) .

(٣) هذه الجملة ساقطة من (ك)

ولما وصل الملك الظاهر إلى (١٢٩) حمص خرج إلى خدمته صاحبها الملك المجاهد أسد الدين ، وتوجه معه بعسكره^(١) .

^(٢) ولما قدم الملك الظاهر إلى معسكر أخيه الملك الأفضل قوى قلبه به ، ونزل في ميمنة العسكر^(٣) .

ذكر تقدم

الملكين^(٢) الأفضل والظاهر

إلى دمشق ومضايقتهما لها^(٣)

^(٤) ثم تقدم الملك الأفضل والملك الظاهر إلى دمشق ، ونزلا فوق مسجد القدم ، وأخذوا في الحرب والقتال ، وقتل الأقوات بدمشق ، وطال على أهلها مدة الحصار^(٥) .

وكان الملك العادل قد بعث إلى الأمراء الصلاحية المقيمين بالقدس يستدعيهم إليه ، فأقبلوا متوجهين إليه ، ولما علم ذلك الملك الأفضل جرّد عسكرا ، وقدم عليهم الملك المجاهد — صاحب حمص — ليحولوا بين الصلاحية ودخول دمشق^(٥) ، ثم أردفهم بجماعة من الأسدية وعسكر حلب .

فقدمت الصلاحية إلى دمشق من غير الطريق التي توجه الملك المجاهد إليها ،

(١) النص في (ك) : « مجهز معه شطر عسكره (كذا) » ، ولما قدم الملك الظاهر إلى أخيه

وكان قد شاوره صاحب حماة على حصار بمرين وأخذها من ابن المقدم ،

(٢) الصيغة في (ك) : « ولما وصل الملك الظاهر إلى الأفضل قوى قلبه به » .

(٣) هذا الجزء من العنوان غير موجود في (ك)

(٤) الصيغة في (ك) مختلفة عما هنا ، ونصها : « ثم تقدم الملك الأفضل والملك الظاهر

وباشرا القتال ، وضايقا دمشق ، وقتل الأقوات على أهلها »

(٥) النص في (س) : « لينموا الصلاحية من دخول دمشق » .

ودخلوا من جهة عقبة مدره ، واستقروا بدمشق سالمين ، فقوى بهم الملك العادل .
ثم جرّد الملكُ الأفضلُ شجاعَ الدين جوهر الخادم ليقصد الغور وما يليه ،
ويحمل الغلال إلى المعسكر ، فسير الملكُ العادلُ عزَّ الدين أسامة ، والجحّاف إلى مقاتلة
جوهر ، وكان ميمون القصرى بنابلس ، فالتقى بعسكر الملك العادل بظهر حمار ،
وانضاف إليهم ، ولقوا جوهرًا وقتلوه ، فأصاب جوهرًا سبعمِ غريبٍ كانت فيه منيته ،
ووليّ أصحابه مدبرين .

فعظم على الملك الأفضل ، ومضى العسكر العادل إلى القدس ، وأخذوا
في قطع الميرة الواصلة من مصر إلى عسكر الملك الأفضل ، فتضرروا بذلك [غاية
الضرر]^(١) ، واشتدت مضايقة الملكين الأفضل والظاهر لدمشق ، وقتلت الأقوات
عند^(٢) الملك العادل فجعل يستقرض من التجار ويحيلهم على قلعة جعبر ، وكانت
فيها أمواله ،^(٣) وتخرّق في العطاء جداً لكنه أنس من الأجناد فشلا وضجراً^(٤) ،
ونال أهل دمشق من الغلاء ما تمنوا معه الموت .

(٢٩ ب) وزحف الملكُ الظاهرُ يوماً إلى البلد ، ووصل الحلبيون النقبابون
إلى السور ونقبود ، وما بقي لهم مانع دون البلد .

وعاد الملك الظاهر [عند انصرام النهار إلى مخيمه وهو]^(٥) على عزم
المباكرة والزحف .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) الأصل : د على ، ، والتمحيص عن (س)

(٣) مكان هذه الجملة في (س) : « وطلبوا منه العسكر نفقة فلم يجد شيئاً بمطيم ،
فمنذ ذلك فشلوا عن القتال وضجروا ، فلما علم الملك العادل ذلك أيقن بذهاب دمشق منه ،

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س)

وعزم الملك العادل على تسليم البلد لولا ما حدث من الاختلاف بين الملكين
على ما سذكروه إن شاء الله تعالى .

وخرجت هذه السنة والبلد محاصر مضائق^(١) .

ذكر استيلاء

الملك المنصور صاحب حماة على بقرين

^(٢) وفي شهر رمضان من هذه السنة قصد الملك المنصور — صاحب حماة —

بقرين ، وبها نواب عز الدين إبراهيم بن المقدم ، وبعض جنده ، وضايقها مضايقة
شديدة ، وجد في الزحف على قلعتها ، ونصب عليها المجانيق ، وحصلت له جراحة
حال الزحف ، ثم فتحها في التاسع والعشرين من ذي القعدة^(٣) .

وبعث إلى الملكين الأفضل والظاهر يبشرهما بذلك ، فسُرَّا به كثيراً ،
وأمرافضرت البشائر في معسكريهما .

^(٤) وأقام الملك المنصور بها مداوياً لجراحته ، وعيّد عيد الأضحى بها ، وأصلح
ما تهدم من سورها^(٥) .

(١) اختلاف واضح جدا بين النسخين ، نسخة الأصل ونسخة كامبردج ، ويبدو أن نسخة
كامبردج هي النسخة الأولى التي كتبها المؤلف ، ولكنه أعاد النظر فيها بعد ذلك ، فعدّل في النص
كثيراً وأضاف إليه ، والنسخة المعدلة هي نسخة استانبول التي اعتمدها أصلاً نشرها ،
وخير مثال يؤكد ما ذكرناه أن هذه السطور وتبلغ صفحة في الأصل يقابلها في نسخة (ك) سطور
قليلة هذا نصها : ، وأن العادل أرسل إلى الأمراء الصلاحية الذين في القدس يستدعيهم ، فلم
الأفضل بذلك ، فجرد إليهم عسكراً ، فالتقوا في الطريق ، فوصلوا إلى دمشق سالمين ، وزحف
الملك الظاهر يوماً إلى البلد ، ووصل النقايون إليه ، ولم يبق إلا أخذها ، لولا ما حدث من الاختلاف
بين الملكين على ما سذكروه .

(٢) الصيغة في (ك) مختلفة ، ونصها : ، فإن الملك المنصور كما ذكرنا أخذ إذن الملك
الظاهر وضايقها ، ونصب عليها المجانيق ، ثم فتحها في التاسع والعشرين من ذي القعدة .

(٣) هذه الفقرة ساقطة من (ك)

ذكر رحيل

الملك الكامل بن الملك العادل

عن ماردین

وكانت رسل الملك الأفضل قد جاءت إلى نور الدين أرسلات بن مسعود — صاحب الموصل — تطلب منه موافقته^(١) على الملك العادل، فأجابه إلى ذلك، وصالح ابن عمه قطب الدين بن عماد الدين — صاحب سنجار — ، واتفقا على إنجاد صاحب ماردین على الملك الكامل .

ثم سار نور الدين وقطب الدين يعساكر الموصل وسنجار والجزيرة ، وتزلوا أسفل جبل ماردین .

وشرع نور الدين في جمع الرجال ليزحف إلى الرَبَض ، وبه الملك الكامل ، ويساعدهم عليه أهل القلعة من فوق .

ولو أقام الملك الكامل في الرَبَض لما تمكن عسكر الموصل منه ، وكان قد تمكن تمكنا شديداً ، وضاق خناق أهل القلعة حتى لم يبق إلا تسليمها إليه .

فاتفق أن الملك الكامل نزل إلى الوطا ، ولم يكن [ذلك]^(٢) رأياً ، ف وقعت الحرب بين الملك الكامل والمواسلة ، وكانوا أكثر منه جمعاً ، (١٣٠) فلم يثبت لهم ، وانتهزم مضعداً إلى الجبل ، وأسر من أصحابه جماعة ، ثم أطلقهم نور الدين ؛ فرحل الملك الكامل ليلاً إلى ميثاقارين ، ثم منها إلى حرّان .

(١) (٥) : د نجدة

(٢) ماين الخاصرتين عن (س)

وفي هذه السنة توفي مجاهد الدين قايمارز^(١) نائب المملكة بالموصل ، وكان ديناً عادلاً ، وهو الذي يُنسب إليه الجامع المجاهدي^(٢) بظاهر الموصل^(٣) .

(١) أبو منصور مجاهد الدين قايمارز بن عبدالله الزينى من أهل سجستان ، اشتراه زين الدين والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل وقدمه في دولته حتى صار صاحب الأمر فيها وانتقل في سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) إلى الموصل وتولى دزدارية قلاتها وصار من أرباب الدولة الذين يعتمد عليهم في أمورها . أظن : (سعيد الديوه جي : الموصل في العهد الأتابكي ، ص ١٣١ و (ياسين بن خيرالله الخطيب العمري : منية الأدباء في تاريخ الموصل الخديباء ، نشر سعيد الديوه جي ص ٦٣ — ٦٥ ، ٦٧ ، ٩٩)

(٢) كان مجاهد الدين قايمارز من الحكام البنائين المحيين لأمران ، وقد أقام في الموصل منشآت دينية وعلمية وخيرية كثيرة ، منها : الجامع والمارستان والجسر ، والرباط ، ومكتب الأيتام ، والمدرسة ، وكلها تنسب إليه وتسمى باسمه ، فيقال الجامع المجاهدي ، والمدرسة المجاهدية والرباط المجاهدي . . الخ

وقد بديء في بناء الجامع المجاهدي في سنة ٥٧٢ هـ ، وبأشر البناء مهرة البنائين والفنانين وصرفت عليه مبالغ طائلة ، وأقيمت فيه صلاة الجمعة في سنة ٥٧٥ هـ قبل أن تكمل عمارة مرافقة ، وتم بناؤه في سنة ٥٧٦ هـ وقد زين الجامع بزخارف وكتابات جميلة بعضها بالجبس ، والبعض الآخر بالآجر وبالمرمر المطعم بالصدف .

وقد زار الرحالة المعروف ابن جبير مدينة الموصل في سنة ٥٨٠ هـ وصلى في هذا الجامع ، ووصفه وصفار ثما ، قال : « وأحدث فيه بعض أمراء البلدة — وكان يعرف بمجاهد الدين — جامعاً على شط دجلة مأزى وضع جامع أحفل منه بناء ، يقصر الوصف عنه ، وعن تزيينه وترتيبه ، وكل ذلك في نقش الآجر ، وأما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ، ويطيف به شبابيك حديد تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد أشرف منها ولا أحسن . . الخ ،

والجامع لا يزال موجوداً حتى اليوم ويعرف بجامع الخضراء أو الجامع الأحمر ، ولكنه أصغر حجماً مما كان عليه يوم بنى ، وأجل ما بقى منه محراب من العصر الأتابكي في أعلاه زخارف من الجبس فريدة في نوعها ، فهي تتألف من زخارف نباتية تتخللها صور حيوانات كالأسد والفيل وطيور أليفة كالبط والحمام ، متداخلة تدخل كلياً مع غيرها من الزخارف بصورة متناظرة بحيث تكون الصور متممة للزخارف النباتية ويصعب على الناظر تمييز ما فيها لأول وهلة . أظن : (سعيد الديوه جي : الجامع المجاهدي في مختلف القصور ، مجلة سومر ، ١١/ ١٧٧ — ١٨٧) و (نفس المؤلف : الموصل في العهد الأتابكي ، ص ١٣١ — ١٣٣)

(٣) النص في (ك) موجز ومختلف عما هنا ، وهو : « فصالح ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار ، واتفقا على إخراج صاحب مارددين ، ورحلوا وساروا ، ونزلوا سفح جبل مارددين وكان الملك الكامل قد ضيق على أهل مارددين ف وقعت الحرب بينه وبين الموصل ، فلم يثبت لهم وانهمز وأسر من أصحابه جماعة فأطلقهم نور الدين . . »

ودخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة

والمكان الأفضل والظاهر محاصران لمدينة دمشق مضائقان لها .

ذكر وصول

الملك الكامل بن الملك العادل

إلى دمشق

لما اشتد الحصار على الملك العادل بدمشق^(١) ، وغلبت الأقوات ، وقلَّ ما بيده ، فارقه جماعة من أصحابه وخرجوا إلى الملك الأفضل . منهم شمس الدين الذكر^(٢) . الكبير العادلي^(٣) ، ونحضر الدين البانياس ، وقاسم الدين ، وجميع أصحاب صارم الدين قايمار النجمي .

فاجتمع عند ذلك^(٤) جماعة من الصلاحية وغيرهم^(٥) من أكابر الأمراء عند الملك العادل ، وقالوا : « الساطحان يعلم أنه لا مال عنده بدمشق ، والأجناد والعامّة لا يقاتلون إلا بالمال ، والأموال التي لك بالكرك وقاعة جعبر لا وصلة

(١) هذا العنوان غير موجود في (س) .

(٢) في الأصل و (ك) : « الذكر » ، والتصحيح عن (س) (ج ١ ، ص ٤١ ب)

(٣) عند هذا اللفظ ينقطع النص في نسخة (س) ، وبذلك تنفك المقابلة .

(٤) (ك) : « عنده »

(٥) الصيغة في (ك) مختلفة عما هنا كثيرا ومضطربة ، ونصها : « من الأمراء ، وقالوا : السلطان الملك العادل نعلم أن لأمال له بدمشق ، والأموال بالكرك ، ولا وصول إليها ، فخصروا بين يدي الملك العادل باقي أمراء ، وقالوا : إن المصلحة تستدعي ولدي الملك الكامل من الشرق بمن معه من العسكر ، ويستصحب معه من الأموال ما تتقووا به والإتيانك وتملك وتذهب أنفسنا مع أولاد أخيك ، فأجابهم إلى ذلك ، وكتب إلى ولده الملك ، الكامل يصل بمن معه من العسكر ويضرر معه الملك من قلعة جعبر ما يقوى به العسكر .

لك إليها ، ونحن فقد هلكنا وضاق الأمر علينا ، وقد بقي رأى واحد ، إن أجبت إليه كانت فيه المصلحة ، وإلا فاعلم أن دمشق تخرج من يدك ، وتذهب أنفسنا مع الملوك أولاد أخيك ، وهو أن تستدعى ولذك الملك الكامل من الشرق بجميع من معه من العسكر ، ويستصحب معه من الأموال ما تقوى به » .

فأجابهم إلى ذلك ، وكتب إلى ولده الملك الكامل ليصل بمن بقي معه من العسكر ، ومعه من المال ما يتقوى به الجند .

وكتب إلى النائب بقلعة جعبر أن يسلم إلى الملك الكامل ما يستدعيه منه . فسار الملك الكامل في العسكر الذي معه ، ونزل بقلعة جعبر ، واستدعى من النائب بها أربعمائة ألف دينار ، وسار مجدداً إلى دمشق ، ولما سمع الملك الكامل الأفضل والظاهر بقدومه أخذوا في التحيّل للقائه ، وصدّه عن دمشق ، ووقع اتفاقهما على أن ينفذا (٣٠ ب) الملك المجاهد — صاحب حمص — ويكتبوا إلى الملك المنصور — صاحب حماة — ليتوجه معه إلى لقائه .

« فشرعوا في كتب الكتب إلى الملك المنصور في ذلك ^(١) ، وعينوا جماعة

من عسكر مصر يسرون معهما .

ثم قال الملك الظاهر :

« أنا أسير بنفس وألقاد » .

فقال له الملك الأفضل :

« إن رحلت لا تقوى نفسى على التقدم بعدك ^(٢) ساعة واحدة » .

فوقعت الفترة عن قصده ^(١) وصدّه .

ووصل الملك الكامل ^(٢) بمن معه من العسكر وما معه من المال سالماً ^(٣) ،

فقويت نفس أبيه به قوة عظيمة ، وأيقن بظهور أمره واستيلائه .

(١) هذه الفقرة ساقطة من (ك) .

(٢) (ك) : « ووصل الملك الكامل بالمال والعسكر » .

ذكر وقوع

الخلف بين الملكين : الأفضل والظاهر

ولما استقر الملك الكامل وعسكره عند أبيه ظهر الوهن في عسكر الملك الأفضل ، ^(١) وكثرت الخامرة والنفاق فيه ^(٢) ، وانحلت بذلك العزائم ، ووقع من المفاصد القبيحة أن الملك الظاهر كان له مملوك خاص يؤثره ^(٣) ويميل إليه جداً ^(٤) ، يقال له أيبك ، فقد في عسكره ، ^(٥) فاعتم الملك الظاهر لفقده وعظم عليه ذهابه ^(٦) ، وظن أنه دخل إلى دمشق ، فأنفذ إلى دمشق من يكشف خبره منها ، واطلع الملك العادل على هذه الواقعة ، فأرسل إلى الملك الظاهر يقول له :

« إن محمود بن الشكري أفسد غلامك ، وحمله إلى أخيك الأفضل » .

فقبض الملك الظاهر على ابن الشكري ^(٧) ، فظهر ^(٨) المملوك عنده ، فنفر قلب الملك الظاهر من أخيه الملك الأفضل ، وامتنع ^(٩) من لقائه مدة ، وتقاعد ^(١٠) عن الحرب .

(١) (ك) : د وكثرت الخامرين ،

(٢) (ك) : د ويجه جبا شديداً ،

(٣) هذه الفقرة ساقطة من (ك)

(٤) (ك) : د الشكري ،

(٥) (ك) د فظلم ،

(٦) هذه الجملة ساقطة من (ك)

ذكر تأخر

العسكر إلى رأس الماء ثم تفرقهم

ولما وقعت النفرة عند الملك الظاهر من أخيه ، واشتد البرد ، وكثرت الأمطار ، رحل الملكان : ^(١) "الأفضل والظاهر" إلى سطح الكسوة ، وعزم الملك الأفضل على المقام ^(٢) هناك ، ثم تغير ^(٣) هذا العزم ، فرحل هو والظاهر إلى مرج الصفر ، فأقاما به إلى أواخر صفر من هذه السنة ، ثم سارا إلى رأس الماء ، وعزما على المقام به إلى أن يتسلخ الشتاء ، فاشتد البرد وتواترت الأمطار ، ^(١٣١) وغلت الأسعار جداً ، فاجتمع الملك الأفضل بأخيه الملك الظاهر ، ووقع اتفاقهما على الرحيل ، وتأخير حصار دمشق إلى وقت انصرام الشتاء ، ودخول الربيع ، ووافقهما الأمراء على ذلك ، فسار الملك الظاهر على القريتين ، وسار الملك الأفضل قاصداً ديار مصر ، وأحرقوا عند رحيلهم ما لم يتمكنوا من حمله من الأثقال والخيم والغلات ^(٤) ، وأحرق الملك الأفضل خيمة أهداها له الملك الظاهر كانت ^(٥) ثلاثين حملاً ، وهلك للملك الظاهر جماعة من مماليكه ، ونفقت له دواب كثيرة بسبب فرط البرد ^(٦) وعدم الأقوات والعلوفات ، ووصل إلى حلب سادس شهر ربيع الأول .

(١) هاتان الكلمتان ساقطتان من (ك) .

(٢) (ك) : أن يقيم .

(٣) (ك) : ثم اتنى العزم .

(٤) مكان هذه الفقرة في (ك) : واجتمع الأفضل بأخيه ، ووقع اتفاقهما على الرحيل ، وسار الملك الظاهر على القريتين ، وسار الأفضل قاصداً ديار مصر ، وأحرقوا من الأثقال ما لم يتمكنوا من حمله ، والفرق بين النسختين واضح ، وفيه دليل كاف على أفضلية نسخته الأصل على نسخة (ك) .

(٥) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

(٦) (ك) : : لشدة البرد ، ووصل إلى حلب .

ولما وصل الملك الأفضل إلى أوائل الديار المصرية فارقه معظمُ العسكر ،
وتفرقوا في البلاد لإخراج دوابهم إلى الربيع ، ودخل الملك الأفضل إلى القاهرة
في جمع قليل .

ذكر "مسير

الملك العادل إلى الديار المصرية

وكان للملك العادل وهو محصور يهيء القربَ والبسائط وكل ما يحتاج إليه
لدخول الرمل ، فلم الناس من ذلك أنه كان مباطنا لبعض العسكر المصري ،
وتحققوا أنه يملك مصر .

وسافر الملك الأفضل راجعاً إلى مصر رحل الملك العادل من دمشق
ومعه الأمراء الصلاحية ، وردَّ ابنه الملك الكامل في عسكره إلى الشرق .
ومضى الملك العادل يطوى المراحل إلى أن دخل الرمل .

وبلغ الملك الأفضل ذلك ، فرام جمعَ عساكره ، فتعذر ذلك عليه لتفرقهم
في أخبازهم^(٢) ، وتشتتهم في الأماكن التي يربعون فيها خيابهم ، فخرج في جمع
قليل ، ونزل السائح .

ووصل الملك العادل ، وضرب معه مصافاً ، فانكسر عسكر الملك الأفضل
وولوا منهزمين لا يلوون على شيء ، وكان فيهم جماعة مخاسرون مع الملك العادل .

(١) قبل هذا اللفظ في نسخة (ك) توجد البسطة بخط كبير في أول الصفحة ويليه " رب
يسر وأمن " ، ويبدو أن كاتب هذه النسخة كان يريد أن يقسم الكتاب إلى أجزاء ، فجعل
الجزء الثاني يبدأ بعسر الملك العادل إلى مصر وعسكره لها ، ولهذا بدأ هذا الجزء بالبسطة في صفحة
جديدة ، أما نسخة الأصل فالحواش فيها متصلة غير منتظمة أو مجزأة

(٢) الخبز (ج : أخباز) بمعنى الإطعام

ذكر منازلة

الملك العادل القاهرة وتسليه لها^(١)

وقيامه بأتابكية الملك المنصور بن الملك العزيز

ثم سار الملك العادل بالعساكر ، ونزل بركة الجب ، وسير إلى الملك
الأفضل (٣١ ب) يقول له :

« أنا لا أحب أن أكسر ناموس القاهرة ، لأنها أعظم معقل الإسلام ،
ولا تحوجني إلى أخذها بالسيف ، واذهب إلى صرخد وأنت آمن على نفسك »^(٢).

فاستشار الملك الأفضل الأمراء ، فرأى منهم تحاذلا ، فأرسل إلى عمه يطلب
منه أن يعوّضه عن الديار المصرية [بالشام]^(٣) ، فامتنع من ذلك ، فطلب أن يعوّضه
حران والرّثا فامتنع ، فطلب منه جاني وجبل جور ، وميّا فارقين ، وسميساط ،
فأجابه إلى ذلك ، وتسلم القاهرة منه .

وكانت مدة مقام الملك العادل بالبركة ثمانية أيام .

ودخل القاهرة في الحادى والعشرين من ربيع الآخر .

• وتوفى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اليسانى — رحمه الله —

في سابع عشر ربيع الآخر ، وهو اليوم الذى خرج فيه الملك الأفضل من القاهرة .

(١) (ك) : د إياها ،

(٢) لاحظ هو التمييز ودلالته التاريخية ، فكذا كانت مصر وكانت مكاتها على طول

عصور التاريخ الإسلامى

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) ب ٨٣ ؛

وذكر عز الدين بن الأثير :

أنه توفي في الليلة التي دخل فيها الملك الأفضل إلى القاهرة بعد انهزامه من
السائح ، وصلى على القاضي الفاضل — رحمه الله —

وكان مولد القاضي الفاضل على ما بلغني سنة ست وعشرين وخمسة ،
فكان عمره نحو سبعين سنة ، ولقد خُتِمَ به صناعة الإنشاء .

ثم سافر الملك الأفضل إلى صَرْخَد بعد اجتماعه بعمه الملك العادل .

ذكر استقلال^(١)

الملك العادل بالسلطة

وإزالة أمر الملك المنصور بن الملك العزيز

ولما استقر الملكُ العادل بالقاهرة أبقى الملكَ المنصور على اسم السلطنة ،
فإن الصلاحية إنما حلفوا له ووافقوا على أن يكون أتابكا للملك المنصور ،
إلى أن يكبر ويسلم البلاد إليه ، فأظهر ذلك أياما ، ثم عزم على إبطال ذلك .

^(٢) وكانت الأيمان قد تقررَت على ذلك^(٢) يوم الخميس الثاني والعشرين من

ربيع الآخر ، وهو ثاني يوم دخول الملك العادل ؛ وفي الخميس الآخر انتقض
هذا الأمر .

(١) الأصل : « استيلاء » ، والتصحيح عن (ك)

(٢) هذا الجملة ساقطة من (ك)

وذكر عز الدين بن الأثير :

أن الأمر إنما انتقض في شوال من هذه السنة ، وذكر أن السبب في ذلك أن الملك العادل أحضر جماعة من الأمراء (١٣٢) ممن يعلم مآلهم إليه ، وقال : « إنه قبيح بي أن أكون أتابكا لصبي مع الشيخوخة والتقدم ، مع أن الملك ليس هو بالميراث ، وإنما هو لمن غلب ، ولقد كان يجب أن أكون بعد أخي السلطان الملك الناصر — رحمه الله — صاحب الأمر ، غير أني تركت ذلك إكراما لأخي ورعاية لحقه .

فلما حصل من الاختلاف ما حصل خفت أن يخرج الملك من يدي ويد أولاد أخي ، فمشت الأمر إلى آخره ، فلم أر الأمر يصلح إلا بقيام فيه ، ونهوضي بأعبائه .

ولما ملكت هذا البلد وطنت نفسي على القيام بأتابكية هذا الصبي حتى يبلغ أشده ، فرأيت العصبيات غير^(١) مقلعة ، والفتن ليست زائلة ، فخشيت أن يطرأ عليّ ما طرأ على الأفضل ، ولا آمن أن يجتمع جماعة يطلبون إقامة آخر ، وما أعلم ما يكون عاقبة ذلك .

وأنا أرى أن هذا الصبي يمضي إلى الكتاب ، وأقيم له من يودبه ويعلمه ؛ فإذا بلغ أشده نظرت في أمره وقت بمصالحه .

وقيل إن السبب في ذلك أن الأسدية لما رأوا الصلاحية قد قاموا مع الملك العادل حتى أدخلوه مصر ، وأخرجوا منها الأفضل ، خافوا استيلاءهم على الأمر ،

(١) (ك) : « ليس ،

فحسنوا للملك العادل الاستقلال بالأمر وعزل الملك المنصور ، تقربا إليه ، وحلفوا له على ذلك .

فلما بلغ ذلك الصلاحية نفروا منه وأنكروه ، واجتمع بعضهم ببعض ، وعزموا على القيام على الملك العادل ، وطلبوا من الأسدية موافقتهم على ذلك فلم يفعلوا .

واستتب أمر الملك العادل ، وحلف الجميع له .

وكان ضياء الدين بن الأثير وزير الملك الأفضل قد اتصل بالملك الأفضل لما تمكّن أمره ، فلما ملك الملك العادل مصر ركب نجيبا ، وهرب خوفا على نفسه من الملك العادل .

ووقفت على رسالة له إلى بعض إخوانه من جملتها :

... ثم أقمنا بعد ذلك في حصار دمشق في حروب قائمة وغرامات لازمة ، حتى استنفدت قوى النفوس والأجسام ، ولم نحظّ منها إلا بطول المقام ، وسرنا عنها إلى الديار المصرية والعساكر برمتها ، والمهابة باقية على حرمتها ، وتركنا مَنْ بها في بادي الضعف مغضوض الطرف ، لا يُخشى منه عادية (٣٢ ب) بعد استحصاره ، ولا يُرجى له خروج من وراء جداره ، فوثب على خلعه ، وتبعنا على قلة تبّعه ، فصادف العسكر قد تفرقت في بلاده ، والملك قد أمكن من قياده ، فأقدم وما تردد ، وفوّق سهم كيده وسدّد ، ولقد ركب خطراً لا يسلم راكبه ، وإن سلم لم تسلم له مطالبه ، إلا أنه تهيأ له من صنّع القدر ، ما لم يكن في وسع البشر ، فواتاه الزمان مبادرا ، وكان محصورا فأصبح حاصرا .

ولما استقر الملك بمصر للملك العادل استدعى أبنه الملك الكامل ناصر الدين محمداً من الشرق ، وجعله نائبا عنه بالديار المصرية ، وجعل خبزه الأعمال

الشرقية ، وهى التى كانت خبز الملك العادل لما كان نائباً عن أخيه السلطان الملك الناصر بمصر^(١) .

ولم يزل الملك الكامل ينوب عن أبيه بالديار المصرية إلى أن توفى أبوه ، وذلك قريب من عشرين سنة ، واستقل^(٢) بالملك بعده عشرين سنة وكسرا ، فملكها نائباً ومستقلاً قريباً من أربعين سنة .

وفى هذه السنة أرسل الملك المنصور — صاحب حماة — إلى عمه الملك العادل يعتذر إليه من مساعدته الأفضل والظاهر ، ويطلب رضاه عنه ، وكان رسوله إليه زين الدين المعروف « بالهَيْطَلِيَّة » ، فلما قدم عليه تلقاه بالترحيب والإكرام ، وخام عليه وأحسن إليه ، وأظهر الرضى عن الملك المنصور . وباعنى أن الملك العادل قال لكاتب إنشائه : اكتب إلى المولى الملك المنصور أياتاً فى جواب كتابه .

فكتب الكاتب أياتاً فيها نوعُ عَتَبٍ وجفاء .

فوقف الملك العادل عليها وقال : « ما يحسن أن يخاطب المولى^(٣) الملك للمنصور بمثل هذا الخطاب ، اكتب إليه :

« أَتَظُنِّى مِنْ جَهْوَةٍ أَتَعْتَبُ قَلْبِى عَالِيكَ أَرْقُ مَا تَحْسَبُ
لَا يُوحِشَنَّكَ مَا جَنَيْتَ فَتَذَنِّى مُتَجَنِّبًا ، وَهَوَاكَ لَا يُتَجَنَّبُ
مَا أَنْتَ إِلَّا مُبْجَتِى ، وَهَى التِّى أَحْيَايَهَا ، فَتُرَى عَلَيْهَا أَغْضَبُ ؟ !
أَنْتَ الْبَرِّىُّ مِنَ الْإِسَاءَةِ كُلِّهَا وَآلِكَ الرِّضَى ، وَأَنَا الْمَسِيُّ الْمَذْنَبُ »

(١) هذا اللفظ ساقط من (ك)

(٢) (ك) : « واستقر »

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ك)

وحُكي أنه قال لزين الدين هذا : « المولى الملك المنصور إن كانت قد صدرت منه (١٣٣) هذه الزلة الواحدة ، فله من الحسنات ما يمحوها ويمحقها .
وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع .
ثم حلف الملك^(١) المنصور ، ووقعت الوصلة بعد ذلك بين الملك المنصور وعمه الملك العادل ، فتزوج ابنته عصمة الدين ملكة خاتون ، والد الملك المظفر — رحمه الله —

ذكر تعويض

ابن المقدم عن بعين منبج وقلعة نجم

كانت منبج وقلعة نجم من جملة بلاد الملك المنصور ، فلما أخذ بعين من عز الدين بن المقدم ، وكان محصوراً مع الملك العادل بدمشق — كما تقدم ذكره — ؛ وملك الملك العادل مصر طلب ابن المقدم من الملك العادل إلزام الملك المنصور رد بعين إليه ، لكونه إنما قصد بسببه .
فراسل الملك العادل الملك المنصور في إعادتها إليه ، فاعتذر بأنها مجاورة لبلده ، وما يؤثر مجاورة ابن المقدم ، وبذل له عوضاً عن ذلك منبج وقلعة نجم ، وهما خير من بعين بكثير .

فرضى ابن المقدم بذلك وتسلمهما ، وكانت له أيضاً أفامية ، وكفر طاب ، وخمسة وعشرون ضيعة من المعرة يقال لها « المفردة » .

وفي هذه السنة وصل إلى مصر الأمير شمس الدين محمد بن قليج ، ونظام الدين محمد بن الحسين الأصفهاني — وزير الملك الظاهر — رسولين منه إلى الملك العادل في أن يحلف الملك الظاهر على ما بيده من البلاد ، ويقم الملك الظاهر للملك العادل بحلب الخطبة والسكة .

(١) الأصل : « الملك » . والتصحيح عن (ك)

فركب الملك العادل إلى لقاءهما ، وأكرمهما^(١) إكراما تاما . وقرّر الملك العادل للملك الظاهر على ما بيده ، وحلف له عليه ، وألزمه خمسمائة فارس تكون في خدمة الملك العادل في كل سنة من خيار عسكر حلب .

فرجع الرسولان إلى الملك الظاهر ، فأقيمت^(٢) الخطبة والسيّكة بحلب وبلادها للملك العادل .

وقصّر النيل في هذه السنة تقصيراً عظيماً حتى أنه لم يستكمل أربعة عشر ذراعاً ، ولم يركب إلا القليل من الأرض ، فكان ذلك سبباً للغلاء المفرط في السنة القابلة .



(١) الأصل : « وأكرما » ، والتصحيح عن (ك)

(٢) (ك) : « وأثبت »

(٢٣ ب) ودخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة :

والملك العادل بالديار المصرية ، وعنده الملك الكامل نائيه بها .
والملك الظاهر بحلب مُجدِّد في عمارة قلعتها ، وتحصين أسوارها ، وتعميق خنادقها .
وبدمشق الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل نائباً عن أبيه بها .
وبالشرق الملكُ الفائز إبراهيم بن الملك العادل في مقاتلة المواصله ومَنْ
انضم إليهم .

وبمِثْلَ فارقين الملك الأوحده نجم الدين أيوب بن الملك العادل ، وكان أبوه
قد ملكه إياها .

وكان الملك الأفضل لما أخذت منه الديار المصرية بعث نوابه ليتسلخوا
ما وقع الاتفاق عليه من البلاد ، ومن جعلتها مِثْلَ فارقين ، فامتنع الملك الأوحده
من تسليم مِثْلَ فارقين ، فشكا الملك الأفضل ذلك إلى الملك العادل ، « فكتب
الملك العادل إلى الملك^(١) الأوحده يأمره بتسليم مِثْلَ فارقين إليه فأصر على الامتناع ،
فجعل الملك العادل امتناعه عذراً له عند الملك الأفضل ، وسُلمت إليه باقى البلاد ،
وهى : حانى ، وجبل جور ، وسُمَيْسَاط ، مضموماً ذلك إلى صَرْخَد .

وقيل إنه لم يسلم إليه إلا سُمَيْسَاط ، وامتنع الملك الأوحده من تسليم ما عدا
ذلك من البلاد المضمومة إلى مِثْلَ فارقين .

ذكر استيحاء الصلاحية

من الملك العادل ومينلهم إلى الملك الأفضل

لما أبطل الملك العادل أمر الملك النصور بن الملك العزيز نفروا من ذلك وكرهوه .

وكان الملك العادل قد جهّز نحر الدين جهاركس إلى بانياس لحصرها وأخذها من حسام الدين بشارة .

« وإنما فعل الملك العادل ذلك استصلاحاً لجهاركس ، إذ هو مقدّم الصلاحية ، وغضباً على بشارة لكونه كان لما توجه إلى مصر خلف الملك الأفضل طلبه ليحلف له ويكون معه ، فامتنع .

فنازل جهاركس بشارة ، وأعانه الملك العظيم على ذلك ، حتى تسلمها .
وكان فارس الدين ميمون القصري بنابلس ، فكتب إلى الملك العادل ، يقول له :

« إنما دخلنا في طاعتك ، ووافقناك ، مراعاة لولد الملك العزيز ابن أستاذنا ، خوفاً أن يتطرق إلى ملكه^(١) ضرر ، والواجب (١٣٤) أنك تعيده إلى ملكه ، وإلا حصل الفساد في قلوب الجند ، ودخل الوهن على الدولة » .
ولما وردت رسالته بذلك إلى الملك العادل ، أغلظ له في الجواب .

فأعاد ميمون القول :

« بأنك إن استمررت على القاعدة التي اتفقنا عليها فنحن على طاعتك ، وإن لم تفعل فأعطنا دستوراً لنذهب حيث^(٢) شئنا ، ويقوم عذرنا عند الله تعالى وعند الناس » .

(١) : (ك) : إلى بلدنا

(٢) : (ك) : أين ،

فأجاب الملك العادل :

« بأنى لم أدخل فى هذا الأمر حتى علمتُ ما يلزم من الضرر إن لم أدخل فيه ، والجماعة راضون بى ، فإذا كرهت مجاورتى قصر إلى أرذن الروم وتزوج بصاحبته ماما خاتون ، فإنها طلبت منى رجلا كبيرا تتزوج به ، ويقوم بتدبير ملكها » .

فكتب ميمون القصرى الصلاحية بأن يقوموا معه ويتفقوا على الملك العادل .

فأجابوه :

« بأنا قد افتضحنا بين الناس ، بأننا نقيم كل يوم ملكا ونعزل ملكا ، ثم إلى من نسلم الأمر ؟ الأفضل ما فيه رجاء ، وباقي^(١) أخوته غير الظاهر ليست لهم فى النفس عظمة ، والظاهر فما يمكنه أن يخلى بلاده ويصير إلينا » .
فلما سمع ميمون جوابهم أنفذ إلى أرذن الروم ، فكشفوا له حال المرأة المذكورة فوجدوها محصورة محكوما عليها .

وأرسل الملك الظاهر فى شهر ربيع الأول من هذه السنة نظام الدين الأصفهاني — وزيره — ، وعلم الدين قيصر الصلاحى ، فلما وصلا إلى بلبس أرسل إليهما الملك العادل يقول لهما : « أقويا مقامكما ، ولا تدخلوا مصر ، وإن كانت معكما رسالة فحملوها لقاضى بلبس حتى ينهيها إلى ، وإن لم تفعلوا فارجعوا من حيث جئتما » .

فرجعا ، فلما وصلا إلى نابلس اجتمعا بميمون القصرى ، ورغباه فى الانحياز إلى الملك الظاهر ، فوافقهما على ذلك ، ورجعا إلى صاحبهما .

(١) الأصل : « وما فى » ، والتصحيح من (٢)

وحصلت عند الملك تَقَرُّةٌ من ردِّ رسوليَّه على هذه الصورة ، ^(١) وكاتب
الصلاحية ورغَّبهم ، وكاتبهم ميمون القصرى ^(٢) ، فقال إليه جماعة منهم .
وتكررت المكاتبات والمراسلات ^(٣) ، بينهم وبين الملك الأفضل
وهو بَصْرُخَد ، وبينهم وبين الملك الظاهر .

وكان عز الدين أسامة — صاحب عجلون وكوكب — أمير الحاج في السنة
الماضية ، فلما رجع من الحج نزل إليه الملك الأفضل من صَرُخَد ، ودعاه
إلى موافقته فأجابته ، (٣٤ ب) وحاف له ، وعرفه الملك الأفضل جليلة الحال .
فكتب عز الدين أسامة ^(٤) إلى الملك العادل ، فأخذ حِذْرَه وتيقظ لنفسه ،
وكتب إلى والده الملك المعظم شرف الدين عيسى يأمره بقصد صَرُخَد ومنازلتها ،
وكتب إلى الأمراء يأمرهم بالاجتماع مع والده على ذلك .
ولما علم الملك الأفضل بذلك ترك صَرُخَد وتوجَّه إلى أخيه الملك الظاهر
عاشر جمادى الأولى من هذه السنة .

وتوجه الملك المعظم إلى بُصْرَى على قصد محاصرة صَرُخَد ، وكتب إلى
نحر الدين جهاركس وميمون القصرى يدعوهما إلى منازلة صَرُخَد ^(٥) مع الملك المعظم ،
فمغلطاه ولم يصالا إليه .

فبعث عز الدين أسامة إليهما وإلى جماعة الصلاحية ، فبُرى بين
عز الدين وبين الفارس ألبى الصلاحى منافرة ، فأغاض ألبى القول وتهدى
إلى الفعل باليد .

(١) النص في (ك) : . وكانت الصلاحية قد كاتبهم ميمون ورغَّبهم . . .

(٢) هذا اللفظ ساقط من (ك)

(٣) (ك) : . فكتب عز الدين أسامة بذلك إلى .

(٤) هذه الفقرة ساقطة من (ك)

وعمرت الصلاحية على أسامة ، فاستجار بميمون القصرى ، فأجاره وأعادته إلى دمشق .

وتوجه ميمون القصرى وجمع^(١) من الصلاحية إلى صرخد ، واجتمعوا^(٢) بالملك الظافر خضر ، وكتبوا إلى الملك الظاهر يحثونه^(٣) على سرعة الحركة ، ومنازلة دمشق ليأخذوها من الملك العادل ، ويستعيدوا منه الديار المصرية .

وفي هذه السنة توفي عز الدين إبراهيم بن المقدم ، وصارت البلاد بعده ، وهى : منبج ، وقلعة نجم ، وكفر طاب ، وأقامية لأخيه شمس الدين عبد الملك بن المقدم .

ولما وصلت كتب الصلاحية إلى الملك الظاهر ، وعنده أخوه الملك الأفضل ، جمع وحشد وعزم على قصد دمشق .

ذكر استيلاء

الملك الظاهر على منبج وقاعة نجم

ثم قصد الملك الظاهر منبج وفيها شمس الدين عبد الملك بن المقدم ، فزحف عليها وتسلمها يوم نزوله عليها ، وهو التاسع عشر من رجب من هذه السنة .

وامتنع شمس الدين بالقاعة ، فنارله الملك الظاهر سبعة أيام ، وكان له خندق مملوء ماء ، فوقف الملك الظاهر على حافة الخندق ، وصاح فى الحلبيين ، فرموا أنفسهم فى الخندق سباحة ، وأخذوا فى القاعة عدة نقوب .

(١) (ك) : « وجماعة » ،

(٢) (ك) : « واجتمعوا » ،

(٣) (ك) : « يستحثونه » ،

فلما رأى صاحبها ذلك طلب الأمان ، وسلم الحصن إلى الملك الظاهر .

ولما نزل إليه اعتقله .

(١٣٥) ثم سار الملك الظاهر إلى قلعة نجم ، وبها سعد الدين بن فاخر^(١) نائباً عن ابن المقدم ، فنارلها وضايقها ، ثم تسلمها في آخر رجب .

ثم توجه الملك الظاهر إلى حلب ، وأرسل الشيخ تقى الدين على بن أبى بكر الهروى إلى الملك المنصور - صاحب حماة - يطلب منه أن يسير معه ، ويساعده على محاربة الملك العادل .

وكان مضمون الرسالة : « أنك تعلم محبتى لك ، وشفقتى عليك ، واعتمادى عليك ، وتعلم سوء باطن الملك العادل لنا ، وأن مقصوده أن تكون البلاد كلها له ، ولو قدر علينا ما أبقي منا أحدا ، وقد علمت ما فعله^(٢) بأولاد أخيه السلطان الملك الناصر^(٣) ، مع أنه هو الذى ملكه وأظهره إلى الوجود ، [بعد ما كان لا يؤبه له]^(٤) .

^(١) وكيف تثق ؟ ، وقد أخذ منك منبج وقلعة نجم وأعطاهما لابن المقدم ، واختاره عليك ؟ وأنت متى وافقتنى عليه رددت عليك منبج وقلعة نجم ، مضافة إلى كفر طاب وأقامية ، والبارة ، ومفردات المعرة ، وأحلف لك على هذا كله .
ولما وردت الرسالة على الملك المنصور بذلك اعتذر من الإجابة إليه ، واعتذر « بأنى حلفت له ، ولا يسعنى أنى أحنت فى يمينى » .

(١) (ك) : « سعد الدين فاخر ،

(٢) (ك) : « ما فعله بأخواتى أولاد الملك الناصر ،

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك)

(٤) هذه الجملة ساقطة من ك

فلما تحقق الملك الظاهر استمرار الملك المنصور على طاعة الملك العادل، توجه إلى المعرة فأقطعها، وذلك في العشر الأول من شعبان، ثم توجه إلى كافر طاب فأخذها، وهي لابن المقدم.

وبعث إلى قراقوش نائب ابن المقدم بأفامية يطالب منه تسليمها إليه، فامتنع وأصر على العصيان.

ثم توجه الملك الظاهر إلى أفامية، واستحضر شمس الدين بن المقدم، وكان معتقلاً بحلب، ومعه جماعة من أصحابه، ونازل أفامية، وأمر بضرب جماعة ابن المقدم ليسلم قراقوش حصن أفامية، فرآهم قراقوش وهم يضربون، فلم يلتفت إليهم، فأمر بضرب شمس الدين بالسياط، فصر بضراباً مبرحاً، وجعل يستغيث إلى قراقوش ليسلم الحصن^(١)، فأمر قراقوش بضرب الطبول في أعلى القلعة لئلا يسمعوها صوته، ورموه بالنشاب.

ولما أيس الملك الظاهر من أخذ الحصن ترك عنها من يحاصرها ثم رحل عنها.

ذكر منازلة

الملك الظاهر حماة ورحيله عنها

ثم توجه الملك الظاهر إلى حماة ونازلها محاصراً لها لثلاث بقين من (٣٥ ب) شعبان من هذه السنة. ونزل شمالى البلد، وشعث الأثرية التقوية وبعض البساتين، وزحف من الغد من جهة الباب الغربى، وفازل قتالاً شديداً، ثم زحف في آخر

(١) هذا اللفظ ساقط من (ك)

شعبان من جهة الباب الغربى والقبلى ، ثم انحدر إلى جهة باب العميان ، وجرى عنده قتال كثير ، وجرح بسهم فى ساقه .

واستمرت الحرب أياما من رمضان ، ولم يتحصل على مقصود ثم وقع الصلح بينه وبين الملك المنصور على مالٍ بذله له الملك المنصور ، قيل إن مبالغه ثلاثون ألف دينار صورية ، وعلى أنه إن ملك الملك الأفضل والظاهر دمشق دخل فى طاعتها . ولما تقرر ذلك رحل الملك الظاهر عنه .

ذكر منازلة

الملك الأفضل والملك الظاهر دمشق

وهى المنازلة الثانية

ثم توجه الملك الظاهر إلى دمشق ونازلها هو وأخوه الملك الأفضل . وانضم إليهما فارس الدين ميمون القصرى ، ومن وافقه من الأمراء الصلاحية . وبقلعة دمشق الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل . وأبوه بالديار المصرية .

واستقرت القاعدة بين الملك الأفضل وأخيه الملك الظاهر أنهم إذا ملكوا دمشق يتسلمها الملك الأفضل ، ثم يسرون إلى الديار المصرية ، فإذا ملكوها تسلم الملك الظاهر دمشق وكان الشام جميعه له ، ويملك الملك الأفضل مصر .

ذكر تسليم

صرخد إلى زين الدين قراجا

ولما نازل الملك الأفضل والظاهر دمشق تخلف عنهما نحر الدين جهاركس وزين الدين قراجا .

فأرسل إليهما الملك الأفضل علم الدين قيصر الناصري ، فتوجه إليهما ، ورغبهما في الحضور ، وموافقة الأفضل والظاهر ، فأجابا بعد مراجعات كثيرة على أن يتسلم زين الدين قراجا صرخد ، ويعطى عشرة آلاف دينار ، ويعطى جهاركس عشرين^(١) ألف دينار ، فوَقعت الإجابة إلى ذلك .

وسلمت صرخد إلى قراجا ، وأنزل الملك الأفضل والدته وأهله (٣٦ !) منها ، وسيّرهم إلى حمص ، فأقاموا عند الملك المجاهد صاحبها .
وقدم جهاركس وقراجا العسكر ، فقوى بحضورهما جاشُ الأفضل والظاهر ، لأنهما كانا أكبر الأمراء الصلاحية .

ذكر وصول

الملك العادل إلى نابلس

ولما بلغ الملك العادل تَوَجُّهُ الملك الأفضل والظاهر إلى دمشق انزعج لذلك ، وخرج^(٢) "من مصر" بعساكره ، وقدم إلى الشام ، ونزل بنابلس .
وقدَّمَ قطعة من عسكره إلى دمشق ، ودخلوها قبل نزول الأفضل والظاهر عليها .

(١) الأسد : د عز الدين ، والتصحيح عن (ك) .

(٢) هذان الاقضان - امطان من (ك) .

ذكر مضايقة

الملك الأفضل والظاهر دمشق

وضايق الأفضل والظاهر دمشق مضايقة شديدة ، وزحفوا رابع عشر من ذى القعدة من هذه السنة ، واشتد القتال ، والتصق العسكر بالأسوار ، ثم زحفوا لها ثانياً وثالثاً . .

وجدَّ الظاهر في القتال ، وترجل ، ووصل إلى قريب السور ، وأخذ فيه عدة نقوب ، ولم يبقَ إلا أن يملك البلد ، وصعد العسكر إلى سطح خان ابن المقدم ، وهو ملاصق السور فلم يدركهم الليل لملك البلد .

ذكر الاختلاف

بين الملاكين : الأفضل والظاهر

ولما تحقق الملك الظاهر ^(١) أن البلد مأخوذٌ لا محالة ^(٢) ، لم تطب نفسه بأن يملكه أخوه ، فأرسل إلى الملك الأفضل يقول له :

« إذا فتحت دمشق تسلمتها أنا ، وسيَّرتُ العساكر معك إلى الديار المصرية ليفتحوها لك » .

فأرسل إليه الملك الأفضل ^(٣) يقول له :

« قد علمت أن والدتي وأهلي — وهم أهلك — على الأرض ، وليس لهم

(١) (ك) : « أخذ البلد لا محالة » .

(٢) هذان اللفظان ساقطان من (ك) .

موضع يأوون إليه ، فأحسب أن هذا البلد لك تُعِيرُنِي إِيَّاهُ أُسْكِنُهُ أَهْلِي هَذِهِ الْمَدَّةَ إِلَى أَنْ نَمْلِكَ مِصْرَ .

فلم يجب الملك الظاهر إلى ذلك ، ولجَّ في أن يتعجل أخذه لنفسه .

وقيل إن الذي أوجب هذا الاختلاف أن الملك العادل كتب إلى الملك الأفضل والملك الظاهر يقول لكل واحد منهما (٣٦ ب) : « إِنْ أَخَاكَ لَا يَرِيدُ الْبَلَدَ إِلَّا لِنَفْسِهِ ، وَإِنْ الْعَسْكَرُ مُتَّفِقُونَ مَعَهُ فِي الْبَاطِنِ عَلَى ذَلِكَ » . فطلب كلٌّ من الملكين البلد لنفسه ، ووقع الخلف بينهما .

وكتب الملك العادل إلى الأفضل يعده بالبلاد التي عُيِّنَتْ لَهُ بِالشَّرْقِ ، وبذل له مع ذلك مالا .

ففترت همته ، وقال للأمرء الصلاحية وَمَنْ جَاءَ إِلَيْهِ مِنَ الْجُنْدِ : « إِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ إِلَيَّ ، فَقَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الْعُودِ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ إِلَى أَخِي فَأَنْتُمْ وَهُوَ خَيْرٌ » .

وكان الكل يريدون الأفضل للين عريكته ، فقالوا : « مَا نَرِيدُ سِوَاكَ وَالْعَادِلَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَخِيكَ » .

فأذن لهم في العود ؛ فهرب نحر الدين جهاركس ، وزين الدين قراجا — صاحب صرخد — والحجَّاف ، وعلاء الدين شقير ، وسعد الدين بن علم الدين قيصر فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ دَخَلَ دِمَشْقَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى إِقْطَاعِهِ ، وَتَحَلَّتِ الْعِزَائِمُ .

وخرجت هذه السنة والملك الأفاضل والظاهر منازلان دمشق .

وفي هذه السنة تجهز نور الدين أرسـلان شاه بن مودود — صاحب

الموصل — في عساكره إلى حرّان والرّها ليستولى عليها ، ومعه ابن عمه قطبُ الدين محمد بن عماد الدين — صاحب سنجار — ، وذلك في شعبان ، وذلك لما تحقّقوه من قصْد الملك الأفضل والملك الظاهر دمشق ، وعلمعوا أن يحصلوا في هذه الفترة على تلك البلاد .

وسار معهما صاحب ماردين ، وكان الزمان شديد الحر ، فنزلوا رأس هين ، وكثرت الأمراض في عسكرهم .

وكان بحرّان الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل ومعه عسكر ، فأرسل إليهم يطلب الصلح ، وبلغهم اختلال حال الأفضل والظاهر ، وأنه ربما يقع الصلح بينهما وبين عمهما العادل .

فأجاب نور الدين إلى الصلح ، وحلف الفائز ومنّ عنده من الأمراء على القاعدة التي استقرت ، وحلفوا أيضاً لنور الدين أنهم يحلفوا للملك العادل ، فإن امتنع كانوا عليه .

وحلف نور الدين للملك العادل ، وسارت الرسل من عنده ومن عند الفائز إلى الملك العادل في طلب اليمين فأجاب إلى ذلك .

ورجع نور الدين في ذى القعدة من السنة .

وفي هذه السنة كان الغلاء العظيم بالديار المصرية ، وتعذرت الأقوات بها حتى أكل الناس الميتة وأكل بعضهم بعضاً ، ثم تبع ذلك وباء^(١) ، عظيم وموتان .

وفي هذه السنة توفي عماد الدين (١٣٧) الكاتب — رحمه الله — ،

(١) ك : د : ق : هـ .

وكان جامعاً^(١) لفنون كثيرة : الأدب ، والفقه ، والخلاف ، والتاريخ ، وله النظم البديع والنثر الفائق ، وكتب لنور الدين والملك الناصر صلاح الدين ، ونال عنده المنزلة العالية ، وله التصانيف البديعة : كالبرق الشامي ، وخريدة القصر ، والنصرة في أخبار وزراء الدولة السلجوقية ، وغير ذلك .

وكان مولده سنة تسع عشرة وخمسمائة ، فكان عمره تسعا وسبعين سنة .



(١) ك : د عالم . .

ودخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة :

والملك الأفضل والظاهر منازلان دمشق وقد اختلفا وفترت عزائمهما .

ذكر رحيل

الملك الأفضل والملك الظاهر عن دمشق

وما جرى ما ذكرناه من هرب نحر الدين جباركس وزين الدين قراجا وغيرهما من الأمراء ، ووقع الاختلاف بين الملكين ؛ رحلا عن دمشق أول محرم من هذه السنة .

فرجع الملك الظاهر إلى حلب ، وتوجه الملك الأفضل إلى حمص . فلما قدم الملك العادل إلى دمشق^(١) توجه إلى خدمته واجتمع به ، ثم رحل إلى البلاد الشرقية التي اتفقا عليها .

ذكر قدوم

الملك العادل إلى دمشق

وما رحل الملك عن دمشق ، وبلغ ذلك الملك العادل ، رحل إليها ، فدخل إلى دمشق^(١) واستقر بها .

وفي انتصاره وظهوره يقول شرف الدين بن عَنَيْن قصيدة يمدح بها صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر — وزير الملك العادل — مطلعها :

(١) . المص و (ش) : . بعد رحيلهما واستقر بها ،

ما قامَ لولا هوائكَ المدنفُ^(١) الوصبُ يبكي الطلولَ، وأهلُ المنحنى غيبُ^(٢)

ومنها:

يا أيُّها الصاحبُ المولى الوزيرُ ومنْ دُعيتَ في الدولة الغراءِ صاحبها
كثرتهم في دمشقٍ وهي خاليةٌ
إلى مكارمه^(٣) العلياءِ تنتسبُ
حقاً ، فظنَّ جهولاً أنه كذبُ^(٤)
وقد أناخَ عليها جحفَلُ^(٥) لَجِبُ

(٢٧ ب)

كتائبُ أختِ البيداءِ مُتَأَقَّةٌ
يقودهم من بني أيوبَ كلُّ فتى ،
أشدَّ مخالِبها ييُزُّ الظُّبى ، ولها
حتى إذا أشرفتُ منهم دمشقُ على
منحتها منك عزماً صادقاً خضعتُ
فكان رأيك فيها رايةً طلعتُ
وبات أثبتهم جاشاً وأحزمتهم
وكان ظنُّهم أن تلتقى بهم
فأجفلوا ، وزعيمُ القومِ غايةُ ما
منهم^(٦) ، وضافتُ بها البُطْنانُ والحدبُ
ماضى العزائمِ ، لا نكسُ ولا نخبُ^(٧)
مِنَ الدَّوابِلِ غيلٌ نبتُهُ أشبُ
حربٍ لها الويلُ من عُقباه والحربُ
له ظيُّ الهندِ والخطيئةُ القُضْبُ^(٨)
بالنصرِ ، فأنجابتُ اللاؤاءُ والكربُ
رأياً ، وأمضى سلاحاً عزمه الهربُ
مصرُ البوارِ^(٩) ، وتغشى النوبةُ الثوبُ
يرجو من الله أن تبقى له حابُ

(١) ك : الواله ، ، وما هنا صيغة الأصل والديوان

(٢) القصيدة في الديوان طويلة فراجعها هناك ، وما هنا مقتطفات منها

(٣) في الديوان : « مفاخره »

(٤) كذا في الأصل وفي ك ، والنس في الديوان : « وطن جهول أنه لقب »

(٥) الديوان : « الجحفَل »

(٦) الديوان : « منها » ، وما هنا صيغة الأصل و (ك)

(٧) الأصل : « لَجِب » ، والتصحيح عن الديوان ، والنخب جبان

(٨) الديوان : « الدب »

(٩) كذا في الأصل والديوان ، وفي (ك) : « الهوان »

ولما رجع الملك الظاهر إلى حلب ذهب معه إليها جماعة من الأمراء
الصلاحية ، منهم : فارس الدين ميمون القصري ، وسرا سنقر ، وألبكي الفارس .

فأقطع الملك الظاهر ميمون القصري عزاز وأماكن أخرى ، وحمل إليه
ثمانين ألف درهم ، وخلعاً كثيرة له ولأصحابه ، وعشرة أرؤس من الخيل العرب ،
وعشر بغلات ، وعشر زرديات ، ومائة ثوب ألواناً ، وحمل إلى ألبكي
وأسد الدين سرا سنقر دون ذلك ، فلم تطب قلوبهما به .

ثم قصد الملك الظاهر منبج ، وكان الملك الفائز بن الملك العادل قد قصده
في غيبته وماكها ، فاستعادها وخرّب سورها وقلعتها ، ونقل ذخائرها إلى حلب
وأقطعها عماد الدين بن المشطوب .

وفي هذه السنة أنفذ قراقوش — نائب شمس الدين بن المقدم بأفامية —
إلى الملك الظاهر يبذل له أفامية ، بشرط أن يعطى شمس الدين إقطاعاً يقوم به ،
وكان بتقرير بينه وبين شمس الدين .

فأجاب الملك الظاهر إلى ذلك ، وأقطع الراوندان ، وكفر طاب ومفردة
المعرّة ، وحلف له على ذلك وتسلم أفامية .

ثم في هذه السنة هرب شمس الدين إلى قلعة الرواندان وعصى بها ، فقصده
الملك الظاهر واستنزه منها ، وأخذ كل ماله من الأموال والذخائر ، فقصد
بدر الدين دلدرد — صاحب تل باشر — (١٣٨) مستشفعاً به إلى الملك
الظاهر في أن يعيد إليه ما أخذ منه ، فلم يجد استشفاعه شيئاً ، فقصد الملك
العادل فأقطع إقطاعاً وأحسن إليه .

ذكر وصول

الملك العادل إلى حماة

وانتظام الصلح بينه وبين الملك الظاهر

وفي هذه السنة توجه الملك العادل بالعساكر إلى حماة ، ونزل على تل صفرون ،
وقام الملك المنصور بجميع وظائفه وكلفه وما يحتاج إليه .
وبلغ الملك الظاهر وصول عمه إلى حماة بنية قصده وحصاره ، فخاف
واستشعر ، وأمر بالاستعداد ، وجمع المير والذخائر ، واستحلف الحلبين ، وأحضر^(١)
إليه مقدميهم . وقال :

« أنا واثق بعد الله تعالى بكم ، وليس لي اعتماد إلا عليكم^(٢) » .

فقالوا : « نحن عبيدك ، وسنبذل مهجنا بين يديك » .

وراسل عمه ، ولاطفه ، وأهدى إليه ، ووقعت بينهما مراسلات ومكاتبات ،
واستقر الأمر آخرأ على أن قررت بيده منبج وأقامية وكفر طاب ، وكان الملك
العادل قد رام انتزاعها منه وردّها إلى ابن المقدم .

وانتزع منه من إقطاع ابن المقدم مفردة المعرة ، وهي خمس وعشرون
ضيعة ، وسلمت إلى الملك المنصور .

وسأمت قلعة نجم إلى الملك الأفضل مع سروج ، ووعد بانتزاع رأس عين
من^(٣) صاحب ماردين ، وكانت بيده سميساط .

(١) (ك) : « وأخرج »

(٢) النص في (ك) مختلف قليلا ، وهو « أنا واثق بالله تعالى ثم بكم » ، والاعتماد عليكم .

(٣) (ك) : « من يد صاحب »

وحالف الملك العادل للملك الظاهر .

وسلم الملك العادل إلى ولده الملك الأشرف مظفر الدين [موسى]^(١) حرّان وما معها ، وسيّره إلى الشرق .

وكان بميّا فارقين الملك الأوحّد نجم الدين أيوب بن الملك العادل .

وتقرر بقلعة جعبر الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن الملك العادل .

ثم رجع الملك العادل إلى دمشق ، وأقام بها ، وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلّها في سلك ملكه ، وخطب له على منابرها كلّها ، وضربت السكة فيها باسمه .

وفي هذه السنة توفي القاضي محي الدين بن زكي الدين قاضي القضاة بدمشق وبلادها ، وكان إليه قضاء حلب وبلادها (٣٨ ب) من الأيام الناصرية .

ولما ورد القاضي بهاء الدين بن شداد إلى حلب كان بحلب زين الدين بنا البانياسي ينوب في القضاء بها عن محي الدين فعلم ميل الملك الظاهر إلى تولية القاضي بهاء الدين القضاء^(٢) ، فطلب دستوراً من الملك الظاهر فأعطاه ، وسافر إلى دمشق ، فوليّ الملك الظاهر بهاء الدين القضاء ، فأنكر محي الدين بن زكي الدين على زين الدين طأب الدستور ، وقال : « لو كنت أقت وولي غيرك ناظرتُ عنك ، فأما إذ فعلت ما فعلت ما بقيت أتكلم في قضاء حلب » .

وكان محي الدين — رحمه الله — فاضلاً مترسلاً ، وله النظم والنثر البديعان :

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من (ك)

(١) هذا اللفظ ساقط من (ك)

ولما توفي وَلِي الملاك العادل قضاء دمشق ولدَه زكيَّ الدين ، وهو الذي لما أراد الملكُ المعظمُ عزله والإخراق^(١) ؛ به بعث إليه قباءً^(٢) وكُمَّه^(٣) وتقدم إليه بلبس ذلك ، فلبسه ، فحصل له غمٌ بسبب ذلك ، فمات بعد أيام قلائل .

وفي هذه السنة قدمت إلى حماة عصمةُ الدين ملكة^(٤) خاتون ابنة الملك العادل ، وزُينت حماة لمقدمها ، وكان يوماً مشهوداً .



(١) الأصل : ، الإخراق ، ، والتصحيح عن (ك)

(٢) شرح هذا اللفظ في (مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٧٩ ؛ هامش ٤)

(٣) الكلمة (واجمع كلام) فسرهما Dozy : Supp. Dict. efrab بأنهما فلنسوة مستديرة ومرتفعة ponnet, hant et rond ، وقد ترجم لي haveçan أى النكبة من الحديد التي توضع في فم الحصان ، والمعنى الأول هو المقصود هنا .

(٤) هذا اللفظ ساقط من (ك)

ودخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة

والملك العادل مقيم بدمشق .

وفي هذه السنة وردت الأخبار بوصول الفرنج إلى عكا ، واجتماعهم بها ،
وبأن فرنج صقلية قاصدون الديار المصرية .

فسير الملك الظاهر إلى الملك العادل خمسمائة فارس ، ومائة راجل من الحلبيين^(١)
حجّارين ونقّابين وزر دخانة^(٢) ، ليعث ذلك إلى مصر .

ولليلة بقيت من المحرم من هذه السنة توفي فلك الدين سليمان^(٣) أخو الملك
العادل لأمه ، وكان يُلقب الملك المبارك .

ذكر حوادث^(٤)

حدثت باليمن^(٥)

في خمس صفر من هذه السنة ورد إلى الملك المنصور — صاحب حماة —
كتاب من المختص والي البرّ بحماة ، وكان حجّ سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، يخبر

(١) الأصل : « حلبيين » ، وللتصحيح عن (ك)

(٢) شرحنا هذا المصطلح في (مفرح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ ، هامش ٤)
وذكرنا هناك أنه يعني أصلاً خزانة الزرد أو خزانة السلاح ، وقد يعني نوعاً من السجى يحن فيه
كبار الأمراء أو على القوم ؛ ولكن يبدو من السياق هنا أن اللفظ قد يطلق على صنّاع
الزرد أو السلاح .

(٣) انظر ما فات هنا من

(٤) بهذا اللفظ تقابل ثانية مع نسخة س . (٥) (ك) : « صدرت » ،

(٦) هذا نص هام يشير إلى وظيفة هذا أهميتها وهي « ولاية البرد وإن كنت لم أجد
لها تفسيراً في المراجع المتداول ذكرها هنا

فيه بقتل الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين ابن أيوب .

وسطر الكتاب يتيما في^(١) رابع عشر المحرم ، منه .

« وأما أخبار اليمن : فإن ابن سيف الإسلام قتله جماعة من الأكراد ، وتشوشت البلاد ، (١٣٩) وكلُّ استقلَّ بما تحت يده ، والبلاد سايبة تريد رجلا [يحفظها]^(٢) ، وسريته بن سيف الإسلام عصت في قلعة منيعة^(٣) ، هي أحصن القلاع وأمنعها ، وعندها من الأموال ما لا يحصى عدده .

وذكر عنها أنها قالت : ما نسلم هذا الحصن وهذه الأموال إلا لرجل من ولد السلطان » .

هذا ما ذكره المختص في كتابه .

ونحن نذكر ما بلغنا من أحوال الملك المعز :

كنا قد ذكرنا تملكه بعد أبيه لبلاد اليمن ، ثم إنه بعد ذلك جرت له باليمن حروب ، منها : أنه خرج عليه الشريف عبد الله بن عبد الله^(٤) الحسني^(٥) وضرب معه مضافاً ، فانكسر الشريف .

ثم خرج عليه من ممالك أبيه نحو ثمانمائة مملوك ، وحاربوه ، واعتصموا بصنعاء ، فكسرهم ، وأخذها منهم .

ثم ادعى بعد ذلك الخلافة ، وانتسب إلى بني أمية ، وجعل شعاره

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك)

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن س (ج ١ ، س ١١٤٦)

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (ك)

(٤) هذان اللفظان ساقطان من (ك) و (س)

(٥) (س) : « الحسين »

الخضرة^(١) ، وقطع خطبة بني العباس ، وخطب لنفسه بالخلافة على منابر اليمن ، وخطب بنفسه على المنبر يوم الجمعة .

وقد ذكر أن عقيدته كانت فاسدة ، وأنه ادعى الربوبية ، وأمر كاتبه أن يكتب : « من مقر الإلهية » ، ثم نهى عن ذلك ، فانتحى خوفاً من القتل .
[وبلغ عمه الملك العادل دعواه النسب إلى بني أمية ، فأنكره وسأه فعله ، وجحد أن يكون لبني أيوب نسب يتصل ببني أمية .

وخافته ممالك أبيه لهوجه وسفنه ، ففارقوه وتحزبوا عليه وحاربوه ، ووافقهم على ذلك جماعة من أمراء الأكراد ، منهم : شمس الدين بن الدقيق^(٢) ، وباخل ، وغيرهم ، فاتفقوا كلهم على قتله ، وضربوا معه مصافاً في السنة الماضية ، وهي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، فكسروه وقتلوه ، ونصبوا رأسه على رمح ، وداروا به بلاد اليمن ، ونهبوا زبيد تسعة أيام .

وكان له أخ صغير يلقب بالملك الناصر ، فجعلوا له اسم السلطنة ، وترتب أتابكا له سيف الدين [سنقر]^(٣) — مملوك والده^(٤) — .

ثم اضطربت الأمور على سيف الدين سنقر ، وتحزبت عليه العساكر وقتلوه ، وجرت بينهم حروب كثيرة ، وآخرها أنه انتصر وقتل جماعة من الأكراد والأتراك ، وحبس جماعة ، وصفت له اليمن .

ثم مات بعد أربع سنين .

وكان تزوج أم الملك الناصر ، وأولدها ولداً ذكراً ، (٣٩ ب) فتزوجها

(١) (ك) : « ودخل سماده الخضراء » وما هذا هو الصحيح

(٢) (س) : « بن الرفيق »

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك)

(٤) (س) . « مملوك جده »

بعده أمير من أمراء الدولة ، يقال له : « غازى بن جبريل » وقام بأتابكية الملك .
ثم سَمَّ الملكَ الناصرَ في كوز ققاع على ما قيل ، وبقى غازى متملكاً البلاد
[وحده]^(١) مدة ، ثم قتلته جماعة من عرب البلاد .

وذكر أن سببَ قتلهم^(٢) له ، اتهامهم إياه بقتل الملك الناصر . وبقيت
اليمين خالية بغير سلطان .

ورأيتُ في بعض التواريخ أن الملكَ الناصرَ هو ابن الملك المعز إسماعيل ،
وهو خطأ ، فإن الذى تحققتُه من جهة لا أشك في صحتها^(٣) ما ذكرته أولاً .

وكان لسعد الدين شاهان شاه بن الملك المظفر تقي الدين عمر — رحمه الله —
ولدٌ يقال له سليمان شاه ، قد خلع لباس الجند ، ولبس لباس^(٤) الفقراء ، ويحمل
ركوةً على كتفه ، وينتقل مع الفقراء من مكان إلى مكان .

فاتفق أنه حجَّ إلى مكة — شرفها الله تعالى — وكانت أمُّ الملك الناصر
قد تغلبت على زبيد ، وأحرزت الأموال عندها وكانت تنتظر وصول رجل من بنى
أيوب تزوجه وتملكه البلاد .

فبعثت إلى مكة بعض^(٥) غلمانها يكشف^(٦) لها عن أخبار مصر والشام ،
فوقع بسليمان شاه ، وقد جاء حاجاً مع الفقراء ، فسأله عن اسمه ونسبه فعرفه^(٧) .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

(٢) (ك) : « سبب قتله »

(٣) النص في س : « من جهة من لا شك فيه رلا في محته » وهذا مثل طيب
على تمرى ابن واصل الدقة في مؤلفه هذا ، فهو لا ينقل دون ثبت ، بل هو يناقش ويشير إلى
إلى أخطاء غيره ويصححها .

(٤) (ك) و س : « ثياب »

(٥) هذا اللفظ ساقط من (ك)

(٦) (ك) : « يكشفون »

(٧) (ك) : « فسأله عن اسمه ونبه شخص من غلمانها فعرفوه » والنس في س :

« معرفة أنه من ملوك بنى أيوب »

فكتب إليها [غلامياً]^(١) وعرفها ذلك ، فاستحضرتة ، وخلعت عليه .
وتزوجته ، وملكته اليمن ، فلأها ظناً وجوراً ، وأطرح زوجته التي ملكته
البلاد ، وأعرض عنها .

وكتب إلى السلطان الملك العادل — وهو عم جدّه — كتاباً جعل في أوله :
« إنه من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » .

فاستقل الملك العادل عقله ، وعلم أنه لا بد لليمن من سلطان قاهر ، يمضي
إليها ويدبر أمر^(٢) ملكها ، [وكتبت هي أيضاً إلى الملك العادل تشكوه فيه]^(٣)
فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر الحوادث

المتجددة بالشرق

تقدم الملك العادل في هذه السنة إلى ولده الملك الأشرف موسى بمنازلة
ماردين^(٤) ، فنارلها بعسكره ، ومعه الملك الأفضل نور الدين ، وانضاف إليهم
عسكر الموصل وسنجار ، ونزلوا بحرم تحت جبل ماردين ، وأقاموا مدة ولم يتحصلوا
على غرض ، فدخل الملك الظاهر في الصلح بينهم وبين الملك العادل ، وأرسل
(١٤٠) إلى الملك العادل في ذلك ، فأجاب إلى الصلح ؛ على أن يحمل إليه
صاحب ماردين مائة ألف وخمسين ألف دينار ، ويخطب له بيلاده ، وتضرب
السكة باسمه ، ويكون عسكره^(٥) في خدمته متى طلبه .

(١) ما بين الحاصرتين عن س (ج ١ ، ص ١٤٧)

(٢) هذا اللفظ ساقط من ك والنس في س : « يمضي إليها ويملكها »

(٣) (ك) : « مياقروين » وهو خطأ

(٤) (ك) : « عنده »

فأجيب إلى ذلك .

وحصل للملك الظاهر بطريق هذه^(١) الوساطة عشرة آلاف دينار ، وضيعة تسمى « القرادى » من أعمال شبختان .

فرحل الملك الأشرف عنهم وتفرقت العساكر .

وفي هذه السنة نزل ابن لاون — صاحب الأرمن — على جسر الحديد ، لحرب أهل أنطاكية ، وأتلف مرز الأبرنس صاحبها ، وأخرب البلد المختص بالخيالة والأبرنس ، وقطع مادة الميرة المتواصلة من أنطاكية إلى حلب .

وفي هذه السنة ورد الخبر أن الفرنج الذين كانوا اجتمعوا بعمكا عاد أكثرهم إلى داخل البحر ، وما تخلف إلا من عجز عن السفر ، وأن الغلاء كثر بعمكا ، ومتى قطعت عنهم الميرة هلكوا .

ذكر إخراج

الملك العادل الملك المنصور

ابن الملك العزيز من الديار المصرية

كنا ذكرنا استقلال الملك العادل بملك الديار المصرية وإزالة اسم الملك المنصور محمد بن الملك العزيز .

ولما كانت هذه السنة تقدم الملك العادل بإخراجه من الديار المصرية ، لأنه خاف من الصلاحية ومن يميل إلى الملك العزيز أن يقوموا مع ولده وتعود الفتنة والعصبية كما كانت .

(١) هذا اللفظ ساقط من (٢).

فأخرج [الملك المنصور بن العزيز]^(١) من مصر في الخامس والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة ، ومعه والدته وأخوته ومن يختص به ، وسُيِّروا إلى الرُّها ، فأقاموا بها مدة ، ثم انتقلوا إلى حلب ، وأقاموا عند الملك الظاهر صاحبها .

وسنذكر إن شاء الله تعالى أن الملك الظاهر في مرض موته جعل الملك المنصورَ هذا وليَّ العهد بعد وليِّه : الملك العزيز ، والملك الصالح .

وفي هذه السنة شرع الملك العادل في عمارة فصيل دائر حول سور دمشق بالكُاس والحجر ، وهو من سفلى الخندق إلى مقدار قامة ، وعمَّق الخندق ، وأجرى الماء فيه .

ذكر نزول

الملك المنصور يعبرين مرابطا للفرنج

وفي هذه السنة توجه الملك المنصورُ بمساكرد إلى بعرين ، فنزل بقلعتها مرابطا لفرنج الساحل ، وأقام بها .

وطلب من الملك العادل النجدة ، فتقدَّم الملك العادل إلى الملك الأجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه — صاحب بعلبك — ، وإلى الملك المجاهد — صاحب حمص — بإنجاده ، [ففعلوا ذلك]^(٢) .

ووصل من صاحب صفى الدين بن شكر كتابٌ إلى الملك المنصور — صاحب حماة —^(٣) منه :

(١) ما بين الحاصرتين عن (س)

(٢) ما بين الحاصرتين عن (س)

« علم المملوك حركة المولى ونزوله قبالة حصن الأكراد ، وما عزم عليه من لمصابرة والجهاد .

وقد كتب السلطان — أعزَّ الله أنصاره — إلى صاحب حمص وبعليك — أبقاها الله — بمقتضى ما أشار المجلس ونَّبه عليه من إيفاد عسكرهما إليه .

وقد علم الله أن المملوك لا يألو جهداً في خدمته ، التي يعدها من السعادة والمبادرة إلى امتثال أمثلته التي صارت له كالعادة » .

ثم ورد كتاب من الملك العادل إلى الملك المنصور يخبره بأنه قد كتب إلى الملك الظاهر يأمره بتسيير نجدة من عنده إلى خدمته ، ^(١) وأنه قد أنكر على صاحب حمص وصاحب بعليك تأخر النجدة عنه ^(٢) .

وورد كتاب من صفى الدين بن شكر إليه ، منه :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ مِنَ التُّبَعَادِ فَوَيْتَ فِي قَلْبِي قَرِيبَ

عَرَضَ ^(٢) للمملوك كتاب المولى [على] ^(٣) السلطان — خَدَّ الله ملكه — ، وقد كتب إلى الملك الظاهر ، والملك الأحمَد ، والملك المجاهد ، — عزَّ نصرهم — بتسيير عساكرهم إليه وورودها عليه ، وإعانتة على جهاده ، ومرابطته والانقياد إلى آرائه وطاعته ، فجزاه الله عن الإسلام ما جزاه ، فقد أوتى من الفضل ما لم يوث سواه ، وقد قام بأمور الجهاد لما قعد عنه من عداه ، وقد اقتنى الأجرين ، وحاز الشكرين ، وقام بالحقين ، وأدَّى ما يجب عليه من الفرضين ، فشكره محمدٌ في صحائف الأيام ، وحمدُه تنطق به ألسنة الأقاليم .

(١) هذه الجملة ساقطة من (س) .

(٢) الأصل : « عرض » ، والصحيح عن (ث) و (س) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) و (س) .

وقد أهل له في الآخرة عن هذا السعى المشكور دار السلام .
ولما وصات نجدة الملك الظاهر إلى عند الملك المنصور ، ونجدة الملك الأجد
تهياً لملتقى الفرنج — خذلم الله تعالى —^(١) .

ذكر الواقعة

التي أوقعها الملك المنصور بالفرنج

(١٤١) وكانت في ثالث شهر رمضان من هذه السنة

وكان من حديثها : أن الفرنج اجتمعوا من حصن الأكراد وطرابلس
والحصون التي حولها .

وجاءوا في فارسهم وراجلهم .

وركب الملك المنصور في العساكر التي معه ، وتقدم إليهم ، وقاتلهم ،
فهزمهم ، وأخذ^(٢) جماعة من مقدميهم وخيالاتهم ، وبعث بهم إلى حماة ،
فدخلوها راكبين خيولهم ، لابسين غددهم ، وبأيديهم رماحهم ، وكان
يوماً مشهوداً .

وفي ذلك يقول بهاء الدين أسعد يحيى السنجاري قصيدة يمدحه بها ، ويهنئه
بهذا الفتح الجليل :

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) (ك) : « وقتل » ، ولا يستتم بها المعنى ، وما بائتن هو الصحيح ، والنص في س :
« وقتل جماعة من مقدميهم ورجالاتهم وخيالاتهم ، وأسر منهم جماعة كبيرة ، وبعث بهم إلى حماة » .

مطلعها :

المجدُ يُدرِكُ بالعسالة الذبل
والجدُّ في الجدِّ ، فاجنبها^(٢) مسومة
مالدة العيش إلا صوت مفعمة
يا أيها الملك المنصور نصح فتى^(٣) لم يهوه
اعزم ولا تترك الدنيا بلا ملك
وأبرز إلى الموت^(٤) يوم الرّوع مذرعا
وهم في طاب العاياء مرتقيا^(٥)
واهضر عداك كيهضر الليث طعمته^(٦)
والمشرفية ، لا بالوعد والأمل^(١)
يقودها أسد بالأيثق الذلل
ينال فيها المنى بالبيض والأسل
عن وفاء كثرة العذل
وجد ، فالملك محتاج إلى رجل
قلبا ، إذا زالت الأفلاك لم يزل
وأرسل الجيش أبداً من الرسل
وصل إذا الليث في الهيجاء لم يصل

ومنها :

يا أوحد العصر ، يا خير الملوك ، ومن
أشهرت عينيك^(٧) في كسب العلا ولكم
من بات يسهرها في اللهو والجذل
جاهدت في الله طوعاً وملكاً غدواً
يستهترون^(٨) بذات الحلى والخلل

(١) (ك) : د الأهل

(٢) (ك) : د فحيرا ،

(٣) (ك) : ثق . وفي (س) لياض

(٤) (ك) و (س) : د الحرب ،

(٥) (ك) : د مرتقيا

(٦) (ك) : د داهم عداك كهم ليت طعمته . و (س) : د وانهم عداك كنهم .. يخ ،

(٧) (ك) : د العين . و (س) : د العين . والتصحيح عين (س)

(٨) (ك) : د كذا في الأس . و (س) : د كذا في الأس .

يَدَاكَ بَاطِنُهَا لِلْجُودِ مُذْ خُلِقَتْ فِينَا وَظَاهَرُهَا لِلنَّمِّ وَالْقُبَلِ
وَأَنْتَ شَرَّفْتَ أَيُّوبًا عَلَى شَرَفٍ^(١) فِيهِ وَقَعْتَ كِرَامَ السَّادَةِ الْأَوَّلِ
أَنْغَمَدْتَ بَيْضَ الْمَوَاضِي فِي الرِّقَابِ وَقَدْ^(٢) حَلَّيْتَ عَاطِلَهَا خَرِبًا مِنَ الْقَالِ
عَاجَتِهِمْ بِالْمَنَايَا وَالْحَتُوفِ فَلَا تَتْرُكْ لَهُمْ أَجَلًا يَنْبَقَى إِلَى أَجَلٍ
(٤١ ب)

صَفَّدَهُمْ عَاجِلًا^(٣) وَاجْعَلْ حَصُونَهُمْ سَجُونَهُمْ فَهَمُ فِي غَايَةِ الْفَشَلِ
وَلَمَّا كَسَرَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ — صَاحِبُ حِمَاة — الْفَرَنْجَ كَتَبَ إِلَى عَمِّهِ
السَّاطِنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ — رَحِمَهُمَا اللَّهُ — يَعْرِفُهُ ذَلِكَ .

فورد عليه كتابُ الملكِ العادل ثامنَ عشرَ شهرَ رمضانَ ، ومنه :
« وردتُ مكاتبةُ المجلس ، ووقف الخادمُ عليها ، وفهم ما أشار إليها من
يُمنِ حركته ، وسعادة وجهته ، وبركة نصرتِه ، ودخوله إلى بلاد الكفار ،
وما أثَّره^(٤) فيها وفيهم من جميل الآثار ، فاستبشر بما دلَّت عليه من هذه النعم
الراهنَةِ ، والوفاء الظاهرة والباطنة ، والله تعالى يجازيه أحسن الجزاء ،
^(٥) ويضاعف له من الحسنات أوفر الأجزاء^(٦) ، ويرحم سلفه الكريم ، ويحسن له
في الحديث والتقديم ، ويؤيده في كل حركة بأحزاب الملائكة » .

ووصل في هذه المدة رسولٌ من الداوينة [إلى الملك المنصور] ^(٦) يخبر فيه

(١) النص في (س) : « وَأَنْتَ شَرَّفْتَ بَنِي أَيُّوبَ فِي شَرَفٍ » .

(٢) (س) : « أَنْغَمَدْتَ » .

(٣) (س) : « عَاجِلًا » .

(٤) (ك) : « أَثَرٌ » .

(٥) هذه الجملة من قصة من (ل) .

(٦) ما بين الحاصرين زيادة عن سنة .

(١٠) مفرج الكرب

بوصول الفرنج إلى عكا من داخل البحر في نحو ستين^(١) ألفاً من فارس تركبلى^(٢) وراجل ، وأنهم يقصدون جهة جبلة واللاذقية

وأن مقدم الاستبارية^(٣) ، ومقدم الداوية ، والملك متوجهون إلى ابن لاون ملك الأرمن ، ليصلحوا بينه وبين الأبرنس — صاحب أنطاكية — ويأتون بابن لاون لياقى الفرنج ، وتجتمع كلمة الكل على حرب المسلمين .

وأن^(٤) المركيس وكند^(٥) قلنط^(٦) مقدمى العسكر الخارج إلى بلاد الشام وقع بينهم وبين ملك الهندكية^(٧) وقعة عظيمة ، وأخذوا مدينة كبيرة بالسيف ، وقتلوا منهم خلقاً كبيراً^(٨) .

وأن شينيا^(٩) قدم من عندهم يُخبر بأنهم اصطالحوا ، وأنهم خارجون إلى الشام في عيد الصليب .

وإنما قصدت الداوية بهذه الأخبار الإرهاب ، ليصالح^(١٠) الملك المنصور بيت^(١١) الاستبار . فإن الداوية سألم^(١٢) الاستبار التوسط بينه وبينهم .

(١) (ك) و (س) : سبعين ألف فارس من تركبلى وراجل . . الخ .

(٢) شرحنا هذا المصطلح شرحاً مفصلاً فيما سبق (مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ، هامش ١ ، ص ٣٩٥ ، هامش ١) والنس هنا يضيف جديداً ، فهو يشير إلى أن حملات الفرنجة الوافدين عبر البحار كان من بينهم فرق من التركبلى .

(٣) انظر : (مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، هامش ٢) .

(٤) (ك) : وأن دكبد قليط . .

(٥) انظر : (مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٧٣ ، هامش ١) .

(٦) (ك) : الاتنكرية . .

(٧) (ك) : كثيراً . .

(٨) شرحنا هذا اللفظ شرحاً مفصلاً في (مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٣٠ ، هامش ١) .

(٩) (ك) : ليصالح .

(١٠) (ك) : د بين .

(١١) (ك) : سألوا .

فأجاب الملك المنصور : « بَأْتَا لَا نَجْزِعُ بِمَا تَقُولُ وَلَا نَكْتَرُ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ
أَضْعَافُ ذَلِكَ لَنَاجَزْتَهُمْ ، فَقَدْ تَحَقَّقْنَا قَصْدَهُمْ لَنَا ، وَعَلِمْنَا ذَلِكَ وَلَا سَبِيلَ
إِلَى مُصَالِحَةِ الْاِسْتِبَارِ بِوَجْهِ » .

فَضَرَعَ الرِّسُولُ حَيْثُ . وَسَأَلَهُ تَقَايِدَ الدَّوَايَةِ (١) الْمَائَةِ فِي (٢) صَلَاحِهِمْ وَاعْتَذَرَ
مِنْ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ .

فَأَجَابَهُ إِلَى مُلْتَمَسِهِ .

فَسَرَّ الرِّسُولُ بِذَلِكَ (١٤٢) وَقَامَ وَكَشَفَ رَأْسَهُ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ .

وَوَرَدَ كِتَابُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ يُخْبِرُهُ فِيهِ بِالْفَرَنْجِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْبَحْرِ ، وَتَوَجُّهِهِمْ
إِلَى جِهَةِ اللَّادِقِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وُلِدَ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ تَقِي الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَسَمَّاهُ
عُمَرَ ، وَإِنَّمَا سَمِيَ مُحَمَّدًا بَعْدَ ذَلِكَ .

وَكَانَتْ وَلادَتُهُ بِقَلْعَةِ حِمَاةَ ظَهَرَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ
مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

وَكَانَ وَالِدُهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ بِقَلْعَةِ بَعْرِينَ فِي مَرَابِطَةِ الْفَرَنْجِ ، فَلَمَّا بَاغَتْهُ وَلادَتُهُ
قَدِمَ إِلَى حِمَاةَ يَوْمَ الْأَحَدِ مُتَعَفِّفٌ شَهْرَ رَمَضَانَ ، فَبَيَّنَّاهُ أَكْبَارَ الدَّوْلَةِ ، وَمَدَحَهُ
الشُّعْرَاءُ وَهَنَوْا بِذَلِكَ ، فَمِنْ مَدَحِهِ وَهَنَاهُ سَالِمُ بْنُ سَعَادَةِ الْحَمَصِيِّ وَهُوَ مِنَ الشُّعْرَاءِ
الْمَجِيدِينَ (٣) ، بِقَصِيدَةٍ مِثْلِهَا :

هَذَا الْهِنَاءُ الَّذِي سَرَّتْ بِشَائِرُهُ بِمَوْلِدِ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ
شِبَابُ أَتَى مِنْ هَزَبِ بَرْ شَمَرِ ذُبَابِهِ آجَامُهُ وَمَوَاضِيهِ بُولُورُهُ

(١) هَدَتْ النِّظَامُ غَيْرَ مَوْجُودٍ فِي (٢)

(٣) الْأَوَّلُ . الْحَدِيثُ ، وَمَا أُتِيَتْهُ صِيغَةُ (ك) ، وَهِيَ أَصَحُّ .

أُنْحَى أَمَّا أَيْسَهُ شَرِبَهُ ، وَلَهُ فِي الْمَلِكِ مِنْ جَدِّهِ جَدٌّ يُؤَازِرُهُ
هَنِيئَتُهُ وَلَدًا أَطْلَعَتْ كُوكِبَهُ وَيَالَهُ فَلَكُ إِلَّا مَفَاخِرُهُ
سَمِيَّتُهُ عُمَرَا لَمَّا انْطَوَى عُمَرُ وَذَكَرَ أَحْسَابَهُ ^(١) فِي الْخَلْقِ نَاشِرُهُ
فَجَاءَ يُشَبِّهُهُ بِأَسَا وَتَحْمَدَةَ وَنَائِلًا عَمَرَا الْآفَاقِ عَامِرُهُ
خُضِرَ مَعَايِنُهُ مَحْمَرٌ مَا يَكُرُّ بِهِ مِنْ الظُّبَى وَالْقَنَا بِيضٌ مَا تُرُّهُ
خَلَجَ مَنَاصِلَهُ ، عَدَدَ سَوَابِغِهِ أَسَدٌ جَحَافِلُهُ ، فَتَحَّ ضَوَامِرُهُ
ثَرَّتْ ^(٢) مَوَاهِبُهُ ، كَرَّثَتْ كِتَابَتُهُ دَرَّتْ سَحَابَتُهُ ، سُرَّتْ عَشَائِرُهُ

ذكر الوقعة

التي أوقعها الملك المنصور بيت الاستبار

ولما كان الحادى والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة خرج جميع
الاستبار من حصن الأكراد والمرقب ، ومن وصل إليهم من الضرب ، وأغاروا
على عمل ^(٣) بعيرين .
وعدتهم أربعمائة ^(٤) فارس ، خارجاً عن التُّرْكُيَّةِ ^(٥) ، وألف ومائتا ^(٦) راجل
ومن معهم من الجرجانية ^(٧) ، ورماة الزنبورك ^(٨) .

(١) ك : د : إحسانه . .

(٢) س : د : درت . .

(٣) (س) : د : بلدى . .

(٤) (س) : د : خمسمائة . .

(٥) انظر ما فات من هذا الكتاب (مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ، هامش ١ ؛

ص ٣٩٥ ، هامش ؛ ج ٣ ، ص ١ ، هامش) .

(٦) (س) : د : وأربعماية . .

(٧) شرحنا هذا اللفظ شرحاً الفصلاً فيما فات (مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ،

هامش ٣ ، ص ٢٤٢ ، هامش ٤) .

(٨) انظر شرحنا لهذا المصطلح في (مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ، هامش ١) .

فرتَّب الملكُ المنصور — صاحب حماة — عسكره ، وقصدهم والتقاهم ،
فكسره ، وقتل منهم مقتلة عظيمة .

وكان (٤٢ ب) من جملة القتلى مقدَّم التُّرْكُ كُتَيْبِيَّة ، وقومص من البحرية .
وأسر منهم جماعة من الأخوة ، منهم : « أفرمیلو » ^(١) أخو ^(٢) « الجرد » .
وانهزم الباقون لا يلون على شيء ، وكانوا قد كنوا لهم كميناً ، هم : مائة
فارس ، وألف وخسمائة راجل ، فلما علموا بالكسرة ولوا هاربين .

وُحِثَت الأسرى إلى حماة على خيولهم بعددِهم ، وبأيديهم قنطارياتهم ^(٣) .
ومدح سالم بن سعادة الملك المنصور ^(٤) مهنتاً له بهذه الواقعة ^(٥) بقصيدة مطامها :

أَمِنْ اللّٰوَا حَظِّ أَنْ يُفَوِّقَ أَسْهَمًا رِيْمٌ بِرَامَةٍ مَارُمِي ^(٦) حَتَّى رَمَى
بِصَوَائِبٍ تُخْطِي النَّبَالَ وَنَبَاهَا يُرْدَى الرَّمِيَّ ، وَلَا يُرِيقُ لَهُ دَمًا
فَتَانَةً ^(٧) بِالسَّخْرِ بِلَ فِتَا كَةً ^(٨) مَا جَارَ قَاضِيَهِنَّ حَتَّى حُسْكَمَا

ومخلصها :

أَضْحَيْتَ فِيهَا مُفْرَمًا كَمُحَمَّدٍ لَمَّا غَدَا بِالْأَرْيَحِيَّةِ مُفْرَمًا
وَجَرَى بِحَلْبَةِ تَجْدِهِ ، فَتَأَخَّرَتْ عَنْهُ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ حِينَ تَقَدَّمَ

(١) (ك) : « أبشر ميلو » ، و س : « الروم يلو » .

(٢) الأصل : « أخ » ، والتصحيح عن (ك) .

(٣) انظر شرحنا لهذا المصطلح في (مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، هامش ٣)

(٤) هذه الفقرة غير موجودة في (ك) .

(٥) (ك) و (س) : « مارنا » .

(٦) الأصل : « فتانة » ، التصحيح عن (ك) .

(٧) (س) : « بل قتالة » .

كم بِلْدَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ بِنَاؤُهَا بِسُطَاكَ — فِي يَوْمِ الْمَغَارِ^(١) — تَهْدِمَا
وَشَدَنْتَ مَتَقًا بِسَاحِلِ^(٢) بَحْرِهَا جَيْشًا حَكِيَ الْبَحْرَ الْخَيْضَمَ عَرَمَرَمًا
أَسَدَلْتَ فِي الْآفَاقِ مِنْ هَبْوَاتِهِ^(٣) لَيْلًا وَاطْلَعْتَ الْأُسْنَةَ أَنْجُمًا
^(٤) وَدَحَيْتَ أَرْضَ طِلَالِ الْكُمَاةِ بِرَاحِهِ بَنَى الْعِجَاجَ لِنَجْمٍ صَارِمًا سَمَا
وَشَدَا لَتَرْقِصِ الْجَاجِمِ صَارِمٌ بِأَسَانِهِ كَمْ شَقٌّ مِنْ كَلِمٍ قَمَا
سَيْفٌ هُوَ النَّهْرُ الَّذِي فِي سَيْفِهِ تَضْحَى نَفُوسُ بَنَى الْأَصْيَفِرِ عُمَا^(٥)

ذكر انتزاع

ما كان أعطيه الملك الأفضل

من البلاد^(٥) ما عدا سُمَيْسَاطَ^(٦)

وَبَلَغَ الْمَلِكُ الْعَادِلَ أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ^(٧) الْمَلِكَ الْأَفْضَلَ قَدْ^(٧) كَاتَبَ جَمَاعَةَ
مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَحَالَفَهُمْ عَلَيْهِ .

فَكَتَبَ حِينَ تَحَقَّقَ ذَلِكَ إِلَى وَلَدِهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مُوسَى لِيَنْتَزِعَ مِنْهُ
رَأْسَ عَيْنٍ وَسَرُوجَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى قَلْعَةِ نَجْمٍ وَيَنْتَزِعَهَا مِنْهُ ،
فَفَعَلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِهِ مِنَ الْبِلَادِ إِلَّا سُمَيْسَاطُ .

(١) (س) (ج ١ ، ص ١٥٠ ب) : « فِي يَوْمِ الْمَارِكِ » .

(٢) (ك) : « بِسَاحَةِ » ، وَفِي (س) وَتَشَدَّتْ سَفَهَا بِسَاحِلِ بِحَرِّهَا جَيْشًا عَلَى الْبَحْرِ
اخْضَمَ عَرَمَرَمًا .

(٣) (س) : « أَسَدَلْتَ الْآفَاقَ مِنْ هَبْوَاتِهِ » .

(٤) : هَذِهِ لَأَيَّاتُ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَزِدْ فِي نَدَخَةِ (س) ، وَإِنَّمَا جَاءَ فِيهَا : « وَهِيَ قَصْدَةٌ طَوِيلَةٌ
اخْتَصَرْنَا مِنْهَا هَذَا الْقَدْرَ خَوْفًا مِنَ الْإِطَالَةِ ، وَفِيهِ كِفَايَةٌ » .

(٥) (ك) : « خَلَا » .

(٦) هَذَا الْعَنْوَانُ غَيْرُ مُوجُودٍ فِي (س) .

(٧) هَذِهِ الْكَلِمَاتُ سَاقِطَةٌ مِنْ (ك) .

(١٤٣) فلما رأى الملك الأفضل ذلك أرسل والدته إلى الملك المنصور — صاحب حماة — ، وسأل أن يشفع له إلى الملك العادل ، ^(١) وأن يرسل معها رسولا إليه .

فلما وصلت إلى حماة أرسل معها القاضي زين الدين بن هندی المعروف بقاضي حمص .

فمضت والددة الملك الأفضل إلى الملك العادل ^(٢) ومعها القاضي زين الدين فلم تقع الإجابة إلى ما طلبت ، ورجعت خائبة .

قال عز الدين بن الأثير :

« قد عوقب البيت الصالح بما فعله والدهم السلطان الملك الناصر ، فإنه لما نازل — رحمه الله — الموصل محاصراً لها ، خرج إليه الأتابكيات ، ومن جملةهن ابنة نور الدين — رحمه الله — يشفعن إليه في أن يبقى الموصل على عز الدين مسعود ، فلم يجبهن إلى ذلك ، وردهن خائبات ، ثم ندم — رحمه الله — على ردهن لما مرض غاية الندامة .

وقد تقدم ذكر ذلك ، فجرى للملك الأفضل من رد أمه خائبة غير مقبولة الشفاعة مثل ذلك سواء . »

ورجع القاضي زين الدين — قاضي حمص — وعلى يده من الملك العادل كتاب منه .

« وكان ورود الكتاب الكريم على يد فلان ^(٣) ، وعرف ما ذكره

(١) هذه الفقرة ساقطة من (س) .

(٢) (س) : « على يد زين الدين » .

من أمر المجلس العالى الملكى الأفضلى ، وما أبداه بسببه وسمع الرسالة ووعاها ، وأصغى إلى إشارتها ومعناها ، وقد أعاد القاضى زين الدين بعد أن شافهه بما يعيده على المجلس من الأحوال ، ويورده لديه من الأقوال .

والمجلس يجرى على عادته الجميلة فى الإصغاء إليه ، والاعتماد عليه . وكان مضمون المشافهة أن الملك الأفضل ظهرت منه أحوال ، وبرزت منه أفعال لا يجب^(١) إهمالها ، فأوجب ذلك تغييرنا عليه .

ولما جرى ما ذكرناه أقام الملك الأفضل بسميساط ، وقطع خطبة عمه الملك العادل ، وخطب للسلطان ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان بن مسعود السلجوقى — صاحب بلاد الروم — ، وانتمى إليه .

ولما كسر الملك المنصور الاستبصار كتب إلى الملك العادل يخبره بذلك ، ويخبره برغبة الاستبصار فى الصالح ، ويستطلع أوامره بذلك . فورد عليه كتاب الملك العادل ، ومنه :

« الذى يراه المجلس (٤٣ ب) من الحواب يعتمده ، والمصلحة إن شاء الله فيما يصقده .

وأما الفرنج — خذلهم الله — فإن مادتهم قليلة ، ونجدتهم متأخرة ، وقد وصلت الكتب من كل جهة تخبر بضعفهم ، ولم يتجدد سوى مضيهم إلى أنطاكية للصالح بين الإبرنس وابن لاون .

والثغور — بحمد الله — قد تحصنت ، والأمراء والعساكر إليها قد جردت ، وهى بهم قد ملئت وشحفت .

(١) (ك) و (س) : •••••

والله تعالى يوزع شكر المجلس ، فقد بلغ الغاية في الإحسان ، وأتى بما يزيد على الإمكان في هذا الشأن .

ويوعز^(١) المجلس^(٢) بأن يقوى عليهم القول ويشدد عليهم الطول . «
وفي ثامن شوال من هذه السنة وصلت نجدة من حلب إلى الملك المنصور ،
وهو نازل بقلعة بعرين .



(١) (ث) : . يؤكد .

(٢) (س) : المملوك .

ودخلت سنة ست مائة :

والسلطان الملك العادل مقيم^١ بقلعة دمشق .
والملك الظاهر^٢ بحلب .

والملك المنصور بقلعة بعرين ، مرابط للفرنج المخذولين ، ومعه عسكره ،
ومن ورد إليه من نجد الملوك .

ذكر وقوع الهدنة

بين الملك المنصور والفرنج^(١)

وتكررت بينه وبين الفرنج المراسلات في معنى الصلح .
وآخر الأمر أنه عقد معهم عَقْدَ الهدنة ، ورجع بعساكره إلى حماة ،
وتفرقت النُجْد .

وفي سابع وعشرين ربيع الأول من هذه السنة نازل ابن لاون ملك الأرمن
أنطاكية ، وجدَّ في حصارها والتضييق عليها ، فخرج الملك الظاهر^(٢) من حلب
وخيم على حارم .

واتصل ذلك بابن لاون ، فرحل أنطاكية ، فرجع الملك الظاهر^(٢)
إلى حلب .

وفي سابع عشر ربيع الآخر هجم ابن لاون أنطاكية : وذلك أنه راسله

(١) هذا العنوان غير موجود في (س) .

(٢) هذه الجملة ساقطة من (ك) .

أهلها ، وضمنوا له تملكها ، فسار إليها بغتة ، فلم يشعر الأبرنس إلا وابن لاون^(١) على بابها ، فارتاع لذلك وقاتله ساعة .

ثم هجم ابن لاون [البلد]^(٢) فالتجأ الأبرنس إلى القلعة ، واعتصم بها ، ونادى بشعار الملك الظاهر .

ووصل الخبر بذلك إلى الملك الظاهر على جناح طائر ، فخرج من حلب بالعساكر ، وقصد أنطاكية .

وبلغ ذلك ابن لاون فكرياً راجعاً إلى بلاده .

ونزل الملك الظاهر بمحارم .

فاما رجع ابن لاون عاد الملك الظاهر إلى حاب .

ذكر إيقاع

الملك الأشرف^(٣) مظفر الدين^(٤) موسى

ابن الملك العادل بعسكر الموصل

كان السبب في هذه الحرب أن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي — صاحب سنجار — كان بينه وبين نور الدين أرسلان شاء ابن مسعود — صاحب الموصل — وحشة — كما تقدم ذكره — ثم اتفقا بعد ذلك .

(١) بالنسبة (ك) مختلف عن الأصل ، وهو هناك : « وفي سابع وعشرين ربيع الأول هجم ابن لاون على بابها ، فارتاع لذلك ... أخ » ، أما النص في (س) فمختلف أيضاً ، وهو : « وكان ابن لاون قد هاجم أنطاكية قبل ذلك ، وذلك أنه راسلوه أهلها ، وضمنوا له تملكها ، فسار إليها بغتة ... إلخ » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٣) هذا اللفظ ساقط من (س) .

فلما كانت هذه السنة راسل الملكُ العادلُ قطبَ الدين واستماله ، فخطب قطبُ الدين للملك العادل ومال إليه ، فعظم ذلك على نور الدين . وسار إلى نصيبين في سلخ شوال من هذه السنة ، فنازلها ومالك^(١) المدينة ، ونازل القلعة عدة أيام .

وبينما هو محاصر لها إذ ورد عليه مظفر الدين كوكبورى ابن زين الدين كوجك — صاحب إربل — قد قصد أعمال الموصل ، فذهب يننوى ، وأحرق غلاتها .

فلما بلغه ذلك سار إلى الموصل على عزم قصد إربل ، ووصل إلى بلد ، وعاد مظفر الدين إلى بلاده .

وتحقق نور الدين أن الذى بلغه لم يكن على الصفة التى ذكرت له ، فقصد تليعفر — وهى لقطب الدين — فحصرها وأخذها ، ورتب أمورها ، وأقام عليها سبعة عشر يوما [وعاد إلى بلده الموصل]^(٢) .

واستنجد قطبُ الدين — صاحب سنجار — بالملك الأشرف فسار من حرّان نجدةً له ، وواقفه مظفرُ الدين^(٣) — صاحب إربل — ، وصاحب آمد ، وصاحب الجزيرة .

ووصل الملكُ الأشرف إلى نصيبين ، وجاءه أخوه الملك الأوحى نجم الدين — صاحب ميّا فارقين — ،^(٤) وصاحب الجزيرة^(٥) وصاحب دارا ، وساروا نحو البقعاء^(٥) .

(١) (ك) : « وطلب » .

(٢) ما بين الحاصرَين زيادة عن (س) .

(٣) (س) : « وفق الدين » .

(٤) هذين اللغزان ساقطان من (ك) و (س) .

(٥) (س) : « نحو الموصل » .

وتقدم إليهم نور الدين في عساكره ، فالتقى الفريقان بقرية يقال لها بوشنة ،
فانهزم نور الدين — صاحب الموصل — هزيمة قبيحة ، وتفرق عسكره
("أيدى سبا") .

وساق نور الدين إلى الموصل ، فدخلها في أربعة أنفس ، وهو لا يصدق
بالنجاة ، وتلاحق أصحابه به ، ونهبت أثقالهم ، وكل ما حواه عسكرهم^(٢) .
ثم قصد الملك الأشرف في عسكره جهة الموصل ، فزلوا كفر زمار ،
ونهبوا البلاد نهبا عظيما .

وكانت هذه الواقعة أول ما عرف من سعادة الملك الأشرف ويؤمن بقيته ،
فإنه لم يلق بعد ذلك جيشا إلا فضّه ، وعلا (٤٤ ب) بهذه الواقعة ذكره ،
واشتهر صيته ، وهنته الشعراء بما حصل له من هذا الفتح العظيم .

ومن مدحه وهنّاه منهم كال الدين على بن النبيه المصري ، فإنه مدحه
بقصيدة مطامها :

لما انثنى الغصن فوق كُثبانِه جبرتُ قلبي بِكسرِ رُمانِه
ونلتُ من ريقِه وعارضِه أطيبَ من راحِه ورِيحانِه

ومنها :

أغارُ في حلبة الطرادِ على خُدوده من غبارِ مَيِّدانِه
تلقى أعادى موسى كما لقيتُ أكراته عندَ ضربِ جُوكانِه
الملكُ الأشرفُ الكريمُ يداً شاهرَ من دَامِ عِزِّ سُلطانِه

(١) النفس في (ك) : د إلى أماكن شتى .

(٢) النفس في (ك) : د وكلما في عسكرهم .

مَلِكٌ ، زَمَامُ الزَّمَانِ فِي يَدِهِ فَاخْتَلَفَتْ كَاخْتِلَافِ الْوَأْنِ (١)
 بِيضَاءِ يَوْمِ انْطِلَاقِ أَنْعَمِهِ حَمْرَاهُ يَوْمَ اغْتِقَالِ مَرَّانِهِ
 يَحْكُمُ أَعْدَاؤُهُ بِنُصْرَتِهِ إِذَا اسْتَبَاتَ نَجُومُ (٢) خِرْصَانِهِ
 عَسَاكِرُ الْمُوصِلِ الَّتِي انْكَسَرَتْ تُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ وَفَرْسَانِهِ
 يَوْمَ أَبُو شُرَّةِ (٣) وَقَدْ قَدَحَتْ سَنَابِكُ الْخَيْلِ زَنْدَ نِيرَانِهِ
 تَفَرَّغُوا بِاجْتِمَاعِ كَيْدِهِمْ فَالْتَفَقْتِهِمْ آيَاتُ ثُعْبَانِهِ
 أَغْرَقَهُمْ بِحَرِّ جَيْشِهِ ، فَعَمُ كَالِ فِرْعَوْنَ تَحْتَ طُوفَانِهِ

ومنها :

مَا تَأْجُ كَيْسَرِي نَظِيرُ هِمَّتِهِ وَلَيْسَ إِيوَانُهُ كَأَيَّوَانِهِ
 يَا آلَ شَاذِي ، زِدْتُمْ بِهِ شَرَفًا كُلُّ كِتَابٍ يُدْرِي بِعُنْوَانِهِ
 وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ النَّجْدِ الَّتِي مَعَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ نَجْدَةُ ابْنِ عَمِّهِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ
 — صَاحِبِ حَابٍ — مَقْدُمُهَا الْمَلِكُ الزَّاهِرُ حَجِيرُ الدِّينِ (٤) دَاوُدُ ابْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
 — صَاحِبِ الْبَيْرَةِ — .

ثُمَّ تَرَدَّدَتِ الرِّسَالُ بَيْنَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَبَيْنَ (٥) نَوْرِ الدِّينِ — صَاحِبِ
 الْمُوصِلِ — فِي الصَّلَاحِ .

(١) (ك) و (س) : أكوانه . .
 (٢) (ك) : : بنجوم . .
 (٣) (س) : : أبو شرة .
 (٤) (٢) : : نجم الدين . .
 (٥) ما بين الحاصرتين زياد، عن (ك) . .

فلم يجب الملك الأشرف إلا بشرط أن يعاد تايغفر إلى قطب الدين
— صاحب سنجار — .

فتوقف نور الدين في ذلك ، ثم سلّمها ، واصطلحوا في أول سنة إحدى وستمائة .

ذكر نزول (١٤٥)

الملك العادل على الطور

لمحاربة الفرنج^(١)

وفي هذه السنة خرج الملك العادل إلى الطور لحرب الفرنج ، وسبب ذلك أنه
اجتمع بعكا منهم جمعٌ عظيم ، وجاءوا من كل فج ، وعزموا على قصد البيت
المقدس واستنقاذه من أيدي المسلمين ، وأخذوا في الإغارة ، ونهبوا كثيراً
من البلاد وسبوا وقتلوا في المسلمين .

فخرج الملك العادل من دمشق بعساكره ، وكتب إلى سائر البلاد يستدعي
النجد ، فجاءته النجد من كل ناحية .

فزل بالقرب من الطور ، وبينه وبين عكا مسافة يسيرة ، ليصدّهم
ويردهم من البلاد .

وخرج الفرنج بمجموعهم ، فمكروا بمرج عكا ، وأغاروا على كفر^(٢) كنا
وأخذوا كلّ مَنْ بها .

واستمر الحال على ذلك إلى آخر السنة .

(١) هذا العنوان غير موجود في (س) .

(٢) (س) : « كوك » .

ذكر استيلاء

الفرنج على قسطنطينية

لم تزل مدينة قسطنطينية بيد الروم من قديم الزمان إلى هذه السنة .

فلما كانت هذه السنة خرجت الفرنج من بلادهم إليها في جموع عظيمة ،
وأناخوا عليها ، فملكوها ، وأزالوا أيدي الروم عنها .

ثم لم تزل بأيدي الفرنج إلى سنة ستين وستمائة ، فقصدتها الروم واستعادوها
من الفرنج ، وهي في أيدي الروم إلى الآن .

وفي هذه السنة توفي السلطان ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان^(١) بن مسعود
بن قليج أرسلان^(٢) بن سليمان بن قتلش بن تيفو^(٣) أرسلان بن ساجوق سلطان
بلاد الروم .

وكانت وفاته سادس ذي القعدة ، وكان موته بالقولنج^(٤) ، تمادى به
سبعة أيام .

وكان قبل مرضه أيام قد غدر بأخيه صاحب أنكورية^(٥) — وهي
أنقرة — ، وكان حصره بها عدة سنين حتى ضعف وقلت الأقوات عنده ،
فأذعن إلى التسليم على عوض يأخذه منه ، فعوضه قلعة في أطراف بلده ، وحاف
له عليها .

(١) هذه الكلمات ساقطه من (ك) .

(٢) (ك) : « بن مسعود أرسلان بن ساجوق .. الخ » .

(٣) انظر شرحنا لهذا المعطّل فيما قات هنا (مفرج الكروب ، ٢ ، ص ١٠٦ .
هامش ٣) .

(٤) (ك) و (س) « الملورية » .

فَنَزَلَ عَنْ أَنْقَرَةَ وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ ، وَسَارَ وَمَعَهُ وَلَدَانِ لَهُ ، فَوَضَعَ رُكْنَ الدِّينِ مَنْ أَخَذَهُ ، وَأَخَذَ أَوْلَادَهُ مَعَهُ .

فَرَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَقُوبَةً لَهُ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ بِالْقَوْلِ نَجَّ فَمَاتَ مِنْهُ .
وَلَمَّا مَاتَ مَلِكٌ وَلَدَهُ قَلِيجُ أَرْسَلَانِ ، وَكَانَ صَغِيرًا ، فَلَمْ يَسْتَتِبْ أَمْرَهُ ، عَلَى مَا سَنَدَ كَرِهَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٤٥ ب) وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ أَسْطُولٌ مِنَ الْفَرَنْجِ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ،
فَدَخَلُوا إِلَى النَّيْلِ مِنْ جِهَةِ رَشِيدٍ ، وَوَصَلُوا إِلَى فَوْةٍ ، وَأَقَامُوا خَمْسَةَ أَيَّامٍ يَنْهَبُونَ
وَيَسْبُونَ ، وَعَسَاكِرُ مِصْرَ تَقَاتَاهُمْ ^(١) ، وَلَيْسَ لَهُمْ وَصُولٌ إِلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
هَنَّاكَ أَسْطُولٌ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ أَكْثَرَ الْبِلَادِ : مِصْرَ ، وَالشَّامَ ،
وَالْجَزِيرَةَ وَبِلَادَ الرُّومِ ، وَصُقْلِيَّةَ ، وَقَبْرِصَ ، وَالْمَوْصِلَ ، وَالْعِرَاقَ ، وَيُقَالُ إِنَّهَا بَلَغَتْ
سَبْتَةَ مِنَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَدَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ قَلِيجُ أَرْسَلَانِ بْنِ الْمَلِكِ
الْمَنْصُورِ — صَاحِبِ حِمَاةٍ — شَقِيقُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقِي الدِّينِ مُحَمَّدٍ ، وَأُمُّهُمَا مَلِكَةُ
خَاتُونُ ، ابْنَةُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ .

(٢) (س) (ج ١ ، ص ١٥٣ ب) : « مقابلهم » .

(١١) . مفرج الكروب

ودخلت سنة إحدى وستائة :

والفرنج نازلون في جموعهم بمرج عكا ، والسلطان الملك العادل في قبالتهم
مرابط لهم ، والرسل مترددة بينهم وبينه في الصلح .

ذكرى الهدنة

مع الفرنج^(١)

وآخر الأمر أنه تقررت بينهم وبينه الهدنة مدةً اتفق عليها ، وشروطوا
أن تكون يافا لهم ، واستنزله عن مناصفات ليد والرملة .
فأجابهم على ذلك وعقد الهدنة بينهم وبينه .

ذكر رحيل

الملك العادل إلى الديار المصرية

ولما تقرر أمر الهدنة رحل الملك العادل إلى مصر بالعساكر المصرية ، وتفرقت
النجد والعساكر الشامية إلى أماكنها .
وأقام بالقاهرة بدار الوزارة ، وأخذ في ترتيب البلاد والنظر في مصالحها .

ذكر إغارة

الفرنج على حماة

وفي هذه السنة أغارت الاستبارية على حماة ، لأن هدثهم مع الملك المنصور
كانت قد انقضت ، وانضم إليهم جمعٌ عظيم من الفرنج ، فنهبوا وقتلوا وسبوا

(١) هذا العنوان غير موجود في (س).

وساقوا إلى ضيعة على باب حماة تعرف « بالرُقَيْطَا » ، قريبة جداً من الباب الغربى .

وكان قد خرج من حماة من العامة خلق عظيم ، فلما وصل العدو إلى هذا المكان (١٤٦) ^(١) تفرقوا ، واختنق جماعة في أبواب المدينة ^(٢) ، ورمى خلق أنفسهم في الخنادق .

ثم رجع الفرنج إلى بلادهم بعد أن ملأوا أيديهم بالسبي ، وأسر من أكابر أهل حماة رجلاً يقال له شهاب الدين بن البلاعى ^(٣) ، كان فقيراً شجاعاً ، وكان أول أمره معماً ثم خلع العمامة وتزى بزى الجند ، وتولى البر ^(٤) مرة بحماة ، وتولى مرة أخرى سلمية ، فقاتل ذلك اليوم [قتالاً شديداً] ^(٥) ورمى فارساً ووقعت به فرسه ، فأخذ أسيراً ، وحمل إلى اطرابلس وغيره من الأسرى فهرب من اطرابلس ، ورمى بنفسه في البحر ، ثم تعلق بجبال ^(٦) بعلبك ، وجاء [بعد شذائد] ^(٧) إلى أهله سالماً .

ذكر الهدنة

بين الملك المنصور والفرنج

ولما جرى ما ذكرناه استدعى الملك المنصور النجدة من الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل [وهو بدمشق نائباً عن أبيه] ^(٨) ، فسير إليه عسكرياً .

(١) النص في (ك) و (س) : « هربوا واختبأوا جماعة في أبواب المدينة » .

(٢) (س) : « شهاب الدين البلاعى » .

(٣) انظر ما فات بهذا الجزء ، ص ، هامش .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٥) كذا في جميع النسخ ، واعلمها بجبال .

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

وترددت الرسل بين الملك المنصور والفرنج إلى أن استوثقت^(١) الهدنة بينهم إلى مدة معلومة .

وفي هذه السنة توجه الملك المنصور إلى الديار المصرية ، وكان عنده استشارة من الملك العادل ، فلما وصل إلى القاهرة أحسن إليه الملك العادل إحساناً كثيراً ، وأقام في خدمته شهوراً^(٢) ، ثم خاع عليه وعلى أصحابه وعاد إلى حماة مكرماً .

وفي هذه السنة أغارت الفرنج على حمص ، وقتلوا وأسروا جماعة .

وفي هذه السنة جرّد القاضي بهاء الدين بن شدّاد — قاضي حلب — ونزع طيلسانه ، وامتنع من القضاء .

وكان السبب في ذلك أنه كان حضر^(٣) إملاكا لفتح الدين بن جمال الدين فرخ^(٤) على ابنة علاء الدين — صاحب نابلس^(٥) — ، ولم يكن للزوجة وليٌّ غير أخيها ، فوكل الأخ القاضي بهاء الدين في التزويج بعد الإشهاد عليها بالرضى . فحضر القاضي وزوجها من الزوج المذكور ، وكان كمال الدين عمرُ ابن العجمي حاضراً ، فلما خرج مضى إلى دار علاء الدين ، وأوهمهم أن العقد لا^(٦) يصح ، وأحضر أخا الزوجة والزوج ، وجدّد العقد ، فغضب بهاء الدين ، ونزع طيلسانه ، وامتنع من الحكم .

وعلم الملك الظاهر — [صاحب حلب]^(٧) — ذلك ، فعظم عليه ، وجلس

(١) (س) : « إلى أن استقرت بينهم » .

(٢) (س) : « شهراً » .

(٣) الأصل و (س) : « حضر » ، والتصحيح عن (ك) .

(٤) (ك) و (س) : « خرج » .

(٥) الأصل ك : « بالس » ، والتصحيح عن (س) .

(٦) (ك) و (س) : « لم » .

(٧) ما بين الخاصرتين زيادة عن (س) .

مجلساً عاماً ، (٤٦ ب) أحضر فيه الأكابر من أهل حلب والفقهاء وأرباب المناصب ، وأحضر كمال الدين ، ثم أخذ الملك الظاهر في تعداد فضائل القاضي بهاء الدين ومناقبه ، وأطنب في ذلك ، ثم أخذ في ذكر معائب كمال الدين ابن العجمي ، والظعن فيه ، وبالغ في تبكيته وتنجيله وتقريعه ، ثم أمر الحجاب فخرؤد بأكله ، وأخرجوه من عنده على أقبح صورة ، وأمر بأن يمشوا به إلى الحبس .

ثم قال للأكابر الحاضرين : « كلّم تمضون الساعة مشاةً إلى دار القاضي بهاء الدين ، وتكشفون رؤوسكم له ، ولا تزالون به حتى يرضى » .
ففعّلوا ذلك .

ورضى القاضي بهاء الدين ، وعاد إلى الحكم . ولم يعد إلى لبس الطيأسان .
ثم شفع الشيخ أبو الحسن الفامى الزاهد في كمال الدين عمر [بن العجمي] ^(١) ، فأخرج من الحبس ، وأمر أن يصير إلى دار القاضي بهاء الدين ^(٢) وأمر أن يتضرع إليه حتى يرضى ، ففعل .

وفي هذه السنة بعث الظاهر عسكرياً إلى المرقب ^(٣) ، وقدم عليهم مبارز الدين أقبا ^(٤) ، فسار إلى المرقب ^(٢) وحاصره ، وهدم البرج الذي له على [باب] ^(٤) الميناء فأصاب المبارز من الحصن سهم فقتله ، وعاد العسكر بعد أن كادوا يفتحون الحصن ، [وأيديهم ملاءة من الغنائم] ^(٤) .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

(٢) هذه الجملة ساقطة من (ك) .

(٣) (س) : « أقببا » .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

وفي هذه السنة ملك السلطان غياث الدين كيخسرو بن قلیج أرسلان بلاد الروم .

وكان لما تغلب أخوه ركن الدين على البلاد ، قصد الملك الظاهر ، وأقام عنده مدينة ، ثم قصد صاحب قسطنطينية فأحسن إليه ، وأقام عنده . فلما مات ركن الدين سليمان ، وولى ابنه عز الدين قلیج أرسلان ، قصد كيخسرو البلاد ، وانغم^(١) إليه جمع كثير وملك البلاد ، واستتب أمره . وفي حادى عشر شوال من هذه السنة ولد الملك الصالح أحمد بن الملك الظاهر صاحب حلب وأمه أم ولد .

وكان قبل ذلك ولد للملك الظاهر ولد سماء يوسف ، من ابنة عمه غازية ابنة السلطان الملك العادل ، ثم توفى يوسف صغيراً ، وتوفيت بعده أمه غازية خاتون ، وهذه هى التى تزوجها الملك الظاهر فى حياة أبيه الملك الناصر — [رحمهم الله تعالى]^(٢) .

ذكر إغارة

الفرنج على جبلة واللاذقية^(٣)

(١٤٧) وفي ذى القعدة من هذه السنة أغارت فرنج اطرابلس على جبلة واللاذقية ، وكنوا قطعة وافرة منهم ، وسرّحوا جماعة تراءوا لأهل جبلة . وبلغ ذلك عسكر الملك الظاهر النازلين بجبلة ، فخرجوا إليهم فلم يشعروا

(١) (ك) : « واجتمع إليه » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

(٣) هذا العنوان غير موجود فى (س) .

إلا بكمين الفرنج قد خرج إليهم ، وبذلوا فيهم السيف فقتل من المسلمين
جماعة كثيرة .

وعاد الفرنج — لعنهم الله — [إلى طرابلس] ^(١) وقد ملأوا أيديهم بالسبي
والغنائم .

ذكر واقعة غريبة ^(٢)

كان القاضي أبو محمد مختار بن أبي محمد بن مختار المعروف بابن قاضي دارا ،
وزير الملك الكامل ناصر الدين محمد بن ملك العادل ، وحاكماً في دولته بالديار
المصرية ، والملك الكامل إذ ذاك ينوب عن والده الملك العادل بها .

وكان صاحبُ صفى الدين بن شكر وزير الملك العادل يبغضه و يضاده .
فما قدم الملك العادل مصر ، لم يزل بن شكر يقدح فيه عند الملك العادل ^(٣)
حتى نغم عليه فطلبه .

تخاف عليه الملك الكامل ، وأمره بالخروج من مصر ، فخرج منها ومعه
ولداه : نحر الدين ، وشهاب الدين ، واستصحب شيئاً من المال يسيراً ^(٤) ،
وورد إلى حلب ، فأكرمه الملك الظاهر وأمنه ^(٥) .

ثم ورد عليه أمر الملك الكامل يستدعيه إلى مصر ، وكان الملك الظاهر
قد عرض عليه أن يخدمه ، فأبى ، وخرج فنزل بعين المباركة على باب حلب ،
وأقام بها يتهياً للسفر .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن . (س) .

(٢) (ك) و (س) : عجيبة .

(٣) الأصل : الكامل ، والتصحيح عن (ك) .

(٤) (ك) : واستصحب شيء يسير من المال .

(٥) الأصل : وأمر له ، بدون نقط . وتصحيح عن (ك) و (س) .

فلما كان الرابع والعشرون من ذى القعدة من هذه السنة لم يشعر أصحابه إلا بخمسين فارساً قد أحاطوا بمضربه وقد مضى ربع الليل ، وقالوا : « نريد القاضى » .

فقالوا^(١) : « إنه نائم » .

فقالوا : « يُنبئ »^(٢) .

فخرج إليهم فى ثياب النوم .

فترجل منهم ثلاثة نفر فقتلوه ، ثم قالوا لغيره : « احفظوا أموالكم ، فما كان لنا غرض سواه » .

واتصل الخبر بالملك الظاهر^(٣) ، فركب وشاهده ، وأعظم مصابه ، وفرق الرجال فى الطرق ، فلم تقف لقتله على خبر ، [فكان كما قيل : هرب من القتل إلى القتل ، فما ينبجى حذر من قدر]^(٤)

وفى هذه السنة أغار الملك المجاهد أسد الدين — صاحب حمص — على الفرنج حتى وصات غارته إلى حصن الأكراد ، وأخذ من الغنم^(٥) والمواشى ما لا يحصى كثرة .

وفى هذه السنة (٤٧ ب) خلع الإمام الناصر لدين الله ولده عُدَّة^(٦) الدين أبا نصر محمداً من ولاية عهده .

(١) (س) : « فليل لهم » .

(٢) (س) : « فقالوا : نبهوه ، فأنبهوه » .

(٣) النص فى (ك) : « ولم يصل الخبر بالملك الظاهر ، فلما وصل خبره ركب وشاهده » .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن س (ج ١ ، ص ١٥٥ ب) .

(٥) س : « الغنائم » .

(٦) س : « عمدة » .

وكنا قد ذكرنا أن الإمام الناصر قد ولّاه عهده ، فلما كانت هذه السنة انحرَف عنه ، ومال إلى أخيه الأصغر أبي الحسن ، ولقبه « الملك المعظم » ، فأظهر في داروزير الخليفة — وهو يومئذ الشريف نصير الدين بن ناصر الدين بن مهدي — ورقة بخط ولي العهد أبي نصر إلى الخليفة تتضمن العجز عن القيام بولاية العهد ، ويطلب الإقالة ؛ وشهد عدلان^(١) أن الورقة بخطه ، وعمل بذلك محضراً ، شهد فيه الفقهاء والقضاة والفقهاء العدول فُقطعت الخطبة والسكة باسمه في سائر الآفاق^(٢) .



(١) (س) : « وشهد شاهدين » .

(٢) النص في ك : « فُقطعت وخطب له في سائر الآفاق » .

ودخلت سنة اثنتين وستائة :

والسلطان الملك العادل بالديار المصرية ، والممالك بمجالها .

وفي هذه السنة أغار ابن لاون — ملك الأرمن — على التركمان وهم نازلون بالنهر الأسود ، فأخذ منهم عالمًا لا يحصى ، واستاق نعيمهم ومواشيهم ، وسار إلى دربساك ، فحرق ربضها ، وعاد إلى بلاده .

فبعث الملك الظاهر سيف الدين بن علم الدين بن جندر ، وفارس الدين ميمون القصرى إلى حارم ، وسار بعساكره حتى خيم على [مرج]^(١) دابق ، وجمع إليه خلقًا من التركمان .

فأرسل ابن لاون إلى الملك الظاهر فى أن يردّ جميع ما أخذ ، وطالب رسولا يتحدث معه .

فأرسل الملك الظاهر سعد الدين بن فاخر ، فتحدث معه فى الصالح ، ورد الأخيذة ، فاطمأنت القلوب ، وأعطى الملك الظاهر التركمان الدستور بعد أن خلع عليهم .

ومنا تحقق ابن لاون طمأنينة الناس سار إلى حارم ، وضرب على العسكر النازل حولها وقت الصباح ، فقتل جماعة ، واستاق من كان فى سوق العسكر ، والرجالة ، ومن عجز عن الهرب ، ثم سار من يومه ودخل بلاده .

فسار الملك الظاهر إلى حارم ، فشاهد حالة قبيحة من كثرة القتلى ، فسار حتى خيم على جسر الحديد ، وطالب جماعة من أنطاكية ، واتفق معهم على أن

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن سن .

يستخدم من الفرنج عشرة آلاف راجل ، ويقصدون بلاد ابن لاون^(١)
من جهتهم ، ويقصد الملك الظاهر بلاده من جهة قورص ، ويجتمعون
على إستئصال شأفته ، وقلع أثره .

واتصل ذلك بابن لاون ، فخفض ، وبذل أن يُعطى (١٤٨) كل أسير
[عنده]^(٢) في بلده .

فأجاب الملكُ الظاهرُ إلى صلحه ، وأرسل سعد الدين فتسلم الأسرى
[وكانوا خلقاً كثيراً]^(٢) ، وعاد الملك الظاهر إلى حلب .



(١) (س) : « بلاد الأرمن » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) و (س) .

ودخلت سنة ثلاث وستمائة

^(١) والمالك على ما كانت في السنة التي قبلها .

ذكر مسير

الملك العادل إلى الشام^(١)

ولما تواترت الأخبار إلى السلطان الملك العادل بتطرق الفرنج بلاد المسلمين ، وإغارة أهل حصن الأكراد وطرابلس على بلاد حمص خرج مبرزاً إلى العباسية ، وأغذَّ السير إلى الشام ، ونازل في طريقه عكاً ، فصالحه أهلها على إطلاق جميع من^(٢) في أيديهم من أسرى المسلمين .

ثم رحل عنهم ووصل إلى دمشق [فلما وصل إليها أقام فيها أياماً]^(٣) ، ثم خرج منها مبرزاً إلى القصير على نيّة الجهاد .

ذكر وصول

الملك العادل إلى بحيرة قُدُس

وما فعله بالساحل بعد ذلك^(٤)

ثم وصل الملك العادل إلى حمص ، فنزل على بحيرة قُدُس ، واستدعى الملوك من أهل بيته والعساكر ، فجاءوه من كل ناحية .

(١) هاتان الفقرتان غير موجودتين في (س) .

(٢) (ك) و (س) د جميع من .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٤) هذا العنوان غير موجود في (س) .

وورد إلى خدمته : الملكُ المنصورُ — صاحب حماسة — والملكُ المجاهدُ — صاحب حمص — ونجدةُ ابن أخيه الملك الظاهر ؛ ووصل إليه الملكُ الأبعدُ ، — صاحب بعلبك — وعسكرُ سنجار والموصل والجزيرة وآمد ، وولده : الملك المعظم ، والملك الأشرف ، فاجتمع عنده نحو عشرة آلاف فارس^(١) ، وعسكروا معه على البحيرة .

وأشاع قصد أطرابلس .

ولم يزل مقيماً بالبحيرة حتى صام شهر رمضان كله ، ثم سار متوجهاً إلى حصن الأكراد ، فنازله ، وقاتل أهله أشدَّ قتال ، وفتح برجاً قريباً منه ، يسمى أعنار ، وأخذ منه خمسمائة رجل وأموالاً وسلاحاً كثيراً .

ثم توجه إلى قلعة قريبة من أطرابلس ، ونصب عليها المجانيق ، ولم يزل مصابراً لها إلى أن افتتحها ، وحصل على جميع ما كان فيها .

ثم رحل منها ونازل أطرابلس ، ونصب عليها المجانيق ، وضيق على أهلها أشدَّ تضيق ، وعاشت العساكر^(٢) في قرى أطرابلس وبساتينها ، وقطعوا جميع ما عليها من الشجر ، وهدموا كل حائط على ظاهرها ، وقطعوا العين (٤٨ ب) الواصلة إليها ، وخرَّبوا طرقها ؛ ولم يزل الأمر^(٣) كذلك إلى أيام من ذى الحجة ، فآنس الملكُ العادلُ من أصحابه فشلاً وخجراً ، فعاد إلى حمص ، فنزل على البحيرة . فبعث إليه صاحب أطرابلس^(٤) يخضع له ، وبعث له^(٥) مالاً وهدايا ، وثلاثمائة أسير ، ورغب في الصلح ، فصالحه في آخر ذى الحجة .

(١) س (ج ١ ، س ١٥٦ ب) : د نحو خمسة عشر ألف فارس .

(٢) (ك) : د وغارت العساكر على قرى . . الخ .

(٣) الأمل : د الأمراء ، والتصحيح عن (س) .

(٤) هذه الجملة ساقطة من (ك) و (س) .

وفي هذه المدة^(١) ترددت رسل بين الملك الظاهر وعمه الملك العادل، ومكاتبات ومعاتبات استشعر منها الملك الظاهر .

وتحدث الناس بأن الملك العادل عازم على قصد حلب ، وكثرة الأراجيف .
فأخذ الملك الظاهر في تحصين حلب ، وجمع الغلال والأحطاب وغير ذلك ،
وبذل الأموال .

ثم راسله الملك العادل بما طيَّب قلبه ، وتجددت بينهما الأيمان والعهود .



(١) (س) : « وفي هذه السنة » .

ودخلت سنة أربع وستمئة :

والملك العادل نازل على بحيرة قُدُس ، وقد فتك في الفرنج بالساحل فتشكا عظميا ، وأخاف أهله .

ولما وقع الصلح بينه وبين صاحب اطرابلس رجع إلى دمشق فأقام بها .
وفي هذه السنة توفي زين الدين قراجا الصلاحى [رحمه الله ، وكان أميراً
أديباً خيراً عادلاً يحب العدل والإنصاف]^(١) .

ذكر استيلاء

الملك الأوجد نجم الدين أيوب بن الملك العادل

على خلاط وبلادها

كانت خلاط قد صادرت — كما ذكرنا — بعد موت صاحبها شاهر من
ابن سكان لمملوكه سيف الدين بكتمر .

ثم قُتل بكتمر في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فملكها بعده ابن لبكتمر ،
ثم تغلب عليها سيف الدين بلبان أحد مماليك شاهر من .

وكان الملك الأوجد قد ملكه أبوه الملك العادل ميّافارقين وما معها
من الأعمال .

فقصد الملك الأوجد مدينة موش^(٢) ، فأخذ غيرها مما يجاورها ، وطمع
في ملك خلاط وقصدها .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) س : " موش " .

نخرج إليه سيفُ الدين بلبان ، وتصافا ، فانهزم الملك الأوحده ورجع إلى ميّا فارقين ، وجمع وحشد ، واستنجد بأبيه الملك العادل ، فبعث إليه عسكرياً ، فقصد خلاط ثانياً ، نخرج إليه بلبان ، وتصافا ، واقتتلا ، فانهزم بلبان .

وتمكن الملكُ الأوحده من البلاد ، وازداد طمعه فيها ؛ واعتصم بلبان بخلاط ، (١٤٩) وبعث إلى مغيث الدين طغرل شاه بن قليج أرسلان السلجوقي — صاحب أرزن الروم — يستغيث به ، ويستنجد به على الملك الأوحده .

فحضر بنفسه ومعه عسكريه ، واجتمعوا وصافا الملك الأوحده ، فانهزم الملك الأوحده .

وحصرا حصن موش حتى أشرف على أن يُملك ، فغدر مغيث الدين ببلبان ، فقتله طمعاً في بلاده ، وسار إلى خلاط ليلكها ، فمنعه أهلها ، فسار إلى ملاذ كرد ، فردّه أهلها أيضاً ، فعاد إلى بلده .

واستدعى أهلُ خلاط الملكَ الأوحده ليلكوه ، فحضر إليهم فملكوه إياها في هذه السنة ، وملك بلادها إلا اليسير منها ، وكره المجاورون له ملكه [تلك البلاد]^(١) خوفاً من أبيه الملك العادل ، وكذلك أيضاً خافه الكُرّج ، وكرهوه ، فتابعوا الغارات على أعمال خلاط وبلادها ، والملك الأوحده مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها .

واعتزل جماعةٌ من عسكري خلاط ، واستولوا على حصن « وان » وهو من أعظم الحصون ، وعصوا على الملك الأوحده ، واجتمع منهم جمع كثير ، واستولوا على مدينة أرجيش .

فكتب الملك الأوحده إلى أبيه الملك العادل يعلمه الحال ، فسير إليه أخاه

(١) ماين الحاصرتين زيادة عن (س) .

الملك الأشرف موسى في عسكر كثيف ، وحصروا قلعة وان ، فسلموها صلحاً وخرجوا منها .

فرجع الملك الأشرف إلى بلاده .

وهذه خلاط كانت من أعظم الممالك ، وُذكر أنها تقارب الديار المصرية في المنزلة ، وأنها تشتمل على نحو سبعين بلداً ، ويُعرف إقليمها بأرمينية ، وإنما خربت هي وغيرها من البلاد لما ملكها التتر .

ذكر الفتنة بخلاط

ولما ملك الملك الأوحّد خلاط سار عنها إلى ملاذكرد ليقرّر قواعدها ، فلما فارق خلاط وثب أهلها على مَنْ بها من عسكر الملك الأوحّد ، فأخرجوهم من عندهم ، وحصروا القلعة وبها أصحاب الأوحّد ، ونادوا بشعار شاهر من وإن كان قد مات قبل ذلك بزمان ، وإنما يعنون بذلك ردّ الملك إلى ممالكه . وبلغ الخبرُ الملكَ الأوحّد ، فعاد إليها ، وقد وافاه عسكر من عند^(١) أخيه الملك الأشرف ، (٤٩ ب) وحصر خلاط ، فملكها ، وبذل السيف في أهلها ، فقتل منهم خلقاً عظيماً^(٢) ، وأسر جماعة من الأعيان^(٣) ، وسيّرهم إلى ميا فارقين ، وكان كلّ يوم يرسل إليهم من يقتل منهم جماعة ، فلم يسلم من أهلها^(٤) إلا القليل .

وكان الملك الأوحّد شهيداً مقداماً على القتل ، فذلّ بهذا الفعل

(١) هذا اللفظ غير موجود في (ك) و (س) .

(٢) (ك) : « كثيرا » .

(٣) (ك) : « من أكابر أهلها » .

(٤) (ك) : « منهم » .

[أهل] ^(١) خلاط ، وتفرقت كلمة الفتيان بها . وكان الحكم لهم يملكون كل يوم ملكاً ويقتلون آخر .

وفي هذه السنة عزل الخليفة الناصر لدين الله وزيره نصير الدين ناصر ابن مهدي العلوي ، وكان متمكناً في وزارته ، وأصله من الري ، من بيت كبير .

وكان سبب عزله أنه أساء السيرة مع أكابر ممالك الخليفة ، منهم : أمير الحاج مظفر الدين سنقر — المعروف بوجه السبع — ، هرب من يده إلى الشام ، واتصل بالملك العادل سنة ثلاث وستمائة ، وأرسل يعتذر ، ويقول : « هربت من يد الوزير » .

ثم تبعه في الهرب قشتمر ، وهو أخض ممالك الخليفة ، هرب إلى دسقان ، وأرسل يقول : « إن الوزير يريد أن لا يبقى في خدمة الخليفة أحد من ممالكه ، ولا شك أنه يريد أن يدعى الخلافة لنفسه » .

وأكثر الناس القول فيه .

وقال بعض الشعراء فيه أبياتاً يعرض فيها بأن الوزير يروم الخلافة لنفسه ، لشرفه .

وهي :

ألا مبلغ عني الخليفة أحدا

توق — وقيت سوء — ما أنت ^(٢) صانع

وزيرك هذا بين أمرين فيهما فعالك — يا خير البرية — ضائع

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ش) و (س) .

(٢) (س) : « ما أنا صانع » .

فإن كان حقاً من سُلالةِ أحمدٍ فهذا وزيرٌ في الخلافةِ طامعٌ
وإن كان فيما يدعى غيرَ صادقٍ فأضيعُ ما كانت لديه الصَّنائعُ

فعرله الخليفة .

وقيل : كان سببُ عزله غير ذلك ، والله أعلم .

ولما عُزل كتب إلى الخليفة :

« إني قدمتُ إلى هاهنا وليس لي دينار ولا درهم ، ^(١) وقد حصل لي
من الأموال والأعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسمائة ألف دينار .
وسأل أن يؤخذ الجميع ، وأن يُفرج عنه ، ويسكن في المشهد أسوة ببعض
العلويين .

نخرج الجواب :

« ما أنعمنا عليك بشيء فنوينا استعادته منك ، (١٥٠) ولو كان ملءُ
الأرض ذهباً ، وأنت في أمان الله وأماننا ، ولم يبلغنا عنك ما تستوجب به ذلك ،
غير أن الأعداء قد أكثروا فيك [القول] ^(٢) ، وأختر لنفسك موضعاً تنتقل
إليه موقراً محترماً » .

فأختار أن يكون تحت استظهارٍ من جانب الخليفة ^(٣) ، لئلا يتمكن منه عدو ،
فتذهب نفسه ، فنعمل به ذلك .

وكان حسن السيرة قريباً من الناس حسن اللقاء لهم .

(١) (ك) : « ووصل إلى » .

(٢) ما بين الخاصرتين زيادة عن (ك) و (س) .

(٣) (س) : « تحت ظل الخليفة » .

ذكر الشريف

الوارد إلى الملك العادل

من الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين

كان الملك العادل قد سير أستاذ داره ألد كز العادلي ، والقاضي نجم الدين خليل بن المصمودي^(١) الحنفي الحموي — قاضي العسكر — رسولين إلى الديوان العزيز ، يطلب الشريف والتقليد على مصر ، والشام ، والبلاد الجزرية ، وخلاط . فأكرما ، وأحسن إليهما ، وأجيبا إلى مطلوبيهما .

وأرسل من الديوان^(٢) إلى الملك العادل الشيخ الإمام قدوة العارفين ، شيخ الطريقة والحقيقة شهاب الدين السهروردي — قدس الله روحه — ومعه الشريف الإمامي .

ولما وصل إلى حلب خرج الملك الظاهر إلى لقائه في جميع عساكره وأرباب دولته ، وأنزل في إيوان دار العدل ، [فأقام يومين للراحة]^(٣) .

وفي اليوم الثالث من مقدمه نصب له كرسي الوعظ ، وكانت عادته جارية به ، وحضره الملك الظاهر وأرباب المناصب في الإيوان .

وتكلم الشيخ شهاب الدين ، وذكر من مواعظه ما خشعت له القلوب ، ودمعت له العيون ، وأخبر وهو على المنبر أنه أطلق في بغداد وغيرها من المؤمنين والضرائب ما مبالغه^(٤) ثلاثة آلاف دينار ، فارتفعت الأدعية للخليفة .

(١) (ك) : ، خليل المصمودي . .

(٢) (ك) : « من الديوان السعيد » ، و (س) : « الديوان العزيز » .

(٣) ما بين اخصرتين زيادة عن (س) .

(٤) (ك) : « ثلاثين » ، و (س) : « ثلاثة آلاف ألف دينار » .

ثم سار الشيخ شهاب الدين من حلب ، وأرسل معه الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شدّاد ، ومعه ثلاثة آلاف دينار ، لأجل النشار إذا لبس الملك العادل خلعة الخليفة .

وبعث الملك المنصور ، والملك المجاهد أيضاً ما ينثر .

ولما قارب الشيخ شهاب الدين دمشق تقدّم الملك العادل إلى العساكر . (٥٠ ب) بلقائه ، فلقيه أولُ العسكر بالغسولة ، ولقيه من القصر^(١) الملك العادل ، وولده : الملك الأشرف ، والملك المعظم ، وغلّقت الأسواق ، وخرج الناس كلّهم ، وكان يوماً مشهوداً .

وجلس الملك العادل غد ذلك اليوم في دار رضوان ، بقلعة دمشق ، ودخل القاضي بهاء الدين ، ورسولا صاحبي حماة وحمص ، وأفيضت على الملك العادل جبة أطلّس أسود بطراز مذهب ،^(٢) وعمامة سوداء بطراز مذهب^(٣) ، وطوّق بطوق ذهب مجوهر ثقيل ، وقُلد بسيف محليّ جميع قرابه بذهب ، وركب حصاناً أشهب بمركب ذهب ، ونشر على رأسه علم أسود مكتوب عليه بالبياض ألقاب الخليفة .

وعند لبسه الخلعة نثر القاضي [بهاء الدين]^(٤) ورسولا صاحبي حماة وحمص عليه الذهب ، وقدم له القاضي بهاء الدين خمسين قطعة من أنحر القماش ، ونثر عليه رسلُ سائر الملوك الذهب .

ثم خلع رسولُ الخليفة على كلّ واحدٍ من الملك الأشرف والملك المعظم ،

(١) الأصل : « البصر » ، والتصحيح عن (ك) و (س) .

(٢) هذه الجملة ساقطة من (ك) و (س) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

عمامة سوداء ، وثوباً أسود واسع الكم ، وخلع على صاحب صفى الدين ابن شكر كذلك .

وركب الملك العادل وولده ووزيره بالتشريفات [إلى ظاهر البلد]^(١) ، ثم عادوا إلى القاعة [من باب النصر]^(٢) .

وقرأ صاحب صفى الدين التقليد الإمامي على كرسي نصب له ، وخطب الملك العادل فيه : « بشاهان شاه ، ملك الملوك خليل أمير المؤمنين »^(٣) .

ثم توجه الشيخ شهاب الدين إلى الديار المصرية فخلع على الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ، وجرى بمصر نظير ما جرى بدمشق من الزينة وإعظام رسول الخليفة ، وركوب الملك الكامل بالتشريف الإمامي .

ثم عاد الشيخ [شهاب الدين]^(٤) إلى الديوان [العزيز]^(٥) مكرماً معظماً . وفي هذه السنة أمر الملك العادل بعمارة قلعة دمشق ، وألزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها من ماله .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ح) .

(٢) هذا مثال نادر لبيان الخلع التشريفي التي كان يخلعها الخليفة على صاحب مصر والشام من الأيوبيين وعلى رجال دولته ، وهذا أيضاً وصف لطريقة الاحتفال بالباس هذه الخلع .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

ودخلت سنة خمس وستائة :

والملك العادل مقيمٌ بدمشق ، وعنددها ولداه : الملك الأشرف والملك المعظم .
(١٥١) وفي هذه السنة سارت الكُرجُ بمجموعها إلى مدينة^(١) خلاط ،
وقصدوا أرجيش ، وملكوها عنوة ، وأخذوا جميع ما فيها من الأموال والأمتعة ،
وسبوا أهلها ، وأحرقوها وخرَّبوها .

وكان الملك الأوحَدُ بخلاط ، فلم يقدم على الكُرجِ لكثرتهم وخوفه
من أهل خلاط ، لما كان أسداه إليهم من القتل والأذى ، فخاف أن يخرج
أن لا يتمكن من العود إليها .

ذكر قدوم

الملك الأشرف إلى حلب

ثم توجهه إلى الشرق

وفي هذه السنة توجه الملك الأشرف راجعاً إلى بلاده من دمشق .

ولما وصل إلى حلب تلقاه الملك الظاهر ، وأنزله بقلعة حلب ، وبالغ
في إكرامه وإخافه .

فذكر أنه كان — [مدة مقامه]^(٢) — يقيم له وجميع عسكره وأتباعهم
بجميع ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب والحلواء وعلوفات الدواب ، وكان

(١) (ك) و (س) : « ولاية » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

يحمل إليه^(١) كل يوم خلعة كاملة ؛ غلالة ، وقباء ، وسراويل ، وكُمَّة^(٢) ، وفروة ، وسيف ، وحصان ، ومنطقة ، ومنديل ، وسكين ، وتلكش^(٣) ؛ وخمس^(٤) خلع لأصحابه .

وأقام على ذلك خمسة وعشرين يوما ، وقدم له مقدمة اشتملت على مائة ألف درهم ، [وعند زواجه قدم له]^(٥) مائة بقجة مع مائة مملوك .

منها عشر في كل واحدة منها ثلاثة أثواب أطلس ، وثوبان من الخطابي ، وعلى كل بقجة جلد قندسي كبير .

(ومنها : عشر في كل منها عشرة أثواب عتّابي^(٦) خوارزمي ، وعليها عشرة جلود قندسي^(٧) كبار .

ومنها عشر ، في كل منها : خمسة أثواب عتّابي بغدادى وموصلى ، وعليها عشرة جلود قندسي صغار .

(١) (س) : إلى الملك الأشرف .

(٢) السكة (والجمع كمام) : فسرهما (Dozy : Sup. Dict. arab) بأنها قلنسوة مستديرة ومرتفعة (bonnet, haut et rond) وقد تترجم إلى (baveçon) أى الشكيمة من الحديد التى توضع فى فم الحصان ، والترجمة الأولى أقرب إلى الصحة .
(٣) هذا وصف تفصيلي هام لجميع أجزاء الخلعة التى كان يخلعها ملك على ملك فى العصر الأيوبي وعن تلكش أو التركش . انظر : (مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٧٩ ، هامش ٥) .

(٤) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة عن س (ج ١ ، ص ١٦٠) .

(٦) ذكر (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٤ ، ص ٢٢-٢٣) و (ابن الأثير : الباب فى تهذيب الأنساب) أن العتّابي نسبة إلى « العتّابين » وهى إحدى محال بغداد فى الجانب الغربى منها ، وقد اشتهرت هذه المحلة بإنتاج نوع من النسيج المخطط ، ومن هنا عرف كل نسيج مخطط باسم العتّابي مهما كان مكان صنعه .

(٧) القندس كلب الماء ، راجع (Dozy : Sup. Dict. Arab) .

ومنها عشرون ، في كل منها : خمسة أثواب معتق ، وسوسى^(١) وديقى .

(ومنها أربعون ، في كل منها : خمسة أقبية ، وخمس كلم^(٢))

وحمل إليه خمس حصن عربية بعدتها ، وعشرين أكديشا^(٣) [رومية]^(٤)

وأربعة قطر بغال ، وخمس بغلات فائقات بالسروج واللجم المكفتة [بالذهب]^(٥)

وقطارين جمال .

وخلع على أصحابه مائة وخمسين خلعة ، وقاد إلى أكثرهم بغلات وأكديش

ومدح شرف الدين راجح الحلى الملكين ، وهنأهما باجتماعهما (٥١ ب)

بقصيدة مطلعها :

ما ضرَّ مَنْ أَلِفَ القَطِيعَةَ لَوْ شَنَى صَبًّا يَبِيتُ مِنَ الغَرَامِ عَلَى شَفَا
يَتَرَى كَحْطٍ بَيْنَ هَدَبِ جَنُونِهِ سَهْمٌ أَظْلَى رِيقَهُ مُسْتَهْدِفًا

ومنها :

تَا لَهِ لَوْ أَسْعَفْتَنِي بِزِيَارَةٍ وَمَا لُ أَمْرِكَ أَنْ تَرِقَّ وَتُسْعِفَا
لَجَعَلْتُ أَلْزَمَ مِعْطَفًا لَا يَنْثَنِي يَوْمًا إِلَى عَطْفٍ ، وَأَلْتِمُ مَرْشَفَا
وَأَرَى دَلِيلَ قَبُولِ صَبْرِي أَنْتَى مِنْ فَيْكَ أُرْتَشِفُ الشُّوْلَ الْقَرِيقَا
مِثْلَ ارْتِشَافِي التُّرْبَ شُكْرًا لِلَّذِي أَهْدَى إِلَى حَلَبِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفَا
مَلِكٌ أَتَاهَا فِي اقْتِبَالِ سَعَادَةٍ أَذْنْتُ لِطَرْفِ مُعَانِدٍ أَنْ يُصْرِفَا
وَلَأَجَاهُ اكْتَسْتُ الْأَبَاطِحُ وَالرُّبَى وَشَيْئًا مِنَ الرُّوْضِ الْأَرِيضِ مَزْخَرَفَا

(١) هذا اللفظ غير موجود في (س) .

(٢) (ك) : د كم ، ، انظر ما فات في هذا الجزء ، س .

(٣) مخرجنا هذا اللفظ بالتفصيل في : (مفرح الكروب ، ٢ ، س ٤٢٧ ، هامش ١)

(٤) ما بين القاصرتين زيادة عن (س) .

وسرى النسيمُ إلى الفصونِ مُقرضاً
وافترَّ ثغرُ البرقِ حتى خِلته
فكأنَّها كانت على بُعدِ المدى
آنست يا موسى بها نارَ الهدى
وحلَّت بالوادي المقدسِ قابساً
وتباشرت حلبٌ بمقدمك الذي
وعدا غياثُ الدين متهجاً بها
فيها لوزق حامية أن تهتفا
ينضو على أعلام جوشر مرهفا
تبدى إليك تشوقاً وتشوقاً
فأتيت من شوقٍ إليها موجفاً
نور التلاقي والدنو فلا انطفأ
هو مدّ ظلّ سُورنا حتى ضفا
بُشرى كأن الله أحيى يوسفاً

ومرّها :

يا ابن الذي يجهاده وجلاده
خاط الشجاعة بالندی مُحسّاه
اليوم كفَّ عن الجدالِ منقفاً
والملك قد قرّت قواعده بكم
فبقيتمُ ترى الرعيّة عدلكم
ما غرّدت أُنكيتة أو صيّدت
أُخّحت بلادُ الشريك قاعاً صفصفا
لمن اعتدى^(١) وسماحه لمن اعتفا
من كان طول في المقالِ وسوفا
مُدّ غرثمُ لشموسه أن تُكسفا
ويذبُّ عن دين النبي المصطفى
أيدي النسيم من الأراكِ مغطفا

(١٥٢) ثم سار الملك الأشرف إلى بلاده .

وفي هذه السنة : أمر الملك الظاهر بإجراء القناه^(٢) من جيلان إلى حلب ،

(١) النص في ك : « خاط الشجاعة بالندی لمن اغتدى يرجو الجزاء ... إلخ » .

(٢) توجد مقابل هذا اللفظ في هامش ص ٥٢٠ من نسخة (ك) ونحو مخالف الجملة الآتية :
« وفي سائوره (ولعلها باشورة) بقلعة حلب مقور في الحجر بأن بناها الملك الظاهر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة » . ونحو هذه الجملة بخط آخر يخالف خط المتن والهامش الأول يوجد تصويب نعه : « وصوابه ٥٠٩ » . والتصويب خطأ كما يتضح من السياق .

وغرم على ذلك أموالاً كثيرة ، وتقسمت في البلاد في القاعات والمدارس والخانقاهات والرُّبَط ، وبقي البلد يجري الماء فيه مظاهياً لدمشق .

وفي هذه السنة : وصل غياثُ الدين كيخسرو بن قَلِيج أرسلان السلجوقي — صاحب بلاد الروم — إلى مَرْعَش ، لقصد بلاد ابن لاون ملك الأرمن .

فأنفذ إليه الملكُ الظاهرُ جماعةً من عسكره ، يكونون في خدمته مع سيف الدين ابن علم الدين بن جندرز ، وعز الدين أيبك فطيس .

فدخل غياثُ الدين بلادَ ابن لاون ، وعاث فيها ونازل حصناً يعرف بقرقوش ، وافتتحه بالأمان ، وأبقاد وشيّد عمارته .

وفتح قلاعاً أخرى وخرَّبها .

ثم رجع غياثُ الدين لما وقع الثلج^(١) ، وقد فتح كثيراً من الحصون .

ذكر مقتل

معز الدين سنجر شاه — صاحب الجزيرة —

وفي هذه السنة : قُتل معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي^(٢) ابن مودود^(٣) بن زنكي — صاحب جزيرة ابن عمر — .

وقد ذكرنا تملكه لها بعد أبيه سيف الدين غازي — صاحب الموصل — ، وأخباره مع السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، وانتمائه إليه ، ثم هربته منه بمرج عكا ، وغضبَ السلطان عليه ، ثم عودَه ورَضِيَ السلطان عنه .

(١) الأصل : « البلح » ، وما هنا صيغة (ك) و (س) .

(٢) هذان اللفظان ساقطان من (ك) .

وكان ظالماً ، قبيح السيرة جداً ، سفاكاً للدماء لا يمتنع عن قبيح يفعله مع رعيته من القتل ، وقطع الألسنة ، والأنوف ، والآذان ، وحلق اللحى .

وتعدّى ظلمه إلى أولاده [وجيرته]^(١) وحريمه ، فبعث ابنه محموداً ومودوداً إلى قلعة فرح ، فحبسهما فيها ، وحبس ابنه غازي في دار في المدينة ، ووكل به من يمنعه من الخروج منها ؛ وكانت الدار إلى جانب بستان لبعض الرعيّة ، فكان يدخل إليه منها العقارب والحيات وغيرها من المؤذيات ، فاصطاد يوماً حيّة ، وسيّرها في منديل إلى أبيه ، لعلمه يرقّ له ، فلم يزد ذلك إلا قسوة .

فأعمل غازي الحيلة حتى تخلّص من الدار التي كان محبوساً بها ، واختفى في بعض آدر البلد ، وقرّر مع إنسان كان يخدمه (٥٢ ب) أنه يسافر ، ويظهر أنه غازي بن معز الدين ، وتم له في قتله الحيلة .

فمضى ذلك الإنسان إلى الموصل ، وأظهر أنه غازي .

ولما سمع نور الدين أرسالان شاه — صاحب الموصل — به ، سيّر له نفقة وأثاثاً وخيلاً ، وأمره بالعود إلى أبيه ؛ وقال له : « إن أباك يتجنّى علينا الذنوب ، ويقبّح عند الناس ذكرنا ، فإذا أتيت إلينا جعل ذلك ذريعة للشناعات والشفاعات ، ونقع معه في صراع » .

فسير ذلك الشخص إلى الشام ، وأظهر أنه غازي ابن صاحب الجزيرة في كل مكان وصل إليه .

وتحقّق أبود^(٢) أن ابنه هرب ، واطمأن قلبه بمخروجه عنه .

ثم إن غازي تساقى إلى دار أبيه ، واختفى عند بعض السراري ، وعلم به

(١) ما بين الخاصرتين زيادة عن (ك) .

(١) الأصل : « أمره » ، والنسخة جميع عن (ك) .

أَكْثَرُ مَنْ فِي الدَّارِ فَسْتَرْنَ عَلَيْهِ بُغْضًا لِأَيِّهِ ، وَإِثَارًا لِلرَّاحَةِ مِنْهُ ، فَبَقِيَ فِي دَارِ
أَيِّهِ أَيَّامًا مُخْتَفِيًا .

وَاتَّفَقَ أَنْ أَبَاءَ شَرْبَ يَوْمًا ظَاهِرَ الْبَلَدِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَقْتَرِحُ عَلَى الْمَغْنِينِ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ أَنْ يَغْنُوا لَهُ فِي أَيْيَاتِ الْفِرَاقِ وَهُوَ يَبْكِي ، فَكَأَنَّهُ اسْتَشْمَرُ دُنُو أَجَلِهِ .

ثُمَّ دَخَلَ إِلَى دَارِهِ ، وَنَزَلَ عِنْدَ بَعْضِ حِظَايَاهُ وَهُوَ سَكْرَانٌ ، وَكَانَ ابْنُهُ عِنْدَ
تِلْكَ الْحِظِيَّةِ ، فَقَامَ مَعَزُ الدِّينِ لِيَدْخُلَ بَيْتَ الْخَلَاءِ ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ غَازِي ،
فَضْرَبَهُ بِالسَّكِينِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ ضَرْبَةً ، ثُمَّ ذَبَحَهُ ، وَتَرَكَهُ مَلْقًى وَدَخَلَ الْحَمَامُ ، وَقَعْدَ
يَلْعَبُ مَعَ الْجَوَارِي ؛ فَلَوْ أَحْضَرَ الْجَنْدَ^(١) وَاسْتَحْلَفَهُمْ لَمَلَكَ الْبَلَدَ ، لَكِنَّهُ سَكَنَ
وَاطْمَأَنَّ ، فَخَرَجَ بَعْضُ الْخُدَمِ الصَّغَارِ ، وَأَعْلَمَ أَسْتَاذَ دَارِ أَيِّهِ بِالْوَاقِعَةِ ، فَأَحْضَرَ
أَعْيَانَ الدَّوْلَةِ وَعَرَّفَهُمْ ذَلِكَ .

ثُمَّ أَغْلَقَ أَبْوَابَ^(٢) الدَّارِ عَلَى غَازِي ، وَاسْتَحَافَ النَّاسَ لِأَخِيهِ مَعَزِ الدِّينِ
مُحَمَّدُ بْنُ سَنْجَرِ شَاهٍ .

وَلَمَّا حَلَفَ النَّاسُ فَتَحُوا الْبَابَ وَمَجَمَعُوا عَلَى غَازِي فَقَتَلُوهُ ، وَأَلْقَوْهُ عَلَى الْبَابِ
فَأَكَلَتْ الْكَلَابُ بَعْضَ لَحْمِهِ ، ثُمَّ دَفَنُوهُ .

وَوَصَلَ مَعَزُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ ، وَاسْتَقَرَّ مَلِكُهُ بِالْجَزِيرَةِ ، وَقَبِضَ عَلَى جَوَارِي
أَيِّهِ فَغَرَّقَهُنَّ فِي دَجَلَةٍ .

فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ الْجَارِيَةَ ، فَيَجْعَلُ وَجْهَهَا فِي النَّارِ حَتَّى يَحْتَرِقَ ، ثُمَّ يُلْقِي
بِهَا فِي الْمَاءِ^(٣) فَتَغْرَقُ ، ثُمَّ قَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ أَخَاهُ مَوْدُودًا .

(١) (ك) : « أَكْبَرُ الدَّوْلَةِ » وَ (س) : « فَلَوْ أَنَّهُ اسْتَحْضَرَ الْأَمْرَاءَ وَأَرْبَابَ الدَّوْلَةِ
فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ... الخ » .

(٢) (ك) : « بَابُ الدَّارِ » .

(٣) (ك) : « فِي الْمَيَّارِ » .

ودخلت سنة ست وستائة :

والملك العادل مقيم بدمشق .

والملك على ما كانت عليه في السنة الماضية .

ذكر مسير (١٥٣)

الملك العادل إلى البلاد الشرقية

كنا قد ذكرنا قصد الكرج الأعمال الخلاطية^(١) وما فعلوه بأرجيش .
وتكررت كتبُ الملك الأوحْد إلى الملك^(٢) العادل يستصرخه عليهم ،
فسافر الملك العادل من دمشق ، وقصد الفرات فقطعها^(٣) ، وكتب إلى البلاد
يطلب العساكر ، وأظهر أنه يريد قصد الكرج .

فوصل إليه الملك المنصور — صاحب حماة — ، والملك^(٤) المجاهد
— صاحب حمص — ، والملك الأُمجد — صاحب بعلبك — وعسكر من الملك
الظاهر — صاحب حاب .

ونزل بجرّان^(٥) ، ووصل إليه ولده الملك الأوحْد — صاحب خلاط
وميًا فارقين — ، والملك الأشرف . والملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان

(١) (ك) : « الأخلاطية » .

(٢) (ك) : « لأبيه الملك العادل » .

(٣) (س) : « وقصد إلى كفر طاب وأقنمها » .

(٤) هذه الفقرة ساقطة من (ك) .

الارتقى — صاحب آمد وحصن كيفا — ، ووصل إليه صاحب السويداء ،
وصاحب دارا .

فلما تكاملت العساكر عنده واجتمعت ، كاتب قطب الدين محمد بن عماد الدين
زنكي — صاحب سنجار — ليسلم إليه سنجار ويعطيه عنها عوضاً ، فعزم
قطب الدين على ذلك ، فمنعه منه أحمد بن برتقش — مملوك أبيه — ، وقام له
بمحافظة سنجار والذب عنها .

وكان نور الدين أرسلان شاه — صاحب الموصل — قد راسله الملك العادل
في السنة الماضية ، يخطب منه ابنته لأحد أولاده ، فوقعت الإجابة إلى ذلك .
وحسن بعض أصحاب نور الدين له مراسلة الملك العادل والاتفاق معه على أن
يقتسموا البلاد التي لقطب الدين — صاحب سنجار وجزيرة ابن عمر وأعمالها —
وهي التي بيد محمود بن سنجر شاه على أن تكون بلاد قطب الدين للملك العادل ،
والجزيرة لنور الدين .

فراسله في ذلك ، فأجابه الملك العادل إليه مستبشراً به وتحالفاً وتعاقداً
على ذلك .

ولما دخل الملك العادل الشرق استشر نور الدين وخاف ، وأحضر أصحاب
الرأى من أصحابه ، واستشارهم فيما يفعله .

فأما الذين كانوا أشاروا إليه باستدعاء الملك العادل إلى البلاد فسكتوا ،
وأما الذين لم يعلموا ذلك فأشاروا بالاستعداد والحصار ، وجمع الرجال ، وتحصيل
الذخائر ، وما يحتاج إليه .

فقال نور الدين :

« نحن فعلنا ذلك وكانبنا الملك العادل بأن يجيء إلى البلاد »

(٥٣ ب) فقالوا له :

« بأى رأى تكتب إلى عدوك حتى يأتى إليك ويصير قريباً منك ،
ويزداد قوة إلى قوته ، ثم إن الذى استقر بينكما أنه يكون له ، وهو : سنجار
وبلادها ، يملكها بغير تعب ولا مشقة ، والذى استقر أنه يكون لك ، وهو الجزيرة
لا يمكنك أن تتوجه إليه وتحصره ، والملك العادل فى البلاد ؛ هذا إن وفى لك
بما استقرت القاعدة عليه ، بل لو لم يكن الملك العادل فى البلاد لا يمكنك
مفارقة الموصل ، لأنه صار بيد أولاده مُلْكٌ خِلاط والبلاد الجزرية جميعها ،
وبعض ديار بكر ، فمتى صرتَ عن الموصل حالوا بينك وبينها ، فما زدتَ على أن
آذيتَ نفسك وابن عمك ، وقويتَ عدوك ، ولكن فات الأمر وما بقى يجوز
إلا أن تقف معه على ما استقرت إليه القاعدة بينكما ، لئلا يجعل ذلك حجة
عليك ، ويتدى بك » .

ثم رحل الملك العادل من حرّان ، وكان قد باغى أن الكُرُج لما بلغتهم
حركته خافوا منه وكرّثوا عائدين إلى بلادهم .

فتقدم الملك العادل إلى الملك المنصور والملك الأشرف بأن ينازلا نصيبين
ويأخذاها ، وكانت لقطب الدين ، وذلك حين أيس من إجابة قطب الدين
إلى ما طلبه من تسليم سنجار إليه ، وأخذ العِوَض عنها .

فسارا إلى نصيبين فتسلماها وتسلمتا الخابور .

ذكر منازلة الملك العادل

سنجار

وسار الملك العادل إلى سنجار ونازلها ، وأخذ في حصارها ، فأخرج إليه صاحبها قطب الدين نساءه وحرمه يضرعن إليه ويسألنه إبقاء المدينة عليهن . فلما حصل النسوة عنده أمر باعتقالهن إلا بتسليم سنجار ، فاضطر قطب الدين إلى إلقاء المقاليد إليه ، وأجاب إلى تسليم البلد على أن يعوض عنها الرقة وسروج وضياع من بلد حرّان .

وأطلق الملك العادل النسوة ؛ وأمر بإدخال علمه إلى البلد .

فلما حصلت النسوة بالبلد ودخل علم الملك العادل ، أمر قطب الدين بكسر العلم ، وعاق على الباب^(١) ، واستعدّ لاحتصار ، وأرسل إلى الملك العادل يقول له : « غدره بغدره والبادي أضلم » .

فجّد الملك العادل (١٥٤) في مضايقة البلد ومحاصرته ، واصطلى أهل سنجار الحرب بأنفسهم ، وصبروا أحسن صبر .

وأمر الملك العادل بقطع ما على البلد من البساتين والجواسق ، ونصب على البلد عدة مجانيق .

وأخذ قطب الدين في مكانة الملوك^(٢) والاستنجاد بالخليفة الناصر لدين الله^(٣) .

وكان نور الدين — صاحب الموصل — قد عزم على تسيير عسكر نجدة

(١) (س) : « وعلق الباب » .

(٢) النص في س (ج ١ ، ص ١٦٣) : « والاستنجاد بهم » ، وكتب أيضا إلى الإمام

الناصر لدين الله يستنجده » .

(١٢) مفرج الكروب

للملك العادل مع ولده الملك الظاهر عن الدين مسعود ، وإذا برسول مظفر الدين كوكبورى — صاحب إربل — قد جاء يبذل له المساعدة والمعاضدة ، ومنع الملك العادل عن سنجار .

ولم يكن هذا فى حساب نور الدين ، فإن مظفر الدين كان مع الملك العادل . وكان السبب فى الذى فعله مظفر الدين أن قطب الدين — صاحب سنجار — كان أرسل ولده إلى مظفر الدين يستشفع به إلى الملك العادل ليبقى عليه سنجار ، وكان مظفر الدين يظن أنه لو شفع فى نصف ملك [الملك] ^(١) العادل لشفعه فيه ، لما بينهما من المصاهرة ، والآثار جمية تقدمت ^(٢) من مظفر الدين فى حق الملك العادل .

فشفع مظفر الدين فى قطب الدين عند الملك العادل ، فلم يقبل شفاعته فيه ، ظناً منه أنه بعد اتفاقه مع نور الدين لا يبالي بمظفر الدين .

فلما ردَّ الملك العادل شفاعته غضب من ذلك ، وسير وزيره إلى نور الدين ، فوصل إلى الموصل ليلاً ، ووقف مقابل دار نور الدين وضاح ، فعبرت إليه سقينته ، فعبر ^(٣) فيها ، واجتمع بنور الدين ليلاً ، وأبلغه الرسالة .

فأجاب نور الدين إلى ما طلب من الموافقة ، وحلف على ذلك ، وعاد وزير مظفر الدين من ليلته ، فأبلغ مظفر الدين الجواب .

فسار مظفر الدين من إربل ، واجتمع هو ونور الدين ، وعسكرا بظاهر الموصل ، ورأسلا الملك الظاهر — صاحب حلب — يدعوانه إلى الاتفاق على الملك العادل ،

(١) ما بين الحاصرتين زيادة: عن (ك) .

(٢) (ك) و (س) : والآثار الجميلة الذى تقدمت .

(٣) (ك) : « يعبر » ، و « س » : « شينة ليعبر فيها » .

وراسلاً أيضاً السلطان غياث الدين — صاحب بلاد الروم — ، وأخاه مغيث الدين
طغرل شاه — صاحب أرزن الروم — .

ولما وصلت رسالتهما إلى الملك الظاهر أجابهما ونقض ما كان بينهما
وبين الملك العادل ، وكانت للملك الظاهر في عمل^(١) ماردین ضيعة يقال لها
القرادی ، أعطاه إياها صاحب ماردین (٥٤ ب) لما أصلح بينه وبين الملك
العادل ، فصارت في يد الملك الظاهر يستغلها .

فلما كانت هذه السنة ، والملك العادل على سنجار أقطعها الملك العادل للملك
الصلاح محمود الأرتقي — صاحب آمد — ، فجعل الملك الظاهر ذلك حجة
في نقض ما بينه وبين الملك العادل ، وأحضر فقهاء حلب عنده ، وقال :
« ما تقولون في رجل حلف لرجل يميناً على أشياء ، نغان أحد ارجلين في بعض
تلك الأشياء ، أينحل عقد تلك اليمين بتلك الأشياء أم لا ؟ » .
فأجابوا « بأنه ينحل اليمين ويبطل حكمها » .

فأظهر لهم صورة الحال ، فافتود بأن اليمين قد بطلت ، ولا يلزمه إذا نقض
ما بينه وبينه حنث .

فأجاب الملك الظاهر مظفر الدين ونور الدين إلى الاتفاق معها . وأجابهما
سلطان الروم وأخوه إلى ذلك .

ثم أرسل مظفر الدين ونور الدين إلى الخليفة في أن يرسل رسولا في أمر
الصلاح ، وأن يرحل الملك العادل عن سنجار .

(١) (ك) : « أعمال » .

ذكر رحيل

الملك العادل عن سنجار ورجوعه إلى حرّان

بعد انتقاض ما بينه وبين ابن أخيه الملك الظاهر

وصاحب الموصل وصاحب إربل

ولما جرى ما ذكرناه من انتقاض الأمر^(١) بين الملك العادل وابن أخيه الملك الظاهر وصاحب إربل وصاحب الموصل^(٢) ، برز الملك الظاهر من حلب ونزل على جبل بانقوسا، وأرسل نظام الدين محمد بن الحسين ، وأخاه الملك المؤيد نجم الدين مسعود إلى الملك العادل ، وأنفذ معها تحفاً كثيرة وهدايا سنّية ، وكان مضمون الرسالة الشفاعة في صاحب سنجار .

وقال لهما : « إن لم يقبل الشفاعة فأعلماه أني خارج إلى بلاده^(٣) » .

ثم أمرهما إن لم يقبل الشفاعة أن يأمرّا من عنده من عسكر حلب ، وكانوا خمسمائة فارس ، أن يفارقوه إلى الموصل أو إلى حلب .
وحماهما إلى الملك المنصور — صاحب حماة — والملك المجاهد — صاحب حمص — [رسالة أيضا في ذلك^(٣)] .

واشتد الملك العادل في حصار سنجار والتضييق عليها .

ولما وصل إليه نظام الدين وابن أخيه الملك المؤيد وأبلغاه الرسالة امتنع عن قبولها وأغلظ (١٥٥) لهما في القول .

(١) هذه الجملة ساقطة من (ك) .

(٢) النص في (ك) : « إن لم يقبل الشفاعة فأعلماني وأعلماء أني خارج إلى بلاده » .

(٣) ما بين المصرتين زيادة عن (س) .

فأمر الملك المؤيد ونظام الدين العسكر الحلبي بمفارقته ، ففارقوه^(١) . ودسًا في الباطن إلى أصحاب الملك العادل دسائس أوجبت فساد أحوال الملك العادل ، وأرسلوا إلى مَنْ في البلد يأمرانهم بأن يكثروا^(٢) الشفاعات على الملوك والأمراء الذين في عسكر الملك العادل ، ففعلوا .

وتقدم عسكر الموصل إلى قريب سنجار .

وبعث الخليفة أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضمحاك — أستاذ الدار — والأمير آق تاش ، وهو من خواص مماليك الخليفة [رسلا إلى الملك العادل في رحيله عن سنجار]^(٣) ؛ فوصلوا إلى صاحب الموصل ، ثم سارا إلى الملك العادل ، وهو منازل سنجار ، وأصحابه لا يناصحون في القتال ، لا سيما الملك المجاهد — صاحب حمص — ، فإنه كان يدخل إلى سنجار الأغنام وغيرها والأقوات ، وكذلك غيره .

فلما وصلت رسال الخليفة إلى الملك العادل أجاب إلى الرحيل ، ثم امتنع من ذلك ، وطاول في الأمر ، لعله يبلغ منها غرضًا ، فلم يحصل له مقصود . فأجاب إلى الصالح على أن يكون له نصيبين ، والخابور ، وكل ما ملكه من البلاد ، ويبقى لقطب الدين سنجار .

ورحل الملك العادل عن سنجار عائداً إلى حرّان .

وعاد مظفر الدين إلى إربل ، وكان مظفر الدين مدة مقامه بالموصل قد زوّج ابنتيه بولدى نور الدين ، وهما : عز الدين مسعود ، وعمّاد الدين زنكي ، وأم البنيتين ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك العادل .

(١) هذا اللفظ غير موجود في (ك) .

(٢) (ك) : « يكرروا » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

ذكر وفاة

الملك المؤيد نجم الدين مسعود

ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين

ولما انفصل الملك المؤيد ونظام الدين من عند الملك العادل ، سارا حتى نزلا رأس عين بظاهرها ، فخرج إلى خدمتهما الوالى بها ، وحمل إليهما طعاماً وفاكهة كثيرة ، فتناول من الرمان هو وبعض غلمانه ، ثم دخل بيتاً مُجَصَّصاً ، وكان يوماً شديد البرد ، فأشعل فيه النار ، وسدوا كوى البيت ، فاختمق الملك المؤيد ومن كان معه ، ولم يسلم إلا اثنان وجد فيهما حياة ضعيفة .

وتحدث الناس بأنه سُقِيَ سُماً^(١) في الرمان .

ثم جُهِزَ الملك المؤيد ووضع (٥٥ ب) في تابوت وحمل إلى حلب فوصل إليها في الثامن والعشرين من شعبان من هذه السنة ، ودفن في التربة الظاهرية بمقام إبراهيم عليه السلام .

وحزن عليه أخوه الملك الظاهر حزناً شديداً ، وغلقت أسواق حلب سبعة أيام .

ورثاه شرف الدين الحلي بقصيدة مطلعها :

تُرى مَنْ على نَفْسِ الهدى^(٢) جَارَ واعتدى

وفوق نحو الملك سَهْمًا مُسَدِّدا ؟

(١) (س) : د شينا ،

(٢) (س) : د العلى .

وَمَنْ هَدَّ رُكْنَ المجد بعد بنائه ؟ وَمَدَّ إِلَى تَشْتِيتِ شَمْلِ الهدى يَدَا
وَمَنْ دَكَّكَ الطَّوْدَ الْأَشْمَّ وَقَدْ رَسَا وطال إلى أن جاز نَسْرًا وفرَّ قَدَا ؟
وَمَنْ حَجَبَ البدرَ الذي كان مُشْرِقًا وَمَنْ غَيَّضَ البحرَ الذي كان مُزِيدًا ؟
وَمَنْ حَبَسَ الغَيْثَ الذي كان نَوَّهَ إذا عَمَّ جَذْبٌ لَا يَفْتِ لَهُ نَدَا

ومنها :

فيا مانعَ الإسلامِ صبراً فإنما بِصَبْرِكَ فِي كُلِّ المَواطِنِ يُقْتَدَى
فلو كان غير الموتِ دافعتُ دونه بِطَاعَتِي يَرُدُّ السُّمَهْرِيَّ مُنْقَصِدَا
وغادرتُ جَنَنَ الأفقِ بالسُّمْرِ أوطافاً وَخَدَّ المَواضِي بِالْأَجْمَعِ مَوْرِدَا
ولكنه دَهْرٌ إذا ما نعيمه تَحَوَّلَ بؤساً هَدًى ما كان شُيْدَا
فَدُمُ يا غِيَاثَ الدينِ سُبُكَ للعلَى يَشِيدُ مَبَانِيهَا وَسَيْفُكَ لِلْعَدَى
ولا زالتِ الدُّنْيَا تُبَيِّحُكَ مُلْكُهَا ولا زلتِ مَهْدِيًّا لَهَا وَمَهْدَا

ولما بلغ الملك العادل وفاة ابن أخيه الملك المؤيد جالس للعزاء ، واغتم لموته غماً كثيراً ، وخاف أن يظن الناس أنه سمّه .

وبعد مفارقة الملك العادل رأس عين متوجهاً إلى حرَّان ، جرت ^(١) بينه وبين وزيره صفي الدين منافرة أوجبت حرد صفي الدين ، وسافر في البرية ^(٢) .

(١) (ك) : د جرى . .

(٢) (س) : د وسار في البريد ، وهي أقرب إلى الصعة .

فركب الملك المنصور — صاحب حماة — ، والأمير نجر الدين جهار كس
— صاحب بانياس — [خلفه]^(١) حتى لحقاه وأحضره إلى الملك العادل وأدخله
عليه ، وقبل يده ، فرضى عنه الملك العادل ، وطاب قلب صفي الدين .
ووصل الملك العادل إلى حرّان وأقام بها .



(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

ودخلت سنة سبع وستمائة :

نخرج في أولها الملك الظاهر وخيم (١٥٦) معاملاً (كذا) لأنه بلغه أن عمه الملك العادل عازم على قصده ، وأخذ حلب منه ،^(١) فعزم على جمع العساكر وقصد الفرات^(٢) لينع الملك العادل من عبور الفرات ، وكاتب المواصلة وغيرهم في الاستعداد وأخذ الأهبة ليشتغلوا قلب الملك العادل ، ويمنعوه من قصد حلب ، فأجابوه إلى ذلك .
و حين تحقق الملك العادل ذلك أعرض عن قصد حلب ، وقصد دمشق ، فدخلها واستقر فيها ، وتفرقت العساكر والملوك الذين معه .

وفي هذه السنة قصدت الكرج خلاط وحصروها ، فاتفق أن « أوانى »^(٣) ملك الكرج شرب الخمر ، فحسّن له الشكر أن ركب وتقدم إلى جهة خلاط في عشرين فارساً ، فتقنطر به فرسه ، فأخذه المسلمون أسيراً ، وأخذوا أصحابه معه ، وحملوه إلى الملك الأوحـد ، فبذل في نفسه مائة ألف^(٤) دينار ، وخمسة آلاف أسير من المسلمين ، وأن يلتزم الصلح ثلاثين سنة ، وأن يزوّج ابنته الملك الأوحـد ، فوافق على ذلك ، وردّ على المسلمين عدة قلاع كانت أخذت منهم ، وتقررت الأمان بينهم على ذلك كله .

وفي هذه السنة تحركت الفرنج إلى جهة الساحل ، واجتمع منهم بعكاً جمع كثير .
نخرج الملك العادل من دمشق ، وترددت بينهم الرسل ، حتى تقررت بينهم الهدنة مدة معلومة .

(١) انص في (ك) : « جمع العساكر وطلب قصد الفراه » .

(٢) (ك) : « أوانى » .

(٣) (ك) و (س) : « مائة ألف ألف » .

وأمر ولده الملك المعظم ببناء قلعة الطور ، وهو حصن عالٍ ^(١) قريب من عكا .

ذكر وفاة

نور الدين صاحب الموصل

وفي هذه السنة توفي نور الدين ^(٢) أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ابن آق سنقر — صاحب الموصل — في آخر رجب .

وكان مرضه قد طال ، ومزاجه قد فسد ، وكانت مدة ملكه بالموصل سبع عشرة ^(٣) سنة ، وأحد عشر شهراً .

ولما اشتد مرضه وأيس من نفسه ، أشير عليه بالانحدار إلى عين القيارة ليستحم بها ، فأنحدر إليها ، واستحم بها ، ولم يجد راحة ، وازداد ضعفاً ، فأخذه الأمير بدر الدين لؤلؤ مملوكه ، وكان أستاذ داره والحاكم في دولته ، وهو الذي صار إليه ملك الموصل فيما بعد على ما سنذكره — إن شاء الله تعالى — (٥٦ ب) . وأصعده في شبّارة ^(٤) إلى الموصل ، فتوفي في الطريق ليلاً ، ومعه الملاحون والأطباء ، بينه وبينهم ستر .

(١) جميع النسخ : « عالي » .

(٢) انظر ترجمته أيضاً عند : (ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٢١) و (ابن الأثير : الباهر ، ٣٤٦ — ٣٦٥) و (سعيد الديوجي : الموصل في العهد الأتابكي ، ص ٣٣) .

(٣) (س) : « سبع وعشرين سنة » وما بالمتن هو الصحيح .

(٤) سفينة حربية صغيرة أكثر ما تستعمل في العراق ، ورد ذكرها كثيراً في تاريخ الطبري ، فما قال : « كل من أفلت من الأتراك رمى بنفسه في دجلة » . فأخذه أصحاب الشبارات وكانت الشبارات قد شحنت بالمقاتلة ، وجاء في (الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٧٨) : « قال ابن الأثير : وكنت حينئذ ببغداد عازماً على الحج ، فعبّر عني عبد الدين دجلة في شبّارة » . الخ ، وجاء في (وفيات الأعيان لابن خلكان) : « توفي أتابك الملقب الملك العادل نور الدين في شبّارة بالكشط بظاهر الموصل ، والشبّارة عندهم هي الحراقة بجزر » وقال (عبد اللطيف البغدادي عند وصفه لسفن مصر ، الرحلة ص ٥٤) : « وأما سفنهم فكثيرة الأصناف والأشكال ، وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمى المشيرى شكاء شكل شبّارة داخلية ، إلا أنه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداماً وشكلاً » . : « وجاء في رحلة ابن بطوطة : « رأيتهما بحراقة في الدجلة وتسمى عندهم شبّارة ، وهي شبه سلورة » .

وكان مع بدر الدين عند نور الدين مملوكان ، فلما توفي إلى رحمة الله ، قال بدر الدين لأحدهما^(١) : « لا يسمع أحد بموته » ، وقال للأطباء والملاحين : « لا يتكلم أحد ، فقد نام السلطان » .

فسكتوا ووصلوا إلى الموصل في الليل ، فأمر الأطباء والملاحين بمفارقة الشبارة لنلا يرود ميتا ، ففعلوا ، وحمله هو والمملوكان وأدخله الدار ، وتركه في الموضع الذي كان فيه وفيه المملوكان . وترك على بابه مَنْ يثق إليه ، لا يمكن أحداً من الدخول والخروج ، وقد يمضي الأمور التي يحتاج إليها .

فلما فرغ من كل ما يحتاج إليه أظهر موته وقت العصر ، ودفنه بالمدرسة التي أنشأها مقابل داره .

ذكر صفته

وسيرته — رحمه الله —

كان أسمر ، خفيف اللحية والعارضين جداً ، مليح الوجه ، قد أسرع إليه الشيب ، وكان شهماً ، شجاعاً ، عادلاً ، ذا سياسة للرعية ، شديداً على أصحابه يمنع بعضهم أن يتعدى على بعض ، وكانوا يخافونه خوفاً شديداً ، فلا يجسرون بسبب الخوف منه على الظلم والتعدي .

وكانت همته عالية ، أعاد ناموس البيت الأتابكي ووجاهته^(٢) وحرمته بعد أن كان قد ذهب ، وخافته الملوك ، وكان سريع الحركة في طلب الملك ، إلا أنه لم يكن له صبر ، فلهذا لم يتسع ملكه .

(١) (ك) و(س) : « لها » .

(٢) (س) : « وجاهه » .

ومن محاسن ما يُنقل عنه أنه لما توجه من الموصل في نجدة صاحب ماردين حين^(١) كان الملك الكامل قد ملك ريفها، وكاد يستولى على قلعتها، وضرب المصاف مع الملك الكامل وكسره [كسرة قبيحة]،^(٢) وسافر الملك الكامل إلى حرّان، ولم يبقَ من عسكره بالمكان أحد، قال أصحاب نور الدين له: «اصعد بعسكرك إلى ريف ماردين، فما دونه مانع، واملكه، واملك القلعة، ويكون هذا موضع المثل السائر: «رب ساعٍ لقاعد» فقال: «حاش لله أن يتحدث الناس عني أن ناسا^(٣) اعتضدوا بي واستنصروا بي أغدر بهم». ثم قال لمجد الدين بن الأثير — وكان [من]^(٤) أكبر أصحابه —: «ما تقول يا مجد الدين؟»

فقال: «الفادرون كثير، وقد أودعت (١٥٧) غدراتهم الكتب، وهي باقية إلى الآن، ولم يورخ عن أحد أنه قدر على مثل ماردين وتركها وفاء وإنعاما وإحسانا».

وقال لمجد الدين: «أرسل إلى صاحب ماردين ليرسل نوابه إلى ولاياته»، وكان قد أقطعها للعساكر التي معه، وأمر بكف أيديهم عنها، وتسليمها إلى صاحبها. فقال مجد الدين: «إن أصحابنا لم يأخذوا درهما واحداً لتأخر إدراك الغلات، فلو بقي الإقطاع في أيديهم إلى أن يأخذوا ما ينفقون عليهم في بيكارهم^(٥)»

(١) هذا اللفظ ساقط من (ك) و (س).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س).

(٣) (س): «قوما».

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك).

(٥) اليكار (ج: يياكير) لفظ قريسي معناه الحرب، أنظر:

(Dozy : Supp. Dict. Arab).

فقال — رحمه الله — : « لا نكدر إنعامنا وإحساننا إليهم ، ونحن نكفي أصحابنا » .

قال مجد الدين : « فأرسلت إلى صاحب ماردین ليتسلم بلاده فتسلمها ، وأرسل إليها نوابه » .

قال مجد الدين : « ما قلت له عن شيء قط ، من عدل ^(١) وبذل مال ^(٢) وغير ذلك من الصلاح ، فقال لا ؛ وكنتُ معه في بعض أسفاره وله سرادارٌ قد سرقَ ولده من داره قماشاً ، وكانت مفاتيح الدار مع السرادار ، فأرسل إليّ ليلاً فأمرني أن أكتب كتاباً إلى الموصل بقطع يده ، فأعدتُ الجواب : أنتي ما أكتب هذا الكتاب الليلة ، ^(٣) وإذا اجتمعت به غدا عرفتُه ما في هذا ^(٤) .

فأعاد مرة ثانية وثالثة وأنا أمتنع .

فاستدعاني وقال لي : « لم لم تكتب الكتاب ؟ » .

فقلت له : « عادتني معكم ^(٥) أنتي لا أكتب إلا ما تجيزه الشريعة » .

فقال لي : « هذا سارق ، توجب الشريعة المطهرة قطع يده » .

فقلت : « لا قطع عليه ، لأنه سرق من غير حرز ، لأن المفاتيح بيده » .

ففعا عنه .

(١) هذان اللفظان ساقطان من (ك) .

(٢) (س) : « وإذا اجتمعت بالسلطان أعلمته ما في هذا » .

(٣) (ك) : « تعلم عادتني » .

ذكر استيلاء

الملك القاهر بن نور الدين

على الموصل^(١)

ولما مات نور الدين أرسلان شاه بن مسعود — صاحب الموصل —
استقر في الملك بالموصل بعده ولده الملك القاهر عن الدين مسعود بن أرسلان
شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر — رحمه الله — ، وهو آخر
ملوك البيت الأتابكي بالموصل .

وقام بتدبير ملكه بدر الدين لؤلؤ مملوك والده .

وملك عماد الدين زنكي بن نور الدين قامتي عقر وشوس وهما بالقرب
من الموصل . (٥٧ ب)

وفي هذه السنة : وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف
أن يشربوا له كأس الفتوة^(٢) ، ويابسوا له سراويلها ويكون اتماؤهم إليه ،
ورعية كل ملك يشربون لذلك الملك ويلبسون له .

(١) هذا العنوان غير موجود في (س) .

(٢) الفتوة نظام اجتماعي إسلامي قديم يعتمد على ما تعتمد عليه الفروسية من آداب وصفات أهمها
الشباب والقوة والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الكذب والرحمة باليتيم ، وقرى الضيف ومساعدة
الضعيف والإيثار .. إلخ ، ولها ذكر في الأحاديث النبوية ، ثم نسبت إلى علي بن أبي طالب
وظل هذا النظام متبعاً خلال العصور الإسلامية يتطور بتطورها ، يقوى حيناً ، ويضعف أو يهجر
حيناً آخر ، إلى أن عمل على إحيائه الخليفة الناصر لدين الله العباسي كما هو وارد في النص هنا ،
وكانت للفتوة ناموس وكانت لها ملقوس خاصة ؛ فلا يقبل الفتى الجديد إلا إذا رشح وزكاه فتيان
آخرون ، ويحتفل باضمائه احتفالاً خاصاً له رسوم معينة ، فيعزم بحزام وهو يصبر عنه د بشدة
العقد ، وبلى ذلك شرب كأس الفتوة ، ثم لبس سراويل الفتوة .. إلخ ، وكانت كأس الفتوة =

ففعّلوا ما أمروا به ، وأيضاً فانتسب الملوك إليه في رمى البندق^(١) ، وجعلوه
قدوتهم فيه .

ذكر رحيل

الملك العادل إلى الديار المصرية^(٢)

ثم سار الملك العادل إلى الديار المصرية ، وجعل طريقه على الكرك ،
فأقام به أياماً ينظر في مصالحه .

ثم رحل إلى مصر ، فأقام بدار الوزارة بالقاهرة .

تحتوى المساء والملح ، لاستيفاء الموضوع انظر أيضاً : (ابن القوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٨٩ — ٩١ ، ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٣) ، وانظر منشور الخليفة الناصر بشأن الفتوة في : (ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢٣٣ — ٢٢٥) ، وقد نشرت أخيراً في القاهرة رسالة قديمة في هذا الموضوع تشرح أصول الفتوة وتاريخها وآدابها وطقوسها وأسرارها ، وهي (ابن عمار البغدادي : الفتوة ، نشر الدكتور فؤاد حنين ، القاهرة ١٩٥٩) وانظر كذلك : (محمد فهمي عبد اللطيف ، الفتوة الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٨)

(١) عرف (جورج زبدان : تاريخ المدن الإسلامي : ج ٥ ، ص ١٥٩ — ١٦٠) البندق بقوله : « البندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها ، وهي فارسية بانظها واستعملها ، ويسمونها أيضاً « الجلاهقات جمع جلاق » ، فكان الفرس يرمون هذا البندق عن الأقواس كما يرمون النبال ، واقتبس العرب هذه اللمعة في أواخر أيام عثمان بن عفان ، وعدوا ظهورها في المدينة منكراً ، ثم ألغوها حتى شكوا فرقا من الجند ترمى بها .. وكان رماء البندق في العصر العباسي طائفة كبيرة يخرجون إلى ضواحي المدن يتسابقون في رميه على الطير ونحوه ، وبعدون ذلك من قبيل الفتوة ، ولهم زى خاص يمتاز بسراريل كانوا يلبسونها ويسمونهم سراريل الفتوة .. وكان لرمى البندق شأن كبير في العصور الوسطى بالعراق والشام ومصر وفارس وغيرها ثم تفتنوا في رمى البندق بالمراريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخر الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق ، فلما اخترعوا البارود صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب ، وسماوا هذه الآلة بندقية نسبة إليه ، وقد عني الخليفة الناصر العباسي (توفي ٦٢٢ هـ) عناية خاصة بالبندق حتى جعل رميه فناً لا يتماطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراريلها منه مباشرة أو من أحد رسله بالوكالة

(٢) هذا العنوان غير موجود في (س)

ووصل إليه عن الدين أسامة — صاحب عجولون وكوكب — .
وتوفى في هذه السنة نحر الدين جهاركس مقدم الصلاحية وكبيرهم .

ذكر وفاة

الملك الأوحـد بن الملك العادل

واستيلاء أخيه الملك الأشرف على خلاط

واتفق مرض الملك الأوحـد بخلاط ، ولما اشتد مرضه كتب إلى أخيه الملك
الأشرف موسى يستدعيه ، فقدم عليه ، وأقام عنده مدة .
« وأبأ من مرضه فقارقه »^(١) ، فلما توجه للعود عنه ، عاود الملك الأوحـد
المرض ، فمات .

وعاد الملك الأشرف فملك خلاط .

وقيل : إن الملك الأشرف لما تمت عافية أخيه الملك الأوحـد ودّع أخاه
عازماً على العود .

فقال له منجم خلاطى : « لا تفارق خلاط ، فإن الأوحـد يموت » .

فقال له الملك الأشرف : « إنه قد أكل اللحم ، ولعب بالكرة » .

فقال له المنجم : « ما يضررك المقام أسبوعاً واحداً » .

ففعل ، فمات الأوحـد فى ذلك الأسبوع .

ولما توفى استقل الملك الأشرف بملك خلاط مضافاً إلى ما بيده من البلاد

الشرقية ، وعظم شأنه ، ولقب « شاهـرمن » .

وأضيفت ميافارقين إلى أخيه الملك المظفر شهاب الدين غازى .

(١) (ك) : « وأقام عنده مدة حتى أفانى من مرضه » .

ودخلت سنة ثمان وستائة :

والمالك على ما كانت عليه في السنة الماضية .

وفي هذه السنة وصل [السلطان] ^(١) الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل إلى خدمة أبيه بالديار المصرية ، فاستشعر منه عز الدين (١٥٨) أسامة [لسبب نذكره إن شاء الله تعالى] ^(١) ، فخرج مظهرًا أنه يتصيد ، وهرب في جماعة من مماليكه .

فخرج الملك المعظم خلفه جريده .

وترك عز الدين [أسامة] ^(١) مماليكه في الرمل ، وانفرد بنفسه ، وأخذ دليلًا من العرب ، وساق ليسبق إلى حصوه ويعتصم بها ، فنزل بأرض الداروم يستريح ، [ثم أراد الركوب] ^(١) وعجز عن الركوب لوجع المفاصل الذي كان يعتريه [قبل ذلك] ^(١) ، فعرفه شخص وأخبر الملك المعظم به ، وكان قد وصل إلى موضع قريب من المكان الذي نزل به أسامة .

فسار الملك المعظم إليه ، وقبض عليه ، وبعث معه جماعة أوصلوه إلى السكرك ، فاعتقلوه بها .

ثم حوَصر حصناه : كوكب وعجلون ، فسلمهما غلماناه على عوض أخذه .
وأمر الملك العادل بهدم كوكب وتعزية أثره ، وأبقى عجلون .

وانقضى أمر الصلاحية بانقضاء [زين الدين] ^(١) قراجا ، [والأمير نجر الدين] ^(١) وجهاركس ، وعز الدين أسامة ، وصفت حصونهم للملك العادل ، والملك المعظم بعده .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

وملك الملك المعظم بلاد جهار كس^(١) لأخيه شقيقه الملك العزيز عماد الدين عثمان^(٢)، وأعطى صرّخد مملوكه عزّ الدين أيبك أستاذ داره .

ولم يزل أسامة معتقلا في الكرك إلى أن مات بها .
^(٣) وقد قيل إن جماعة من الأمراء كانوا أشاروا على أسامة بتسليم كوكب وعجلون إلى الملك المعظم ، ويأخذ عوضاً عنهما ، فما فعل ، ولو فعل لم يطرأ عليه ما طرأ من الاعتقال وأخذ أمواله ، وكانت جميع أمواله وذخائره بكوكب ، فاستصفت جميعها^(٤) .

ذكر الفتنة بمكة

وفي هذه السنة كانت فتنة عظيمة بمكة ، وسببها أن باطنياً وثب على قريب للشريف أبي عزيز قتادة — صاحب مكة — فقتله .
 وكانت أم الكيا حسن — صاحب الأملوت — قد قدمت حاجة مع الحاج العراقي ؛ فركب الشريف^(١)،^(٢) أبو عزيز في الأشراف والعربان ، وقصد الحاج العراقي فنهبهم نهباً ذريعاً ، ورموهم بالحجارة والنبل^(٣) .

(١) هذه الفقرة ساقطة من (س) .

(٢) مكان هذه الجملة في (س) (ص ١٦٩) فقد أكثر إيفاءً وتفصيلاً ، وهذا نصها :
 . وكان السبب في قبض الملك المعظم على أسامة أنه طلب من أسامة أن يسلم كوكب وعجلون إليه ، فأبى ذلك ، فأشار جماعة من الأمراء على أسامة بذلك ، فلم يلتفت إليهم ، وأغلظ لهم في القول ، فبلغ الملك المعظم ذلك ، فبقي في قلبه منه ، وتم له مع أسامة ماتم ، ولو فعل أسامة لم يطرأ عليه شيء من ذلك ، وكان الملك المعظم قد بذل له عوضاً عن هذه (كذا) الموضعين ، فلم يفعل لأمر يريده الله أن يكون ، ولما مات أسامة في الاعتقال أخذ الملك المعظم جميع أقواله ، وكانت أمواله وذخائره كلها بكوكب فاستصفاها جميعها .

(٣) (ك) : « السيد » .

(٤) النص في (س) مضطرب غير مفهوم وهو : « دركب الشريف أبو عزيز بن قريب والأشراف والعربان ، وقصدوا الحاج العراقي لما قتل أبوه ، فنهبهم نهباً ، ورموهم بالحجارة والنبل لأن الباطني الذي قتل صاحب مكة كان في حاج العراقي » .

فانتقل الحاج العراقي إلى الحاج الشامي ، واستجاروا بهم ، وكان في الحاج^(١) الشامي ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك العادل [زوجة مظفر الدين صاحب إربل]^(٢) ، فأجارت الحاج العراقي ، ومنعت أبا عزيز منهم ، ولولا إجارتها لهم لاستؤصلوا [عن آخرهم]^(٣) ، وذلك بعد أن نهب من الحاج العراقي من الأحمال والجمال ما لا يمكن وصفه .

ثم لما أرادوا دخول مكة منعوا منها ، (٥٨ ب) فما زالت ربيعة خاتون بأمير^(٤) مكة حتى أذن لهم ، فدخلوا وقضوا حجتهم .

وفي هذه السنة أظهر ألكيا جلال الدين حسن — إمام الباطنية صاحب الأملوت — شعائر الإسلام ، وأمر رعيته بالصلوات والحج وصيام رمضان ، وإقامة وظائف الشريعة .

وكتب إلى الخليفة والملك يعقوب ذلك ، وبعث والدته إلى مكة لتحجج ، فحجت كما ذكرنا ، وأكرمت ببغداد لما دخلتها إكراماً عظيماً ، وبعث جلال الدين حسن إلى الحصون التي لهم بالشام يلزمهم أن يفعلوا نظير ما فعله ببلاد المعجم^(٥) ، فأعلنوا بالأذان وإقامة الجمع وأظهروا أنهم قد التزموا بمذهب الشافعي — رحمه الله — .

(١) (ك) : د الركب ، .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٣) (س) : د باين أمير مكة ، .

(٤) (ك) : د في العجم ، .

ذكر عود

الملك العادل إلى الشام

وفي هذه السنة قدم الملك العادل إلى الشام .

وأعطى ولده الملك المظفر شهاب الدين غازي الرُّها .

ذكر الاتفاق

بين الملك الظاهر وعمه الملك العادل

وخطبة الملك الظاهر ابنة الملك العادل

وفي هذه السنة توجه القاضي بهاء الدين بن شداد من الملك الظاهر رسولا إلى عمه الملك العادل ، فوصل إليه وهو بالديار المصرية .

وكان مضمون الرسالة استعطافه واسترضاءه ، وأن يجدد له اليمين على بلاده ، وخطب ابنته ضَيْفَةَ^(١) خاتون — شقيقة الملك الكامل — وكانت أعز بنات الملك العادل عليه ، وخطبها منه جماعة من الملوك ، فلم ينعم عليهم بتزويجها .

وكان الملك الظاهر قد طالبها من عمه قبل ذلك لما ماتت زوجته أختها غازية خاتون ، فلم يجب إلى ذلك .

فلما وصل القاضي بهاء الدين وخاطبه في ذلك ، أجابه إليه ورضى عن الملك الظاهر ، وجدد اليمين له ، وسمح له بتزوج ابنته ضَيْفَةَ خاتون .

ورجع من عنده مكرماً .

(١) ولدت ضيفة خاتون بنت الملك العادل في سنة ٥٨١ هـ أو ٥٨٢ هـ بقلعة حلب حين كان أبوها ملكاً لحلب ، وكان عند أبيها ضيف فساداً ضيفة : انظر ترجمتها في : (الحنبلي : شفاء القلوب ، ص ٨٨ ب) .

ودخلت سنة تسع وستمائة :

والسلطان الملك العادل بدمشق

(١١٥٩) ذكر " وصول

الساحبة ضيفة خاتون ابنة الملك العادل إلى حلب

بعد عقد العقد بدمشق^(١)

ولاحدى عشرة ليلة مضت من المحرم من هذه السنة . بعث الملك الظاهر
القاضى بهاء الدين بن شداد رسولا^(٢) إلى عمه الملك العادل في تقرير أمر العقد ،
ووكّله في قبوله ، وأنفذ معه ثياباً كثيرة برسم الخلع على أرباب الدولة ، ومالا برسم
النثار [وقت عقده النكاح]^(٣)

ولما ورد [القاضى بهاء الدين]^(٣) إلى دمشق عقد العقد ، وكان النائب عن
الملك العادل في الإيجاب شمس الدين بن التنبى .

وقبل القاضى بهاء الدين العقد لموكاه على صداق مبلغه خمسون ألف دينار ،
ونثر النثار على الشهود والقراء .

وسرحت الخاتون في هذا الشهر إلى حلب ، فوصلت إليها في تجمّل^(٤)

(١) هذا العنوان غير موجود في "ك" و "س" ، والكلام هناك متصل .

(٢) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٤) (ك) : د محمل ، و (س) : د محفل ، .

عظيم ، والتقاها الملك الظاهر في أمراء حلب ومعهميها وأكابرها ، وكان دخولها القلعة يوماً مشهوداً ، وقدم معها من القماش والآلات وأنواع المصاغ ما يحمله خمسون بغلاً ومائة بخت وثمانمائة جمل ، ومن الجوارى والوصائف والإماء والحرائر^(١) في الحاير^(٢) والسكجوات ما يحملهن مائة جمل .

وذكر أنه كان في خدمتها مائة جارية ، كلهن مطربات يلعبن بأنواع الملاهي ، ومائة جارية أخرى كلهن يعملن أنواع الصنائع البديعة .

وذكر أنها لما دخلت على الملك الظاهر مشى لها عدة خطوات ، واحترمها احتراماً عظيماً ، وقدم لها خمسة عقود^(٣) جوهر قيمتها مائة ألف وخمسون ألف درهم^(٤) ، وعصابة بجوهرة ليس لها نظير ، وعشر قلائد من العنبر المذهب ، وخمسة غير مذهبة ، ومائة وسبعين قطعة من الذهب والفضة ، وعشرين تختاً من الثياب المختلفة [الألوان]^(٥) ، وعشرين جارية ، وعشر خدم .

وقال شرف الدين راجح الحلبي يهني^{*} الملك الظاهر بهذه الوصلة ، ويمدحه بقصيدة مطلعها :

نعم هي نعمى بشرها أوضح البشرى فما عذر من لم يبتغ مدحه عذرا
سما قدر هذا اليوم عن موقف به نصوغ حلى الفظم أو ننظم النثر^(٥)

(١) هذان اللفظان ساقطان من (ك) و (س) .

(٢) (ك) : وخمسون عقد ، و (س) : : وخمسون عقد .

(٣) (س) ، : مائتين ألف وستون ألف درهم .

(٤) ما بين الحاصرين زيادة عن (س) .

(٥) (ك) ، : الدرا .

(٥٩ ب)

هي الآية الكبرى ، فياعى ماديح
ومذ نشر اليوم لأغر إرداءه
ولو نظم الشغرى لأمثالها شعرا
نشرنا على أعطافه المدح الغرا

ومضرا :

فقم^(١) دون ملك عادلى حميته
فبالأس قد أوليته ما كفيته
ولا سيما أضى ظلال ولاية
وما زال يدعوه إلى الرشيد سعده
فلورمت مضرا لاضطفاك بملكها
مواقع كيد القوم ، واشدد به أزرًا
به الخطب إذ أصليت أفندة جحرا
وأصفي كما أصفيتته السر والجهرًا
إلى أن أقر الملك وانتخب الصهرا
لأنك لما شئت أخاك لك النصرا

ذكر عمارة الطور

وفي هذه السنة أو التي قبلها عمر الساطان الملك العادل قلعة على جبل الطور ،
وهو جبل عالٍ مطل على عكا بالقرب منها .

ولم يكن بناؤه مصلحة ، فإن الفرنج بعد ذلك قصدوه وكادوا يملكونه ،
ولو ملكوه تعذر انتزاعه منهم ، وتمكنوا به من بلاد الإسلام ، وقطعت غاراتهم
الطريق عن الديار المصرية .

وكان على هذا الجبل قلعة من أيام الفرنج ، وملككت في الفتوح الصلاحية ،
ثم خربها المسلمون لما ملكوا عكا وعفوا أثرها .

(١) (س) : « نعم » .

ثم ترجّح عند الملك العادل تخريب حصن كوكب وعمارة قلعة الطور ، فنزل
بعساكره حولها ، وأحضر الصنائع من كل بلد ، واستعمل جميع أمراء العسكر
في البناء ونقل الحجارة .

وكان فيه خمسمائة أمان ماعدا القلعة والنحاتين ، ولم يزل مقبلاً عليه حتى بناه .
ومدحه كمال الدين بن النبيه المصري ، بقصيدة مطلعها .

تَنَقَّبْتُ بِالنُّورِ وَالنُّورِ وَاعْتَجَرْتُ لَكِنْ بِدَيْجُورِ
ساحرة الطرفِ ، ولكنها من فثرة في زى مسحورِ

ومنها :

يا ليلة الوصل استقرى ويا سيرة سلطان الورى سبرى
الملك العادل من أمه فقد رأى موسى على الطورِ
(١٦٠) إن كان قد دك قديماً فقد عمرته أحسن تغميرِ
كأنه تاج على مفرق لما استدارت شرف السورِ
يراحم النجم له منكب كالنجم فى الرفعة والنورِ
كأنما أوقنته حارساً يحرس من عكا إلى صورِ
فكلما لاح به^(١) بارق يرتعد الصخر من الدورِ
بنى سليمان بأعوانه وأنت بالفِرِّ الجماهيرِ
تصافح الأحجار أيدٍ لهم لا ترتضى لمسّ الدنانيرِ

ومنها :

كم لك في يافا وفي المرج^(١) من رقائق غير مشاهير
عشرون ألفا^(٢) غير أتباعهم ما بين مقتول^(٣) ومأسور
طهرت بيت القدس من رجسهم
وكان مأوى للخنازير

ذكر قبض

السلطان كيكافس على أخيه كيقباز

كنا قد ذكرنا استيلاء السلطان غياث الدين كيخسرو بن قلیج أرسلان السلجوقي على بلاد الروم ، ثم هلك غياث الدين ، فقام بالملك بعده الملك الغالب عز الدين كيكافس بن كيخسرو .

وفي هذه السنة قصد عمه طغرل شاه بن قلیج أرسلان — صاحب أرزن الروم — ، وحاصره بسيواس ، وضيق عليه ، واستعان على حصاره بابن لاون .
فاستنجد عز الدين بالملك الأشرف بن الملك العادل ، فخاف صاحب أرزن الروم من الملك الأشرف ، ورحل عن سيواس إلى بلاده ، فأفرج عن عز الدين ضيق الخناق .

وسار أخوه علاء الدين كيقباز بن كيخسرو إلى أنكورية ، وهي لعز الدين ، فملكها .

(١) (س) : « الكرج » .

(٢) الأصل : « ألف » ، والتصحيح عن (ك) .

(٣) (س) : « مقود » .

و بلغ ذلك عز الدين ، فسار في جيوشه حتى خيم على أنكورية ، وجدّ في حصارها ، فاستشفع علاء الدين بالملك الظاهر إلى أخيه في الصلح بينهما .

فبعث الملك الظاهر الشيخ تقي الدين على بن أبي بكر الهروى ، في المعنى ، فلم يتم الصلح ، ولم يزل عز الدين محاصراً لأنكورية حتى فتحها وقبض على أخيه علاء الدين ، واعتقله ببعض القلاع (٦٠ ب) وحلق لحي الأمراء الذين كانوا معه ورءوسهم ، وأركب كل واحد منهم فرساً ، وأركب قدامه وخلفه خاطيتين ، مع كل واحدة منهما معلاقاً تصفعه به ، وبين يدي كل واحد منهم منادٍ^(١) ينادى : « هذا جزاء من خان سلطانه » .



(١) (ك) و (سر) : « مناديا » .

ودخلت سنة عشر وستمائة :

والمالك بمالها

وفي هذه السنة ظفر عز الدين كيكافوس — صاحب بلاد الروم — بعمه ،
وأخذ بلاده وقتله ، وذبح أكثر الأمراء .
وأراد قتل أخيه علاء الدين فشفع فيه مجد الدين ، فعلم عز الدين فعفا عنه ،
وتركه محبوساً .

وهذه رذيلة كانت في البيت السلجوقي طهر الله البيت الأيوبي منها ،
فإن البيت السلجوقي كان إذا ظفر واحد منهم بأخيه أو ابن عمه أعدمه ، وأحسن
أحواله أن يعتقه [حتى يموت]^(١).

وكان بنو أيوب يتحاربون ، وتجرى بينهم العداوة الشديدة ، ثم يجتمع بعضهم
ببعض ، وربما صعد بعضهم إلى قلاع بعض ، ثم يفارقه بعد المقام عنده على حال
جميلة ،^(٢) والعداوة والمنافرة باقية بمالها^(٣) .

وفي هذه السنة وثب بعض الباطنية على ابن الأبرنس — صاحب أنطاكية —
فقتله ، وكان عمره ثمانى عشرة سنة ، فحزن عليه أبوه حزناً شديداً ، وأعظمت
الفرنج ذلك وخافوا واحترزوا لأنفسهم .

وفي هذه السنة حصل عند الملك الظاهر استشعار من عمه الملك العادل لشيء
بلغه عنه ، وأخذ في الاستخدام والاستعداد ، ثم بعث القاضي نجم الدين بن الحجاج

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) هذه الجملة غير موجودة في (س) .

نائب القاضى بهاء الدين بحلب إلى الملك العادل لإصلاح الحال ، فانصلحت الحال .
وورد من جهة الملك العادل ما طاب به قلب الملك الظاهر وزال استنعاره ،
فبعث الملك الظاهر إلى عمه هدية سنينة من جملتها خمسون رأساً من الخيل .
وفي رمضان من هذه السنة توفى فارس الدين ميمون القصرى ، وهو آخر
من بقى من كبار الأمراء الصلاحية ، وكانت وفاته بحلب ، وعشق فى الليلة التى
مات فيها ثمانين مملوكا ، وزوجهم [ثمانين جارية أيضاً]^(١) وخلف
أموالا كثيرة .

ذكر ولادة

الملك العزيز بن الملك الظاهر

(١٦١) وفى يوم الخميس خامس ذى الحجة من هذه السنة ولد للملك الظاهر
من ابنة عمه ضيفة خاتون بنت الملك العادل الملك العزيز غياث الدين محمد .
وزُينت حلب ، واحتفل الملك الظاهر لمولده^(٢) احتفالا عظيما ، من ذلك أنه
أمر بإحضار شئ كثير من الفضة والذهب ، وأمر الصواغ أن لا يتركوا شكلا
ولا صورة من سائر الصور إلا ويصوغون مثلها ، فصاغوا من ذلك ما وزن
بالقناطير ، وصاغوا عشرة مهود من الذهب والفضة سوى ما عمل من الأبنوس
والعود والصندل وغير ذلك .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) الأصل : « لولده » ، والتصحيح عن (ك) .

ونسج للولود ثلاث فرجيات^(١) من اللؤلؤ ، في كل واحدة منها أربعون حبة من الياقوت والبأخش^(٢) والزمرد ،^(٣) ودرعان وخوذتان وبرك أسطوان^(٤) من اللؤلؤ ، وثلاث سروج مجوهره ، في كل واحد منها عدة من الياقوت والزمرد^(٥) وثلاث سيوف غلفها وقبضاتها ذهب مرصع بأنواع الجواهر^(٦) ورماح ذهب أستها جواهر منظوم .

وفي هذه الأيام ختن الملك الظاهر ولده^(٧) الملك الصالح^(٨) صلاح الدين أحمد ، وعمره يومئذ تسع سنين .

وفي ولادة الملك العزيز وختان أخيه الملك الصالح يقول شرف الدين راجح الحلي قصيدة مطلعها :

نعم جادت الدنيا بما أنت آمله فحسبك من آماله ما تقابله
إذا ما هناء قال قوم : قد انقضت أواخره كرت^(٩) عليه أوائله

(١) فرجية (ج : فرجيات) عرفها (Dozy : Dict. Détaillé des Noms des Vêtements P. 327 - 334 ; Supp. Dict. Arab)

بأنها نوع من النباء المنسجل ، ويصنع غالبا اليوم من الجوخ ، وله أكام واسعة طويلة تتعدى أطراف الأصابع ، وهي غير مفتوحة أو مشقوقة .

(٢) جواهر أحمر شفاف يضامى فائق الياقوت في اللون والرونق ، سمي هكذا نسبة إلى موطنه « بلخشان » ، حيث يكثر وجوده ، وأهل إيران يسمونه « بنخشان » ، وهو إقليم يقع في أقصى شرق أفغانستان . انظر : (ابن الأكفاني : نخب الخبائر في أحوال الجواهر ، ص ٦٣) .

(٣) هذه الجملة غير موجودة في (س)

(٤) برك اسطوان ، أو بركستوان غاشية الحصان أو الفيل المزركشة . انظر تطبيقات الدكتور زيادة على كتاب (السلوك ، ج ١ ص ١٧٧ - هامش ٥) .

(٥) (ك) : « الجواهر » .

(٦) هذان الانطاز ساقطان من (ك) و (س) .

(٧) (س) : « هفت » .

فيا حبذا دهرٌ بملكك أشرقت
على أهله أسحاره وأصائله
فلسنا نرى إلا نعيماً يديمه
صنيعك فينا ، أو سرور يواصله

ومنها :

فله مولودٌ أنار به الهدى
تبشرت الدنيا بغرة وجهه
أتى ومحيًا الدهر أزهر مشرق
فبشرى لأبكار البلاد ، فإنها
كأنى به والجيش خلف لوائه
(٦١ب) سيملوها قسطاً وعدلاً كفاحه
وتحمد منه سيرة ظاهرية
عليه خلال من أبيه وجدّه
وأشقر وجه الملك واشتد كاهله
فبورك من نجل وبورك ناجله
لطلعت ، والزهر تزهو خمائله
على ثقة عما قليل تواصله
وقد حجبت شمس النهار قساطله
وتكلوها أرماحه ومناصله
بها تشمل الآفاق طراً شمائله
تدل على أن البلاد معاقله

ومنها في ظهور الملك الصالح :

ورثت خليل الله منصبه الذى
فأحييت بالتطهير سنة ، وم
فدم يا غياث الدين للعاق رحمة
سما ، والنجوم الزاهرات تطاوله
تبعت نبياً فى الذى هو فاعله
تعمهم كالغيث طبق وابله

ودخلت سنة إحدى عشرة^(١) وستائة :

والمالك على ما كانت عليه

وفي صفر منها وصل إلى حلب الملك المنصور محمد بن الملك العزيز عثمان ، وهو الذي كان له الملك بعد أبيه بالديار المصرية ، وكان عمه الملك الأفضل أتابكة ، ثم صار الملك العادل — لما كسر الملك الأفضل أتابكته .

وقد ذكرنا أن الملك العادل خلعه من الملك واستقل بالمملكة ، وأنه سيره إلى الشرق مع أخوته ، فوصلوا في هذه السنة إلى حلب ، فأقاموا عند عمهم الملك الظاهر مكرمين بها .

وفي هذه السنة اجتمعت الفرنج من جزيرة قبرص واطرابلس وعكا وأنطاكية ، وانضم إليهم عسكر ابن لاون — ملك الأرمن — ، وكان تزوج ابنة صاحب عكا ، ونزلوا^(٢) ببقعة حصن الأكراد ، فخافهم الملك المنصور — صاحب حماة — والملك المجاهد — صاحب حمص — فراسل الملك المنصور الملك الظاهر في ذلك ،

فأرسل الملك الظاهر إلى الفرنج في أن لا يتعرضوا لحماة ، فلما وصلت رسالته إليهم بذلك أجابوا إليه ، ورضوا من الملك المنصور بسبب^(٣) حمله إليهم واصطلحوا معه .

(١) الأصل : « عشر » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من (س) .

(٣) (س) : « بسبب » .

ذكر منازلة

الفرنج الخوإى ثم رحيلهم عنها

وقصدت الفرنج فى هذه السنة بلاد الباطنية ، ونازلوا من قلاعهم الخوإى ، وحاصروها حصاراً شديداً ، وكانوا حائقين عليهم بسبب قتلهم ابن الإبرنس (١٦٢) — صاحب أنطاكية — .

ولما بلغ الملك الظاهر ذلك خرج من حلب فى عساكره متوجهاً إلى بلاد الإسماعيلية ليدفع عنهم الفرنج .

ولما بلغ ذلك الفرنج رحلوا عن الخوإى فتنفس خناق من كان فيه . ونزل الملك الظاهر بصلدى ، وبعث نجدة إلى الخوإى ، فصعدت إليه ، وأنفذ إلى الحصن إقامة كثيرة وميرة ، وبعث إلى الفرنج يعلمهم أنه لا يمكنهم من الإسماعيلية ، فرحلوا إلى أنطاكية .

وفى هذه السنة توفى الأمير بدر الدين دلرم بن ياروق — صاحب تل بآشر — وعمل عزأؤه بحلب ، وولى تل بآشر بعده ولده فتح الدين .
وفى رمضان من هذه السنة توفى الشيخ تقى الدين على بن أبى بكر الهروى ، وكان أثيراً عند الملك الظاهر ، وأقام عند الملك المنصور — صاحب حماة — مدة وله التربة المعروفة شمالي حلب ^(١) .

(١) بعد هذا اللفظ فى نسخة س (ص ١٧٣) جملة (وأيات من الشعر آثرنا إنبأها هذا إتماماً للفائدة !) ولما أراد أن يموت (كذا) أمر فكتب على حائط التربة هذه الأيات يقول .

قل لمن يقتر بالدينـا لقد طال عنهـا
هذه تربة من عهد هذا وبنـاه
طالما أتعبه الحرس وقد هد قـواه
طلب الراحة فى الدنيا فما نال منهـا

وكان عارفاً بأنواع الحيل والشعبذة، وله أسفار^(١) كثيرة، وتغرب في البلاد، وكان قصد بغداد، وصنّف خطباً يخطب بها في الجمع والأعياد، وقدمها للخليفة الناصر لدين الله، فتقدّم الخليفة بتوقيع له بالحسبة في سائر بلاد الإسلام^(٢)، وإحياء ما شاء من الموات، والخطابة بجامع حلب.

وكان هذا التوقيع بيده^(٣) ليتشرف به، ولم يباشر شيئاً من ذلك.

وفي هذه السنة ظفر عز الدين كيكائوس — صاحب بلاد الروم — بملك الروم المعروف بالشكري^(٤)، وهو قاتل أبيه غياث الدين كيخسرو.

وذلك أن الشكري خرج إلى الصيد، وانفرد عن أصحابه فعارضه قوم من التركان وهم لا يعرفونه، وأرادوا أخذ سلاحه وفرسه وإطلاقه، فخاف القتل وعرفهم بنفسه، وضمن لهم مالا، فاخطفوه^(٥)، وحملوه إلى السلطان عز الدين، فأعطى التركان مالا جزيلاً، وعزم على قتله، فضمن له أموالاً جزيلاً، وتسليم قلاع وبلاد، فتسلم منه بلاداً لم يملكها مسلمون قبل ذلك قط.

(١) الأصل : « أشعاري » ، والتصحيح عن (ك) و(س) .

(٢) (س) : « الشام » .

(٣) (ك) : « بيد الإمام الناصر » .

(٤) كذا في الأصل ، وفي (ك) : « بالشكري » ، وفي (س) : « بالشكري » وهو

لقب أطلقه المؤرخون العرب أول الأمر على Theodore Lascaris I « إمبراطور الدولة البيزنطية في نيقية بعد استيلاء اللاتين على القسطنطينية » ، ثم غلب اسم الأشكري بعد ذلك على كل أباطرة بيزنطة . انظر الحاشية الطويلة التي كتبها عن هذا الموضوع الدكتور زيادة في تعليقاته على كتاب (السلوك) ج ١ ، ص ١٧٩ ، هامش ٢ .

(٥) الأصل : « فاخطفوه » ، والتصحيح عن (س) .

ذكر رحيل

الملك العادل إلى الديار المصرية

ورحل الملك العادل في هذه السنة إلى الديار المصرية ، بعد أن رتبَّ أمر الشام والشرق .

ووصل إلى مصر ، واستقر بدار الوزارة (٦٢ ب) .



ودخلت سنة اثنتى عشر^(١) وستائة :

والمالك على ما كانت [عليه]^(٢) فى السنة الماضية .

ذكر استيلاء

الملك المسعود بن الملك الكامل على اليمن

قد ذكرنا استيلاء سليمان شاه بن سعد الدين بن تقى الدين على اليمن ،
وما أحدثه فيها من الجور والظلم ، وأنه أطرح زوجته التى ملكته البلاد .

فلما كانت هذه السنة بعث الملك الكامل ولده الملك المسعود صلاح الدين
يوسف المعروف بالأقسيس^(٣) ، وبعث معه جيشاً كثيفاً .

فمضى إلى اليمن ، واستولى على معاقله ، وظفر بسليمان شاه وبعثه تحت
الحوطة إلى مصر ، فأجرى له الملك الكامل ما يقوم به .

ولم يزل مقياً بالقاهرة إلى سنة سبع وأربعين وستائة ، فخرج إلى المنصورة
غازياً ، فقتل شهيداً — رحمه الله — [وأما زوجته ملك فإنها مكانها مكرمة
عند الملك الكامل فى غاية الأكرام والحرمة الوافرة]^(٤) .

(١) (ك) : د اثنى عشر ، .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

(٣) صحه هذا الاسم « أطيس » ؛ وقد شرحه (ابن خلكان : الوفيات ؛ ج ٤ ص ١٧٠)
بقوله : « هي كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم ؛ ويقال : إنعاسمى بذلك لأن الملك الكامل
ما كان يعيش له ولد ؛ فلما ولد له المسعود قال بعض الخافزين فى مجلسه من الأترك : فى بلادنا
إذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه أطيس » فسماه أطيس ؛ والناس يقولون أقسيس بالغاف
وصوابه بالطاء ، .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

وفي هذه السنة وصل رسول الخليفة الناصر لدين الله إلى الشام ومصر ،
وفي يده كتاب ألفه الخليفة ، وسماه : « روح العارفين » ، يشتمل على أحاديث
نبوية يرويها الخليفة بأسانيد عالية ، وأمر أن يُسمع بالسند عن الخليفة ، فسمع
في البلاد كلها .

ولما وصل هذا الرسول إلى حلب قعد في شرقية الجامع ، وأحضرت آلات
الذهب والفضة التي تصلح للبخور والطيب ، وحضر القاضي بهاء الدين بن شداد
والأكابر ، وحضر الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن الملك الظاهر ، وقرئ
الكتاب ، فسمعه الجماعة ، وكتبت أسماؤهم ، [وقرئ أيضاً على الملك الظاهر
بجامع قلعة حلب]^(١) .

قلت^(٢) : سمعتُ أنا هذا الكتاب من رجلٍ من أهل شيزر^(٣) ، قدم
علينا من العراق ، وذكر أن له به إجازة من الخليفة ، فرويته عنه في سنة
ثمان عشرة وستائة وعمرى إذ ذاك أربع عشرة سنة ، فإن مولدى ثانى شوال سنة
أربع وستائة^(٤) .

وفي هذه السنة قتل الملك الظاهر محمود بن الشكرى خنقاً ، وهو الذى وجد
عنده مملوك الملك الظاهر لما كان هو وأخوه الملك الأفضل محاصرين دمشق ،

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) مسكان هذا اللفظ في (س) : « قال القاضي جمال الدين بن واصل قاضى قضاء حماة
وأعمالها صاحب هذا التاريخ » .

(٣) (س) : « من أهل شيراز » .

(٤) هذا نص هام يحدد فيه ابن واصل مؤلف هذا الكتاب تاريخ مولده تحديداً واضحاً
لا لبس فيه ولا إبهام ، فهو يذكر اليوم والشهر والسنة ، وهو هنا يذكر كذلك أنه روى
كتاب « روح العارفين » الذى ألفه الخليفة الناصر ، عن رجل من شيزر له بالكتاب إجازة
من الخليفة ، وكان عمر ابن واصل حين روى هذا الكتاب أربع عشرة سنة .

وكان (١٦٣) هذا أحد أسباب الفساد بين الأخوين حتى رحلا عن دمشق .
وفي هذه السنة قتلت الباطنية أخاً للملكة صاحبة عكا ، وكان قد خرج
من البحر في عالمٍ [عظيم] ^(١) لا يُحصى من الفرنج لنصرة صاحب أنطاكية ،
ونازلت الفرنج الخواري ، وجدّوا في حصاره وقتال أهله ، وقتلتهم رجالة الحلبيين
الذين بعثهم الملك الظاهر نجدة لأهل الخواري .

ذكر وفاة

أبي الحسن علي

ولد الخليفة الناصر لدين الله

وفي العشرين من ذى القعدة من هذه السنة توفي الأمير أبو الحسن علي بن
الخليفة الناصر لدين الله .

وكان الخليفة يحبه حباً شديداً ، وقد رشحه لولاية العهد من بعده ، وخلع
لذلك أخاه عدة ^(٢) الدين أبا نصر محمداً ، وهو أكبر من عليّ هذا .
وكان — رحمه الله — كثير الصدقة ، كريماً ، كثير المعروف ، حسن السيرة ،
محبوباً عند الخواص والعوام ، وكان مرضه الإسهال ؛ فحزن عليه الخليفة حزناً
لم يسمع بمثله .

ولما توفي أخرج نهاراً ، ومشى جميع الناس بين يدي تابوته إلى تربة جدته
[الخيزران] ^(٣) ، وهي عند قبر معروف الكرخي ^(٤) — رحمه الله — فدُفن

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) و (س) .

(٢) (ك) : د علا الدين .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٤) هذا تحديد هام لموضع قبر الخيزران .

هناك ، ولما دخل التابوت^(١) أغلقت الأبواب وسمع الناس الصراخ العظيم من داخل التربة ، فيقال إن ذلك كان صوت الخليفة .

ودامت عليه المناحات في أقطار بغداد ليلاً ونهاراً أياماً ، فلم يبق في بغداد محلة إلا وفيها النوح ، ولم تبق امرأة إلا وأظهرت الحزن [الشديد]^(٢) ولم يُسمع ببغداد مثل ذلك في قديم الزمان ولا حديثه .

ولما سمعت الملوك بموته جلسوا في العزاء له لابسين شعار الحزن خدمة للخليفة ، ورثته الشعراء فأكثرُوا ؛ فمن رثاه شرف الدين بن راجح بن اسماعيل الحلبي عندما عمل الملك الظاهر غازي - صاحب حلب - عزاءه بقصيدة مطلعها :

أَكْذَا يَهْدُ الدَّهْرُ أَطْوَادَ الْهَدَى ويردُّ بالنكباتِ شاردةَ الرَّدى ؟ !

(٦٣ ب)

أَكْذَا تَغِيبُ النِّيرَاتُ وَيَنْطَفِي
بالرجالِ لِنَكْبَةٍ نَبَوِيَّةٍ
وَلخَطَةِ شِعَاءٍ لَاحِظَهَا الْهَدَى
لو كنتَ بالشَّهْبَاءِ يَوْمَ تَوَاتَرَتْ
يَوْمًا تَزَاحَمَتِ الْمَلَائِكَةُ الْعُلَى
قَصَدَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِزِيَّةً
هِيَ ضَعُضَتْ شُمَّ الْجِبَالِ وَأَخْضَعَتْ
شَفَّتْ عَلَى حَرَمِ الْخَلِيفَةِ^(٣) غَارَةً
فَسَقَى أَبَا حَسَنِ ثَرَاكَ صَنَائِعُ

ما كان من أنوارها مُتَوَقِّدًا ؟ !
طَوَتْ الْعُلَى قَلْبًا عَلَيْهَا مُكَمِّدًا
دَامِي الْجَفُونِ فَغَضَّ جَفْنًا أَرْمَدًا
أَنْبَاؤُهَا لَرَأَيْتَ يَوْمًا أَسْوَدًا
فِيهِ فَعَزَّتْ عَنْ عَلِيٍّ أَتْحَدًا
عَادَاتُ وَقَعِ مِهَا مِهَا أَنْ تَقْصِدَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمَذَلَّةٍ مُتَعَوِّدًا
شِعْوَاءُ غَادَرَتْ الْفَخَارَ مَطَارِدًا
لَكَ لَيْسَ تَبْرَحُ غَادِيَاتٍ عَوِّدًا

(١) (س) : « ولما أدخل التابوت إلى التربة » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) و (س) .

(٣) (ك) : « الخلافة » .

ومنها :

ما للإمامة أصبحت مفجوعة
دَرت^(١) الخلافة عِلمَ يَوْمِ مُصَابِهِ
صَاتَ ملائكةُ السماءِ عليه من
جَلِيَّتْ له حُورُ الجنانِ وجُلِيَّتْ
بَاعَزُهَا حَسَبًا وَأَزكى مُحْتَدًا
فَلأَجَلِه اتَّخَذُوا الشَّعَارَ الأسودَا
آفَاقَهَا فَرَقًا ، وَظَلَّتْ سُجْدًا
قَبْلَ التَّلَاقِ لَوْلُوا وَزَبْرَجَدًا

ومنها :

صَبْرًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمْ تَزَلْ
وَأَمْنَحْ غِيَاثَ الدِّينِ صَبْرًا مِنْكَ لَوْ
فِيهِ الضَّعِيفُ إِذَا تُلِّمَ مَلَمَةً
وَأَسْلَمَ ، فَلَا سَعْتَ اللَّيَالِي بَعْدَهَا
وَرِثَاهُ الْقَاضِي كَمَالُ الدِّينِ بْنِ النَّبِيهِ الْمَعْرِيِّ لَمَّا عَمِلَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ بْنُ الْمَلِكِ
الْعَادِلُ عِزَاءَهُ بِقَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا :

النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطَّرَادِ
وَاللَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى دَارِهِ
وَالْمَوْتُ نَقَادٌ عَلَى كَفِّهِ
(١٦٤)

وَالْمَرَّةُ كَالظِّلِّ ، وَلَا بَدَّ أَنْ
لَا تَصُاحُ الْأَرْوَاحُ إِلَّا إِذَا
يَزُولَ ذَاكَ الظِّلُّ بَعْدَ امْتِدَادِ
سَرَى إِلَى الْأَجْسَادِ هَذَا الْفَسَادِ

(١) (س) : « ثوب » .

(٢) (ك) : « مَخْلَدًا » و (س) : « مَجْلَدًا » .

أرغمتَ يا موت أنُوفَ القنَا ودُستَ أعناقَ السيوفِ الحداد
كَيْفَ تَخَرَّمْتَ عَلِيًّا وَمَا أُنْجَدَهُ كُلُّ طَوِيلِ النَّجَاد
نَجَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي مِنْ خَوْفِهِ يَرْعَدُ قَلْبُ الْجَاد
مَصِيبَةٌ أَذَكْتَ قُلُوبَ الْوَرَى كَانَهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ زَنَاد
نَازِلَةٌ حَلَّتْ ، فَمِنْ أَجْلِهَا سَنَ بَنُو الْعَبَّاسِ لُبْسَ الْحِدَاد

ومنها :

خليفة الله اضْطَبِرْ واختَسِبْ فما وهى البيتُ وأنتَ العِمَاد
بِالْحِلْمِ وَالْعِلْمِ بِكُمْ يُقْتَدَى إِذَا دَجَا الْخَطْبُ وَضَلَّ الرَّشَاد
أَنْتَ سَمَاءٌ طَلَعَتْ زَهْرُهَا لَا يَنْقُصُ الْآفِلُ مِنْهَا عِدَاد
وَأَنْتَ لُجُجُ الْبَحْرِ ، مَاضِرَةٌ أَنْ سَالَ مِنْ بَعْضِ نَوَاحِيهِ وَاد
يَا نُوحُ رِثْ أَعْمَارَنَا ، وَاحْتَكِمْ مَلَكًا اللَّهُ رَقَابَ الْعِبَاد

وفي هذه السنة صالح الفرنج أهل الخوارج ، ورحلوا عنهم بعد أن حاربوهم حرباً شديداً ، وكان المتوسط في الصلح بينهم الملك الظاهر .

وفي رمضان من هذه السنة وصل إلى حلب الشيخ شهاب الدين السهروردي — رحمه الله — رسولاً من الخليفة الناصر لدين الله إلى الملك الظاهر ، ومعه تشریفٌ جليلٌ : فرجية فرو سمور مغطاة بثوب [أطلس]^(١) أسود ، وسيف محلي ، وأسمع [عن]^(٢) الخليفة كتاب « روح العارفين » المشتمل على الأحاديث

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) أضفنا ما بين الحاصرتين ليستقيم المعنى .

النبوية الذي تقدم ذكره ، وجلس الملك الظاهر وأكابر دولته . بين يدي
الشيخ شهاب الدين ، وكان كلما جرى ذكر الخليفة قام الملك الظاهر على رجليه .
وبعد سماع الأحاديث ^(١) التي هي تخريج الخليفة ^(٢) ، نصب لشهاب الدين كرمي
الوعظ ، وأذن للعامة في الدخول لسماع وعظه .

وفي هذه السنة ملك الفرنج أنطاكية من بلاد السلطان عز الدين كيكاوس
— صاحب بلاد الروم — وقتلوا من بها من المسلمين ، ثم استعادها (٦٤ ب)
منهم عز الدين في هذه السنة .

وفي شوال من هذه السنة ملك ابن لاون — ملك الأرمن — أنطاكية ،
وأحسن إلى أهلها ، وأظهر فيها العدل ، وكان الأبرنس صاحبها ظالماً ، فحسن موقع
ابن لاون من ^(٣) أهل أنطاكية ، وأطلق جماعة من أسرى المسلمين بها ، وحملهم
[إلى حلب] ^(٣) ، ووقع الصلح بينه وبين الملك الظاهر .

وفي هذه السنة فتح عز الدين صاحب الروم قلعةً من بلاد الأرمن منيعة
تسمى لؤلؤة .

فسلم ابن لاون بغراس إلى الداوية ، واستناب ابن أخته بأنطاكية ، وعاد
إلى بلاده ، خوفاً من عز الدين كيكاوس .
ووصلت إلى الملك الظاهر هدية عز الدين ، والبشارة بعودة أنطاكية
إلى المسلمين .

(١) هذه الفقرة غير موجودة في (س) .

(٢) (س) : « عند » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

ودخلت سنة ثلاث عشرة وستائة :

والسلطان الملك العادل [مقيم]^(١) بالديار المصرية والممالك على حالها .

وفي المحرم من هذه السنة وردت رسالة عز الدين كيكاوس إلى الملك الظاهر يطلب منه الاجتماع معه على مرعش بجيشه ليتفقا على قصد ابن لاون — ملك الأرمن — ويستخلصا أنطاكية منه .

فأجاب الملك الظاهر إلى حرب ابن لاون ، على أن يدخل عز الدين إلى بلاد ابن لاون من جهة مرعش ، ويدخل الملك الظاهر من جهة دربساك^(٢) ويقصد الأبرنس أنطاكية ، ومعه عسكر دمشق وحماة وحمص ، ليضيق المسالك على ابن لاون .

وأخذ الملك الظاهر في جمع الرجال وبذل الأموال ، وبعث إلى عز الدين في جواب الرسالة إليه عبد الرحمن المنجي ، فأدّى الرسالة ، وحرّف فيها ، وزاد فيها شروطاً تضر الملك الظاهر ، وتوافق^(٣) عز الدين لعدم كفايته .

فسير الملك الظاهر إلى الملك العادل يستشيريه في ذلك فهجّن عليه الملك العادل رأيه ، وأشار إليه بأن لا يجتمع إليه أصلا ، وعرفه ما في ذلك من المفاسد . فوقع الملك الظاهر في حيرة عظيمة ، بين أن يغدر بما وعد به عز الدين ، وبين أن يخالف عمّه الملك العادل .

وترددت الرسل من عز الدين مستحثة على سرعة الحركة .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

(٢) الأصل : « دربسال » ، والتصحيح عن (ك) و (س) .

(٣) (ك) و (س) : « فوافق » .

ووصل رسول ابن لاون إلى الملك الظاهر برسالة مضمونها :

إني مملوك السلطان ، (١٦٥) وغرس دولته^(١) ، وقد دخلتُ عليه دخول العرب ، وأطلب منه إنقاذي من هذه الورطة ، وأكون مملوكه ما عشتُ ، وقد حفظت بلاد السلطان غير مرة ، وخدمته ، منها : « أن السلطان لما حاصر دمشق المرة الأولى وبقيت البلاد شاغرة من العساكر ، ما شغلتُ قلبه ولا أذيتُ بلده ، بل ساعدته وعارنته بمالي ورجالي^(٢) » ، وكذلك لما حاصر دمشق المرة الثانية ، وقد بُذلت لي الأموال كلها لأشغل قلبه ويفتر عن الحصار فلم أفعَل .

وإن كان الإبرنس قد خدم السلطان ، فخدمتي أكثر من خدمته ،^(٣) وسوف يبصر السلطان خدمتي ، وما لزمتي بابه الشريف ، وقد أوصيتُ ابن أختي الذي نصبته بأنطاكية بملازمة خدمته^(٣) .

وبعث ابن لاون مع هذه الرسالة هدية عظيمة فاخرة ، فقال الملك الظاهر إلى قوله ، وبقى متردداً .

ثم ورد قاضي أقصرا ، وهو قاضي عسكر عز الدين ، رسولا منه إلى الملك الظاهر يحثه على الحركة ، وبينما هو عنده إذ ورد على الملك الظاهر مَنْ أخبره أن عسكر عز الدين بمرعش أغاروا على البلاط من بلد حلب ، وقتلوا جماعة من الأرمن الذين به ، وأسروا جماعة .

فعظم ذلك على الملك الظاهر ، وقوى عنده الرأي الذي أشار به عمه الملك

(١) (ك) و (س) : « نعمته » .

(٢) (ك) : « وحالي » .

(٣) هذه الجملة غير موجودة في (س) .

العادل ، وقال للرسول : « أول الدية دُرْدِي »^(١) ؟ ! العجب أنكم تطالبون منا
المعاونة وتخرّبون بلادنا .

فاعتذر الرسول بأنه وُجد بالبلاط قِسِيٌّ مما غنه ابن لاون من بلاد الروم
لما أغار عليها ، فعلم بذلك أن أهل البلاط^(٢) كانوا معاونين لابن لاون على نهب
بلاد المسلمين ، والذي كشف هذه الحال قومٌ من التركان ، فلذلك أمر السلطانُ
عزُّ الدين نُصْرَةَ الدين — صاحب مرعش — أن ينهب البلاد مجازاة لهم .
فأعرض الملك الظاهر عن الحركة لنصرة عز الدين ورجع عن عزمه الأول .

ذكر توجهه

القاضي بهاء الدين [بن شداد]^(٣) إلى مصر

لتقرير قواعد الملك الظاهر

وفي هذه السنة سَيرَ الملكُ الظاهرُ القاضي بهاء الدين بن شداد — رحمه الله —
(٦٥ ب) إلى السلطان الملك العادل ، وكان قبل ذلك قد أرسل^(٤) القاضي
نجم الدين بن الحجاج — نائب القاضي بهاء الدين في الحكم بحلب — ، فوجد
من الملك العادل قبولا عظيما ، وطيب قلبَ الملك الظاهر ، وبسط أمله .
فأنفذ الملك الظاهر القاضي بهاء الدين شاكرًا لإِنعامه وطلب منه
أمورا ثلاثة :

(١) الدردى (ج : درادى) هوالم ، انظر (Dozy : Snp. Dict. Arab.)

(٢) (س) : « فلم بذلك بمس أهل البلاط وأنهم معاونون لابن لاون .. الخ

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) و (س) .

(٤) (ك) : « سيّد » .

أحدها : أن يكون الملك العزيز محمد ولده ولي عهد أبيه وقائماً بملك حلب
وبلادها بعده .

وثانيها : أن يزوج الملك العزيز ابنة الملك الكامل .

وثالثها : أن يكون صلح الملك الظاهر وصلاح الملك العادل مع الفرنج واحداً ،
وفكسهما^(١) معهم واحداً .

قال القاضي بهاء الدين — رحمه الله — :

« فتوجهت إلى الديار المصرية ، فأنهيت إلى السلطان الملك العادل هذه
الفصول ، فأجاب إلى تولية الملك العزيز عهد أبيه ، وإلى الموافقة في الصلح
والفكس مع الفرنج ، وأما فصل التزويج فقال : هذا لا يتعلق بي ، فاجتمع
بالمملك الكامل وتحدث معه فيه » .

قال : « فاجتمعت بالسلطان الملك الكامل ، وخاطبته فيه فأجابني إليه ،
وأخذت يده على ذلك » .

ذكر وفاة

الملك الظاهر — صاحب حاب رحمه الله —

ولما كانت صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأولى
من هذه السنة ابتدأت بالمملك الظاهر حمى حادة ، فتجلد في ذلك اليوم ، وركب ،
ثم نزل ، ولم يعد إلى الركوب .

(١) كذا في الأصل وفي (ك) ، وفي (س) : « مكسها » ، هذا ولم يجد الناشر تفسيراً
لهذا اللفظ في المعاجم العربية المعروفة ، ولعل معناها « نكسها » .

وفي الغد جلس ، ودخل إليه أخوه الملك الحسن ، وجماعة من الأكابر
لعيادته ، وفرحوا بمشاهدته .

وفي التاسع والعشرين من هذا الشهر ، وهو خامس يوم من مرضه اشتدت به
الحمى ، وحُقن وخيف عليه .

وفي اليوم السابع عشر من مرضه أحضر القاضي نجم الدين — نائب القاضي
بهاء الدين — ، وكان القاضي بهاء الدين كما ذكرنا قد توجه من الرسالة إلى مصر ؛
فكُتبت نسختا يمين^(١) مضمونهما :

أن الملك يكون بعد الملك الظاهر لولده الملك العزيز محمد ، وبعده الملك
الصالح صلاح الدين أحمد بن الملك الظاهر ، وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور
محمد بن الملك العزيز عثمان .

وأن الأمير شهاب الدين طُغريل الخادم يكون مرتباً بالقلعة ؛ والأمير
سيف الدين على (١٦٦) بن عَلم الدين سليمان بن حيدر يكون أتابك العسكر .
وحلف الأمراء وأكابر الحلبيين بمقتضى النسختين .

[^(٢) وأن يبعث نسخة للملك العادل ، وتبقى الأخرى بيد أتابك شهاب الدين
طُغريل الخادم]^(٢) .

وفي هذا اليوم أمر الملك الظاهر أن يزوج ابنته من ابن أخيه الملك المنصور
ابن الملك العزيز ، وعُقد النكاح بحضوره .

وأحضر الرئيس جمال الدين عليّ بن صفى الدين أبى القسم بن الطريفة ،
وخلع عليه ، وقلد الرياسة بحلب ، وكانت لأبيه قبله .

(١) (ث) و(س) : « نسختين » ، وفي الأصل : « نسخة » ، وقد صححت لتتفق وسياق الكلام .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) ، وهي زيادة لها أهميتها .

وأحضر شهاب الدين طُغريل ، وسلم إليه مفاتيح الخزائن ، وجعل له الحكم في جميع القلاع ، وغدق به جميع أمور الدولة ، وسلم إليه ^(١) "مدرجاً بخطه فيه" جميع ما يعتمد عليه .

وبعث الملك الظاهر في هذا اليوم لكل واحد من إخوته خمسة آلاف دينار ^(٢) ، وأعتق جماعة من مماليكه .

وخرج أمر الأتابك في هذا اليوم نبغى القينات وأهل الفساد .

ونُحِّل إلى الملك المنصور بن العزيز عشرون ألف درهم .

واستحلف العامة بالجامع .

ثم أعتق الملك الظاهر مائة مملوك ، ومائة جارية [وزوج بعضهم لبعض] ^(٣) وأسقط كثيراً من المكوسى .

ثم أنزل الممالك [والجوارى] ^(٤) الذين أعتقوا ^(٥) إلى البلد ، وجمعوا بدار العدل ، وأقيم عليهم الحفظة والحراس ، فخرجوا إلى ظاهر باب العراق ، ونهبوا مَنْ عارضهم من العامة ^(٦) ، فوقع الإرجاف ، وغاقت الأسواق .

واجتمعت العامة تحت القلعة ، وأشير على الرئيس جمال الدين بالنزول إلى الجامع وتسكين الناس ، وأن يجعل مبيته في الجامع خوفاً من طريان فتنة ، وأصعد جماعة من المفاردة ^(٧) إلى القلعة ليبيتوا بها .

وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أقطع الملك الظافر خِضر المعروف

(١) هذه الفقرة ساقطة من (ك) و (س) .

(٢) الأصل ونس : د درهم ، ، وما هنا عن (ك) ، وهو أقرب إلى المقول .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٤) (س) : د إلى دور أخيت لهم في المدينة ، وأقيم عليهم الجراية والجامكية ، .

(٥) انظر ما فات بهذا الجزء . س ٩٣ ، هاشم .

بالمُشَرِّ كُفْر سُوذ ، وُحْمِلَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ وَأُخْرِجَ مِنْ لَيْلَتِهِ مِنْ حَلَبَ
بِالتَّوَكُّيلِ .

وَأُخْرِجَ عِلْمُ الدِّينِ قَيْصَرٌ — مَمْلُوكُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ — إِلَى حَارِمٍ ، وَأُعْطِيَ
عِلْمًا وَكُوسًا .

وَفِي الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، اشْتَدَّ مَرَضُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَمُنِعَ
النَّاسُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ، وَاضْطَرَبَ الْبَلَدُ اضْطِرَابًا كَثِيرًا^(١) .

وَلَمَّا أُخْرِجَ^(٢) الْمَلِكُ الظَّاهِرُ مِنْ حَلَبَ سَارَ إِلَى كُفْرِ سُوذَ ، فَبَاغَهُ أَنْ أَخَاهُ
الْمَلِكُ الزَّاهِرَ مَجِيرَ الدِّينِ دَاوُدَ — صَاحِبَ الْبَيْرَةِ — وَهُوَ شَقِيقُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ،
قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى حَرُوصَ ، وَكُفْرِ سُوذَ وَمَرْزَبَانَ ، وَنَهْرَجُورَ ، وَأُخْرِجَ جَمِيعُ
الْعَمَالِ بِهَا .

فَسَارَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ إِلَى مَنبِجَ ، نَحَافَ الْأَتَابِكِ (٦٦ ب) شَهَابِ الدِّينِ طُغْرَيْلَ
أَنْ يَبْدُو مِنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ضَرَرَ ، فَسِيرَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا فَرَحَّلُوهُ عَنْ مَنبِجَ ، فَسَارَ
إِلَى الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ صَاحِبِ سَمِيسَاطَ — وَهُوَ شَقِيقُهُ ، فَكَانَ عِنْدَهُ .

وَفِي السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ أُرْجِفَ بِمَوْتِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَغَلَّقَتْ
الْأَسْوَاقُ ، وَخُرِجَ الْأَمْرُ بِتَسْكِينِ الْعَامَةِ ، وَتَلَّتْ الْأُمَرَاءُ فِي طَلَبِ النَّظَرِ إِلَى الْمَلِكِ
الظَّاهِرِ ، وَاقْتَرَحَ إِخْوَتُهُ ذَلِكَ ، فَأَدْخَلُوا إِلَيْهِ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ فَرَأَوْهُ ، وَكَانَ آخِرُ
الْعَهْدِ بِهِ .

وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ جَدًّا ، فَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَفِيقُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَيَتَشَهَّدُ ،
وَيَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى : « مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ » ،^(١) ثُمَّ يَقُولُ :
« اللَّهُمَّ بِكَ أَسْتَجِيرُ ، وَبِرَحْمَتِكَ أَثِقَ »^(٢) .

(١) (ك) : « عَظِيمًا » .

(٢) (ك) : « خَرَجَ » .

(١) هذه الجملة ساقطة من (س) .

وفي اليوم الثامن عشر^(١) من جمادى الآخرة حجب عنه الرجال ، وتولاه الأتابك شهاب الدين طغريل ، وزوجته ضيفة خاتون ، بنت الملك العادل .

ثم كانت وفاته ليلة الثلاثاء العشرين^(٢) من جمادى الآخرة .

وكنتم موته ، ولم يعلمه غير الأتابك والخاتون ، فشرع في تجهيزه وغسله ، وتكفينه ، وأحضر أمان ، وحفر له قبراً في حجرة الذهب ، ودُفن بها إلى أن نُقل بعد ذلك إلى مدرسته^(٣) التي بنيت له بحلب .

وكان المتولى لغسله شهاب الدين بن حرب^(٤) ، خطيب قلعة حلب ، وصلى عليه هو والأتابك والفقهاء ابن الدل^(٥) ، والحاج بهاء الدين عمر بن أياز .

ووقعت في البلد ضحوة يوم الثلاثاء العشرين^(٦) من جمادى الآخرة صبيحة الليلة التي مات فيها ضجة عظيمة ، وكادت الفتنة تقوم ، ثم سكن الناس ، ولم يزل خبر موته مكتوماً إلى آخر النهار ، فأنفذ الأتابك لما رأى سكون الناس ، فأعلم بموته بعض الناس ، وأمرهم بمباكرة باب القلعة ، فباكروها صبيحة يوم الأربعاء الحادى والعشرين من جمادى الآخرة^(٧) ، وأكثر الناس حضر على العادة غير عالمين بالواقعة ، فلم يشعروا إلا وقد فتح الباب ، وخرج الملك العزيز وأخوه

(١) (س) : « الثامن والعشرين » .

(٢) (س) : « التاسع والعشرين » .

(٣) ذكرها (ابن الشحنة : الدر المنخب ، ص ١١٣) ضمن المدارس الشافعية التي بظاهر حلب ، قال : « المدرسة الظاهرة أنشأها السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أبوب — صاحب حلب — وانتهت عمارتها في سنة ٦١٦ ، وأنشأ إلى جانبها تربة أرصدها ليدفن بها من يموت من الملوك والأمراء » .

(٤) (ي) و (س) : « شهاب الدين حرب » .

(٥) (ك) و (س) : « ابن الذكر » .

(٦) (س) : « التاسع والعشرين » .

(٧) (س) : « الأربعاء سلخ جمادى الآخرة » .

الملك الصالح ، وعليهما السواد ، فوقع الأمراء عن خيولهم ، وكشفوا رؤوسهم ، وقطعوا شعورهم ، وضجوا ضجة واحدة .

وفعل كذلك مما يليكه وأهل القلعة .

وكان منظراً فظيماً .

وكان الملك العزيز وأخوه الملك الصالح راكبين ، وبين يدي (١٦٧) الملك العزيز سيف الدين علي بن علم الدين يحمل الفاشية .

وأقبل الأمراء وأولاد الملك الناصر صلاح الدين إلى الملك العزيز وأخيه الملك الصالح يقبلون أيديهما^(١) ، ثم رجعا إلى القلعة .

وأقبل الناس على النوح والبكاء .

وكان مولد الملك الظاهر بمصر في منتصف شهر رمضان سنة ثمان وستين^(٢) وخمسمائة ، فكان عمره أربعاً وأربعين سنة وشهوراً .

وكانت مدة ملكه بحجاب من حين وهبها له والده السلطان الملك الناصر — رحمه الله — ثانی مرة إحدى وثلاثين سنة ، لأن ملكه لها كان في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

فإننا كنا ذكرنا أنه كان ملكه لها أولاً ، ثم انتزعها منه ، وملكها لأخيه الملك العادل ، ثم انتزعها من الملك العادل وملكه لها في التاريخ المذكور .

(١) يوجد بمد هذا اللفظ في نسخة (س) جملة نصها : « والملك المنصور بن الملك العزيز راكب قدامها » .

(٢) (س) : « وسبعين » .

ذكر سيرته

— رحمه الله —

كان [الملك الظاهر] في أول أمره عنده بطش شديد ، وإعدام على سفك الدماء ، ثم إنه قصر عن ذلك في آخر أيامه .

وكان حازماً ، عادلاً ، حسن السياسة ، محبوباً عند رعيته ، شهماً ، متيقظاً ، ضمَّ شمل البيت الصلاحي لما استولى عمُّه على الممالك ، وأحسن إليهم ، ولولاه كان تفرَّق الشمل .

وكان محسناً إلى رعيته وأمرائه وأكابر دولته ، أيُّهم مات أقام ولده — ولو كان صغيراً — مقامه ، وسلك في ذلك مسلك والده — رحمه الله — وسلك مثل ذلك ولده الملك العزيز بعده ، والملك الناصر بن الملك العزيز رحمهم الله أجمعين^(١) وقدَّس أرواحهم .

وكان ذكياً ، فطناً ، حسن النادرة ؛ وما يروى في ذلك : أن شرف الدين راجح [الحلي]^(٢) بن إسماعيل الشاعر كان عنده ليلة ينادمه ، فأخذ الملك الظاهر في مماجنته والعبث به .

وكان الحلي قد سكر ، فخرَّد من عبث الملك الظاهر به ، فقال متهدداً له بالهجو : « أنظم ؟ » .

(١) النص في (س) مختلف اختلافاً كبيراً ، وهو هناك : « وأنهم لما مات أقاموا ولده الملك العزيز مقامه ، وكان صغيراً ، فلما كبر سلك مسلك والده — رحمه الله — وكان الملك الظاهر قد سلك مسلك أبيه الملك الناصر صلاح الدين رحمهم الله أجمعين » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

فأشار الملك الظاهر بيده إلى السيف ، وقال في الحال : « إن نظمت يا حلي ،
فأنا أنثر » .

وحكى أن الحلي رأى على الملك الظاهر ليلة فروة أعجبتة ، فقال لبعض
الحاضرين : « ما تقولون فيمن يأخذها منه ؟ » .

ثم أصبح ودخل عليه ، وأنشده :

يا مَلِكَ الأَرْضِ الذِي ذِكْرُهُ	له مَذَاقٌ في فَمِي يَغْذُبُ (٦٧ب)
وَمَنْ إِذَا كَرَّرْتَ أوصافُهُ	صَحَّتْ لِي السَّكْرَةُ والمَطْرَبُ
لله هَذَا السُّودُّ المَعْتَلِي	والْحَسَبُ الوَضَّاحُ والمنْصَبُ
وَالْخَلْقُ العَذْبُ الشَّهِيءُ الذِي	يَكَادُ مِنْ رِقَّتِهِ يُشْرَبُ
فِدَاكَ أَمْلَاكٌ مِوَايِدُهُمْ	بِوَارِقٍ أَصْدَقُهَا خَابُ
إِنْ وعدوا مَانُوا ، أَوِ اسْتُؤْمِنُوا	خَانُوا ، وَإِنْ هُمْ سُئِلُوا قَطَّبُوا
فَدُونَهُمْ فِي بُخَائِهِمْ مَا دِرُ	وَدُونَ مَنْ يَرْجُوهُمْ أَشْعَبُ
رَأَيْتُ فِي بَارِحَتِي بَعْدَ مَا	مَضَيْتُ والصَّبَاءُ بِي تَلْعَبُ
وَاللَّيْلُ قَدْ أَتَهَجَ جَلْبَابُهُ	وَالشَّهْبُ قَدْ غُصَّ بِهَا المَغْرَبُ
وَالنَّوْمُ مُسْتَوِلٌ عَلَى مُقَلَّةِ	مَرَّآكَ مِنْ تَهْوِيمِهَا أَطْيَبُ
أَنَّكَ قَدْ أَلْبَسْتَنِي فَرَوَةَ	ذَاتَ غِشَاءٍ رُدْنُهُ مُذْهَبُ
فَقَمْتُ فِي وَقْتِي فَصَادَفْتُهَا	مَشْرِفًا مِنْ بَهَا المَنْكِبُ
فَقُلْتُ : سَبْحَانَ الذِي خَصَّهُ	بِمَكْرُمَاتٍ أَصْلَهَا مُنْجَبُ
حَتَّى إِلَى النُّوَامِ يَسْرِي النَّدَى	مِنْهُ تَعَالَى جَدُّهُ الأَغَابُ
فَهَذِهِ ارْثُويَا وَتَأْوِيَا	لَهُ يَبَانَ عَنْكَ مَا يُحْجَبُ

فقال له الملك الظاهر : « أضفأت أحلام يا حلي » .

فأجابه في الوقت :

والله ما حَدَّثَنِي خَاطِرِي إِلَّا بِظَنِّ فَيْكَ مَا يَكْذِبُ

فرمى بالقروة إليه ، وأمر له ^(١) بثلاثمائة درهم ثمن بقيار ^(٢) .

وحكى أن مذهب الدين أبا المحاسن ماجد بن محمد بن القيسراني كتب إلى الملك الظاهر أبياتاً أولها :

أما وَصَحِيحٌ ^(٣) قَهْقَهَةِ الْقِنَانِي وَأَصْوَاتِ الْمَثَلِ وَالْمَثَانِي
لَقَدْ أَضْحَى الشَّامُ يَنْبَهُ مُعْجَبًا بِمَلِكٍ مَالَهُ فِي الْأَرْضِ ثَانِي

فلما وقف الملك الظاهر عليها كتب في جوابها :

طَلَبْنَا الدُّرَّ مِنْ بَحْرِ الْمَعَانِي وَعَذَّبَ اللَّفْظَ مِنْ عَضْبِ اللِّسَانِ
وَهَلْ تُجْنِي ثَمَارُ الْفَضْلِ إِلَّا فُرُوعُ أَصْلِهَا حُلُوهُ الْمَجَانِي

(١٦٨)

وَلَا تُعْجِبُ أَنْ اسْتَسْقَيْتَ غَيْثًا أَوْ ^(٤) اسْتَسْقَيْتَ مَنْطَلِقَ الْعِنَانِ
وَأَنْتَ السَّابِقُ الْغَايَاتِ فَضْلًا إِذَا مَا قَصَّرَتْ خَيْلُ الرَّهَانِ

(١) (ك) : « وأعطاه ثلاثمائة درهم » .

(٢) الأصل : « مقبار » ، وقد صححت بدمراحة (Dozy : Supp. Dict. Arab) حيث عرفها بأنها نوع من العمامة الكبيرة التي كان يلبسها الوزراء والقضاة والكتاب ؛ وذكر الدكتور محمد مصطفى زيادة في تعليقات على (اللوك ج ١ ، ص ٥٥) أنها كلمة فارسية ؛ ومن معانيها : سجاد سوداء مصنوعة من وبر الجمل ، وليس هذا المعنى هو المقصود هنا بل أصبح منه منه المعنى الأول .

(٣) الأصل : « وصحيح » ، والتصحيح عن (ك) .

(٤) (ك) : « لو » .

فأهلاً ، ثم أهلاً ، ثم أهلاً بما أرسلت من سحر البيان
ولما مات الملك الظاهر عمل العزاء له ثلاثة أيام .

وفي اليوم الثالث قام شرف الدين الحلّي وأنشد مرثيةً في الملك الظاهر ،
مطلعها :

سَلْ الخُطْبَإِ إنْ أَصْغَى إلى مَنْ يُعَاتِبُهُ ^(١) بِمَنْ عَلِقَتْ أُنْيَابُهُ ومُخَالِبُهُ
نَشْدُكَ عَاتِبَهُ على نَائِبَاتِهِ وإنْ كَانَ نَابِي السَّمْعِ عَمَّنْ يُعَاتِبُهُ
وضرباً :

أرى اليومَ دَسَّتْ المُلْكُ أصبحَ خالياً أما فيكمُ من مُخْبِرٍ أينَ صاحِبُهُ ؟
وضرباً :

فإنْ يَكُ نورٌ من شهابِكَ قد خفا فيا طالما جَلَّى دُجَى الليلِ ثاقِبُهُ
وقد لَاحَ بالملكِ العزيزِ محمدٍ صباحُ هُدًى كُنَّا قديمًا نراقِبُهُ
فَتَى لم يَفْتَهُ من أبيه وجَدَّهُ أبٌ ثم جَدٌّ غَالِبٌ مَنْ يُغَالِبُهُ
ومنها ما يخاطب به الملك العزيز وأخاه الملك الصالح .

أيمكُ بالشهباء عبدُ أبيكما ومادحُه أم تستقل ركائبُهُ
فذكر أن الأتابك شهاب الدين لما سمع هذا البيت ، قال : قولوا له :
« يرحل فلا حاجة لنا إليه ، فإننا لا نعطي الشعراء شيئاً » .

فقال الحلّي قصيدة مطلعها :

منع التأسف قلبي المتبسولا أن يستطيع إلى السؤل سبيلا

(١) (ك) و (س) : « يخاطبه » .

ومضها :

يادَهُرُ قد أسرفتَ فيما ساءَني عَمْدًا ، فَخَفَّفَ مِنْ أَدَاكَ قَلِيلًا
أَلْبَسَنِي ثَوْبَ الْأَسَى ، وَسَلَبَتْنِي عِزًّا عَدِمْتُ لَهُ الْعِزَاءَ ذَلِيلًا
وَضَعَفْتُ مِنْ نَكَبَاتِ صَرَفِكَ بَعْدَ مَا
قَد كُنْتُ جَلْدًا لِلْخُطُوبِ حَمُولًا

(٦٨ ب)

غازي بن يوسف: لا وَحَقَّكَ مَا خَبَتُ نَارِي وَلَا نَقَعَ الْبُكَاءُ غَلِيلًا
أَبْقَيْتَ لِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ أَنَّهُ تَفَرَّى الضَّلُوعَ وَرَنَةً وَعُويِلًا
يَا لِلرِّجَالِ لِنَائِبَاتٍ غَادَرَتْ [بِالْعَدْرِ] ^(١) سَيْفَ تَهْبِئَةٍ مَقُولًا
مَالِي أَرَى الْإِيوَانَ أَصْبَحَ بَابُهُ قَفْرًا ، وَكَانَ جَنَابُهُ مَاهُولًا
فَإِنْ أَكُنْسَى ذُلًّا ، فَكَمْ قَدْ ذُلَّلْتُ لِلسَّائِلِينَ قُطُوفُهُ تَذْلِيلًا

ومضها :

يَا تَارِكِي صِفَرَ الْيَدَيْنِ مَكَابِدًا لِلدَّيْنِ ، مَهْجُورَ الْفَنَاءِ ضَلِيلًا
مَنْذَا أَوْمَلُ فِي الْوَرَى لِمَطَالِبِي ؟ هَيْهَاتَ بَعْدَكَ أَرْتَجِي مَأْمُولًا !
أَأَظَلُّ أَنْتَجِعُ الْمُلُوكَ مُرْجِيًّا مِنْهُمْ كَرِيمًا تَارَةً وَبُخْمِيلًا
حَسْبِي حَيٍّ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ ، فَإِنِّي لَا أَبْتَغِي مَا عِشْتُ عَنْهُ بَدِيلًا
مَلِكٌ يُلُوحُ عَلَى أَمِيرَةٍ ^(١) وَجْهِهِ بِشْرٌ يَبْشُرُ أَنْ أُنَالَ السُّوْلَا
وَالصَّالِحُ الْمَلِكُ الْمُؤَمَّلُ كَافِلٌ لِي خِصْبَ رَبْعِي ، إِنْ شَكُوتُ مُحُولًا
لَا خَابَ لِي فِي أَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ أَمَلٌ رَجَا أَنْ يُنْعَمَا وَيُنِيلًا

(١) ما بين الحاصرين زيادة عن (ك) و (س) .
(٢) الأصل : د الأسرة ، ؛ والتصحيح عن (س) .

مع أن آمالى المصرد شربها أمت فراتاً للنوال ونيا
أمت شهاب الدين ينبوع الجدى مروي العدى، محي الندى طغريلا
فلم يؤثر ذلك شيئاً عند الأتابك شهاب الدين ، وأمر بقطع ما كان للحلى
وفارق حاب ، وسار إلى الملك الأشرف بن الملك العادل ، فحظى عنده .

ذكر تملك^(١)

الملك العزيز بن الملك الظاهر حاب

ولما رجع الملك العزيز وأخوه الملك الصالح [وابن عمهما الملك المنصور]^(٢)
إلى القلعة ، خرج أولاد الملك الناصر صلاح الدين ، وأكابر الدولة ، رجالة
إلى دار العدل ، ووصل في ذلك الوقت القاضى بهاء الدين بن شداد — رحمه الله —
فحضر مع الجماعة ، وأخذوا في قراءة القرآن .

فقال القاضى بهاء الدين : « نحن إلى الاشتغال بغير العزاء أحوج » فصرف
الناس ، وأقبلوا على المشورة (١٦٩) وترتيب الأمور .

قال القاضى بهاء الدين — رحمه الله — :

« لما انصرفت من مصر راجعاً إلى حلب مررت في طريقى بنابلس وبها
الملك المظفر ، واجتمعت به ، وذكرت له الفصول التى أنهيتها إلى أبيه ، وإجابته
إليها ، ففرح الملك المظفر بذلك وسر به .

ثم فارقت متوجهاً إلى حلب ، فلما وصلت إلى حماة خرج إلى صاحبها الملك

(١) (ك) : « تملك » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

المنصور ، فعرفتُه ما جرى ، فحكى إلى المنصور اشتداد مرض الملك الظاهر — رحمه الله — .

فلما وصلت إلى حلب وجدته قد مات ، فصعدتُ إلى القاعة ، وحضرت تربيته^(١) ، وترحمت عليه وأنشدت :

أين الوجوه أحبها وأود لو أنى فداها؟

ثم اجتمعت بالجماعة ، ووقع الاتفاق معهم على ترتيب الملك العزيز غياث الدين محمد في الملك موضع والده^(٢) .

وكان الوزير ابن أبي يعلى — وزير الملك الظاهر — مستولياً على الأمور كلها في الأيام الظاهرية ، إلى أن وصل القاضي بهاء الدين ، فاجتمع القاضي بهاء الدين بالأتابك شهاب الدين ، وقرَّر معه صَرَف الوزير عن النظر في الأمور ، واتفق معه أن الجماعة يجتمعون ، ويتشاورون فيما يقررونه من قواعد المملكة ، وأن الأمر كله يكون معذوقاً بشهاب الدين ، فاجتمعوا بدار العدل ، واتفقت آراؤهم كلهم على أن يكون الملك المنصور بن الملك العزيز أتابك العسكر ، وأمر الإقطاع إليه ، وحلفوا على ذلك .

وركب الملك المنصور ، والأمراء كلهم في خدمته .

ونزل الملك العزيز ، وأخوه الملك الصالح ، وجلسا في دار العدل ،

(١) س : « وحضرت الغزاء » .

(٢) هذا قول مروي عن المؤرخ بهاء الدين بن شداد ، والمعروف أن ابن شداد كتب كتاباً واحداً في التاريخ هو « السيرة اليوسفية » ، أى سيرة صلاح الدين . ولم يعرف أنه أرخ للفترة التالية لعصر صلاح الدين . وأرجح أن هذا القول رواه أحد المؤرخين الذين أرخوا لهذه الفترة ثم نقله عنه ابن واصل .

و [جلس] ^(١) الملك العزيز في منصب أبيه ، وإلى جانبه الملك الصالح ، وابن عمهما الملك المنصور إلى جانبهما .

ثم اضطربت الأمور ، ولم يرض أولاد الملك الناصر صلاح الدين بولاية ابن أخيه الملك المنصور .

ووصل رسول من جهة السلطان عز الدين كيكافوس — صاحب بلاد الروم — وكان معسكراً — كما قدمنا ذكره — بالقرب من البلاد ، منتظراً وصول الملك الظاهر إليه ، فجاءهم ^(٢) رسوله معزياً به ، ومشيراً عليهم بالاتفاق معه ، وأن يرتب الملك الأفضل بن الملك الناصر — صاحب سُمَيْسَاط — أتابك العسكر ، فإنه أكبر أولاد صلاح الدين ، وعم الملك العزيز ، وأولى الناس بتربيته ، وحفظ ملكه ؛ (٦٩ ب) فقال إلى هذا الرأي الأمراء المصريون ، مثل مبارز الدين يوسف بن خُطَّانْج ، ومبارز الدين سُنْقُر الحلبى ، و [جمال الدين أحمد] ^(٣) ابن أبى ذكرى ، وغيرهم ؛ وقالوا :

« هذا هو رأى ، والملك الأفضل رجل كبير [القدر] ^(٣) ، ولا ينتظم حفظ المملكة إلا به ، وإذا رجع إليه التدبير بحلب قدر على أخذ ثأره من عمه الملك العادل ، وأخذ دمشق والديار المصرية منه » .

وأنكر القاضى بهاء الدين ، وعلم الدين بن سيف الدين ، وسيف الدين بن قلع هذا رأى ، وقالوا :

« إن فى هذا من الخطر ما لا يخفى على عاقل ، لأن الملك العادل ملك عظيم ،

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(٢) (ك) : « فجهز » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

صاحب الديار المصرية والشرق ، ومعظم الشام [واليمن]^(١) ، فإن كانت الغلبة له انتزع الملك من أيدينا ، وإن كانت الغلبة للملك الأفضل لم نأمن أن يتغلب على ابن أخيه الملك العزيز ، وينتزع الملك منه ، ويستقل به كما فعل الملك العادل بالملك المنصور بن الملك العزيز ؛ والملك العادل فقد حلف للملك الظاهر ، ولابنه الملك العزيز من بعده ، وهو ابن بنته ، وابنته بقاعة حلب ، ونحن نطالبه بالوفاء بالعهد ، وهو يذبُّ عن حلب كما يذبُّ عن غيرها من ممالكه ، وأمور الخزائن بالقاعة راجعة إلى شهاب الدين طُغريل ، وقد رتبته الملك الظاهر بالقاعة ، وجعل أمرها إليه ، والرأي أن تكون الأمور جميعها مفوضة إليه .

فاتفق رأيهم كلهم على هذا .

وعُملت نسخة يمين حلف عليها جماعة الأمراء والمقدمين بالبلد ، مضمونها :
« أن الملك يكون للملك العزيز ، وبعده لأخيه الملك الصالح [صلاح الدين]^(٢) ، وأن القائم بتدبير المملكة الأتابك شهاب الدين طُغريل .
ثم أبعد الوزير ابن أبي يعلى ، وعُزل عن الوزارة .
وكان تمام استقرار هذا الأمر في أواخر شعبان من هذه السنة .

وفي رمضان سافر ابن أبي يعلى عن حلب [إلى دمشق ، وأقام بها إلى أن مات]^(٣) ، واستقل الأتابك شهاب الدين في جميع الأمور ، وانتظمت به أحسن انتظام ، وقام بترتيب البلاد والقلاع ، وتفريق الأموال والإقطاع ، ولا يخرج في ذلك كله عن رأي القاضي بهاء الدين ، وسيف الدين بن علم الدين ، وسيف الدين بن قِلج .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

(١) ثم أقطع علم الدين قيصر در سال ، وابن أمير التركان اللاذقية^(١) .
 وكان (١٧٠) قد سیر علم الدين قيصر إلى الملك الزاهر ، ليعاتبه على استيلائه
 على البلاد ، فاعتقل [الملك الزاهر] علم الدين ، وقال : « أنا أحق بذلك ،
 فإني كنت ولي عهد أخى الملك الظاهر ، وقد حلف لى الناس » .
 ثم إنه انقاد إلى الطاعة ، وأطلق علم الدين ، وأجاب إلى الخطبة ، وشرط
 أن تبقى فى يده البلاد التى استولى عليها ، فوَقعت الإجابة إلى ذلك .

ذكر وقوع

الخلف بين أمراء الدولة بحلب

ثم زوال الخلف ووقوع الاتفاق^(٢)

ولما استقر شهاب الدين طُغريل بالأتابكية كره ذلك جماعة من مماليك
 الملك الظاهر ، فاستضاف عزُّ الدين أيبك الجمدار الظاهري جماعةً من المماليك
 والأجناد ، وكاتب الأسد اقطان^(٣) — والى حارم — واتفق معه أن يأتى إليه
 إلى حارم بالجماعة الذين وافقهم ، ويفتح القلعة ، فإذا حصلوا بها انضم إليهم
 جماعة غيرهم .

وكان العسكر المقيم بحارم قد أُصعد^(٤) إلى القلعة ، ورُتّب بها وفيهم المبارز
 أيوب بن المبارز أبقا ، فأحشوا^(٥) باختلال أمر الأسد الوالى^(٦) ، وأنكروا عليه

(١) هذه الجملة ساقطة ، بن (ك) و (س) .

(٢) هذا العنوان غير موجود فى (س) .

(٣) (ك) : د أقطوان ، و (س) : د أقطان ، .

(٤) (ك) : د صدوا ، و (س) : د صعد ، .

(٥) (ك) : د خبوا حياهم ، وأحسوا .. الخ ، .

(٦) (س) : ، باختلال الأمير أسد الدين الوالى ، .

أشياء ، فاستيقظوا لأنفسهم ، واتفقوا على حفظ القلعة ، والاحتياط عليها .
وسار إليك الجمدار إلى حارم ، ووقف تحت القلعة ، ورام الصعود إليها ،
فمنعه الأمراء والأجناد الذين في القلعة من ذلك ، واحتاطوا على الوالى .
فسار إليك إلى دربساك ، وطمع أن يتم له فيها حيلة ، فلم يتم له ذلك فتوجه
إلى السلطان عن الدين — صاحب بلاد الروم — وصار معه .
وعصى أطنبغا بقلعة بهسنى ، وانضاف إلى عن الدين — سلطان الروم — .
ثم انتظم الأمر ، ووقع الاتفاق ، وسكنت الفتنة في آخر شوال من السنة^(١) .
وكان عمر الملك العزيز لما ولى الملك بحلب سنتين وأشهرًا ، وعمر أخيه
الملك الصالح — ولى عهده — نحو اثنتى عشرة سنة .



(١) توجد بهر هذا المانظ في نسخة (س) جملة هذا نصها : « وسيروا الأمراء الذين
بحارم الأسد إلى حارم إلى حلب ، فأقام بها معزوله (كذا) إلى أن مات » .

ودخلت سنة أربع عشرة وستائة :

والسلطان الملك العادل بالديار المصرية ، والمالك بحالها .

(٧٠ ب) ذكر خروج

الفرنج من البحر^(١) لاستعادة البيت المقدس

وفي هذه السنة تتابعت أمداد الفرنج من رومية الكبرى ، التي هي مقر طاغيتهم الأكبر ، المعروف بالبابا — لعنه الله — ، وغيرها من البلاد ، وتواصلوا في البحر يتلو بعضهم بعضاً ، ومعهم جماعة من الملوك الأكابر ، واجتمعوا كلهم بعكا ، عازمين على قصد القدس الشريف ، وانتزاعه من أيدي المسلمين ، واسترداد كل ما أخذ لهم من البلاد الساحلية .

وصاروا في جمع عظيم ، لم يجتمع لهم بعكا بعد موت السلطان الملك الناصر صلاح الدين مثله .

ذكر وصول

الملك العادل إلى الشام

وغارة الفرنج على المسلمين^(٢)

ولما بلغ السلطان الملك العادل اجتماعُ الفرنج بعكا ، خاف على البلاد الإسلامية ، فخرج من مصر بالعساكر المصرية ، ووصل إلى الرملة ، ثم منها إلى لُد .

(١) (س) : « من رومية » .

(٢) هذا العنوان غير موجود في (س) .

و بلغ الفرنج وصوله فبرزوا من عكا في جموعهم العظيمة .

ووصل الملك العادل إلى نابلس ، ثم إلى ييسان فقصدته الفرنج .

نحاف الملك العادل إن لقيهم ولم يتكامل عنده العساكر الإسلامية أن يكسروه ، فلا يقوم للإسلام بعد ذلك قائمة ، فاندفع بين أيديهم صاعداً إلى عقبة فيق ، لينزل بالقرب من دمشق ، ويطلب العساكر لتجتمع عنده ، ثم يأتقاهم .

وكان الملك العادل — رحمه الله — كثير الحزم ، نظّاراً في العواقب .

وكان أهل ييسان وسائر الأعمال التي حولها قد اطمأنوا بالملك العادل لما رأوه نازلاً عندهم ، فلم يهربوا^(١) ، فقصدتهم الفرنج لما رحل الملك العادل ، وبذلوا فيهم السيف ، ونهبوا البلاد والرساتيق^(٢) ، وأخذوا جميع غلاتها وحواسنها ، وغنموا من المسلمين مالا يحصى كثرةً ، ونهبوا ما بين ييسان وبانياس ، وبثّوا السرايا في القرى ، ووصلت غاراتهم إلى خسفين وقرى^(٣) من بلاد السواد .

ثم نازلا الفرنج بانياس ، وأقاموا عليها ثلاثة أيام ، ثم عادوا إلى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبي مالا يحصى ، سوى ما قتلوا وأحرقوا (١٧١) وأهلكوا .

واستراحوا بالمرج أياماً ، ثم أغاروا ثانياً ، ونزلوا بمكان بينه وبين بانياس فرسخان ، ونهبوا صيدا والشقيف^(٤) ، ثم عادوا إلى المرج .

(١) (ك) : « فلم ينهزموا » و (س) : « فلم يحفلوا إلى مكان » .

(٢) الرستاق — والرستاق — (ج . رساتيق) عرفها (الجواليقي : المغرب . ص

١٥٨) بأنها أرض السواد . والنقري . واللفظ معرب عن الفارسية . انظر أيضاً : (احتجاجي : شفاء القليل . ص ١٠٧) .

(٣) الأصل : « ولوى » . والتصحيح عن (ك) .

(٤) الأصل : « الشقيف » . والتصحيح عن (ك) .

وكل هذا ما بين منتصف شهر رمضان من هذه السنة وعيد الفطر .

وأما الملك العادل فإنه توجه إلى مرج الصفر ونزل به ، وذكر أنه رأى في طريقه رجلاً يحمل شيئاً ، وهو تارة يقعد يستريح وتارة يمشي^(١) ، فعدل إليه الملك العادل وحده ، وقال له : « يا شيخ لا تعجل ، وارفق بنفسك » .

فعرفه الرجل ، وقال : « ياسلطان المسلمين ، أنت لا تعجل أوأنا ، إذا رأيـناك قد سرت إلى بلادك وتركـتنا مع الأعداء كيف لا نعجل ؟ » ، [فدمعت عين الملك العادل وأخذـه معه ، وأعطاه ثلاثمائة دينار وحمله إلى دمشق]^(٢)

ولما استقل الملك العادل بمرج الصفر سيّر ولده الملك المعظم إلى نابلس ، ومعه قطعة من العسكر ليمنع الفرج عن البيت المقدس .

وسيّر الملك العادل في هذه السنة بعد نزوله إلى الشام رسولا إلى الأتابك شهاب الدين طغريل ، وسيّر خلعة لملك العزيز بن الملك الظاهر ، وسنجقا ، وحلف له يمينا أوجبـت السكون والثقة .

(١) الأصل : « تارة يقعد وتارة يستريح » والتصحيح عن (س) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (س) .

ذكر نزول

الفرنج على الطور

ومحاصرتهم له ، ثم رحيلهم عنه

ثم قصدت الفرنج الطور ، فتقدموا إلى قلعته التي كنا ذكرنا بناء الملك العادل لها ، وحصروها ، وزحفوا إليها ، وصعدوا إلى جبلها ، حتى وصلوا إلى سور القلعة ، وكادوا يملكونها ، فاتفق أن بعض ملوكهم قُتل ، فعادوا عن القاعة وتركوها .

وأقامت جموع الفرنج بعكا إلى أن خرجت هذه السنة .

وفي هذه السنة عاد الشيخ صدر الدين بن حمويه من بغداد ، وكان قد توجه إليها رسولا من الملك العادل إلى الخليفة الناصر لدين الله .

وكان صدر الدين هذا جليلا معظما عند الملك العادل ، وكان أبوه الشيخ عماد الدين قدم إلى الشام في الأيام النورية ، ففوّض إليه الشهيد نور الدين — رحمه الله — مشيخة الصوفية بالشام ، وجعل إليه نظر الخانكاهات^(١) بها ، ولما مات صار ذلك بعده لولده^(٢) صدر الدين .

وولد لصدر الدين أولاد نجباء من ابنة شهاب الدين بن شرف الدين (٧١ب) ابن أبي عصرون ، وهم : نخر الدين ، وعماد الدين ، وكمال الدين ، ومعين الدين ؛ تقدموا في الأيام الكامية^(٣) غاية التقدم^(٤) ، وسيأتى إن شاء الله شيء من أخبارهم .

(١) (ك) : « الخانكاهات » .

(٢) هند هذا اللفظ تنتهي ص ١٨٣ ب في نسخة (س) ، ثم ينقطع النص هناك ويبدا الحديث عن موضوع آخر وبذلك تنتهي المقابلة بين نص الأصل هنا ونص نسخة (س) .

(٣) هذان اللفظان ساقطان من (ك) .

ودخلت سنة خمس عشرة وستائة :

والسلطان الملك العادل مقيم بمرج الصُّفْر ، وعنده العساكر الإسلامية .
وجموع الفرنج بمرج عكا على عزم قصد البلاد وتملكها .

ذكر توجهه

الفرنج إلى الديار المصرية

ومنازلتهم ثغر دمياط

ولما طالت مدة اجتماع الفرنج بمرج عكا اجتمعوا للمشورة في ماذا يبدءون بقصده ، فأشار عقلاؤهم بقصد الديار المصرية أولا ، وقالوا : « إن الملك الناصر صلاح الدين^(١) إنما استولى على الممالك ، وأخرج القدس والساحل من أيدي الفرنج بملكه ديار مصر ، وتقويته برجالها ، فالمصلحة أن نقصد أولا مصر ونملكها ، وحينئذ فلا يبقى لنا مانع عن أخذ القدس وغيره من البلاد » .

فصمموا عزمهم على ذلك ، وركبوا البحر ، وقصدوا بجمعهم الديار المصرية ، فوصلوها في شهر صفر من هذه السنة ؛ ونزلوا على بر الجزيرة^(٢) ، وبينهم وبين ثغر دمياط بحر النيل .

وكان على النيل برجٌ منيع ، وفيه سلاسل^(٣) من حديد غلاظ ، تُمد على النيل لتمنع المراكب الواصلة في البحر المالح إلى الديار المصرية .

(١) (ك) : « إن السلطان صلاح الدين » .

(٢) المقصود بها جزيرة دمياط ، والجزيرة في اللغة الناحية ، وجزيرة دمياط هي برها الغربي ، ولعلها سميت كذلك لأنه يجاز إليها من دمياط . انظر (الشيال : مجل تاريخ دمياط ، ص ٢٠) .

(٣) عن البرج والسلاسل انظر : (الشيال : المرجع السابق ، ص ٢٢) و (ميخائيل

عواد : كتاب المآمر) .

وبحر النيل إذا انفصل من مصر انقسم شطرين :

أحدهما يذهب شمالاً إلى قرية تسمى رشيد ، ويصب منها في البحر المالح .

والشطرا الآخر يذهب شمالاً .

وافتراق الشطرين من قرية تدعى شطنوف^(١) .

ثم إن هذا الشطر الثاني يفترق عند قرية تسمى جوجر^(٢) شطرين : أحدهما يذهب إلى دمياط من غربيها ويصب عندها في البحر المالح ، ويفصل ما بين دمياط وجيزتها ؛ والشطر الآخر^(٣) يذهب إلى أشمون طنّاح ، ثم يصب في بحيرة هناك ، وهي بحيرة تنيس ودمياط ، وبرها محيط به هذان الشطران مع البحيرة المذكورة والبحر المالح .

فكانت منزلة الفرنج في جزيرة دمياط غربيها ، وبينهم وبين بر^(٤) دمياط بحر النيل ، ومراكبهم لا يمكنها (١٧٢) الدخول في بحر النيل بسبب^(٥) السلسلة الممتدة من برج^(٦) السلسلة إلى دمياط ، فبنوا عليهم خندقاً وسوراً ، وهذه عاداتهم أبداً إذا نزلوا محاربين في منزلة ، وشرعوا في قتال أهل دمياط ، وعملوا آلات

(١) عرفها (علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١ ، ص ١٣٢) بقوله : « هي قرية من مديرية المنوفية بمركز منوف ، موضوعة على رياح المنوفية بمسافة خمسمائة متر ، وهي أول نواحي مركز أشمون جريس من جهة الجنوب ، وهي من البلاد القديمة الموجودة من قبل الإسلام . الخ »

(٢) عرفها (علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٠ ، ص ٧٠) بقوله : « هي قرية من مديرية الغربية بمركز سمندود على شاطئ فرع دمياط الغربي ، كانت في السالف بلدة كبيرة ذات شهرة ، وهي الآن قرستان صغيرتان لا يبلغان عشر أصلهما ، يفصلهما تل قديم ، وفيهما جملة من مقامات الأولياء ... وفي مقابلة هذه البلدة في بر المنصورة منية بدر خميس ، وفي قلبها على البحر الأعظم منية الفرق ... الخ » .

(٣) (ك) : « الثاني » .

(٤) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

(٥) (ك) : « من السلسلة » .

(٦) (ك) . « و برج السلسلة » .

ومرات^(١) وأبراجاً يزحفون بها في المراكب إلى برج السلسلة، ليمسكوه ويتمكنوا بملكهم إياه من دخول بحر النيل ؛ وكان هذا البرج مشحوناً بالرجال .

ولما نزل الفرنج بر الجزيرة نزل الملك الكامل بعساكره ، ونزل منزلة في بر دمياط تسمى « العادلية »^(٢) ، واتصلت العساكر من عنده إلى دمياط ، لينفع العدو من العبور إلى برها .

(١) المreme (ج : مرات) نوع من السفن الخرية الكبيرة في العصور الوسطى ، قال (الأستاذ حبيب زيات : معجم المراكب والسفن في الإسلام ، ص ٣٦٠) : يظهر أنها من أصل أيطالي Maremma وهي اسم ناحية في أيطالية ؛ وقد تردد ذكر المreme في مراجع التاريخ الإسلامي المختلفة التي أرخت للحروب الصليبية ، وقال (ابن الأثير : الكامل ، أخبار سنة ٦١٥ هـ) : « فعلوا (أي الفرنج) آلات ومرمات وأبراجاً يزحفون بها في المراكب » ، وقال أيضاً (ج ١٢ ، ص ١٥١) : « وصل مركب كبير للفرنج من أعظم المراكب يسمى « مreme » وحوله عدة حراقات تمويه ، والجميع مملوء من الميرة والصلاح وما يحتاجون إليه ، فوق عليها شوانى المسلمين وقتلوهم ، فصفروا بالمreme وبما معها من الحراقات وأخذوها » ، وقال (المقرئى : السلوك ج ١ ، ص ١٨٩ ؛ وأخطأ ، ج ١ ص ٢١٦) في حوادث سنة ٦١٥ هـ : « أخذ الفرنج في محاربة أهل دمياط ، وعملوا آلات ومرمات وأبراجاً يزحفون بها في المراكب إلى برج السلسلة ليمسكوه ، فأرسل الله سبحانه ريحاً قطعت مراسى مreme كانت للفرنج من عجائب الدنيا ، فرت تلك المreme إلى البر الذي فيه المسلمون فلكوها ، فاذا هي مصفحة بالحديد لا تعمل فيها النار ، ومساحتها خمسمائة ذراع ، وفيها من المسامر مازنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلاً » ، وقال أيضاً في (السلوك ، ج ١ ، ص ٣٤٨) : « وفي سنة ٦٤٧ هـ احترقت للفرنج مreme عظيمة في البحر » ، هذا وتجد وصفاً لبناء المreme في كتاب (سير بطاركة الاسكندرية :

(Histoire des Patriarches d'Alejudrie. trad : Blochot, Revue de L'Orient Latin 1907, P.243) انظر أيضاً . (الشبلى : بحمل تاريخ دمياط) و (الشبلى : معجم السفن العربية ، مخطوطه لم تطبع بعد) و (Kindermann : Schibtim arabischen. P. 97 - 98) .

(٢) عرفها (محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٢٤٢) بقوله : « هي من القرى القديمة ، أسسها الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سنة ٦١٤ هـ ، عندما تابع ورود امداد غزاة الفرنج إلى الشرق في زمن الحروب الصليبية وتهديدهم مدينة دمياط وردت في التحفة السنية من نواحي ثغر دمياط ، انظر أيضاً (ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ٦٢)

وأدام الفرنج الحرب ، وقاتلوه^(١) فلم يظفروا بشيء وكسرت مرماتهم وآلاتهم ، واستمر الحال كذلك أربعة أشهر .

ولما بلغ السلطان الملك العادل قصدُ الفرنج الديار المصرية تقدم إلى من عنده من العساكر بالتوجه إلى مصر ؛ فتوجهوا إليها أولاً فأولاً ، حتى لم يبق عنده من العسكر إلا القليل ، واجتمعت العساكر عند الملك الكامل ، وأخذوا في مقاتلة الفرنج ومدافعتهم عن دمياط ، وعظم عند الملك العادل قصد الفرنج لمصر ، وخاف عليها خوفاً شديداً .

ذكر وفاة

الملك القاهر^(٢) عز الدين — صاحب الموصل —

وفي هذه السنة توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شا بن مسعود

ابن مودود بن زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل — .

وكانت وفاته لثلاث بقين من شهر ربيع الأول .

وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة أشهر .

وكان سبب موته أنه حُمّ ، ثم فارقه الحمى [من]^(٣) الغد ، وبقى موعوكا ،

ثم عاودته مع قيء كثير وكرب شديد ، ثم برد بدنه وعرق ، وبقى كذلك

إلى وسط الليل ؛ ثم توفي [إلى رحمة الله تعالى]^(٣) ، وانقرض بانقرضه ملك^(٤)

البيت الأتابكي .

(١) (ك) : ، ودام الفرنج يقاتلوه فلم يظفروا ، ...

(٢) (ك) : د الظاهر ، وهو خطأ واضح ، انظر ترجمة الملك القاهر عز الدين مسعود

في : (ابن الأثير : الكامل ، وفات سنة ٦١٥) و (سعيد الديوهجي : الموصل في العهد

الأتابكي ، ص ٤ —) ٣٥٣ .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن . (ك)

(٤) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

ذكر سيرته — رحمه الله —

كان كريماً ، جليلاً ، حليماً ، قليل الطمع في أموال الرعية ، كافاً عن أذاهم ، مقبلاً على لذاته ، كأنما ينهبها نهباً ، ويبادر الموت ، وكانت عنده رقة شديدة .

وكان يكثر ذكر الموت ، فحكى بعض من كان يلازمه ، قال :

« كنا عنده قبل وفاته بنصف شهر ، (٧٢ ب) فقال لي : قد وجدتُ خجراً من القعود ، فقم بنا نتمشي إلى الباب العمادي ، فقمنا نخرج من بابه نحو الباب العمادي ، فوصل إلى التربة التي عملها لنفسه عند داره ، فوقف عندها مفكراً لا يتكلم ، وقال لي : والله ما نحن في شيء ، أليس مصيرنا إلى ها هنا وندفن نحن تحت هذه الأرض ؟ وأطال الحديث في هذا ونحوه ، ثم عاد إلى الدار فقلت له : ألا نتمشي إلى الباب العمادي ؟ فقال لي : ما بقي عندي نشاط إلى هذا ولا إلى غيره ، ودخل داره ، وتوفي بعد أيام — رحمه الله — . »

ذكر قيام

بدر الدين لؤلؤ بتدبير مملكة الموصل

أتابكا لنور الدين بن الملك القاهر

لما حضرت الملك القاهر الوفاة كان له ولدان ، أكبرهما نور الدين أرسلان شاه ، وكان عمره يومئذ [نحو] ^(١) عشر سنين ، فأوصى بالملك له ، وأن يقوم بتدبير مملكة بدر الدين لؤلؤ .

فلما مات الملك القاهر نصَّب بدر الدين لؤلؤ نور الدين في مملكة والده ،

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

وأقام له الخطبة والسكّة باسمه ، وأرسل إلى الخليفة الناصر لدين الله يطلب التقليد له ،
وكاتب ملوك الأطراف يطلب منهم تجديد العهد لنور الدين على القاعدة التي كانت
بينهم وبين أبيه .

ولم تنقض الليلة التي مات فيها الملك القاهر حتى فرغ من كل ما يحتاج إليه ،
وجلس للعزاء ، وحلف الأمراء والجنود ، وقام بتدبير المملكة أحسن قيام ،
وأحسن إلى الأجناد والأمراء ، وخلع عليهم الخلع الفاخرة ، وأحسن السيرة ،
وكشف الظلامات .

ووصل بعد أيام التقليد من الخليفة لنور الدين أرسالان شاه بالمملكة ،
ولبدر الدين بالنظر في أمور الدولة والتشريفات .
وأنت رسل الملوك بالتعزية ، وبذل ما طلب منهم من العهد .

ذكر قصد

عز الدين — سلطان الروم — حلب

لما مات الملك الظاهر ، وصار الملك بعده لابنه الملك العزيز غياث الدين محمد ،
وهو طفل ، وقع الطمع في بلاده ، فحسّن بعض الناس للملك الغالب عز الدين
(١٧٣) كيكافوس بن كيخسرو — سلطان الروم — قصد بلاد حلب وتملكها ،
وقالوا : « إن المصلحة أن تستعين في ذلك بالملك الأفضل نور الدين بن الملك الناصر
— صاحب سُمَيْسَاط — فإنه في طاعتك ويخطب لك ، والناس مائلون إليه ،
فتكتب إليه تستدعيه » .

فكتب إليه يستدعيه^(١) من سُمَيْسَاط ، فقدم عليه ، فأكرمه إكراماً

(١) هذا اللفظ ساقط من (ك) .

عظيماً ، وحمل إليه شيئاً كثيراً من الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك ، وتقرر بينهما أن الملك الأفضل يجيء في صحبة السلطان عز الدين ، ويقصدون البلاد ، وأن ما يفتحون من حلب وأعمالها يكون للملك الأفضل ، ويكون في طاعة عز الدين ، ويقيم الخطبة والسكة باسمه ، ثم يقصدون بلاد الشرق التي بيد الملك الأشرف ، مثل : حرّان ، والرّها ، وغيرها ، ويكون ذلك لعز الدين ، وجرت الأيمان بينهما على ذلك .

وجمعوا العساكر ، وساروا فملكوا قلعة رعبان ، فتسلمها الملك الأفضل ، ومال الناس حينئذ إلى عز الدين ، لميله إلى الملك الأفضل .

ثم ساروا إلى تل باشر ، وبها فتح الدين بن بدر الدين دلدريم ، وكان ملكها بعد أبيه بدر الدين — كما ذكرنا — فحصره بها ، وضيقوا عليه ، وملكوها ، فتسلمها عز الدين لنفسه ، ولم يسلمها إلى الملك الأفضل ، فنفرت نفس الملك الأفضل من ذلك ، وفترت همته ، وقال : « هذا أول الغدر » ، وخاف أنه إن تسلم عز الدين حلب أن يأخذها لنفسه ؛ ولا يحصل إلا على قلع الملك من أولاد أخيه ، وتقله إلى الأجانب .

ونفر أيضاً من هذا الفعل أهل البلاد ، فإنهم كانوا فرحين بمملكة الملك الأفضل ، فلما رأوا ضد ذلك خافوا .

وخاف الأتابك شهاب الدين طغريل أن يسلم أهل حلب البلد إلى الملك الأفضل لميلهم إليه ، فكتب إلى الملك الأشرف بن الملك العادل يستدعيه لإنجاد ابن أخته الملك العزيز .

ذكر قدوم

الملك الأشرف إلى حلب

لنجدة الملك العزيز

ولما سارت الفرنج إلى الديار المصرية ، ونازلوا ثغر دمياط — كما ذكرنا —
(٧٣ ب) تقدم الملك العادل إلى ولده الملك الأشرف أن يدخل إلى بلاد الفرنج ،
ويغار إليها .

فرحل في عساكره إلى حمص ، ودخل إلى بلاد الفرنج ليشغلهم عن محاصرة
دمياط ، فدخل إلى صافيتا ، فخرَّب رِبَضَهَا ، ونهب رستاقها ، وهدم ما حولها
من الحصون ، ودخل إلى رِبَضِ حصن الأكراد ، ونهبه ، وحاصر القلعة حتى
أشرفت على الأخذ ، ثم نزل على بحيرة قدس في مقابلة الفرنج .

ولما وصله رسول الأتابك يدعوه إلى النجدة سارع إلى ذلك ، وسار
في عسكره الذين كانوا معه في الغارة ، وبعث يستدعى باقي عساكره وحضر عنده
عرب طى . وغيرهم ، ووصل إلى حلب فنزل ظاهرها .

وحكى الصاحب كمال الدين بن العديم : أن عز الدين لما قصد البلاد أطمع
الملك الأفضل أنه يملكه حلب طمعاً أن يميل الأمراء بحلب إليه ، لميلهم إلى الملك
الأفضل ، وكاتب جماعة من أمراء حلب ، وكتب لهم التواقيع ، ومن جملة من
كاتبه عَلمَ الدين قيصر ، وكتب له توقيعاً بأبلستان .

واغتم عز الدين والأفضل شغل قلب الملك العادل بالفرنج ، ووافقهما الملك
الصالح الأرتقى — صاحب آمد — .

وكان قصد عز الدين الملك لنفسه ، وإنما جعل الملك الأفضل ذريعة لتحصيل غرضه ، وكاتب عز الدين الأمراء الحلييون الذين كانوا يؤثرون الملك الأفضل ، فجمع وحشد ، وقصد البلاد في شهر ربيع الأول من هذه السنة ، فنازل رعبان وفتحها ..

فسير الأتابك القاضي زين الدين بن الأستاذ إلى الملك العادل يستصرخه على عز الدين والملك الأفضل .

فكتب الملك العادل إلى ولده الملك الأشرف^(١) يأمره أن يرحل إلى حلب بالعساكر ، وسير إليه خزانة ، وجعل الملك المجاهد أسد الدين — صاحب حمص — في مقابلة الفرنج .

فسار الملك الأشرف^(١) حتى نزل حلب ، وخيم بالميدان الأخضر ، وخرج الأمراء إلى خدمته ، واستحلفهم ، وخلع عليهم ، ووصل إليه الأمير مانع بن حديثه — أمير العرب — في جمع عظيم من العرب ، وعاشت العرب في بلد حلب ، والملك الأشرف يداريهم لحاجته إليهم .

وسار علم الدين قيصر الظاهري (١٧٤) إلى السلطان عز الدين من دربساك وجاهر بالعصيان ، ونزل إليه أيضاً الطنبغا من بهسنا ، وكان قد عصى بها . وتسلم عز الدين المرزبان ، ثم نازل تل باشر ففتحها ، ولم يسلمها إلى الملك الأفضل ، فعلم حينئذ الأفضل فساد نيته .

ثم سار عز الدين إلى منبج ، فسلمها أهلها إليه ، وشرع في ترميم سورها وإصلاحه .

(١) هذه الجملة كلها ساقطة من (ك) .

ذكر انهزام

عز الدين — سلطان الروم —

من الملك الأشرف

وكان الملك الأفضل يشير على عز الدين قبل أخذه تل بآشر بمعالجة حلب ، وأخذها قبل اجتماع العساكر بها ، فلما أخذ عز الدين تل بآشر ولم يسلمها إليه تحقق سوء باطنه ، فصار بعد ذلك يشير عليه بأن يقصد باقي البلاد ويأخذها أولا ، ثم بعد ذلك يقصد حلب ، ففتح منبج — كما ذكرنا — .

وإنما قصد الملك الأفضل التمدد ومرور الزمان في غير فائدة ، لئلا يتحصل لعز الدين مقصود .

ولما استحلف الملك الأشرف الأمراء بحلب ، واستوثق منهم رحل من حلب في عساكره وعسكر حلب ، وفي صحبته جماعة من الأمراء المخامرين ، فنزل وادي بُزاعة .

ولما سمع عز الدين بتقدم الملك الأشرف إليه سيّر ألف فارس هم خيار عسكره وأبطالهم ، وقدم عليهم سوباش سيواس ، فنزلوا تل قباسين ، فوقعت عليهم عرب الملك الأشرف ، وقاتلوه ، ومعهم جماعة من العسكر ، فانهزمت مقدمة عسكر عز الدين ، وقد استبيحت أموالهم ، وقتل منهم جماعة ، وأسرت جماعة .

ووصل إليهم الملك الأشرف وقد فرغت العرب منهم ، وسُيِّرَت الأسرى إلى حلب ، ودخلوا بهم والبشائر تُضرب بين أيديهم ، وأودعوا السجن .

ولما بلغ عز الدين ذلك [وهو بمنبج] ^(١) ولّى منهزماً ، وقد ملأ الرعب قلبه .

ورحل الملك الأشرف متبعاً له ، يتخطف أطراف عسكره ، حتى وصل إلى تل باشر ، فحاصرها وافتتحها ، وكان بها جماعة من عسكر عز الدين ، فنّ عليهم (٧٤ ب) الملك الأشرف ، وأطلقهم .

ثم سلم الملك الأشرف تل باشر إلى نواب الملك العزيز ، وقال :
« هذه كانت أولاً للملك الظاهر ، وكان يؤثر ارتجاعها إليه ، وأنا أردتها إلى ولده » .

وكان افتتاحها في جمادى الأولى من هذه السنة .
ثم ملكها الأتابك شهاب الدين في سنة ثمان عشرة وستمئة بجميع قراها .
ثم سار الملك الأشرف إلى رعبان وتل خالد ، فافتتحهما ، وافتتح برج الرصاص ، وأعطى الجميع لابن أخته الملك العزيز .
وأما عز الدين فإنه طوى المراحل هارباً لا يلوى على شيء بل مرّ على وجهه خائفاً يترقب ، ولما وصل إلى أطراف بلاده أقام بها .

ولما وصل إليه العسكر الذين كانوا بتل باشر جعلهم في دار ، وأمر بأن تحرق عليهم ، فاحترقوا عن آخرهم ، فلم يمهله الله تعالى ، وعجل عقوبته ، وأهلكه لسوء فعلته .

وصار ^(٢) الملك بعده إلى أخيه الذي كان في حبسه ، وهو علاء الدين كينقباد بن كيخسرو .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

(٢) (ك) : « وانتقل » .

وتوجه الملك الأفضل إلى سميساط ، ولم يتحرك بعد ذلك حركة في طلب ملك إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة — على ما سند كره — .

وعاد الملك الأشرف إلى حاب وقد باغى وفاة والده السلطان الملك العادل — رحمه الله — وقد كان عازماً على قصد عز الدين ، وأتباعه إلى بلاده ، فلما وردت عليه وفاة والده لم يمكنه ذلك ، مع علمه بحلول الفرنج بالديار المصرية ، وشدة طمعهم فيها سيما وقد مات سلطان البلاد .

ونزل الملك الأشرف بياقوسا ، وجلس في خيمته للعزاء ، وخرج أكابر البلد والأمراء إلى خدمته ، وأنشد الشعراء مرثى الملك العادل ، ووعظ الوعاظ .

ولما انفصل أمر العزاء سير الأتابك شهاب الدين إليه في أن يكون هو السلطان . موضع أبيه الملك العادل ، ويُنْخَاطب له في البلاد ، وتضرب السكة باسمه ، وتكون العساكر الحلبية في خدمته .

فقال الملك الأشرف :

« لا والله ، لا أغير قاعدة قررها أبي ، بل يكون السلطان أخى الملك الكامل ، ويكون قائماً مقام أبي » .

تم تقررت الحال بين الأتابك شهاب الدين وبينه برأى (١٧٥) القاضى بهاء الدين بن شداد ، وسيف الدين بن علم الدين ، وسيف الدين بن قايح على الخطبة بحاب وأعمالها لسلطان الملك الكامل ناصر الدين أبى المعالى محمد ابن الملك العادل ، وبعده للملك الأشرف ، وبعدها للملك العزيز .

وضُرب اسم الملك الكامل والملك العزيز على السكة ، وجُعِل أمر الأجناد والأقطاع في عسكر حاب إلى الملك الأشرف ، وأُخليت له دار الملك الظافر

خِضْرُ بن الملك الناصر بالياروقية ، فنزل بها ، ورتب له برسم المعونة^(١) من أعمال حلب سَرْمِين وبُزْاعة والجمول ، ووصلت إليه رسل البلاد من جميع الجهات ، وصاروا أتباعاً ، وأمر ونهى ببلد حلب ، في الأجناد والإقطاع لا غير ، وتردد إليه أكابر الحلبيين ، وخلع عليهم ، وأقام بحلب إلى آخر هذه السنة .

ذكر وفاة

السلطان الملك العادل

سيف الدين أبي بكر بن أيوب — رحمه الله —

قد ذكرنا أن السلطان الملك العادل لما بلغه نزول الفرنج بديار مصر ، ومحاصرتهم ثغر دمياط ، خاف على مصر خوفاً شديداً ، وأرسل العساكر أولاً فأولاً إلى مصر ، وكان نازلاً بمرج الصُّنْفَر ، ثم رحل منها إلى عالقين ، فنزل بها ، ومرض واشتد مرضه ، ثم توفى إلى رحمة الله تعالى سابع جمادى الآخرة من هذه السنة ، أعنى سنة خمس عشرة وستمائة .

وكان مولده سنة أربعين وخمسمائة .

فكان عمره خمسا وسبعين سنة .

وكان ملكه لدمشق سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة^(٢) ، فكانت مدة ملكه لها ثلاثاً وعشرين سنة .

وملك مصر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، فكانت مدة ملكه لها نحو تسع عشرة سنة .

(١) (ك) : « المؤنة » .

(٢) (ك) : « سنة أربعين وخمسمائة » وهو خطأ واضح .

قال عز الدين بن الأثير :

ومن الاتفاقات العجيبة أن الملك الأفضل بن الملك الناصر لم يملك مملكة إلا أخذها عنه الملك العادل :

فأول ذلك أن الملك الناصر أقطع ابنه الملك الأفضل حرّان والرّها وميّا فارفين بعد وفاة الملك المظفر تقي الدين ، فسار إليها الملك الأفضل ، فلما وصل إلى حلب أرسل إليه أبوه السلطان الملك العادل فردّه عن حلب ليأخذ البلاد منه .

ثم (٧٥ ب) ملك الأفضل بعد أبيه دمشق ، فأخذها الملك العادل منه .

ثم ملك مصر ، فأخذها أيضاً منه .

ثم ملك صرخد ، فأخذها منه .

قلتُ : « وأعطاه قلعة نجم ، وسروج بعد ذلك ، وعاد استرجعها منه » .

ذكر سيرته — رحمه الله —

كان الملك العادل — رحمه الله — حازماً ، متيقظاً ، غزير العقل ، شديد لأراء ، ذا مكر شديد وخديعة ، صبوراً ، حلماً ، ذا أناة وتؤدة ، يسمع ما يكره ويُغضى عنه كأنه لم يسمعه ، كثير البذل والخرج عند الحاجة لا يقف في شيء ، وأما في غير وقت الحاجة فلا ، عظمت هيئته في القلوب ، واتسع ملكه ، وواتته السعادة ، وكثر أولاده ، ورأى فيهم ما يحب من اتساع الممالك^(١) والمظفر بالأعداء

(١) (ك) : د الملك .

ولم يبلغنا عن أحد من الملوك الماضيين أنه رأى في أولاده ما رأى ، فإنه اجتمع في كل واحد منهم من النجابة والكفاية والشهامة والفضيلة ما لا مزيد عليه .

فهم كما قال الشاعر :

مَنْ تَأَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرَى بِهَا السَّارَى

ولقد أجاد في وصفهم شرف الدين بن عنين حيث يقول من قصيدة يمدح بها أباهم الملك العادل ، مطلعها :

مَاذَا عَلَى طَيْفِ الْأَحِبَّةِ لَوْ سَرَى وَعَلَيْهِمْ لَوْ سَامَحُونِي بِالْكَرَى

ومرنا في مدح الملك العادل :

العادلُ الملكُ الذي أسماؤه في كلِّ ناحية تُشَرِّفُ^(١) مِنْبَرًا
وَبِكُلِّ أَرْضٍ جَنَّةٌ مِنْ عَدْلِهِ^(٢) ضَافِي أَفَاضَ^(٢) نَدَاهُ فِيهَا كَوْنًا
عَدْلُ بَيْتِ الذُّبِّ مِنْهُ عَلَى الطَّوَى غَرَّتَانِ وَهُوَ يَرَى الْغَزَالَ الْأَعْفَرَا
مَا فِي أَبِي بَكْرٍ لِمُعْتَدِ الْهُدَى شَكٌّ يَرِيبُ بَأَنَّهُ خَيْرُ الْوَرَى
بَيْنَ الْمُلُوكِ الْغَابِرِينَ وَبَيْنَهُ فِي الْفَضْلِ مَا بَيْنَ الثَّرِيَّا وَالثَّرَى
نَسَخْتُ خِلَافَهُ^(٣) الْحَمِيدَةُ^(٣) مَا أَتَى

فِي الْكُتُبِ عَنْ كِسْرَى الْمُلُوكِ وَقِيَصَرَا

(١٧٦)

لَا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ مَلِكٍ غَيْرِهِ يُرَوَى ، فَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا

(١) الأمل : « يشرف » ، والتصحيح عن الديوان .

(٢) الديوان : « أسال » .

(٣) الديوان : « الكريمة » .

ومنها في مدح أولاد الملك العادل ووصفهم — رحمهم الله أجمعين —

وله الملوك ^(١) بكل أرض منهم	ملك يجر ^(٢) إلى الأعداء عسكرًا
من كل وضاح الجبين تخالعه	بدرًا ، فإن شهد الوغى فغضنفرًا
يسمو ^(٣) إلى نار الوغى شفقًا بها	ويجل أن يسمو ^(٣) إلى نار القرى
متقدم حتى إذا النقع انجلى	باليد ^(٤) عن سبي الحرير تأخرًا
وتعاف خيلهم الورود بمنهل	ما لم يكن بدم الأعداء مسجّرًا ^(٥)

ذكر أولاد^(٦) الملك العادل

كان الملك العادل فيما أعلم ستة عشر ولدًا ذكرًا ، سوى البنات :

الملك الأوحى نجم الدين أيوب — صاحب خلاط — ، وتوفي في حياة والده ، وقد تقدم ذكره ، وكان قصيرًا جدًا ، شهبًا ، مقدمًا ، سفاكًا للدماء .

والملك المغيث عمر ، وتوفي أيضًا في حياة أبيه .

وخلف المغيث ولدًا صغيرًا ، وهو الملك المغيث شهاب الدين محمود ، ورثاه عنه الملك — صاحب دمشق — ، وكان جميل الصورة جدًا ، ومات في سنة ثلاثين وستمائة .

(١) الديوان : • البنون • .

(٢) الديوان : • يقود • .

(٣) الديوان : • يمشو • .

(٤) الديوان : • باليس • .

(٥) الديوان : • بدم الوقائع أحرًا • .

(٦) انظر تراجم مفصلة لأولاد العادل جيبًا في : (الحنبلي : شفاء القلوب ، ص ٧٣) —

والملك الجواد شمس الدين مودود ، وتوفي أيضاً في حياة أبيه ، وخلف ولده
الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود ، وكان في خدمة عمه الملك الكامل ،
وسنذكر أخباره وتملكه لدمشق وغيرها ، وكان جواداً إلى الغاية ، شجاعاً .
والملك الكامل ناصر الدين محمد — صاحب الديار المصرية — وصاحب
الخطبة والشكة في جميع الممالك الأيوبية .
والملك المعظم شرف الدين أبو العزائم عيسى — صاحب دمشق وبلادها
إلى عرش مصر — .

وتتبعناه :

الملك العزيز عماد عثمان — صاحب باتياس وعدة مواضع كانت بيد نجر الدين
جهاز كس — ، وكان جواداً شهيداً .
والملك الأحمدي محمد الدين حسن (٧٦ ب) ، وتوفي في حياة والده ، ودُفن
بالقدس الشريف ، في مدرسة بُنيت له ، ثم نُقل بعد ذلك إلى الكرك ،
فدُفن جوار الشهداء بموتة .
والملك الأشرف مظفر الدين موسى ، صاحب البلاد الشرقية وخلاط
بعد أخيه الملك الأوحدي .

الملك المظفر شهاب الدين غازي — صاحب ميافارقين — .

وتتبعناه :

والملك المعز مجير الدين يعقوب .

وتاج الملوك^(١) إسحاق .

(١) (ك) : تاج الدين .

والملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وكانت له من أبيه بُصْرَى ، وملك بعد ذلك دمشق وبعابك ، على ما سنذكره — إن شاء الله تعالى — .
والملك المفضل قطب الدين ، وتوفي بمصر في أيام الملك الكامل .
والملك الفائز إبراهيم ، وسنذكر إن شاء الله خبره .
والملك الأجدد تقي الدين عباس ، وهو أصغرهم ، مولده سنة ثلاث وستمائة ، وهو آخرهم موتاً ، توفي بدمشق في سنة تسع وستين وستمائة .
والملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه .

ذكر ما استقر

عليه الحال بعد وفاة^(١) الملك العادل

ولما توفي الملك العادل — رحمه الله — بعالقين^(٢) لم يكن عنده أحد من أولاده حاضراً ، وكان الملك المعظم بنابلس ، ولم يطلع على موته إلا كريم الدين الخلاطى ، وكان أخص أصحابه ، فكم موته ، وأمر الأطباء بملازمة الدهليز ، ليظنَّ الناسُ حياته .

وبعث سَوَّاقاً إلى المعظم يحثُّه على سرعة الحركة ، فقدم سريعاً ، واجتمع بكريم الدين ، واتفقا على كتمان هذا الأمر ، وأظهرا أن السلطان قد عزم على الرحيل إلى دمشق ، فرحلا من عالقين^(٣) .

وأورع الملك العادل المحفة ، وجعل فيها عنده خادم ، والأطباء حول المحفة

(١) (ك) ، موت . .

(٢) هذا اللفظ غير موجود في (ك) .

(٣) (ك) : « عاكفين » .

يشيرون بما يُسقى من الأشرية ، ويُناول الخادم في بعض الأوقات قدح الشراب ،
فيشربه الخادم ، ويظن الناس أن الملك العادل حتى ، وأنه [هو]^(١) الذي
شرب القدح .

ولما وصلوا بالحقفة إلى دمشق غُسل وكُفّن ، ودُفن في القلعة سرّاً .
واستحضر الملكُ المعظمُ وكريمُ الدين الخلاطى أكابرَ الدولة والأمراء ،
فخلفوا للملك العادل ، وبعده للملك المعظم ، فلما تمّ للملك المعظم ما أراد من ذلك
أظهر موته ، وجلس في العزاء ، وكتب إلى سائر الملوك يخبرهم بموته .
واحتوى الملك المعظم على جميع ما كان مع الملك العادل من الأموال والجواهر
النفيسة ، والذخائر ، والعُدَد ، والأثقال ، والخيول ، وغير ذلك .
وقد ذُكر أنه كان في خزانته سبعمائة ألف دينار مصرية عيناً .
وكان للملك العادل بالسكرّك مال عظيم ، فاحتوى أيضاً عليه الملك المعظم .
واحتوى أخوه الملك الحافظ أرسلان شاه بن الملك العادل على ما في قلعة
جعبر من المال .



(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ك) .

الملاحق

خطاب بقلم القاضي الفاضل ، مرسل من السلطان صلاح الدين
إلى الخليفة المستضيء بنور الله ببغداد ، يبشره بفتح بلد من بلاد
النوبة ، والنصرة عليها .

عن : (الفلقشنى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٥٠٦ - ٥١١)

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ) : (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) : (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) .
وصلاة يتبعها تسليم ، وكأس يمزجها تسليم . وذكر من الله سبحانه في الملأ الأعلى ورحمة
الله وبركاته معلومة من النشأة الأولى على مولانا الإمام « المستضيء بالله » المستضاء
بأنواره ، المستضاف بداره ، الداعى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، الراعى للخلق كما
يرعى النسيم النسيم ، العام فضله ، التام عدله ، المطروق مورد فئته ، المصدوق فى مورد
ثنائه ؛ المحقوق من كل ولى بولائه ، ابن السادة الغر ، والقادة الزهر . والذادة
الحس ، والشادة للحق على الأس ، سقاة الكوثر وزمزم والسحاب ، وولادة
الموسم والموقف والكتاب ، والموصول الأنساب [يوم] إذا نفخ فى الصور
فلا أنساب ، والصابرون على حساب أنفسهم فهم الذين يؤتون أجرهم بغير حساب .
مملوك العتبات الشريفة وعبدها ؛ ومن اشتمل على خاطره ولاؤها وودها ،
وكانت المشاهدة لأنواره العلية التى يودها ، ومن يقرن بفرض الله سبحانه فرضها ،
ويسابق بطاعته إلى جنة وصفها الله تعالى بقوله (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا) : يلثم وجه ترابها ،
ويرى على بعد دارها الأنوار التى ترى بها ، ويقف لديها وقوف الخاضع ، ويضع

أُنْقَالَ الآثَامِ عَنْ ظَهْرِهِ مِنْهَا بِأَشْرَفِ الْمَوَاضِعِ لِلْوَاضِعِ ، وَيُنْجِبَتْ إِلَيْهَا إِخْبَاتِ الطَّامِحِ الطَّامِعِ ، وَيَرْجُو فَضَائِلَ رَجَاءِ الطَّامِحِ الطَّامِعِ . وَلَوْلَا أَنَّ الْكِتَابَ حِجَابٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُهَابَةِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَالْجَلَالَةِ الَّتِي هُوَ فِي تَعْظِيمِهَا عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ، لَكَانَ خَاطِرُهُ فِي قَبْضَةِ الْهَلَعِ أَسِيرًا ، وَلَا نَقْلِبُ إِلَيْهِ الْبَصَرَ خَاسِتًا حَسِيرًا ، وَلَكِنْ قَلَمُهُ قَدْ تَشَاجَعُ ، أَنْ كَانَ لِسَانُهُ عَنِ الْإِبَانَةِ قَدْ رَاجِعُ . فَيَقُولُ :

إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَفَعَ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمَلَلِ ، وَكَفَلَ نَصْرَهَا وَكَفَى مَا كَفَلَ ، وَحَمَى مُلْكَهَا وَحَمَلَ ، وَجَمَلَ لَهَا الْأَرْضَ فِي أَيْدِي الْخَالِفِينَ وَدَائِعَ ، وَمَكَّنَ يَدَهُ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ فَهِيَ إِمَّا تَعْقِدُ الْأَغْلَالَ أَوْ تَصُوغُ الصَّنَائِعَ ، وَالْحَقُّ بِهَا قَائِمُ الْعُمُودِ ، وَالسَّيْفُ لِلْكَفَايَةِ لِأَزْمِ الْعُمُودِ ؛ وَالْبَشَائِرُ تَمْسُكُ الصَّبَاحَ وَتَخْلُقُ الدَّجَى ، وَالْخَيْلُ عَلَى طَوْلٍ مَا تَشْتَمِلُ الْوَحَا تَنْتَعِلُ الْوَجَى ، وَالْأَيَّامُ زَاهِرَةٌ ، وَالْآيَاتُ بَاهِرَةٌ ، وَعِزَّةُ أَوْلِيَائِهَا قَاهِرَةٌ ، وَذَلَّةُ أَعْدَائِهَا ظَاهِرَةٌ ، وَعِمَائَاتُ اللَّهِ لَدَيْهَا مَتَوَالِيَةٌ مُتَظَاهِرَةٌ . إِذَا تَغَرَّبَ اسْمُهَا يَوْمًا عَنْ مَنْبَرٍ أُعِيدَ إِلَى وَطَنِهِ غَدًا ، وَإِذَا أَوْقَدَتْ نَارَ فِتْنَةٍ فِي مَعْصِيَتِهَا أَوْقَدَتْ فِي طَاعَتِهَا نَارَ هُدًى .

وَقَدْ كَانَ النَّيْلُ قَدْ مَا فَرَّتْ عَنِ الْفِرَاتِ أَبْنَاؤُهُ ، وَتَحَصَّنَتْ غُلُلُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ فَلَمْ يَتَغَلَّغَلْ إِلَيْهَا مَأْوُهُ ، وَكَادَتْ السَّمَاءُ لَا تَعِينُهُ بِمَطَرِهَا ، وَالْأَرْضُ لَا تَوْشِيهِ بِزَهْرِهَا وَالْأَعْنَاقُ قَدْ تَقَاصَرُ دُونَ الرَّاجِحِينَ بِدَوْنِ مَبْعَصِهَا^(١) ، وَالْقُلُوبُ قَدْ لَاذَتْ بِأَسْتَارِ الْجُدَارِ مَبْعَصِهَا^(١) ، وَالْأَوْثَانُ مَنْصُوبَةٌ ، وَالْآيَاتُ مَنْصُوبَةٌ ، وَالتَّيْجَانُ بَغِيرُ أَكْفَائِهِمْ مِنَ الْهَامَاتِ مَعْصُوبَةٌ ، وَالْدِّينُ أَدْيَانَا ، وَالْمَذَكَّرُونَ بِالْآيَاتِ يَخْرُونَ عَلَيْهَا صَمًّا وَعَمِيَانًا ؛ وَالْعَادِلُونَ بِاللَّهِ قَدْ وَطَّنُوا أَلْسِنَةً وَصَرَحُوا عَقَائِدَ ، وَالْمُعْتَدُونَ قَدْ أَضَلُّوا فَعَالًا وَضَلُّوا مَقَاصِدَ ، وَكَرَاسِيُّ خِلَافَةِ اللَّهِ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهَا أَجْسَادٌ كَانَتْ تُقَعَّدُ مِنْهَا مَقَاعِدُ ، وَمَنَابِرُ كَلِمَاتِ اللَّهِ قَدْ كَادَ كِيدُهُمْ يَأْتِي بَنِيَانَهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَجَرَتْ عَلَى بُنُوءِ الثُّبُوءِ أَشَدُّ نَبُوءَ ،

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ بِهَذَا الرَّسْمِ .

وقصرت الأيدي فلا حُدَّ سوط ولا حد سطوة ، ثم قست قلوب (فهي كالْحَجَّارَةِ
أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) وغرت الأيام وما وعدت ، وأوردت الهمم وما أصدرت ، وطفى
طوفان الطغيان ولا عاصم ، وسما بناء البهتان ولا هادم ، وضائق الصدور ،
ورحلت بغليلها إلى القبور ، وظن أن طى دولتهم معدوقٌ بالنشور ؛ حتى إذا جلاها
الله لوقيتها ، وأنجز جموع الضلال إلى ميعاد شتها ، وأراهم آية معدلته (وَمَا نُزِيرِهِمْ
مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) ، (وَجَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ) ،
(وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

كانت نعمة من الله يمنها على المملوك أن أنتجبه من بين أهل أرضه ،
وانتخبه لإقامة ما أمات الباطل من فرضه ، ويسره لما يسره من نصرته الحق وأهله ،
وبشره بما بشره من لواء النصر ، ومد من ظله ، وألهمه الهمة التي افترع منها
بكرا ، ومنحه النصره فما يستطيع العدو صرفا ولا نصرا . مكنه من صياصيمهم
لخائها ، ومن دمائهم فطلها ، ومن سيوفهم فقلها ، ومن أقدامهم فاستزلها ، ومن
منابر دعائهم فعجل تداعيها ، ومن أنفس أعدائهم فأكثر تناعيها ، وأبرز الذين
كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، ويسر الذين كتب لهم العفو إلى منافعهم ،
ونثر خرزات الملك من تيجانها ، وفضح على يده ولسانه مازورته من أنسابها ،
وحسابها فأظهر زيف حسابها ، ونقلها من ظهور أسرتها إلى بطون ترابها ،
وعمد إلى أهل دعوتها الذين بسقوا بسوق النخل فأعلامهم على جذوعها ، وحملت
قلوبهم فوق الحقد فأخرجها من أكمام طلوعها ، فهل ترى لهم من باقية ، أو تسمع
لهم من لاغية ، أو تجد إليهم من صاخية ، فأصبحوا لا ترى إلا مساكينهم
أو مساكينهم ، وحصدوا حصد الحشيش ثم لا تخاف سيوفهم ولا سكاكينهم ،
واستنزلوا من عقاب اللوح وسجنوا في الهم من طول مداومة عقاب الروح ؛
ثم تداركوا إلى الدرك ، واشتركوا في الشرك ، وأقفر من عراض ،

وزهدت فيهم خواص ، وعلم أن ليس لله غالب ، وأن ليس يفوته طالب ، وأن الملك لله وحده ، وأن الويل لمن تجاوز أمره وحده .

وكان المملوك ممن عطل من أوثانهم ، وأبطل من أديانهم ، فائترأ بحسنة ينظر إلى حسنات خليل الله صلى الله عليه وسلم في كيده الأصنام وتكسيورها ، وتضليله عابديها وتكفيرها . وعمد المملوك إلى المحاضر فجمعها ، وإلى المنابر فرفعها ، والجمعة فأطاع من شرعها ، وأسماء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصلها باسمه وما قطعها ، وعمومتها رضوان الله عليهم فتلاها له وآتبعها ، وأشاد باسم أمير المؤمنين لتكون الصلاة جامعة ، والذكرى شاملة والإمامة للجماعة شارة ، والهداية للضلالة صارعة ، فعادت للملة أعياد ، وأخضرت للمنبر أعواد ، وأنجز للأمة ميعاد .

وبعد ذلك تماشدت أولياء الداهيين وتنادت ، وتساعت نحو مستقر المملوك وتعادت (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) وكانوا حمية حامية من بني حام كالجراد أرجلا ، إلا أن الله أصلاها بنيرانه ، وكالماء مدا إلا أن الله أغرقها بطوفانه ، وكالثل لونا وطرقا إلا أن الله حطمها بسليمانه ، مع من انضم إليهم من ألقاف وأطراف ، وأوشاب وأوباش : من جندى كسبه سيفه ذله ، وطرده عن مواقف الكرام وبمحال الخزي أحله ، ومن أرمي كانوا يفرعون إلى نصره نصرانته ، ويعتمدون منه على ابن معموديته ، ومن عامى أجابهم لفرط عماه وتفريط عاميته ، فملا العيون سوادهم الأعظم ، ووزاءهم بأس الله الذي لا يرد عن أجرهم ، فأمطرهم السيوف مطراً كانوا غشاء لسيوله الجوارف ، وعصفت بهم الأعنة عصفاً كانوا هباء لهوجه العواصف (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) وعوتبت الأنفس والأرؤس (فَقَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) .

وظلت تحاف بني حام تحت غربان الفلا غربانا ، وشوهدت ظلمات بعضها

فوق بعض أفعيالا وألوانا ، وصفت موارد السلطان من القذى ، وطفىء ذلك الفحم
فلا يجد النفاق بعده ما تتعلق به الجُذدى ، وبلغت الغايات فى كشف كل أذى ،
لا بضرب موعد يقال فيه إذا .

وكاتب المملوك ، واسمُ أمير المؤمنين قد كتب سطره على جبين النقيدين ،
وسمع لفظه من فم المنبرين بالبلدين ، ومد كل منبر يدا بل يدين ، فحين سمع الناس
قالوا حقاً ما قاله ذو اليمين ، وصارت تلك الأسماء دُبر الآذان ووراء الظهور ،
وحصلت المحبة العباسية سرّاً من أسرار القلوب إذا حُصل مافى الصدور ، والخلائق
مبايعة متابعة وافية بعهده متوافية ، داخلون فى الحق أفواجاً ، سالكون منه
شرعة ومنهاجاً .

والحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين إماماً خلّقه ، ووارثاً لأرضه ولم يذر فوق
الأرض منازعاً لحقه ، ولا مناهباً لأرضه ، وارتجع له الحق الذى كان ناداً ، ورد
عليه الأمر الذى لم يكن له غير الله راداً ، وبلغ كل مؤمن من إعلاء كلمة الإيمان
به ما كان له واداً ، وأخذ بيد انتقامه من كان عن سبيله صادّاً ، والإسلام
قد استنار كنشأته ، والزمان قد استدار كهيئته ، والحق قد قرأ فى نصايه ، والأمر
قد فر عن صوابه . فقد وفى الله القرار له بضمانه ، وأخذ بيده ما روى عن ابن عمه
صلى الله عليه وسلم وأصنى من لسانه .

فالحمد لله الذى صدقه وعده ، وأورثه الأرض وحده ، وجدد علاه وأعلى
جده ، وأسعد نجمه وأنجم سعده ، ووعدده نجه وأنجح وعده ، وأورده وصفه
وأصنى ورده .

الملوك ينتظر الأمثلة ليمثلها ، والأمانة ليتحملها ، والتقليدات المطاعة
ليتلوها ، والتشريقات الشريفة ليجلوها ، والسواد ليجلى الحلك عن ضمائر المبطلين
والسيف الحالى لحكمه فى رقاب الممطلين ، وللآراء الشريفة فصل برهانها ،
وفضل سلطانها ، وأمرها الذى لا يخرج حين يخرج عن عز الملة وتوطيد بنيانها ،
وعزمها الذى يرفع حين يرفع ظلمة أدرانها . إن شاء الله تعالى .



خطاب بقلم القاضي الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين
إلى الخليفة ببغداد ، يبشره بفتح بلد من بلاد النوبة لذلك ،
وانهزام ملكها بعساكره .

عن : (الفلقندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٥١٢ — ٥١٥)

صلواتُ الله التي أعدها لأوليائه وذخرها ، وتحياته التي قذف بشهبيها شياطين
أعدائه ودحرها ، وبركاته التي دعا بها كل موحد فأجاب ، وانقشع بها غمامُ الغمِّ
وظلامُ الظلم فأنجاب عن أنجابه ، وزكاته التي هي للمؤمنين سكن ، وسلامه الذي
لا يعتري الموقنين في ترديده حَصَرٌ ولا لَكَن . على مولانا عاقدِ ألوية الإيمان ،
وصاحبِ دَورِ الزمان ، وساحبِ ذيل الإحسان ، وغالبِ حزب الشيطان ،
الذي زلزلت إمامته قدم الباطل ، وحلت خلافته ترائب الدهر العاقل ، واقتضتْ
سيوفه ديون الدين من كل غريم ماطل ، وأمضتْ غرب كل عزم للحق مغلول ،
وأطلعتْ غارب نجم كل هدَى آفل ، وشفعتْ يقظاتُ استغفاره إلى غافر ذنب
كلّ غافل ؛ وعلى آبائه الغاية والمفرع ، والملاذ في وقت الفرع ، والقائمين بحقوق
الله إذ قعد الناس ، والحاكمين بمذل الله إذ عُدِمَ القسطاس ، والمستضيئين بأنوار
الإلهام الموروثة من الوحي إذا عجز الاقتباس ، والصابرين في البأساء والضراء وحين
البأس ؛ خزان الحكم ، وحُفَاطِها ، ومعاني النعم ، وألغازها ، وأعلام العلوم المنشورة
إلى يوم القيامة ، وكألى السروح المنتشرة من كلاً^(١) سديد الإمامة ؛ ومن لا ينفذ سهم

(١) كذا في الأصول مضباً عليه ، وفي الضوء المنتشرة بين الإمامة .

عمل إلا إذا شحذ بمواليتهم ، ولا يتألق صبح هداية إلا إذا استصبح السارى
بدلالاتهم .

المملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنازله ، وعرايع المجد ومعاقله ؛ ومجالس
الجود ، ومحال السجود ؛ ومختلف أنباء الرحمة المنزلة ، ومرسى أطواد البسيطة
المنزلة ؛ ومفتر مباسم الإمامة ، ومجر مساحب الكرامة ؛ ومكان جنوح أجنحة
الملائك ، ومشتجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ،
ويتبعهم ملوك الأرض مستسلمين ؛ ومشاهد الإسلام ليوم أنزل فيه اليوم «أ كملت
لكم دينكم» . وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله : « قاتلوا الذين يلونكم » .
ويناجيها باسان جلى الإخلاص الصادق عقيدته ، وأنشط الولاء السابق عقيلته ،
وأرهدف الإيذان الناصع مضاربه ، وفسح المعتقد الناصح مذاهبه ، فأعرب عن
خاطر لم يخطر فيه لغير الولاء خطره ، وقاب أعانه على ورود الولاء [أن] صفاء
المصافاة فيه خطره ، ويخبر أنه ما وهن عما أوجبته آلاؤه ولا وهى ، ولا انثنى
عزمه عن أن يقف حيث أظلت سدرة المنتهى ، ووضحت الآيات لأولى النهى .

والله سبحانه يزيل عنه فى شرف المثول عوائق القدر وموانعه ، ويكشف
له عن قناع الأنوار التى ليست همته بما دون نظارها قانعة — وكان توجه منصوراً
بجيش دعائه قبل جيش لوائه ، وبعسكر إقباله ، قبل عسكر قتاله ، وبنصال
سلطانه ، قبل نصال أجفانه ، لا جرم أن كتائب الرعب سارت أمام الكتائب ،
وقواضب الحذر غمضت فى جفونها عيون القواضب — وسار أولياء أمير المؤمنين
الذين تجمعوا من كل أمة ، وتداعرا باسان النعمة ، متواخية نياتهم فى الإقدام ،
متألفة طوياتهم فى طاعة الإمام ، كالبنيان المرصوص انتظاماً ، وكالغاب المشجر
أعلاماً ، وكانهار المانع حديداً وهاجاً ، وكاللبيل الشامل عجاجاً ، وكانهر

المتدافع أصحاباً ، وكالمشط المطرد اصطحاباً ، والأرض ترحل برجلهم لما ترفعه
الحوافر من غيومها ، والسماء تنزل نزولهم لما تضمه الدوابل من نجومها ، فما انتشرت
رياضها المزهرة ، وغياضها المشجرة ، إلا دلت على أن السحاب الذي سقام كريم ،
والإشعام الذي غمرهم عظيم ، والدنيا التي وسعتهم من عزمتهم تظمن وتقيم
ولما علم المدعو أن الخطب المظنون قد صرح خطابه ، والأمل المخدوع قد
صفر وطابه ، زاسل وزأى سل السيوف يعمده ، وما كر وما كر لعله أن الختف
يعمده ، واندفع هارباً هائباً ، وخضع كائباً كاذباً ، فمضى المملوك قدماً ، وحمه ظلمه
وقد خاب من حمل ظلماً ، وأجابته بأنه وطى البساط برجله وإلا وطنه برأسه ،
وإن قدم على المملوك بأمله وإلا أقدمه بئاسه ، وإن لم يظهر أثر التوبة وإلا أقام
عليه الحد بسكرة الموت من كأسه ، فلم يخرج من مراوغة تحتها مغاوره ، ومكاسرة
وراءها مكاشرة .

فاستخار الله في طلبه ، واتهز فيه فرصة شغل قلبه بريية ، ولم يغره ما أملى
له في البلاد من تقلبه ، وسار ولم يزل مقتحماً ، وتقدم أول العسكر محتدماً ،
وإذا الدار قد ترحل أهلها منها فبانوا وظعنوا عن ساحتها فكأنهم ما كانوا ،
ولم يبق إلا مواقد نيران رحلت قلوبهم بضرامها ، وأثافي دهم أعجلت المهابة ما رد
سغبهم عن طعامها ، وغربان بين كأنها في الديار ما قطع من رهوس بني حامها ،
وعوافي طير كانت تنتظر من أشلائهم فطر ضيامها ، وعادت الرسل المنفذة لاقتفاء
آثارهم وأداء أخبارهم ، ذاكرة أنهم لبسوا الليل حداداً على النعمة التي خلعت ،
وغسلوا بماء الصبح أطماع نفس كانت قد تطلعت ، وأنهم طلّعوا الأوعار أوعالا
والعقاب عقباناً ، وكانوا لمهابط الأودية سيولا ، ولأعلى الشجر قضباناً — فرأى
المملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أجله ، والحزم منهم قد نال أمله ، والفتك بهم
قد أعمل منصله ، وأن سيوف عساكر أمير المؤمنين منزهة أن تريق الإدماء

أكفائها من الأبطال ، وأن تلقى إلا وجوه أنظارها من الرجال ، وأن المذكورين
نمل حطه سليمان عليه السلام وجنوده ، ورحل أطاره العاصف الذي يسحفه
ويقوده — وأصدر هذه الخدمة والبلاد من معرفتهم عارية ، والكلمة بانخفاضهم
غالية عالية ، ويد الله على أعدائه عادية ، وأنفس الخاذيل في وثاق هباته العالية
عانية — فرأى الملوك أن يرتب بعده الأمير فلاناً ليبدل الأمانات ، لسوقه أهل
البلاد ومزارعيها ، ويفصل المحاكمات ، بين متابعي السلطنة ومطاوليها ، ويفتح
مجال الإحسان لمعاودي المواطن ومراجعيها ، فيعمر من البلاد ما قد شغل ، ويشعر
بالأمنة من لا شعر ، فإن مقام الملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطالعها ،
وترد جرية البحر عن موقعها ، مما يضر بالغلال وينسفها ، ويحجب بالرعايا ويعسفها .
فالحمد لله الذي جعل النص لائذاً بأعطاف اعتزاه ، وأنامل الرعب السائر
إلى الأعداء محرقة عذبات أعلامه ، والعساكر المناضلة بسلاح ولائه ، تغني بأسمائها
عن مرهقاتها ، والكتائب المقاتلة بشعار علائه تقرأ كتب النصر من حماتها .



تذكرة أنشأها القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب ، وأرسلها صحبة الأمير شمس الدين الخطيب
— أحد أمراء الدولة الصلاحية — إلى أبواب الخلافة ببغداد ،
في خلافة الناصر لدين الله .

وفي هذه التذكرة يعدد صلاح الدين فتوحه وانتصاراته
في مصر واليمن والمغرب ، ويسأل الخليفة أن يرسل إليه التقاليد
بتوليته على هذه البلاد وعلى ماقد يفتحه في المستقبل من بلاد
أخرى^(١) .

(عن : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٨١ — ٩٠)

تذكرة مباركة ولم تزل الذكرى للمؤمنين نافعة ولعوارض الشك دافعة ؛
ضمّنت أغراضاً يُقَيِّدها الكتاب ، إلى أن يطلقها الخطاب ، على أن السائر
سَيَّار البيان ، والرسول يَمْضَى على رِسْلِ التبيان ؛ والله سبحانه يُسَدِّده قائلاً
وفاعلاً ، ويحفظه بادئاً وعائداً ، ومقيماً وراحلاً .

الأميرُ الفقيهُ شمسُ الدينُ خطيبُ الخطباء — أدام الله نعمته وكتب سلامته ،

(١) كنّا نشرنا نص هذه التذكرة في ملاحق الجزء الثاني من طبعتنا هذه لمفرج الكروب
فلا عن اروضتين ، غير أنا وجدنا بعد هذا أن صاحب صبح الأعشى قد أثبت نص هذه التذكرة
كاملاً ، في حين أنه في الروضتين ينقص المقدمة والهاجرة ، ولهذا آثرنا نشر النص الكامل هنا
مرة أخرى .

وأحسن صحابته — يتوجه بعد الاستخارة ، ويقصد دار السلام ، والخِطَّة التي هي عُشُّ بيضة الإسلام ؛ ومجتمع رجاء الرجال ، ومتسع رحاب الرِّحال ؛ فإذا نظر تلك الدارَ الدارَ سحابها ، وشافه بالنظر معالم ذلك الحرم المحرم خطابها ؛ ووقف أمام تلك المواقف التي تحسُّد الأرجل عليها الرؤوس ، وقام بتلك المنازل التي تُنافِس الأجسام فيها النفوس ، فلو استطاعت لزارت الأرواح محرمةً من أجسادها ، وطافت بكعبتها متجردةً من أغمارها ، فليمطر الأرض هناك عَنَّا قُبلاً تُخَضِّلها ، بأعداد لا تُحَصِّلها ؛ وليسلم عليها سلاماً نعتدُّه من شعائر الدين اللازمة ، وسُنن الإسلام القائمة ، وليورد عنا تحيةً يستنزلها من عند الله تحيةً مباركةً طيبةً ، وصلاةً تخرق أنوارها الأستارَ الحجبيةً ، ويسافح عَنَّا بوجهه صفحة الثرى ، وليستشرف عَنَّا بنظره فقد ظفر بصباح السرى ، وليستلم الأركانَ الشريفة ، فإن الدين إليهم استند ، وليستدم الملاحظات اللطيفة ، فإن النور منها مستمد ، وإذا قضى التسليم وحقَّ اللقاء ، واستدعى الإخلاصُ جهد الدعاء ، فليعدَّ وليعدَّ حوادث ما كانت حديثاً يُفتري ، وجواريَ أمور إن قال منها كثيراً فأكثرُ منه ما جرى ، وليشرح صدرها منها لعله يشرح منا صدرا ، وليوضح الأحوال المستسرة فإن الله لا يُعبدُ سِراً :

وَمِنَ الْغَرَائِبِ أَنْ تَسِيرَ غَرَائِبٌ فِي الْأَرْضِ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا الْمَأْمُولُ
كَالْعَيْسِ أَقْتَلُ مَا يَكُونُ لَهَا الظَّنُّ وَالْمَاءُ فَوْقَ ظَهْرِهَا مَحْمُولُ

فإنا كنا نقتبسُ النارَ بأيدينا ، وغيرنا يستنير ، ونستنبطُ الماءَ بأيدينا ، وغيرنا يستمير ، ونلقى السَّهَامَ بنحورنا ، وغيرنا يغيِّرُ التصوير ، ونصافحُ الصِّفاحَ بصدورنا ، وغيرنا يدعى التصدير ، ولا بدَّ أن نستردَّ بضاعتنا ، بموقف العدل الذي تُردُّ به العُصوب ، ونظهر طاعتنا ، فنأخذ بحظِّ الألسنة كما أخذنا بحظِّ القلوب ، وما كان العائقُ إلا أنا كنا ننظر ابتداءً من الجانب الشريف بالنعمة ،

يضاهي ابتداءنا بالخدمة ، وإيجاباً للحق ، يشا كل إيجابنا للسبق ، إلى أن يكون
سحابها بغير يد مستنزلاً ، وروضها بغير غرس مُطفلاً .

كان أول أمرنا أنا كنا في الشام نفتح الفتوحاتِ مباشرين بأنفسنا ،
ونجاهد الكفارَ متقدمين لعساكره نحن ووالدنا وعمنا ، فأى مدينة فُتحت ،
أو مَعْقِلٍ مُلِك ، أو عسكر للعدو كُسر ، أو مَصَافٍ للإسلام معه ضرب ،
فما يجهل أحد ، ولا يجحدُ عدو ، أنا نصطلي الجمره ، ونَمَلِكُ الكسره ، ونَتَقَدِّمُ
الجماعة ونرتب المقاتلة ، ونُدبِرُ التعبئة ، إلى أن ظهرت في الشام الآثارُ التي لنا
أجرُها ، ولا يضرُّنا أن يكون لغيرنا ذكرُها .

وكانت أخبار مصر تتصل بنا بما الأحوالُ عليه فيها من سوء التدبير ،
ومما دولتها عليه من غلبة صغيرٍ على كبير ، وأن النظام قد فسد ، والإسلام بها قد
ضعف عن إقامته كل قائم بها وقعد ، والفرنج قد احتاج من يدبرها إلى أن يقاطعيهم
بأموال كثيرة ، لها مقادير خطيرة ، وأن كلمة السُّنة بها وإن كانت مجموعة ، فإنها
مقموعة ، وأحكام الشريعة وإن كانت مسمّاة ، فإنها مُتَحَامَاة ، وتلك البدع بها
على ما يُعَلِّم ، وتلك الضلالات فيها على ما يُفْتَى منها بفراق الإسلام ويُحْكَم ،
وذلك المذهب قد خالط من أهله اللحم والدم ، وتلك الأنصابُ قد نُصِبَت آلهةً
تُتَّخَذُ من دون الله تُعْظَمُ وتُفَخَّمُ ، فتعالى الله عن شَبّه العباد ، ووَيْلٌ لِمَن غَرَّهُ
تَقَلُّبُ الذين كفروا في البلاد .

فَسَمَتِ بِهَمُّنَا دُونَ هَمِّ مَلُوكِ الْأَرْضِ إِلَى أَنْ نَسْتَفْتَحَ مُعَقَّلَهَا ، وَنَسْتَرْجِعَ لِلْإِسْلَامِ
شَارِدَهَا ، وَنَعِيدَ عَلَى الدِّينِ ضَالَّتَهُ مِنْهَا ، فَسِرْنَا إِلَيْهَا بِعَسَاكِرِ ضَخْمَةٍ ، وَجُمُوعِ جَمَّةٍ ،
وَبِأَمْوَالٍ اتَّهَكَتِ الْمَوْجُودُ ، وَبَلَّغَتْ مِنَّا الْمَجْهُودُ ، وَأَنْفَقْنَاهَا مِنْ خَالِصِ ذِمَّنَا وَكَسْبِ
أَيْدِينَا ، وَمِنْ أَسَارَى الْفَرَنْجِ الْوَاقِعِينَ فِي قَبْضَتِنَا ، فَعَرَضَتْ عَوَارِضُ مُنْعَتٍ ، وَتَوَجَّهَتْ

للمصريين حِيل باستنجد الفرنج تمت : (ولكل أجل كتاب) . ولكل
أمل باب .

وكان في تقدير الله سبحانه أنا نملكها على الوجه الأحسن ، وتأخذها بالحكم
الأقوى الأمكن ، فقدر الفرنج بالمصريين غدرَةً في هدنة عظم خطبها وخطبها ،
وعلم أن استئصال كلمة الإسلام محطها ، وكاتبنا المسلمون من مصر في ذلك الزمان ،
كما كاتبنا المسلمون من الشام في هذا الأوان ، بأننا إن لم ندرك الأمر وإلا خرج
من اليد ، وإن لم ندفع غريم اليوم لم يمهل إلى الغد ، فسرنا بالعساكر الموجودة
والأمراء الأهل المعروفة إلى بلاد قد تمهد لنا بها أمران ، وتقرر لنا فيها
في القلوب ودان : الأول لما علموه من إثارتنا المذهب الأقوم ، وإحياء الحق
الأقدم ، والآخر لما يرجونه من فكّ إسارهم ، وإقالة عثارهم ، ففعل الله ما هو
أهله ، وجاء الخبر إلى العدو فانقطع حبله ، وضائق به سبله ، وأفرج عن الديار
بعد أن كانت ضياعها ورساتيقها وبلادها وإقليمها قد نفذت فيها أوامره ،
وخفقت عليها صلابته ، وأمن من أن يسترجع ما كان بأيديهم حاصلًا ، وأن
يستنقذ ما صار في ملكهم داخلًا ، ووصلنا البلاد وبها أجناد ، عددهم كثير ،
وسوادهم كبير ، وأموالهم واسعة ، وكتبتهم جامعة ، وهم على حرب الإسلام أقدر
منهم على حرب الكفر ، والحيلة في السر منهم أنفذ من العزيمة في الجهر . وبها
راجل من السودان يزيد على مائة ألف رجل ، كلهم أغتام أعجام ، إن هم
إلا كالأنعام ، لا يعرفون ربًّا إلا ساكن قصره ، ولا قبلة إلا ما يتوجهون إليه
من ركنه ، وبها عسكر من الأرمن باقون على النصرانية ، موضوعة عنهم
الجزية ، كانت لهم شوكة وشكّة ، وحمية وحة ، ولهم حواشٍ لقصرهم من بين داع
تلطف في الضلال مداخله ، وتصيب العقول مخاتله ، ومن بين كتاب ، أقلامهم
تفعل أفعال الأسل ، وخدّام يجمعون إلى سواد الوجوه سواد النجل ، ودولة

قد كبر عليها الصغير ، ولم يعرف غيرها الكبير ، ومهابة تمنع خطرات الضمير ، فكيف لحظات التدبير .

هذا إلى استباحة المحارم ظاهرة ، وتعطيل للفرائض على عادة جارية ، وتحريف للشريعة بالتأويل ، وعدول إلى غير مراد الله في التنزيل ، وكفرٍ سُمي بغير اسمه ، وشريع يتستر به ، ويحكم بغير حكمه .

فمازلنا نسحتهم سحت المبارد للشفار ، ونتحيفهم تحيف الليل والنهار للأعمار ، بمجائب تدبير ، لا تحملها المساطير ، وغرائب تقرير لا تحملها الأساطير ، ولطف توصيل ما كان في حيلة البشر ولا قدرتهم إلا إعانة المقادير ، وفي أثناء ذلك استنجدوا علينا الفرنج دفعة إلى بلبيس ، ودفعة إلى دمياط ، وفي كل منهما وصلوا بالعدو الجهر والحشد الأوفر ، وخصوصاً في نوبة دمياط فإنهم نازلوها بحراً في ألف مركب مقاتل وحامل ، و براً في مائتي ألف فارس وراجل ، وحصروها شهرين ييا كرونها ويراوحونها ، ويماسونها ويصاحبونها ، القتال الذي يصلية الصليب ، والقراع الذي ينادى به من مكان قريب ، ونحن نقاتل العدوين : الباطن والظاهر ، ونصابر الضدين : المنافق والكافر ، حتى أتى الله بأمره ، وأيدنا بنصره ، وخابت المطامع من المصريين ومن الفرنج ، ومن ملك الروم ومن الجنوريين وأجناس الروم ، لأن أنفارهم تنافرت ، ونصاراهم تناصرت ، وأناجيل طواغيتهم رفعت ، وصلب صلبوتهم أخرجت ، وشرعنا في تلك الطوائف من الأجناد والسودان والأرمن فأخرجناهم من القاهرة تارة بالأوامر المرهقة لهم ، وبالذنوب الفاضحة منهم ، وبالسيوف المجردة وبالنار المحرقة ، حتى بقي القصر ومن به من خدمه قد تفرقت شيعه ، وتمزقت بدعه ، وخفت دعوته ، وخفيت ضالته .

فهناك تمت لنا إقامة الكلمة والجهر بالخطبة ، والرفع للواء السواد الأعظم ،

والجمع لكلمة السواد الأعظم ، وعاجل الله الطاغية الأكبر بفنائه ، وبرأنا من
عهدة يمين كان حشها أيسر من إثم إبقائه ، إلا أنه عوجل لفرط روعته ووافق
هلاك شخصه هلاك دولته .

ولما خلا ذرعنا ، ورحبُ وسعنا ، نظرنا في الغزوات إلى بلاد الكفار ،
فلم تخرج سنة إلا عن سنة أقيمت فيها براً وبحراً ، ومركباً وظهراً ، إلى أن
أوسعناهم قتلاً وأسرأ ، وملكنا رقابهم قهراً وقسراً ، وفتحنا لهم معاقلاً ما خطر
أهل الإسلام فيها منذ أخذت من أيديهم ، وما أوجفت فيها خيلهم ولا ركابهم
مذْ ملكها أعاديهم ، فمنها ما حكمت فيه يدُ الخراب ، ومنها ما استولت عليه يدُ
الاكتساب ، ومنها قلعة بثغر أيلة كان العدو قد بناها في بحر الهند ، وهو المسلك
منه إلى الحرمين واليمن ، وغزا ساحل الحرم فسبي منه خلقاً ، وخرق الكفر
في هذا الجانب خرقاً ، فسكادت القبلة أن يستوى على أصلها ، ومساجدُ الله أن
يسكنها غيرُ أهلها ، ومقامُ الخليل صلوات الله عليه أن يقوم به مَنْ ناره غيرُ برد
وسلام ، ومضجعُ الرسول شرفه الله أن يتطرقه مَنْ لا يدين بما جاء به من الإسلام ،
ففتح الله هذه القاعة وصارت معقلاً للجهاد ، وموئلاً لسفار البلاد ، وغيرهم من عباد العباد ،
فلو شرح ما تم بها للمسلمين من الأثر الجليل ، وما استند من خلاتهم ، وأحرق من
زرع المشركين ورعى من غلاتهم ، إلى أن ضعفت ثغورهم ، واختلت أمورهم ، لاحتيج
فيه إلى زمن يشغل عن المهمات الشريفة لسماع مودده ، وإيضاح مقصده .

وكان باليمن ما عُلم من ابن مهدي الضال وله آثار في الإسلام ، وثأر طالبه
النبي عليه الصلاة والسلام ، لأنه سبي الشرائف الصالحات وباعهن بالثمن البخس ،
واستباح منهن كل ما لا تقرر عليه نفس ، وكان يبدعه دعا إلى قبر أبيه وسماه كعبه ،
وأخذ أموال الرعايا المعصومة وأجاحها ، وأحلَّ القروج المحرمة وأباحها ، فأنهضنا

إليه أخانا بعسكرنا بعد أن تكلفنا له نفقات واسعة ، وأسلحة رائعة ، وسار فأخذناه
ولله الحمد ، وأنجح الله فيه القصد ، ووردتنا كتب عساكرنا وأمرائنا بما نفذ
في ابن مهدي وبلاده المفتحة ومعاقله المستضافة ، والكلمة هنالك بمشيئة الله
إلى الهند سارية ، وإلى ما لم يفتض الإسلام عُذْرَتَهُ منذ أقام الله كلمته متبادية .

ولنا في المغرب ، أثر أغرب ، وفي أعماله أعمال دون مطالبها كما يكون
المهلك دون المطلب ، وذلك أن بني عبد المؤمن قد اشتهر أن أمرهم أمر ، وملكهم
قد عمر ، وجيوشهم لا تطاق ، وأوامرهم لا تشاق ، ونحن والحمد لله قد ملكنا
مما يجاورنا منه بلاداً تزيد مسافتها على شهر ، وسيرنا عسكراً بعد عسكر رجع
بنصر بعد نصر ، ومن البلاد المشاهير ، والأقاليم الجاهير : - لك ، بقة ، قفصة ،
قسطيلية ، توزر .

كل هذه تقام فيها الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بالله — سلام الله عليه —
ولا عهد للإسلام بإقامتها ، وتنفذ فيها الأحكام بعلمها المنصور وعلامتها .

وفي هذه السنة كان عندنا وفد قد شاهد وفود الأمصار ، مقدار سبعة
راكباً كلهم يطلب لسلطان بلده تقليداً ، ويرجو منا وعداً ويخاف وعيداً .

وقد صدرت عنا بحمد الله تقاليدها ، وألقيت إلينا مقاليدها ، وسيرنا الخلع
والألوية ، والناشير بما فيها من الأوامر والأقضية .

وأما الأعداء الذين يحدقون بهذه البلاد ، والكفار الذين يقاتلونهم بالممالك
العظام والعزائم الشداد ، فمنهم : صاحب قسطنطينية وهو الطاغية الأكبر ،
والجبار الأكبر ، وصاحب المملكة التي أكلت على الدهر وشربت ، وقائم
النصرانية التي حكمت دولته على ممالكها وغلبت ، وجرت لنا معه غزوات بحرية ،
ومناقلات ظاهرية وسرية ، وكانت له في البلاد مطامع ، منها أن يجبي خراجاً ،

ومنها أن يملك منها فجاء ، وكانت غصة لا يسيفها الماء ، وداهية لا ترجى لها الأرض بل السماء ، فأخذنا والله الحمد بكظمه ، وأقمناه على قدمه ، ولم نخرج من مصر ، إلى أن وصلتنا رسالته في جمعة واحدة في نوبتين بكتاتين ، كل واحد منهما يظهر فيه خفض الجناح ، وإلقاء السلاح ، والانتقال من معاداة ، إلى مهاداة ، ومن مناصحة إلى مناصحة ، حتى إنه أنذر بصاحب صقلية وأساطيله التي يرد ذكرها ، وعساكره التي لم يخف أمرها .

ومن هؤلاء الكفار صاحب صقلية هذا ، كان حين علم أن صاحب الشام وصاحب قسطنطينية قد اجتمعا في نوبة دمياط ، فقلبا وهزما وكسرا ، أراد أن يظهر قوته المستقلة بمفردها ، وعزمته القائمة بمجردها ، فعمّر أسطولا استوعب فيه ماله وزمانه : فإنه إلى الآن منذ خمس سنين يُكثّر عدته ، وينتخب عدته ، ويختار مقاتلته إلى أن وصل منها في السنة الحالية إلى اسكندرية أمر رائع ، وخطب هائل ، وما أثقل ظهر البحر مثل حمله ، ولا ملأ صدره مثل خيله ورجله ، ما هو إقاييم بل أقاليم نقله ، وجيش ما احتفل ملك قط بنظيره لولا أن الله خذله ؟ ولو ذهبنا نصف ما ذهب ، فيه من ذهب ، وما أخذ منه من سلاح وخيل وعدد ومجانيق ، ومن أسر منه من خيالة كبار ومقدمين ذوي أقدار وملوك يقاطعون بالجمال التي لها مقدار ، وكيف أخذه وهو في العدد الأكثر بالعدد الأقل من رجالنا ، وكيف نصر الله عليه مع الأصعب من قتاله بالأسهل من قتالنا ، كَعَلِمَ أن عناية الله بالإسلام تغنيه عن السلاح ، وكفاية الله لهذا الدين تكفيه مؤنة الكفاح .

ومن هؤلاء الجنويين الذين يسربون الجيوش : البنادقة — البياشنة — الجنوبية ، كل هؤلاء تارة لاتطاق ضراوة ضرهم ، ولا تطفأ شرارة شرهم ، وتارة يجهزون سُنَّاراً ، يحتمكون على الإسلام في الأموال المجلوبة ، وتقتصر عنهم يد الأحكام

المرهوبة ؛ وما منهم الآن إلا من يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده ، ويتقرب إلينا بإهداء طرائف أعماله وبلاده ، وكلهم قد قررت معه المواقفة ، وانتظمت معه المسألة ؛ على ما نريد ويكرهون ، وتؤثروا ولا يؤثرون .

ولما قضى الله بالوفاة النورية ، وكنا في تلك السنة على نية الغزو ، والعساكر قد ظهرت ، والمضارب قد برزت ، ونزل الفرنج بانياس وأشرفوا على احتيازها ، ورأوها فرصة مدوا إليها يد انتهازها ، استصرخ بنا صاحبها للمانعة ، واستنهضنا لتفريج الكرب الواقعة ؛ فسرنا مراحل اتصل بالعدو أمرها ، وعوجل بالهدنة الدمشقية التي لولا مسيرنا ما انتظم حكمها ولا قبل كثيرها ولا قلياتها ؛ ثم عدنا إلى البلاد فتوافت إلينا الأخبار بما الدولة النورية عاياه من تشعب الآراء وتوزعها ، وتشتت الأمور وتقطعها ؛ وأن كل قلعة قد حصل فيها صاحب ، وكل جانب قد طمح إليه طالب ، والفرنج قد بنوا بلاداً يتحيفون بها الأطراف الإسلامية ، ويضايقون بها البلاد الشامية ، وأمراء الدولة قد سجنوا كبارهم وعوقبوا وصدروا ، والماليك الذين للمتوفى أغرار خلقوا للأطراف للصدور ، وجعلوا للقيام للمجلوس في الحنفل المحصور ، وقد مدّوا الأعين والأيدي والسيوف ، وساءت سيرتهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، وكل واحد يتخذ عند الفرنج يداً ، ويجعلهم لظهوره سنداً ويرفع عنهم ذخيرة كانت للإسلام ، ويفرج لهم عن أسير من أكابر الكفار كان مقامه مما يدفع شراً ، ولا يزيد نار الكفر جمرأً ، وإطلاقه يجلب قطيعة تقوى إسلاماً وتضعف كفرة ، فكثرت إلينا مكاتبات أهل الآراء الصائبة ، ونظرنا للإسلام ولنا ولبلاد الإسلام في العاقبة .

وعرفنا أن البيت المقدس إن لم تيسر الأسباب لفتحه . وأمر الكفر إن لم يجرد العزم في قلعه ، وإلا ثبتت عروقه ، واتسعت على أهل الدين خروقه ؛

وكانت الحجة لله قائمة ، وهم القادرين بالقعود آثمة ، وإنا لا نتمكن بمصر منه مع بعد المسافة ، وانقطاع العمارة وكلال الدواب ، وإذا جاورناه كانت المصلحة بادية ، والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد قريبة ، والغزوة ممكنة ، والميرة متسعة والخيول مستريحة . والعساكر كثيرة . والجموع متيسرة . والأوقات مساعدة . وأصلحنا ما في الشام من عقائد معتلة . وأمور مختلة . وآراء فاسدة ، وأمراء متحاسدة ؛ وأطماع غالبة ، وعقول غائبة ؛ وحفظنا الولد القائم بعد أبيه . وكفلناه كفالة من يقضى الحق ويوفيه ، فإننا به أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ، ويظهرون الوفاء بخدمة وهم عاملون بظلمه ؛ والمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ، ويؤكد الدعوة ؛ ويجمع الأمة ، ويحفظ الألفة ، ويضمن الزلفة ، ويفتح بقية البلاد . ويعطبق بالاسم العباسي كل ما تخطئه العهد — ونحن نقترح على الأحكام المعهودة ، وننتظر أن يأتى الإنعام على الغايات المزيدة ؛ وهو : تقليد جامع لمصر والمغرب واليمن والشام ، وكل ما تشتمل عليه الولاية النورية ، وكل ما يفتح الله للدولة بسيوفنا وسيوف عساكرنا . ولئن نقيمه من أخ وولد من بعدنا ، تقليدا يضمن للنعمة تخليدا . وللدعوة تجديدا ؛ مع ما ينعم به من السمات التي يقتضيها الملك ، فإن الإمارة اليوم بحسن نيتنا في الخدمة تصرف بأقلامنا . وتستفاد من تحت أعلامنا . ويتبين أن أمراء الدولة النورية يحتاج إليهم في فتح البلاد القدسية ضرورة : لأنها منازل العساكر ، ومجمع الأنفار والعشائر ، فمتى لم يكن عليهم يد حاكمة ، وفيهم كلمة نافذة ، منهم ولاية البلاد وبغاة العناد .

وبالجملة فالشام لا ينتظم أمره بمن فيه ، وفتح بيت المقدس ليس له قرن يقوم به ويكفيه ؛ والفرنج ، فهم يعرفون منا خصما لا يمل الشر حتى يملوا ، وقرنا لا يزال يحرم السيف حتى يحلوا ؛ حتى إننا لما جاورناهم في هذا الأمد القريب ، وعلموا أن المصحف قد جاء بأيدينا يخاصم الصليب ؛ استشعروا بفراق بلاهم . وتهادوا

التعازي لأرواحهم بأجسادهم ، وإذا سدّد رأينا حسنُ الرأي ضربنا بسيف يقطع
في غمده ، وبلغنا المنى بمشيئة الله ويد كل مسلم تحت برده ، واستنقذنا أسيراً
من المسجد الذي أسرى الله إليه بعبده .

هذا ما لاح طلبه على قدر الزمان . والأنفسُ تطلب على مقدار الإحسان ؛
فإن في استنهاض نيات الخدام بالإنعام ما يعود على الدولة منافع ، وتنكأ الأعداء
مواقعه ؛ وتبعث العزائم من موت منامها ، وتنفض البصائر غبار ظلامها ، والله
تعالى ينجد إرادتنا في الخدمة بمضاعفة الاقتدار ، ومساعدة الأقدار إن شاء الله تعالى .



صورة العهد الصادر عن ديوان الإنشاء ببغداد بتولية
صلاح الدين ملك مصر وأعمالها ، والصعيد الأعلى ، والاسكندرية
وما يفتحها من بلاد الغرب والساحل ، وبلاد اليمن وما افتتحه
منها ، ويستخلصه بعد من ولايتها .

عن : (الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ — ١٥٢)

« إِنَّ أَوَّلَىٰ مَنْ جَادَتْ رَبَّاعَهُ سُحْبُ الاضْطِنَاعِ ، وَخُصَّ مِنْ الاضْطِفَاءِ
والاجْتِبَاءِ بالصَّفَايَا والمِرْبَاعِ ، مَنْ تَرَسَّمَ اتِّهَاجَ الْجَدِّدِ الْقَوِيمِ ، والطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
المُسْتَقِيمِ ، واعتَاقَ مِنَ الْوَلَاءِ بِأَوْثَقِ عَصَمِهِ وَحِبَالِهِ ، والفناء الذي يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ
فِي مُتَصَرِّفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ ، والتَّحَلَّى بِجَمِيلِ الذِّكْرِ فِي سِيرَتِهِ ، وَخُلُوصِ الْاِشْتِنَاءِ
بِأُمُورِ رِعِيَّتِهِ ، وَكَانَ رَاغِبًا فِي اقْتِنَاءِ حَمِيدِ الْخِلَالِ ، مجتهدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِمَا
يُرْضِيهِ مِنَ الْعَدْلِ الْمَمْدُودِ الظَّلَالِ ، عَامِلًا فِيمَا يُنَاطُ بِهِ بِمَا يَتَضَوَّعُ نَشْرُ خَبَرِهِ ،
وَيُجْتَنَىٰ بُحْسِنِ صُنْعِهِ يَانِعُ ثَمَرِهِ ، بِإِذْلٍ وَسُعَةٍ فِي الصَّلَاحِ ، مُؤَذِّنَةً مَسَاعِيهِ
بِقُوَّةِ الْقِدَاحِ .

ولمَّا كَانَ الْمَلِكُ الْأَجَلُ ، السَّيِّدُ ، صَلَاحُ الدِّينِ ، نَاصِرُ الْإِسْلَامِ ، عِمَادُ الدَّوْلَةِ
بِجَمَالِ الْمُلْكِ ، فَخْرُ الْمِلَّةِ ، صَفَى الْخِلَافَةَ ، تَاجُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، قَامِعُ الْكُفَرَةِ
وَالْمُشْرِكِينَ ، قَاهِرُ الْخَوَارِجِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، عِزُّ الْمَجَاهِدِينَ ، أَلْبُ غَازِي بِلْكَ بْنِ
يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ — أَدَامَ اللَّهُ عُلوَّهُ — عَلَى هَذِهِ السَّجَايَا مُقْبِلًا ، وَبِصِفَاتِهَا
الْكَامِلَةِ مُشْتَمِلًا ، مُؤَثِّرًا تَضَاعُفَ الْمَآثِرَاتِ ، مُثَابِرًا عَلَى مَا تَزُكُّو بِهِ الْأَعْمَالُ

الصالحات ، متَحَلِّيًا بِالْمَحَامِدِ الرَّائِعَةِ ، مُسْتَبِدًّا بِالنَّقَائِبِ الَّتِي هِيَ لِجَمِيلِ أَعْمَالِهِ
مُوَافِقَةٌ مُطَابِقَةٌ ، مُحَصِّلًا مِنْ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى مَا يُؤَثِّرُهُ وَيُرْوِمُهُ ، [و] مِنْ طَاعَةِ
الدَّارِ الْعَزِيزَةِ — لَا زَالَتْ مُشِيدَةُ الْبِنَاءِ ، سَابِغَةُ النَّعْمَاءِ ، دَائِمَةُ الْإِسْتِبْشَارِ ،
عَزِيزَةُ الْأَنْصَارِ — [و] مِنْ اسْتِمْرَارِ الظَّفَرِ مَا يَسْتَدِيعُهُ — اقْتَضَتْ الْآرَاءُ
الشَّرِيفَةُ — لَا زَالَ التَّوْفِيقُ قَرِينَهَا ، وَالتَّأْيِيدُ مُظَافِرُهَا وَمُعِينُهَا — إِمْضَاءُ تَصَرُّفِهِ
وَإِنْفَازَ حُكْمِهِ فِي بِلَادِ مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا ، وَالصَّعِيدِ الْأَعْلَى ، وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ ،
وَمَا يَفْتَحُهُ مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِ وَالسَّاحِلِ ، وَبِلَادِ الْيَمَنِ وَمَا افْتَتَحَهُ مِنْهَا وَاسْتَغْلَاصُهُ بَعْدُ
مِنْ وَلَايَتِهَا ؛ وَالتَّعْوِيلُ فِي هَذِهِ الْوَلَايَاتِ عَلَيْهِ ، وَاسْتِنْقَاذُ مَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْكُفَّارُ
مِنْ الْبِلَادِ ، وَإِعْزَازُ كُلِّ مَنْ أَذَلُّهُ وَاضْطَهَدُوهُ مِنَ الْعِبَادِ ، لَتَعُودَ الشُّغُورُ بِبُيُوتِ
نَقِيبَتِهِ ضَاحِكَةِ الْمُبَاسِمِ ، وَبِإِصَابَةِ رَأْيِهِ قَائِمَةِ الْمَوَاسِمِ .

أَمْرَهُ بَادِنًا بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْجُنَّةُ الْوَاقِيَةُ . وَالذَّخِيرَةُ الْبَاقِيَةُ . وَالْعِصْمَةُ
الْكَافِيَةُ . وَالزَّادُ إِذَا أَنْفَضَ وَفَدُ الْآخِرَةُ وَأَرْمَلُوا ، وَالْعَتَادُ النَّافِعُ إِذَا وَجَدُوا
شَاهِدًا لَهُمْ وَعَالِيَهُمْ مَا عَمِلُوا : فَإِنَّهَا الْعِلْمُ الْمَنْصُوبُ لِلرَّشَدِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ — سُبْحَانَهُ — الْعِلْمَ الَّذِي بِهِ يَقْتَدِي . وَبِأَنْوَارِهِ
إِلَى حُدُودِ الصَّوَابِ يَهْتَدِي ، وَيَسْتَمِعَ لَزَوَاجِرِهِ وَمَوَاعِظِهِ ، وَيَعْتَبِرَ بِتَخْوِيفِهِ
وَمَلَا حِظِّهِ ، وَيُضْغِي إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَوَارِحِهِ وَلُبِّهِ ، وَيَعْمَلُ بِأَمْرِهِ الْمَحْكَمَةِ
وَيَقِفَ عِنْدَ نَوَاحِيهِ الْمُبْرَمَةِ ، وَيَتَدَبَّرَ مَا حَوَتْهُ آيَاتُهُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالزَّجْرِ
وَالْتَهْدِيدِ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى صَلَاتِهِ مُحَافِظًا ، وَلِنَفْسِهِ عَنِ الْإِخْلَالِ وَالتَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ

فَرَضَهَا وَاعِظًا ؛ فَيَفْتَنِمُ الاستعدادَ أمامَ أوقاتها للأداء، ويحترز من قَوَاتِهَا والحاجة إلى القِضاءِ ، مُوَفِّيًا حَقَّهَا من الرُّكُوعِ والسُّجُودِ ، على الوُصفِ الواجبِ المحدودِ ، مُخَاصِّيًا سِرَّهُ عندَ الدُّخُولِ فيها ، وَنَاهِيًا نَفْسَهُ عَمَّا يَصُدُّهَا بِالْأَفْكَارِ وَيُلْهِيَهَا ، مُجْتَهِدًا فِي تَنَقُّي الْفِكْرِ وَالْوَسْوَاسِ مِنْ قَلْبِهِ ، مُنْتَصِبًا فِي إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِرَبِّهِ : لِيَقْدُوْا بِوُصْفِ الْأَبْرَارِ مَنْعُوتًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) .

وَأَمْرَهُ بِقَصْدِ الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ فِي أَيَّامِ الْجَمْعِ ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ الْمُتَّبِعِ ، بِعَزِيمَةٍ فِي الْخَيْرِ صَادِقَةٍ ، وَنِيَّةٍ لِلْعِبَادَةِ مُوَافِقَةٍ ، وَفِي الْأَعْيَادِ إِلَى الْمَصَلَّاتِ الْمُضْحِرَةِ الْجَمَّةِ بِالْمَنَابِرِ الْحَالِيَةِ ، الَّتِي هِيَ عَنِ الْأَدْنَسِ مَطَهْرَةٌ نَائِيَةٌ ، فَإِنَّهَا مِنْ مَوَاضِعِ الْعِبَادَةِ وَمَوَاطِنِهَا وَمَظَانُّ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْمَأْمُورِ بِحِفْظِ آدَابِهَا وَسُنَنِهَا ، فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ وَفَّقَهُ لِتَحْمِيلِ مُؤْنَةِ بِالْعِبَادَةِ ، بِمَا أَوْضَحَ فِيهِ الْإِشَارَةَ ، وَشَرَّفَهُ بِوَضْعِ سِمَةِ الْإِيمَانِ عَلَيْهِ بِالْإِكْرَامِ الْفَاخِرِ ، فَقَالَ : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فَيُقِيمُ الدَّعْوَةَ الْهَادِيَةَ عَلَى الْمَنَابِرِ عَلَى عَادَةٍ مَنْ تَقَدَّمَ وَمُنْتَهِيًا فِيهَا إِلَى أَحْسَنِ مَا عَمِدَهُ وَعَلِمَهُ .

وَأَمْرَهُ بِلِزُومِ نَزَاهَةِ الْحُرُمَاتِ ، وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَالتَّحَلِّيِّ مِنَ الْعَفَافِ وَالْوَرَعِ بِأَجْمَلِ الْقَلَائِدِ الرَّائِقَةِ ، وَالتَّقَمُّصِ بِمَلَابِسِ التَّقْوَى الَّتِي هِيَ بِأَمْثَالِهِ لَا ثِقَةٌ ؛ وَسُلُوكِ مَنَاهِجِ الصَّلَاحِ الَّذِي يَجْمَلُ بِهِ فِعْلُهُ ؛ وَيُصِفُوهُ عَلَيْهِ وَنَهْيُهُ ؛ وَأَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْغَضَبِ ؛ وَيَرُدَّهَا عَمَّا تَأْمُرُ بِهِ مِنْ سُوءِ الْمُكْتَسَبِ ؛ وَيَأْخُذَهَا بِآدَابِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فِي نَهْيِهَا عَنِ الْهَوَى ؛ وَحَمْلِهَا عَلَى التَّقْوَى ؛ وَرَدِّهَا عَنِ التَّوَرُّطِ فِي الْمَهَاوِي وَالشُّبُهَةِ وَكُلِّ أَمْرٍ يَلْتَبِسُ فِيهِ الْحَقُّ وَيَشْتَبِهُ ؛ وَيُلْزِمُهَا الْأَخْذَ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ . وَالتَّأَمُّلِ لِمَكَانِ الْأَعْمَالِ فِيهِ وَاللَّمَحِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) .

وأمره بإحسان السيرة في الرعايا بتلك البلاد ، واختصاصهم بالصون الرامح
النقاد ، ونشر جناح الرعاية على البعيد منهم والقريب ، وإحلال كل منهم محله على
القاعدة والترتيب ؛ وإشاعة المعدلة فيهم ، وإسهام دانيهم من وافر ملاحظته
وقاصيهم ، وأن يحمي سرّهم من كل داعر ، ويدود عنهم كل مؤارب بالفساد
ومظاهر ، حتى تصفوا لهم من الأمن الشرائع ، وتصفوا عليهم من بركة ولايته
المدارع ، وتستغفر بضوء العدل منهم المطالع ، ويحترم أكابرهم ، ويحنو على
أصاغرهم ، ويشملهم بكنفه ودرعه ، وينتهى في مصالحهم إلى غاية وسعته ،
ولا يألوه في النصيح جهدا ، ولا يخلف لهم في الخير وعدا ، ويشاورهم في أمره فإن
المشورة داعية إلى الفلاح ، ومفتاح باب الصلاح ، قال الله تعالى : (فَاسْفُحْ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ) .

وأمره بإظهار العدل في الرعية التي تضمها جميع الأكناف والأطراف ،
والتحلي من النصفة بأكل الأوصاف ، وتحل كافتهم على أقوم جدد ، وعصيان
الهوى في تقويم كل أود ، والمساواة بين الفاضل والمنفصول في الحق إذا ظهر صدق
دليله ، والاشتمال عليهم بالأمن الذي يعذب لهم برؤد مقيله ، وكشف ظلامه
من انبسطت إلى تحيفه الأيدي والأطماع ، وأعجزته النصرة لنفسه والدفاع ،
وتصفح أحوالهم بعين لا تنو إلى هوى يميل بها عن الواجب ، وتسمع لا يصغي
إلى مقالة مائن ولا كاذب ، ولا يغفل عن مصلحة تعود إليهم ، ويرجع نفعها
عليهم ، ولا عن كشف ظلمات بعضهم عن بعض ، وردهم إلى الحق في كل
رفع من أحوالهم وخفض ، فلا يرى إلا بالحق عاملا ، وللأمر على سنن الشريعة
حاملا ، مجتنباً إغفال مصالحهم وإهمالها ، وحارساً نظامها على تتابع الأيام واتصالها ،

ليكون ذلك إلى وفور الأجر داعياً ، وبحسن الأحدثنة قاضياً ، مقتدياً بما نطق به القرآن . (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) .

وأمره أن يأمر بالمعروف ويقيم مناره ، وينهى عن المنكر ويمحو آثاره ، فلا يترك ممكناً من إظهار الحق وإعلانه وقمع الباطل وإخماد نيرانه ، ويعتمد مساعدة كل مرشد إلى الطريق الأقصد ، ونأه عن التظاهر بالمحذور في كل مشهد ، وكل من تضحى معونته مشاركة في إحراز المثوبة ومساهمة ، ومساومة في اقتناء الأجر ومقاسمه ، وأن يوعز بإزالة مظان الریب والفساد في الدانى من الأعمال والقاصى ، فإنها مواطن الشيطان وأماكن المعاصى ، وأن يشد على أيدي الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، ويعينهم على ذلك بما يطيب ذكره في كل مشهد ومحضر ، ويجتهد في إزالة كل محذور ومنكر ، مقدم في الباطل ومؤخر ، قال الله تعالى : (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) .

وأمره أن يقدم الاحتياط في حفظ الثغور ومجاوريها من الكفار ، ويستعمل غاية التيقظ في ذلك والاستظهار ، ليأمن عليها غوائل المسكايد ، ويفوز من التوفيق لذلك بأنواع الحماد ، ويتجرّد لجهاد أعداء الدين والانتقام من الكفرة المارقين أخذاً بقول رب العالمين : (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

وأن يعمل فيما يحصل من الغنائم عند قلّ جموعهم ، وافتتاح بلادهم وربوعهم ، بقول الله وما أمر به في قسمتها ، وإيفاء كل صاحب حصته منها ؛ سالكا سبيل من غدا لآثار الصالح مقتفيا ، وللغرض في ذلك مؤديا ، وبهدى ذوى الرشد مهتديا ، قال الله تعالى في محكم التنزيل : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) .

وأمره أن يجيبَ إلى الأمان مَنْ طلبه منه ، ويكونَ وفاؤه مقترنا بما تضمنه ،
غير مُضْمِرٍ خلافَ ما يُعطى به صفقة أمانه ، ويحتنبَ الغدرَ وما فيه من العار ،
وإسقاط الملك الجبار ، قال الله عز وجل : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ،
وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) .

وأمره بأن يأمر أصحابَ المعاون بمساعدة القضاة والحكام ، ومعوتهم
بما يقضى [يَلْمُ] شملِ الصلاح في تنفيذ القضايا والانتظام ، وأخذ الخصوم
بإجابة الداعي إذا استحضر [وإلى] أبوابهم للإنصاف ، والمصارعة إلى الحقِّ
الواجب عليهم من غير خلاف ، قال الله تعالى : (وَأَكْثُرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) .

وأمره بالتعويل في المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة على مَنْ يأوى
إلى عفافٍ ودين ، وعِلْمٍ بأحكام الشريعة وصحة يقين ، لا يَخْفَى عليه ما حرّمه
اللهُ تعالى وأحلّه ، ولا يلتبس على علمه ما أوضح إلى الحقِّ الواضح سُبُلَه ؛ وإلى
من يتولى المظالم بإيصال الخصوم إليه ، وإنصافهم كما أوجب الله تعالى عليه ؛
واستماع ظلاماتهم ، وإحسان النظر في مشاجراتهم ، فإن أسفر للحقَّ ضياءً تبعه ،
أو اشتبه الأمرُ رَدّه إلى الأحكام ورفع . و [إلى] الناظر في أسواق الرقيق بالاحترار
والإستظهار ، وتعرية الأحوال من الشبه في امتزاج العبيد بالأحرار . لتضحى
الأنسابُ مصونةً مرعية ، والأموالُ عن التلم محروسةً محمية ، وإلى من ينظر
في الحسبة بتصفح أحوال العامة في متاجرهم وأموالهم ، وتتبع آثار صحتهم في المعاملة
واعتلالهم . واعتبار الموازين والمكاييل ، وإلزام أربابها الصحة والتعديل ؛
قال الله سبحانه وتعالى : (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) .

وأن يُعْمَلَ الجفنَ في تطهير البلاد ، من كلِّ مدخول الاعتقاد ، معروف

بالشبه في دينه والإلحاد، ومن يسعى منهم في الفساد، ويأمر المرتبين في المراكز والأطراف باقتناصهم، وكف فسادهم وإجلالهم عن عراضهم، وأن يجري عليهم في السياسة ما يجب على أمثالهم من الزنادقة والذين توبتهم لا تقبل؛ وأمرهم على حكم المخاطبين لا يحمل، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ).

وأمره أن يتلقى النعمة التي أفرغت عليه، وانسأقت إليه؛ بشكر ينطق به لسانه، ويترجم عنه بيانه: ليستديم بذلك الإكرام؛ ويقترن الإحسان عنده بالالتزام؛ وأن يوفيهما حقهما من دوام الحمد، والقصد إلى شكرها والعمد؛ قال الله تعالى: (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ).

وليعلم أن أمير المؤمنين قد بين له من الصلاح ما اتضحت أعلامه؛ وأثبتت في المرامي سهامه؛ وأرشد إلى ما أودع هذا المنشور من جدد الفوز بمرضاء الله تعالى وشكر عباده؛ عاملاً في ذلك بمقتضى جدّه واجتهاده؛ ليحرز السبق في دنياه وعقباه؛ ويتوفر عنده ما منحه به مما أرهف عزمه وحباه؛ وغدا بمكانه رافلاً في ملابس الفخر والبهاء؛ نائلاً منّي ما طال به مناكب القرناء؛ واختصّ بما أعلى درجته، فتقاعست عنه آمال حاسديه وتفرّد بالمكانة عن مقام من يباريه ويناويه؛ وأولى من الإنعام ما أمّن به سرب النعمة عنده؛ وأصنى من مناهل الإحسان ورده؛ وأهدى إليه من المواعظ ما يجب أن يودعه واعية الأسماع؛ يأخذ بالعمل به كلّ راع؛ فينهج — أدام الله علوه — محاجّ الولاء؛ الذي عهد من أمثاله من الأولياء؛ متزهاً عن تقصير منه في عامة الأوقات؛ ومراعياً أفعاله في جميع التصرفات؛ ويعلم أنه مستؤلّ عن كل ما تلفظ به لسانه ناطقاً؛ ونظر طرفه إليه رامقاً؛ قبل أن يجانب هواه؛ ويبقى رهيناً بما اكتسبت يده؛

ولا يغترّ من الدنيا وزخرفها بفرار ليس الوفاء من طباعه ؛ ومُعير ما أقصر مدة
ارتجاعه ! وسبيلُ كافة القضاة والأعيان ومقدّمى العساكر والأجناد ؛ ورؤساء
البلاد ؛ متابعته وموافقته ؛ وطلب مصالحهم من جنابه ؛ والتصرفُ على استصوابه ؛
وقد أُكِّدَتْ وصائهُ في الرفق بهم والاشتغال عليهم ؛ والإحسان إليهم ،
وإجمال السيرة فيهم ؛ وكلما أشكل عليه أمرٌ من المتجددات يُطالع به الديوان
العزیز — مجده الله تعالى — لينهِّج له السبيل إلى فتح رِثايجِه ؛ وسلوك منهاجِه ؛
واللهُ وليُّ التوفيق والهداية ، وجمع الكلمة في كل إعادة وبداية ؛ والمعونة على
العصمة من الزلل ؛ والتأييد في القول والعمل ؛ إن شاء الله تعالى ؛ وهو حسبنا
ونعم الوكيل .



كان صلاح الدين قد أناب عنه في سنة ٥٨٢ ابنه العزيز
في حكم مصر، وأقطع أخاه العادل مديرية الشرقية، فغضب
ابن أخيه تقي الدين عمر، وأخذ يعد العدة للمسير بجيشه لفتح
المغرب، يلتبس لنفسه ملكا هناك، وهذه قطعة من خطاب
بقلم القاضي الفاضل أرسله صلاح الدين إلى ابن أخيه تقي الدين عمر
في هذا المعنى .

عن (أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٠)

سببُ هذه الخدمة ما اتصل بالملوك من تردد رسائل مولانا في التماس السفر
إلى الغرب ، والدستور إليه .

(يكفي الزمانُ فما لنا نستعجل) .

يامولانا : ما هذا الواقعُ الذي وقع ، وما هذا الغريمُ من الهمِّ الذي ما اندفع ،
بالأمس ما كان لكم من الدنيا إلا البُلغة ، واليوم قد وهب الله هذه النعمة ،
وقد كان الشملُ مجموعا ، والهمُّ مقطوعا بمنوعا ، أفصبحُ الآن الدنيا ضيقةً علينا وقد
وسعت ؟ والأسبابُ بنا مقطوعة ، ولا والله ، ما انقطعت ؟ .

يامولانا : إلى أين ؟ وما الغاية ؟ وهل نحن في ضائقةٍ من عيشٍ ، أو في قلةٍ
من عددٍ ، أو في عديمٍ من بلادٍ ، أو في شكوى من عديمٍ ؟ .

كيف نختارُ على الله وقد اختار لنا ؟ وكيف ندبر لأفئدتنا وهو قد دبر لنا ؟

وكيف نَفْتَجِعُ الْجُذْبَ ونَحْنُ فِي دَارِ الْخَصْبِ ؟ وكيف نَعْدِلُ إِلَى حَرْبِ الْإِسْلَامِ
الْمُنْهِي عَنْهَا ونَحْنُ فِي الْمَدْعُو إِلَيْهَا مِنْ حَرْبِ أَهْلِ الْحَرْبِ ؟ .

مَعَاشِرُ الْخُلَدَامِ وَالْجِيْشِ وَأَرْبَابُ الْعُقُولِ وَالْآرَاءِ أَلَيْسَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ؟ !
تَعَقَّبَ الرَّأْيَ ، وَانْظُرْ فِي أَوَاخِرِهِ فَطَالَمَّا التَّهْمَتُ قُدِّمًا أَوْانُلَّهُ
لَا زَالَ مَوْلَانَا يُمَضَى الْآرَاءُ صَائِبَةً ، وَيَلْحَظُهَا بَادِيَةٌ وَعَاقِبَةٌ ، وَلَا خَلَّتْ مِنْهُ
دَارٌ — إِنَّ خَلَّتْ — فَهِيَ هَاتِ أَنْ تُعْمَرَ ، وَلَا عَدَمَتُهُ أَيَّامٌ إِنَّ لَمْ تَطْلُعْ فِيهَا شَمْسُ
وَجْهِهِ دَخَلَتْ فِي عِدَادِ اللَّيَالِي فَلَمْ تُذَكَّرْ .



خطاب بقلم القاضي الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين
إلى ديوان الخلافة ببغداد يعتذر له عن تأخر الكتب ، ويذكر له
خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك النصرانية
من الروم والفرنج .

عن : (القفشندي : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٥١٥ — ٥١٦)

سلامُ الله الأُطيب ، وبركاته التي يستدرّها الحُضْرُ والغُيْبُ ؛ وزكواته التي ترفعُ
أولياءه إلى الدَّرَج ، ونِعَمُه التي لم تجعلْ على أهلِ طاعته في الدين من حرج
— على مولانا سيد الخلق ، وسادِّ الخرق ، ومُسَدِّدِ أهل الحق ، ولا بسِ الشعارِ
لأظهرِ سواداً ، ومُسْتَحَقِّ الطاعة التي أَسْعَدَ اللهُ مَنْ خَصَّهُ بِهَا بَدْءاً وَمَعَاداً ،
ومولى الأُمّةِ الذي تشابه يومُ نداءه وبأسِه إن ركضَ جُوداً أو جواداً ؛ ووَاحِدِ
الدَّهْرِ الذي لا يُثْنَى وإليه القلوب تُثْنَى ، ولا يقبلُ اللهُ جمعاً لا يكون لولائه
جَمْعٌ سلامةٍ لا جَمْعٌ تكسير ، ولا استقبَالَ قِبْلَةٍ ممن لا تكون محبته في قلبه
تقيم واسمه في عمله إلى الله يسير ، مولانا أمير المؤمنين ، وعلى آبائه المائى الأرضَ
عدلاً ، المِلَاءَ أهلاً وفضلاً ، والضاربين فيصلاً والقائلين فصلاً ، وَمَنْ تقولُ الجنةُ
لأهلها بهم أهلاً ، المخصوصين بالعناية الإلهية ، الحاكين فكلُّ أمةٍ بطاعتهم مأمورة
وعن معصيتهم منهيّة ، والمشرقي الأسارى على أسرّة الشرف فكم ملأتُ البهوَ
مناظرهم البهية .

المملوك يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بإعظامه ؛

والبساطَ الْمُقْبَلَ بطول استلامه ، والسِّرَ الذي أسبله اللهُ على العباد بتحيته وسلامه ؛ وينهى أنه آخرُ الخَدَمِ عن أن ينتظم الأوقات المتجددة ، ويقتضب الحالات المتجردة ، والرسَل عن أن تتوارد دراكا ، وتتوالى وشاكا ؛ والإنهاءاتِ عن أن تثبت بالمقامات الشريفة النبوية ، ومجالس العرض العلية ؛ ما انتهت إليه الأقدار ، وما أفضى إليه من كثير المناجع وقليل الأعذار ؛ فإن أدب الأملِ عن المطالعة كالصوم لا يُفَضُّ ختامه ، ولا يُحَلُّ نظامه إلا بُعِيدَ يطلعُ هلاله مبشراً ، ويُبَيِّثُ خبره في الآفاق مُعْطِراً ، فلو أن متكلفاً أفطر قبل مواعده ، وورد الماء قبل مورده ، لكان مفسداً لعقده ، ناكثاً لعده .

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبار بجانبه مشتبهة ، والحقائق لديه غير متوجّهة ، فإن طاغيتي الكفر بقسطنطينية وصقلية كانا قد أوقدا للحرب ناراً ، ورفعاً لها أوزاراً ، واتخذتا لها أسطولا جارياً وعسكراً جراراً ، وتباريا ولم يزد الله الظالمين إلا تباراً ؛ وكتباً إلى الفرنج بعد انهزامهم بالنجدة والنصرة ، وتضمننا لهم الخروج والكره ، ويصفان ما استعدا به بما لا يُعبر عنه إلا بالكثرة ، واستطارت الشناعة وتداولتها الألسن ، وخرجت من الأفواه حتى لقد كادت تدخل فيما رأتها الأعين ، وورد إلى المملوك رسولٌ من طاغية القسطنطينية ، وهو أقدم ملوك النصرانية قدماً وأكثرهم مالا منتمى ، فعرض عليه مواءمةً يكون بها عسكره مودعاً ، ويكون له بها مفرعاً ، له ولصاحب صقلية الذي زعم أنه أصل للشر يكون الشر منه مُفَرَّعاً ؛ فلم . . . ولم يجب إلى السلم ، ولم يَزَعْهُ أن عسكره — خذله الله — مُبَارٌّ في البرِّ وفي اليمِّ ، إن شاء الله تعالى .

رسالة بقلم القاضي الفاضل مرسله من السلطان الملك الناصر
صلاح الدين إلى أخيه الملك العادل أبي بكر بشأن انتصار
الأسطول المصرى بقيادة أميره حسام الدين لؤلؤ على أسطول
الصليبيين الذى جرؤ فعبر مياه البحر الأحمر قاصداً مهاجمة مدينتى
مكة والمدينة وذلك فى شوال سنة ٥٧٨ .

(عن : أبو شامة : الروضين ، ج ٢ ، ص ٣٦)

« وصل كتابه المؤرخ بخامس ذى القعدة المُسفر عن المُسفر من الأخبار ،
المتبسم عن المتبسم من الآثار ، وهى نعمة تضمنت نعماً ، ونصرة جعلت الحرم حراماً ،
وكفاية ما كان الله ليؤخر معجزة نبيه — صلى الله عليه وسلم — بتأخيرها ،
وعجوبة من عجائب البحر التى يُحدث عن تسييرها وتسخيرها ، وما كان الحاجب
لؤلؤ فيها إلا سهماً أصاب ، وحيداً مُسدّده ، وسيفاً قطع ، وشكيراً مُجرّده ، ورسولاً
عليه البلاغ وإن لم يجهل ما أثرته يده ، وقد غبطناه بأجر جهاده ، ونُجح اجتهاده ،
ركب السيلين : براً وبحراً ، وامتنى السابقين : مركباً وظهراً ، وخطا فأوسع
الخطو ، وغزا فأنجح الغزو ، وحبذا العنان الذى فى هذه الغزوة أُطلق ، والمال
الذى فى هذه الكثرة أنفق .

وهؤلاء الأسارى فقد ظهوروا على عورة الإسلام وكشفوها ، وتطرقوا بلاد
القبلة وتطوّفوها ، ولو جرى فى ذلك سبب — والعياذ بالله — لضاقت الأعذار

إلى الله والخلق ، وانطلقت الألسن بالمدّمة في الغرب والشرق ، ولا بد من تطهير الأرض من أرجاسهم ، والهواء من أنفاسهم ، بحيث لا يعود منهم مُخْبِرٌ يدلُّ الكُفَّارَ على عورات المسلمين ، وإن هذا العدد القليل ، قد نال ذلك المنال الجليل ، وهذا مقام إن روعى فيه حراسة الظاهر ، والوفاء للكافر ، حدث الفتقُ الذى لا يمكن فى كل الأوقات سدُّه وَرَتَّقُهُ ، ولدغ المؤمن مرتين ، والأولى تكفى لمن له فى النظر تَنَقُّهُ .



قطعة من خطاب ثالث بقلم القاضي الفاضل ، مرسل من
صلاح الدين - وكان في الشام - إلى أخيه العادل - في مصر -
بشأن الانتصار سالف الذكر ، وفيه يأمره بالإسراع بقتل أسرى
الفرنج حتى لا يبقى منهم أحد يخبر بطريق ذلك البحر (الأحمر) .

عن : (أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٦)

« ونحن نهني المجلس السامي بظفروه ولم لا يكمله وينصره ؟ ولم لا يعجبه
ويشكره ؟ وليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع في إبقائهم
فُسحة ، ولا في استبقاء واحدٍ منهم مصلحة ، ولا في التفاوض عنهم عند الله
عُذْرٌ مقبول ، ولا حُكْمُ الله في أمثالهم عند أهل العلم بِمُشْكِلٍ ولا مجهول ،
فليُمضِ العَزَمَ في قتلهم ، ليتناهي أمثالهم عن فعلِهِمْ ، وقد كانت عزيمة ما طُرِقَ
الإسلامُ بمثلها ، وقد أتى الله بعدها بلطفيةٍ أجزاها على يد من رآه من أهلها » .

قطعة من خطاب ثالث بقلم الفاضل مرسل من صلاح الدين
إلى العادل في مصر يكرر فيه ضرورة القضاء على أسرى الفرنج
في الموقعة السابقة الذين جروا على اجتياز بحر الحجاز .

عن : (أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٦ — ٣٧)

« قد تكرر القول في معنى أسارى بحر الحجاز ، فلا تذر على الأرض
من الكافرين دياراً ، ولا توردهم بعد ماء البحر إلا ناراً ، فأقلهم إذا بقي جنى
الأمر الأصعب ، ومتى لم تعجل الراحة منهم وعدت العاقبة بالأشق الأتعب » .



قطعة من خطاب آخر مرسل من صلاح الدين إلى الخليفة
في بغداد بشأن الغزوة الفرنجية سالفة الذكر في البحر الأحمر .

عن : (أبوشامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٧)

« وسارت المراكب الإسلامية طالبة شوكة المراكب الحربية المتعرضة
للمراكب الحجازية واليمينية ، وكانت مراكب العدو قد أوغلت في البحر ، ودلها
على عورات الساحلين من العرب من أشبه رُكَّابها في الكُفر ، فوصلت
إلى عَيْذاب فلم ينل منها مرادًا ، غير أن ما وجدته في طريقها أو في فُرْضة
عَيْذاب نالت منه وشَعَّتْ ، وأفسدت فيه وَعَثَتْ ، وتمادت في الساحل الحجازي
إلى رابع إلى سواحل الحوراء ، وهناك وقع عليها أصحابنا وأوقعوا بها أشد إيقاع ،
وأخذوا المراكب الفرنجية على حكم البدار والإسراع ، فَمَرَّ فَرُجُّها إلى الساحل ،
فركب أصحابنا وراءهم خيول العربان التي وجدوها ، وأخذوا الكُفَّار من شُعَابِ
وجبال اعتصموا بها وقصدوها ، وكفى المسلمون أشدَّ فساد في أرضهم ، وأقطع
قاطع لفرَضهم ، وانبسطت آمالهم بقبضهم ، وعميت على الكُفَّار هذه الطريق
التي لو كشف لهم غطاؤها قدما ، ولو أحاطوا بها علما ، لاشتطت نكائتهم ،
واشتدت جنائيتهم ، وعَزَّ على قدماء ملوك مصر أن يصرعوا هذه الأقران ، ويطفئوا
هذه النيران ويركبوا غوارب اللجج ، ويرخصوا غوالي المهج ، ويقتنصوا هذا
هذا الطائر من جوِّه الذي لا يدرك لوحه ، ويدركوا هذا العدو الذي لا يدرك
إلا أن تُستنجد عليه ملائكة الله وروحُه . »

قطعة من خطاب آخر مرسل من صلاح الدين إلى الخليفة
بيغداد بشأن غزوة الفرنج سالفة الذكر في البحر الأحمر ، وبهذا
الخطاب تفصيلات جديدة هامة .

عن (أبوشامة : الروضتين ؛ ج ٢ ، ص ٣٧)

« كان الفرنج قد ركبوا من الأمر نكراً ، وافترضوا من البحر بكرة ،
وعمرّوا مراكب حربية شحنها بالمقاتلة والأسلحة والأزواد ، وضربوا بها سواحل
اليمن والحجاز ، وأنحنوا وأوغلوا في البلاد ، واشتدت مخافة أهل تلك الجوانب ، بل
أهل القبلة لما أومض إليهم من خلل العواقب ، وماظن المسلمون إلا أنها الساعة
وقد نشر مطويئ أشراطها ، والدنيا وقد طوى منشور بساتها ، وانتظر غضب
الله لفناء بيته المحرّم ، ومقام خيله الأكرم ، وتراث أنبيائه الأقدم ، وضريح
نبيه الأعظم — صلى الله عليه وسلم — ورجوا أن تشهد البصائر آية كآية هذا
البيت إذ قصده أصحاب الفيل ، ووكلوا إلى الله الأمر ، وكان حسبهم ونعم الوكيل .

وكان للفرنج مقصدان : أحدهما قلعة أيلة ، التي هي على فوهة بحر الحجاز
ومداخله ، والآخر الخوض في هذا البحر الذي تجاوره بلادهم من ساحله ،
وانقسموا فريقين ، وسلكوا طريقين : فأما الفريق الذي قصد قلعة أيلة فإنه
قدّر أن يمنع أهلها من مورد الماء الذي به قوام الحياة ، ويقاثلهم بنار العطش
المشوب الشباه ؛ وأما الفريق القاصد سواحل الحجاز واليمن ، فقدّر أن يمنع
طريق الحاج عن حجّه ، ويحول بينه وبين فجه ، يأخذ تجار اليمن وأكارم

عدن ، ويُلمَّ بسواحلِ الحجاز ، فيستبيح — والعياذ بالله — المحارم ، ويهيج جزيرة العرب بعظيمة دونها العظام . //

وكان الأخ سيفُ الدين بمصر قد عمَّر مراكبَ وفرَّقها على الفرقتين ، وأمرها بأن تطوى وراءهم الشقتين : فأما السائرةُ إلى قلعة أَيْلَة فإنها انقضت على مرابطى الماء انقضا الجوارح على بنات الماء ، وقذفتها قذْفَ شُهْبِ السماء ، مسترقى سمع الظلماء ، فأخذتْ مراكبَ العدوِّ برُمَّتْها ، وقتلتْ أكثرَ مقاتلتها إلا من تعاق بهِضْبَة وما كاد ، أو دخل في شُعبٍ وما عاد ، فإنَّ العربانِ اقتصوا آثارهم ، والتزموا إحضارهم ، فلم ينبجُ منهم إلا من ينهى عن المعاودة ، ومن قد عَلِمَ أَنَّ أَمْرَ الساعةِ واحدة ؛ وأما السائرةُ إلى بحرِ الحجاز فتبادت في الساحلِ الحجازى إلى رابعِ وسواحلِ الحوراء ، فأخذتْ تُجَارًا ، وأخافت رفاقًا ، ودلَّها على غوارب البلاد من الأعراب مَنْ هو أشدُّ كفرًا ونفاقًا ، وهناك وقع عليها أصحابنا ، وأخذت المراكبُ بأسرها ، وفرَّ فرُنُجها بعد إسلام المراكب ، وسلَكوا في الجبال مهاوى المهالكِ ومعاطن المعاطب ، وركب أصحابنا وراءهم خَيْلَ العربِ يشلونهم شلا ، ويقنصونهم أسرا وقتلا ، وما زالوا يتبعونهم خمسةَ أيامٍ خيلا ورجلا ، نهاراً وليلاً ، حتى لم يتركوا عنهم خبرا ، ولم يُبقوا لهم أثرا ، (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا) وقيد منهم مائة وسبعون أسيرا .

قطعة من خطاب مرسل من صلاح الدين - وكان بالشام -
إلى الخليفة في بغداد ينقل إليه أخبار بعض انتصارات أسطوله
على الفرنج في البحر المتوسط ، وبعض انتصارات عسكره
في المغرب .

عن : (أبوشامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٧)

« ومن جملة البشائر النواصلة من مصر عَوْدُ الأسطولِ مرةً ثانيةً كاسراً
كاسباً ، غانماً غالباً ، بعد نكايته في أهل الجزائر ، وإخراجه ما وجده فيها من
الأعمالِ والعمائر ، ومن جملة ما ظفر به في طريقة : بطشةٌ من مراكب الفرنج
تحمّل أخشاباً منجورة إلى عكا ، ومعها نجارون ليبنوا منها شوانى ، فأسيرَ النجارون
ومَن معهم ، وهم نَيْفٌ وسبعون ، وأما الأخشاب فقد انتفع بها المجاهدون ، وكفى
شرّها المؤمنون ، وللخادم في المغربِ عسكرٌ قد بلغت أقصى إفريقية فتوحه ،
وعاود به شخص الدين في تلك البلاد روحه » .

خطاب بقلم القاضى الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين
إلى « بردويل » أحد ملوك الفرنج ، وهو يومئذ مستول على
بيت المقدس وما معه ، معزياً له فى أبيه ، ومهنئاً له بجلوسه
فى الملك بعده .

عن : (الملقشندى : صبح الأمشى ، ج ٧ ، ص ١١٥ — ١١٦)

أما بعد — خصَّ الله الملكَ المعظمَ حافظَ بيت المقدس بأجلدِّ الصاعد ،
والسَّعد الساعد ، والحظَّ الزائد . والتوفيق الوارد ، وهنأه من ملك قومه ما ورثه ،
وأحسن من هداه فيما آتى به الدهرُ وأحدثه ؛ فإن كتابنا صادر إليه عند ورود
الخبر بما ساء قلوب الأصاقد ، والنَّغي الذى ودَّنا أن قائله غيرُ صادق ؛ بالملك
العادل الأعزَّ الذى لقاءه الله خيرَ ما لقي مثله ، وبَلَغ الأرضَ سعادته كما بَلَغَ محلَّه ؛
مُعزِّ بما يجب فيه العزاء ، ومتأسِّفٌ لفَقْدِهِ الذى عَظُمَتْ به الأرزاء ؛ إلا أنَّ الله
سبحانه قد هَوَّنَ الحادث ، بأن جعل ولدَهُ الوارث ، وأنسى المصاب ، بأن
حَفِظَ به النَّصاب ، ووهبه النعمتين : الملكَ والشَّباب ، فهنيئاً له ما حاز ، وسَقياً
لقبر والده الذى حَقَّ له الفداء لو جاز ؛ ورسولُنا الرئيسُ العميدُ مختار الدين
أدام الله سلامته قائمٌ عنا بإقامة العزاء من لسانه ، ووَصَفَ ما نالنا من الوحشة
لفراق ذلك الصديق وخلوِّ مكانه ، وكيف لا يستَوْحِش ربُّ الدار لفُرْقَةٍ
جيرانه . وقد استفتحنا الملك بكتابنا وارتبادنا ، ووَدَّنا الذى هو ميراثُهُ عن والده

من ودّادنا ، فليلقَ التحيّةَ بِمثلها وليأتِ الحسنة ليكون من أهلها ، وليعلم أنّ له
كما كنا لأبيه : مودّةً صافيةً ، وعقيدةً وافيةً ، ومحبةً ثبت عقدها في الحياة
والوفاة ، وسريّةً حكمتُ في الدنيا بالموافاة ، مع ما في الدين من المخالفات .
فليسترسل إلينا استرسالَ الواثق الذي لا يخجلُ ، وليعتمدَ علينا اعتمادَ الولد الذي
لا يحملُ عن والده ماتحمّل ، والله يديمُ تعميره ، ويحرُسُ تأميره ، ويقضى له
بموافقة التوفيق ، ويلهمهُ تصديقَ ظنِّ الصديق .



قطعة من خطاب مرسل من القاضي الفاضل إلى السلطان
صلاح الدين في نفس السنة ٥٨٢ بشأن موقف أخيه العادل
وابن أخيه المظفر تقي الدين عمر منه وطمعهما في ملك
يطمئنان إليه .

(عن : أبو شامة الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧١)

« الملكُ العادلُ والملكُ المظفرُ المذكوران ما هما أخٌ وابنُ أخٍ ، بل هما ولدان
لا يعرفان إلا المولى والدأ ومنعماً ، وكل واحد منهما له عُشٌّ كثيرُ الفراخ ،
وبيتٌ كرقعةِ الشطرنج فيه صغارٌ وكبار كالتيادق والرخاخ ، فلا يُقْنَعُ كلٌّ واحدٍ
منهما إلا طرفٌ يملكه وأقليمٌ يتفرّد به ، فيُدَبِّرُ مولانا في ذلك بما يقتضيه
صدره الواسعُ وجوده الذي ما نظَرَ مثله الناظرُ ولا سمع السامع ، ولا ينسى قول
عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — :

« مروا القرابة أن يتزاورا ولا يتجاورا » .

وما على مولانا عجلةٌ في تدبيرٍ يدبّره ولا في أمرٍ يبنيّه ، (وستبدى لك الأيامُ
ما كنتَ عارفاً) .

وفي غدٍ ما ليس في اليوم ، ولله أقدارٌ ، ولها أمد ، وقد رزق الله مولانا
ذريةً تودُّ لو قدمتْ أنفسها بين يديه ، ولو اكتحلتْ أجفانها بغبارِ قدميه ،

ما فيها مَنْ يُشْكِي منه إلا التَّزِيدُ في الطَّلَبِ ، وهو من بابِ الثَّقَةِ بِكُرمِ المُنعمِ ،
ولهم أولادٌ ، والمولى مَدَّ الآمالَ لهم ، كما قال مولى الأمة :

« تناكحوا ، تناسلوا ، فإني مكاثرتُ بكم الأمم » .

طلما قال لهم المولى : « لِدُوا ، وَعَلَى تَجْهِيْزِ الإناثِ . وغنى الذكور ، وسواء
على أفق هذا البيت طلوعُ الشمس والبدور » .



خطاب بقلم القاضى الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين
فى جواب كتاب ورد عليه مخبراً فيه بالحركة للقاء العدو .

عن : (الفاضلى : صبح الاعشى . ج ٧ . ص ١١١ — ١١٢)

وَرَدَ عَلَى الْمَمْلُوكِ — أدام الله أيامَ المجلس العالى المَلِكِيّ الناصريّ ،
ونصره على أعدائه ، وملّكه أرضه بقَدْلِ حكم سَمائِهِ ، ولا أَخْلَى من نِعْمَتِي خيره
ونظَره قلوبَ وعيونَ أوليائه ، وأَعَزَّ الإسلامَ ورَفَعَ عن أهله البَلْوى بلوائه .
الكتبُ القديمة التى تَسُرُّ الناظرين من شعارها الأصفر ، وتبشّرُ الأولياء إن كانوا
غائبين مع الغُيْبِ بأن حظّهم حاضر مع الحُضُرِ ؛ وقد كانت الفَتْرَةُ قد طالت
أيامُها ، واستطالت آلامُها ، والطَّرُقاتُ قد سبق إلى الأنفُسِ إبهامُها .

فالحمدُ لله الذى أذهبَ عَنَّا الحزنَ وأوّلَى من النعمة ما اشترى الحمدَ بلا ثَمَنٍ ؛
ذلك من فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وعلى الناس ، ووَعْدُ اللهِ سبحانه منتَظَرٌ ، إذ يقول
فى كتابه : (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ
فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى
لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) وَصَدَقَ صلى الله عليه وسلم فى قوله :
« إِنَّ اخْتِيارَ اللهِ لِلْمُؤْمِنِ خَيْرٌ من اختيارِهِ ، وإنَّ مواضِعَ الأملِ للعبدِ خَيْرٌ
منها مواقعُ أقضيةِ اللهِ وأقداره » . فقد كانت حركَةُ احتاجت إليها البلاد التى
انفصل عنها ، والبلادُ التى قَدِمَ عليها . أما المصرية منها فبكونها على عِدَّةِ

من نَجَدته آجلاً ، وأما الشامية فبكونها على ثقة من نصره عاجلاً ؛ فقد تماسكت
من المسلمين الأرماق ، وقد انقطعت من المشركين الأعناق :

تُهَابُ بك البلادُ تحُلَّ فيها ولَوْلا اللَّيْثُ ما هِيبَ العَرِينُ
وعرض المملوكُ ما وصل إليه من مكاتبات المولى على العلم العادلي وأدركها
تحصيلاً ، وأحاط بها جملةً وتفصيلاً ؛ والمولى — خَلَّدَ اللهُ ملكه — فكلُّ
ما أشار إليه من عزيمة أبدائها ، ونية أمضاها ، فهو الصوابُ الذي أوضح اللهُ
له مَالِكَه ، والتوفيقُ الذي قرَّبَ اللهُ عليه مَدَارِكَه ؛ وَمَنْ أطاعَ اللهُ أطاعه
كلُّ شيءٍ ؛ ومن استخاره بَيْنَ له الرُّشْدَ من الغيِّ ؛ والله تعالى يجعلُ له من كلِّ
حادثةٍ نَخْوَةً ، ويكتبُ أجرَه في كلِّ حركةٍ ونَفَسٍ وخطوه . إن شاء اللهُ تعالى .



قطعة من خطاب أرسله السلطان صلاح الدين إلى بعض
إخوانه وهو يجمع الجموع ويحشد الحشود في سنة ٥٨٢هـ استعداداً
لموقعة حطين .

(عن : أبو شامة : الروضتين : ج ٢ : ص ٧٥)

« كُتِبَتْ هذه المكاتبة من جسر الخشب ظاهر دمشق ، وقد ورد السلطانُ
أعزَّ الله أنصاره للغزاة إلى بلاد الكفر ، في عسكر فيه عساكر ، وفي جمع
البادي فيه كأنه حاضر ، وفي حشد يتجاوز أن يحصله الناظر إلى أن لا يحصله
الخاطر ، وقد نهضت به همة لا يرجي غير الله لإنهاضها ، وحجبت به عزيمة
الله المستول في حسم عوارض اعتراضها ، وباع الله نفساً يستمتع أهل الإسلام
بصفقتها ، ويذهب الله الشرك بهيبتها ، وأرجو أن يتمخض عن زبدة ،
وتستريح الأيدي بعدها عن الخوض ، وأن يكون الله قد بعث سنجة نصرته
الإسلام وسلطانه قد نهض للقبض » .

خطاب مرسل من عبد الله بن أحمد المقدسى — وكان مقياً
بعسقلان — إلى بغداد في وصف موقعة حطين .

(أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨١ — ٨٢ ،
من ابن القادسى المؤرخ البغدادى)

« كتبتُ هذا الكتابَ من عسقلان يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة
سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وفيه » :

ولو حمدنا الله عزَّ وجلَّ طول أعمارنا ما وفينا بعُشرِ مِئْشَارِ نعمته التى أنعم
بها علينا من هذا الفتح العظيم : فإننا خرجنا إلى عسكر صلاح الدين ، وتلاحقَ
الأجنادُ حتى جاء الناس من : الموصل ، وديار بكر ، وإربل ، فجمع صلاحُ الدين
الأمراء ، وقال : « هذا اليوم الذى كنت أنتظره ، وقد جمع الله لنا العساكر ،
وأنا رجل قد كبرت ، وما أدري متى أجلى ، فاغتنموا هذا اليوم ، وقاتلوا الله تعالى
لا من أجلى » ، فاختلفوا فى الجواب ، وكان رأى أكثرهم لقاء الكفار ، فعرض
جندَهُ ورتبَهُم ، وجعل تقى الدين فى الميمنة ، ومظفر الدين فى اليسرة ، وكان هو
فى القلب ، وجعل بقيَّة العسكر فى الجناحين .

ثم ساروا على مراتبهم حتى نزلوا الأخوانة ، فتركوا بها أثقالهم ، وساروا حتى
نزلوا بكفرسبت ، فأقاموا يومين ينتظرون أن يبرزَ لهم الكفارُ ، وكان عسكرُ
الكفار على صفورية ، فلم يبرزوا ، فعاد صلاحُ الدين حتى نزل على طبرية ، فتقدَّم

فرسانه وحماته ورماته والنقابون فدخلوا تحت الحصن ، فلما تمكن النقب منه
اهال من غير وقودنا ، ودخل المسلمون فاتهبوا يوم الخميس .

وأصبحوا يوم الجمعة فشرعوا في نقب القلعة ، فلما كان وقت الصلاة جاء
الخبر أن الكفار قد توجهوا إلينا ، فارتحل صلاح الدين على صفوفه ، فلقبهم ،
ثم لم يزالوا يتقدمون حتى صار المسلمون محيطين بهم ، وصار قلب المسلمين خلفهم ،
فتراموا ساعة ، وبات كل فريق على مصافهم .

ثم أصبحوا ، فسار الكفار يقصدون طبرية ، والمسلمون حولهم يلحون
عليهم بالرماح ، فافتاح المسلمون منهم فوارس ، وقتلوا خيالة ورجالة ، فأنحاز
المشركون إلى تل حطين ، فزلوا عنده ، ونصبوا الخيام ، وأقام الناس حولهم
إلى أن انتصف النهار ، وهبت الرياح ، فهجم المسلمون عليهم ، فانهزموا لا يلوون
على شيء ، ولم يفلت منهم إلا نحو من مائتين ، وكانوا كما قيل اثنين وثلاثين ألفاً ،
وقيل ثلاثة وعشرين ألفاً ، لم يتركوا في بلادهم من يقدر على القتال إلا قليلاً .

وكان الذي أسره الملك هو درباس الكردي ، وغلام الأمير إبراهيم المهراني
أسر الإبرنس ، وقتل صلاح الدين الإبرنس بيده لأنه كان قد غدر وأخذ قافلة
من طريق مصر .

ثم عاد صلاح الدين إلى طبرية ، فأخذ قلعتها بالأمان ، ثم ضرب أعناق
الأسارى الذين كانوا في العسكر ، وأرسل إلى دمشق فضربت أعناق الذين
بها منهم .

لم يكن القاضي الفاضل حاضراً موقعة حطين ، بل كان
في دمشق ، ومنها أرسل هذا الخطاب إلى صلاح الدين يهنئه
بالنصر العظيم .

(عن : أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٢ — ٨٣)

« لِيَهْنِ الْمَوْلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَقَامَ بِهِ الدِّينَ الْقَيِّمَ ؛ وَأَنَّهُ كَمَا قِيلَ : أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ
ومولى كل مسلم ، وَأَنَّهُ قَدْ أَسْبَغَ عَلَيْهِ النِّعْمَتَيْنِ الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ ، وَأَوْرَثَهُ
الْمُلْكَيْنِ : مُلْكَ الدُّنْيَا وَمُلْكَ الْآخِرَةِ .

كتب الملوك هذه الخدمة والروس إلى الآن لم تُرْفَعْ من سجودها ،
والدموع لم تُمَسَّحْ من خدودها ، وكما فُكِّرَ الخادمُ أَنَّ الْبَيْعَ تَعَوَّدُ وَهِيَ مَسَاجِدُ ،
والمسكان الذي كان يُقال فيه : إِنْ اللَّهُ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ يُقَالُ الْيَوْمَ فِيهِ إِنَّهُ الْوَاحِدُ ، جَدَّدَ
لَهُ شُكْرًا : تَارَةً يَفِيضُ مِنْ لِسَانِهِ ، وَتَارَةً يَفِيضُ مِنْ جَفْنِهِ ؛ وَجَزَاءُ يُوسُفَ
خَيْرًا عَنْ إِخْرَاجِهِ مِنْ سِجْنِهِ ؛ وَالْمَالِيكَ يُنْتَظَرُونَ أَمْرَ الْمَوْلَى ؛ فَكُلُّ مَنْ أَرَادَ
أَنْ يَدْخُلَ الْحَمَّامَ بِدِمَشْقَ قَدْ عَوَّلَ عَلَى دُخُولِ حَمَّامِ طَبْرِيَّةَ ، تِلْكَ الْمَكَارِمُ
لِاقْعِيَانٍ مِنْ لَبْنٍ ، وَذَلِكَ الْفَتْحُ لِأَعْمَانَ وَالْيَمَنِ ؛ وَذَلِكَ السِّيفُ لِأَسِيفِ ابْنِ
ذِي يَزْنَ ، وَلِلْأُلسَنَةِ بَعْدُ فِي هَذَا الْفَتْحِ شَرْحٌ طَوِيلٌ ، وَقَوْلٌ جَلِيلٌ .

خطاب من السلطان صلاح الدين إلى بغداد في وصف وقعة
حطين ، والخطاب بقلم القاضي الفاضل كتبه من عكا بعد أن
فتحها صلاح الدين بعيد انتصاره في حطين .

(عن : أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٧)

« صَبَّحَ الخَادِمُ طَبْرِيَّةَ فَافْتَضَّ عَذْرَتَهَا بِالسَّيْفِ ، وَهَجَمَ عَلَيْهَا هَجُومَ الطَّيْفِ ،
وَتَفَرَّقَ أَهْلُهَا بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْقَتْلِ ، وَعَاجَلَهُمُ الْأَمْرُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْخِدَاعِ وَالْخُتْلِ ،
وَجَاءَ الْمَلِكُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ كُفَّارِهِ ، وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ لَيْلَ الْكُفْرِ قَدْ آتَتْ وَقْتُ إِسْفَارِهِ ،
فَأُضْرمَ الخَادِمُ عَلَيْهِمْ نَاراً ذاتَ شِرَارٍ ، أَذْكَرَتْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ،
فَتَرَجَّلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ عَنْ صَهَوَاتِ الْجِيَادِ ، وَتَسَنَّمُوا هَضْبَةَ رَجَاءٍ أَنْ تَنْجِيَهُمْ مِنْ حَرِّ
السَّيُوفِ الْخَدَادِ ، وَنَصَبُوا لِلْمَلِكِ خِيْمَةً حُمْرَاءَ وَضَعُوا عَلَى الشَّرْكِ عِمَادَهَا ، وَتَوَلَّتْ
الرِّجَالُ حِفْظَ أَطْنَابِهَا فَكَانُوا أَوْتَادَهَا ، فَأَخَذَ الْمَلِكُ أُسَيْراً ، وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ
عُسَيْراً ، وَأُسِرَ الْإِبْرَنْسُ — لَعْنَهُ اللَّهُ — فَحَصَدَ بَذْرَهُ ، وَقَتْلَهُ الخَادِمُ بِيَدِهِ ،
وَوَفَّى بِذَلِكَ نَذْرَهُ .

وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنْ مَقْدُمِي دَوْلَتِهِ ، وَكِبَرَاءِ ضَلَالَتِهِ ، وَكَانَتْ الْقَتْلَى تَزِيدُ عَلَى
أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الدِّيُويَةِ ، فَلَهُ هُوَ مِنْ يَوْمٍ تَصَاحَبَ فِيهِ الذُّبُّ
أَوِ النَّسْرُ ، وَتَدَاوَلَ فِيهِ الْقَتْلُ وَالْأُسْرُ .

أصدر الخادم هذه الخدمة من ثغر عكا ، والإسلام قد اتسع مجاله ، وتصرف
أنصاره ورجاله ، والكفر قد ثبتت أوجاله ودنت آجاله . »

قطعة من خطاب آخر مرسل من صلاح الدين وهو في عكا
للبرى بانتصاره في وقعة حطين

(أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ص ٨٧ ، عن العماد الأصفهاني)

« ولما أحيط بالقوم أوى ملكهم إلى جبل يعصمه من العوم ، فأسمعه
السيف : لا عاصم اليوم ، واستولى الخذلان عليهم بأسرهم ، وبردت أيدي
المؤمنين بحرّ قتلهم وأسرهم ، ولم يبق لهم باقية ، وغصّت بقتلاهم في الدنيا والآخرة
أرض الله الواسعة ونار الله الحامية ، فما يطأ من يصل إلى مخيمهم إلى على رميمهم
البالية ، وأسير الملك وأخوه ، وبارونيته ومقدموه ، ولم يفلت منهم إلا القمّص
وهو مسلوب ، ولا بد أن ندركه فهو مطلوب .

وقد كنّا نظرنّا ضربَ رقبَةِ الابرنس صاحب الكرك الغدّار ، كافر
الكفار ، ونشيدة النار ، فلما رأيناه ضربنا عنقه سريعاً ، وسرنا إلى عكا وهي
بيضة ملكهم ، وواسطة سلكهم ، ومركز دائرة كفرهم ، وجمع جمع برّهم
وبحرهم ، فتسلمناها بالآمان .

والصخرة المقدّسة الآن بنا تصرخ وتستغيث ، وعباد الله الصالحون .
قد وصلت إليهم بوعده الله الصادق المواريث ، والبشارة بفتح القدس لا تتأخر ،
والهم بعد هذا الفتح السني على ذلك تتوفر ، والحمد لله الذي تتمّ الصالحات
بمحمده ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسيك فلا مرسل له
من بعده »^(١)

خطاب بقلم العماد الأصمهانى مرسل من صلاح الدين إلى
الديوان العزيز ببغداد يصف فيه انتصاراته فى حطين وعكا ،
واستيلاءه على معظم مدن الساحل وهو يتهيا لاستعادة بيت المقدس
(أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٩ ، عن العماد)

« ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون .
الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من
قبل ومن بعد ، وجعل بعد عُشْرِ يُسْرَا ، وقد أحدث الله بعد ذلك أمراً ، وهُوْن
الأمر الذى ما كان الإسلام يستطيع عليه صبراً ، وخطب الدين بقوله :
« ولقد مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى » ، فالأولى فى عصر النبى — صلى الله عليه
وسلم — والصحابة ، والأخرى هذه التى عَتِقَ فيها من رِقِّ الكآبة فهو قد
أصبح حُرّاً ، رَبَّانِ الكَبِيدِ الحرِّى ، والزمان كهيئته استدار ، والحق بهيجته قد
استنار ، والكُفْرُ قد رَدَّ ما كان عنده من المتاع المستعار .

فالحمد لله الذى أعاد الإسلام جديداً ثوبه ، بعد أن كان جديداً خَبْلُهُ ،
مُبَيَّنّاً نصره ، مُخَضَّرّاً نصره ، متسعاً فضله ، مجتمعاً شمله .

والخادمُ يشرح من نَبَأِ هذا الفتح العظيم والنصر الكريم ما يشرحُ صدورَ
المؤمنين ، ولينحُ الحبورَ لكافةِ المسلمين ، ويُوردُ البشرى بما أنعم الله به من
يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر إلى يوم الخميس منسلخة ،

وتلك سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حُسُوماً ، سَخَّرَها اللهُ على الكفار ، فترى القومَ فيها صَرَغى كأنهم أعجازٌ تَخْلُ خاوية ، وإذا رأيتَ ثمَّ رأيتَ البلادَ على عروشها خالية ورأيتها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية .
فيومُ الخميس الأولُ فُتحت طبرية .

ويومُ الجمعة والسبت نزلَ القرْنُجُ فكسروا الكسرة التي ما لهم بعدها قائمة ، وأخذ اللهُ أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمة .

وفي يوم الخميس منسلخ الشهر فُتحت عكا بالأمان ، ورُفعت بها أعلام الإيمان ، وهي أمُّ البلاد ، وأختُ إرمَ ذاتِ العماد .

وقد أصدر هذه المطالعةً وصليبُ الصابوت مأسورٌ ، وقلبُ ملكِ الكُفْرِ الأسيرِ بجيشه المكسورِ مكسور ، والحديدُ الكافر الذي كان في يد الكفر يضربُ وَجْهَ الإسلام قد صار حديداً مسلماً يعوق خطوات الكفر عن الإقدام ، وأنصارُ الصليبِ وكِبَارُهُ وكلُّ مَنْ المعمودية عَمَّدَتْهُ والدير داره قد أحاطت به يدُ القبضة وغلَّقَ رهنه فلا تقبل فيه القناطيرُ المقنطرةُ من الذهب والفضة .

وطبرية قد رُفعت أعلامُ الإسلامِ عليها ، ونُكصت من عكا ملةُ الكفر على عقبيها ، وعمرت إلى أن شهدت يوم الإسلام وهو خير يومٍ فيها ، وقد صارت البيعُ مساجدَ يَعْمُرُها مَنْ آمَنَ بالله واليومِ الآخر ، وصارت المذابح مواقفَ لخطباء المنابر ، واهتزت أرضها لموقفِ المسلم فيها وطلما ارتجت لموقف الكافر ، فأما القتلى والأسرى فإنها تزيد على ثلاثين ألفاً .

وأما فرسان الداوية والاستتارية فقد أَمْضَى اللهُ حكمُهم فيهم ، وقُطع بهم سوقُ نار الجحيم ورحل الراحل منهم إلى الشقاء المقيم ، وقُتل الأبرنسُ كافرُ الكفار ، ونشيدةُ النار ، مَنْ يَدُهُ في الإسلام كما كانت يدُ السكليم .

والبلاد والمعاقل التي فتحت هي :

- | | | |
|-----------|-----------|-----------------------|
| طبرية . | قيسارية . | الفسوله . |
| عكا . | نابلس . | الطور . |
| الناصره . | حيفا . | الشقيف . |
| صفورية . | معليا . | وقلاع بين هذه كبيرة . |

والملك المظفر تقي الدين - خَافَرَهُ اللهُ - مضايقاً لصور وحصن تبنين .
والأخ العادل سيف الدين - نصره اللهُ - قد كوتب بالوصول بمن عنده
من العساكر لينزل في طريقه على غزة وعسقلان ، ويجهز مراكب الأسطول
المنصورة إلى عكا .

وما يتأخر النهوض إلى القدس ، فهذا هو أوان فتحه ، ولقد دام عليه ليلُ
الضلال وقد آن يسفر فيه الهدى عن صُبْحِهِ .



خطاب أرسله السلطان صلاح الدين إلى بعض أهله يشير فيه إلى فتح معظم مدن الساحل وتهيئته للمسير لفتح بيت المقدس .

(أبو شامة الروضين ، ج ٢ ، ص ٩١ ، عن ابن القادسي)

« انتقلنا إلى الجانب الذي فيه القدس وعسقلان ، ففتحنا قلاعها كلها ، وحصونه جميعها ، ومعاقله بجماتها ، ومدنه بأسرها ، وهي :

حيفا .	والرملة	والدير .
وقيسارية .	ولد .	والخليل .
وأرسوف .	وتل الصافية .	
ويافا .	وبيت جبريل .	

ونازلنا عسقلان ، وهي المعقل المنيع ، والحصن الحصين ، والتل الرفيع ، وفيهم من القوة والعدة والعدد ما تنقاصر الآمال عن ثيل مثله ، فافتتحناها سلماً لتمام أربعة عشر يوماً من يوم نزولنا عليها ، ونُصبت أعلام التوحيد على أبراجها وأسوارها ، وعمرت بالمسلمين ، وخلت من مشركيها وكفارها ، وكبر المؤذنون في أقطارها .

ولم يبق في الساحل من جبيل إلى أوائل حدود مصر سوى القدس وصور ، والعزم مصمم على قصد القدس ، فالله يُسِّمُهُ ويعجِّلْهُ ، فإذا يسَّر الله تعالى فَتَحَ القدس مِنَّا إلى صور ، والسلام .

خطاب بقلم القاضى الفاضل أرسله السلطان صلاح الدين
إلى الديوان العزيز — أيام الخليفة الناصر لدين الله — ينبئه بفتح
القدس الشريف واستنقاذه من أيدي الصليبيين .

عن : (القلشندي : صبح الأعشى ، ج ٨ ص ٢٨٢ — ٢٨٩ ،
ج ٦ ص ٤٩٦ — ٥٠٤)

أدام الله أيام الديوان العزيز النبوى الناصرى ، ولا زال مظفر الجدد بكل
جاحد ، غني التوفيق عن رأى كل رائد ، موقوف المساعى على اقتناء مطلقات
الحامد ؛ مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقد ، واردة الجود والسحاب على
الأرض غير وارد ؛ متعدد مساعى الفضل وإن كان لا يلقى إلا بشكر واحد ،
ماضى [حكم القول] بعزم لا يمضى إلا بنسل غوى وریش رشد ، ولا زالت
غيوث فضله [إلى الأولياء] أنداء إلى المربع وأنواراً إلى المساجد ، وبعدت
رغبه إلى الأعداء خيلاً إلى المراقب وخيلاً إلى المراقد .

كتب الخادم هذه الخدمة تلوما صدر عنه مما كان يجرى مجرى التبشير
لصبح هذه الخدمة ، والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة ، فإنها بحر للأقلام
فيه سبح طويل ، وأطف تحمل الشكر فيه عبء ثقيل ؛ وبشرى للخواطر
في شرحها مارب ، ويسرى للأسرار في إظهارها مسارب ؛ والله في إعادة شكره
رضاً ، وللنعمة الرائنة به دوام لا يقال معه هذا مضى ، وقد صارت أمور
الإسلام إلى أحسن مصايرها ، واستتبعت عقائد أهله على أبين بصايرها ،

وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط ، وصدق الله أهل دينه ، فلمّا وقع الشرطُ حصلَ المشروط ؛ وكان الدّينُ غريباً فهو الآن في وطنه ، والفوزُ معروضاً فقد بذلتُ الأنفسَ في ثمنه ، وأمرُ الحقِّ وكان مستضعفاً ، وأهلُ ربّعهُ وكان قد عيفَ حين عفا ؛ وجاء أمرُ الله وأنوفُ أهلِ الشُّركِ راغمة ، فأدّجَتُ السيوفُ إلى الآجالِ وهي نائمة ، وصدق وعدُ الله في إظهارِ دينه على كل دين ، واستطارت له أنوارُه أبانت أن الصبحَ عندها حيّانُ الحين ؛ واستردّ المسلمون ترائفاً كان عنهم آبقاً ، وظفروا بقطعةٍ بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفاً على النّأي طارقاً ؛ واستقرّت على الأعلى أقدامُهم ، وخفقت على الأقصى أعلامُهم ؛ وتلاقتُ على الصخرةِ قبلهم ، وشفيتُ بها وإن كانت صخرة [قلوبهم] كما تُشفى بالماء غلّهم .

ولمّا قدّم الدّين عليها عرّفَ منها سويّداء قلبه ، وهنّاً كنفوها الحجرُ الأسودُ بيتَ عصمتيها من الكافرِ بحربه ، وكان الخادمُ لا يسعى سعيه إلا لهذه العظمى ، ولا يقاسى تلك البؤسى إلا رجاء هذه النّعمى ، ولا يناجزُ مَنْ يستمطّله في حربِهِ ، ولا يعاتبُ بأطراف القنّامن يتماذى في عثبِهِ ، إلا لتكون الكلمةُ مجموعته ، والدعوةُ إلى سامعها مرفوعة ، فتكون كلمةُ الله هي العليا ، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرضِ الأدنى من الدنيا ؛ وكانت الألسنةُ ربما سلقتهُ فأنضجَ قلوبها بالاحتقار ، وكانت الخواطرُ ربما غلتُ عليه مراجلها فأطفأها بالاحتمال والاصطبار ؛ ومنّ طَلَبَ خطيراً خاطراً ، ومنّ رامَ صَفَقَةً رابحةً تجاسر ، ومنّ سَمّا لأن يُجلى غمرةً غامراً ؛ وإلا فإنّ القعودَ يُلينُ تحت نِيوبِ الأعداءِ المعاجِمِ فتعضُّها ، ويضعِفُ بأيديها مَهزِ القوائمِ فتقضمُها ؛ هذا إلى كَوْنِ القعودِ لا يقضى فرضَ الله في الجهاد ، ولا يُرعى به حقُّ الله في العباد ، ولا يُوفى به واجبُ التقليدِ الذي تطوّقه الخادمُ من أئمةٍ قضوا بالحقِّ وبه كانوا

يَعْدِلُونَ ، وخلفاءُ الله كانوا في مثل هذا اليوم لله يسألون ؛ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا
سِرَّهُمْ وَسَرِيرَهُمْ خَلْفَهُمْ الْأَطْهَرُ ، وَنَجَلَهُمْ الْأَكْبَرُ ، وَبَقِيَّتَهُمُ الشَّرِيفَةُ ،
وَطَلَعَتَهُمُ الْمُنِيفَةُ ، وَعَنْوَانُ صَحِيفَةِ فَضْلِهِمْ لَا عَدَمَ سَوَادِ الْعِلْمِ وَبَيَاضَ الصَّحِيفَةِ ،
فَمَا غَابُوا لَمَّا حَضَرَ ، وَلَا غَضُّوا لَمَّا نَظَرَ ، بَلْ وَصَلَهُمُ الْأَجْرُ لِمَا كَانَ بِهِ
مَوْصُولًا ، وَشَاطَرُوهُ الْعَمَلَ لِمَا كَانَ عَنْهُ مَنْقُولًا وَمِنْهُ مَقْبُولًا ؛ وَخَلَّصَ إِلَيْهِمْ
إِلَى الْمُضَاجِعِ مَا أَطْمَأَنَّتْ بِهِ جَنُوبُهَا ، وَإِلَى الصَّحَائِفِ مَا عَبَقَتْ بِهِ جِيُوبُهَا ،
وَفَازَ مِنْهَا بِذِكْرِ لَا يَزَالُ اللَّيْلُ بِهِ سَمِيرًا ، وَالنَّهَارُ بِهِ بَصِيرًا ، وَالشَّرْقُ يُهْتَدَى
بِأَنْوَارِهِ ، بَلْ إِنَّ أَبْدَى نُورًا مِنْ ذَاتِهِ هَتَفَ بِهِ الْغَرْبُ بِأَنْ وَارِهِ ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ
لَا تُسْكِنُهُ أَغْشَاقُ السُّدُفِ ، وَذِكْرُهُ لَا تُوَارِيهِ أَوْرَاقُ الصُّحُفِ .

وَكِتَابُ الْخَادِمِ هَذَا ، وَقَدْ أَظْفَرَ اللَّهُ بِالْعَدُوِّ الَّذِي تَشَطَّتْ قَنَاتُهُ شَفَعًا ،
وَطَارَتْ فِرْقُهُ فَرَقًا ، وَقُلَّ سَيْفُهُ فَصَارَ عَصَا ، وَصُدِعَتْ حَصَاتُهُ وَكَانَ الْأَكْثَرُ
عَدَدًا وَحَصَا ؛ وَكَلَّتْ حِمْلَاتُهُ وَكَانَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ تُصَرِّفُ فِيهِ الْعِيَانَ بِالْعِيَانِ ،
عُقُوبَةً مِنَ اللَّهِ لَيْسَ لِصَاحِبِ يَدٍ بِهَا يَدَانِ ؛ وَعَثَرَتْ قَدَمُهُ وَكَانَتْ الْأَرْضُ لَهَا
حَلِيفَةً ، وَغَضَّتْ عَيْنُهُ وَكَانَتْ [عِيُونُ] السُّيُوفِ دُونَهَا كَسِيفَةً ؛ وَنَامَ جَنْبُنُ
سَيْفِهِ وَكَانَتْ يَقْظَتُهُ تَرِيقُ نُطْفِ الْكَرَى مِنَ الْجُنُونِ ، وَجُدِعَتْ أَنْفُ
رِمَاحِهِ وَطَالَمَا كَانَتْ شَاخِجَةً بَاطْنِي أَوْ رَاعِيَةً بِالْمُنُونِ ؛ وَأَضْحَتْ الْأَرْضُ
الْمُقَدَّسَةَ الطَّاهِرَةَ وَكَانَتْ الطَّامِثُ ، وَالرَّبُّ الْمَعْبُودُ الْوَاحِدَ وَكَانَ عِنْدَهُمُ الثَّلَاثُ ،
فَبَيَّوتُ الشُّرَكَ مَهْدُومِهِ ، [وَنُبُوبِ الْكُفْرِ مَهْتُومِهِ] وَطَوَائِفُ الْمُحَامِيَةِ ،
مُجْتَمِعَةٌ عَلَى تَسْلِيمِ الْبِلَادِ الْحَامِيَةِ ، وَشُجْعَانُهُ الْمُتَوَافِيَةِ مُذْعِنَةٌ لِبَذْلِ الْمَطَامِعِ
الْوَافِيَةِ ؛ لَا يَرَوْنَ فِي مَاءِ الْحَدِيدِ لَهْمَ عُصْرَةٍ ، وَلَا فِي فِنَاءِ الْأَفْنِيَةِ لَهْمَ نُصْرَةٍ ؛
وَقَدْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ، وَبَدَّلَ اللَّهُ مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ؛
وَنَقَلَ بَيْتَ عِبَادَتِهِ مِنْ أَيْدِي أَصْحَابِ الْمَشَاةِ إِلَى أَيْدِي أَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ

وقد كان الخادمُ لَقِيَهُمُ اللقاةَ الأولى ، فأمدَّه اللهُ بِمُدَارَ كَتِهِ ، وأنجده بملائكته ؛ فكسروهم كسرةً ما بعدها جَبْرٌ ، وصرعهم صرعةً لا ينتش بعدها بمشيئةِ اللهِ كُنْزٌ ، وأسر منهم مَنْ أُسِرَتْ به السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصل ؛ وأجلت المعركةُ عن صرعى من الخيل والسلاح [والكفار ، وعن أنصاف محيل فإنه قتاهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار ، فنيلوا بشار من السلاح ونالوه أيضاً بشار] فَكَمْ أَهْلَةً سِوْفٍ تَعَارَضَ الضَّرَابُ بِهَا حَتَّى صَارَتْ كَالْعَرَاجِينِ ؛ وَكَمْ أَنْجُمٍ أُسِنَّةٍ تَبَادَلَتْ الطُّمَانُ حَتَّى صَارَتْ كَالِإِطَاعِينَ ، وَكَمْ فَارِسِيَّةٍ رَكُضَ عَلَيْهَا فَارِسُهَا الشَّهْمُ إِلَى أَجَلٍ فَاخْتَلَسَهُ ، وَفَعَرَتْ تِلْكَ الْقَوْسُ فَاهَا فَإِذَا فَوْهَا قَدْ نَهَشَ الْقِرْنَ عَلَى بَعْدِ الْمَسَافَةِ فَافْتَرَسَهُ .

وكان اليومُ مشهوداً ، وكانت الملائكةُ شهوداً ؛ وكان الكفرُ مفقوداً ، والإسلامُ مولوداً ، وجعل اللهُ ضلوعَ الكفار لنارِ جهنَّمَ وقوداً ؛ وأسر الملكُ ويده أوثقُ وثائقه ، وآكدَ وَصْلِهِ بِالْإِيمَانِ وَعِلَاقَتِهِ ، وهو صليبُ الصليبوت ، وقائدُ أهلِ الجبروت ؛ وما دُهموا قطُّ بأمرٍ إلا وقام بين دُهمائهم يبسط لهم باعَهُ ، ويحرُضُهم ، وكان مدُّ اليدين في هذه الدفعة وداعه ؛ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ يَتَهَافَتُ عَلَى نَارِ فَرَاشِهِمْ ، وَيَجْتَمِعُ فِي ظِلِّ ظِلَامِهِ خَشَاشُهُمْ ، وَيَقَاتِلُونَ تَحْتَ ذَلِكَ الصَّليبِ أَصْلَابَ قِتَالٍ وَأَصْدَقَهُ ، وَيُرُونَهُ مِيشَاقًا يَبْنُونَ عَلَيْهِ أَشَدَّ عَقْدٍ وَأَوْثَقَهُ ، وَيَعْدُونَهُ سَوْرًا تَحْفَرُ حَوَافِرُ الْخَيْلِ خَنْدَقَهُ .

وفي هذا اليومُ أُسِرَتْ سَرَائِرُهُمْ ، وَذَهَبَتْ دُهَائِرُهُمْ [وَلَمْ يُفَلِتْ مِنْهُمْ مَعْرُوفٌ إِلَّا الْقَوْمُصْ ، وَكَانَ لَعْنَةُ اللَّهِ مَلِيًّا يَوْمَ الظَّفَرِ بِالْقِتَالِ ، وَمَلِيًّا يَوْمَ الْخِذْلَانِ] بِالْإِحْتِيَالِ ، فَنَجَا وَلَكِنْ كَيْفَ ، وَطَارَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَلْحَقَهُ مِئْسَرُ الرِّمَحِ أَوْ جَنَاحُ السِّيفِ ؛ ثُمَّ أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَيَّامٍ بِيَدِهِ ، وَأَهْلَكَهُ لِمَوْعِدِهِ ، فَكَانَ لَعْدَتِهِمْ فَذَالِكُ ، وَانْتَقَلَ مِنْ مَلِكِ الْمَوْتِ إِلَى مَالِكِ .

وبعد الكسرة مرَّ الخادمُ على البلاد فطواها بما نَشَرَ عليها من الراية
العباسية السوداء صَبْغاً ، البيضاء صُنْماً ، الخاققة هي وقلوبُ أعدائها ، الغالبة
هي [وعزائم أربائِها] ، المستضاء بأنوارها إذا فتَحَ عِيْهَا البِشْرُ ، وأشارت
بأنامل العذباتِ إلى وجه النصر ، فافتتح بلد كذا وكذا ، وهذه [كلها] أمصارُ
ومدن ، وقد تسمى البلاد بلاداً وهي مزارع وفُدُن ؛ وكلُّ هذه ذواتُ معاقل
ومعافر ، ومجارٍ وجزائر ، وجوامع ومناثر ، وجموع وعساكر ، يتجاوزها الخادمُ
بعد أن يحرزها ، ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها ، ويحصد منها كفراً ويزرع إيماناً ،
ويحط من منابر جوامعها صاباناً ، ويرفع أذاناً ، ويبدل المذابح منابر ، والسكناس
مساجد ، ويبويُّ بيد أهل الصابان أهلَ القرءان للذَّبِّ عن دين الله مقاعد .
وَيُقِرُّ عينه وعيونَ أهل الإسلام أن تَعَلَّقَ النصرُ منه ومن عسكره بمجارٍ ومجرور ،
وأن ظفر بكل سور ، ما كان يخاف زلزاله وزياله إلى يوم النفخ في الصور .

ولمَّا لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كلُّ شريدٍ منهم وطريد ، واعتصم
بمغبتها كلُّ قريبٍ منهم وبعيد ؛ وظنوا أنها من الله مانعُهم ، وأن كنيستَها
إلى الله شافعُهم ؛ فلما نازلها الخادمُ رأى بلداً كبلاد ، وجمعاً كيوم التناد ؛ وعزائم
قد تألبت وتألقت على الموت فنزلت برصته ، وهان عليها مَوْرِدُ السيف
وأن تموت بُغصته ، فزاوِلَ البلد من جانبٍ فإذا أوديةٌ عميقة وأَجَجٌ وَغَرَّةٌ غريقة ،
وسورٌ قد انعطف عَطَفَ السَّوار ، وأبرجةٌ قد نزلت مكان الواسطة من عَقْدِ
الدار ؛ فَعَدَلَ إلى جهةٍ أخرى كان للمطامع عليها مُعَرِّجٌ ، وللخيل فيها مُتَوَلِّجٌ ،
فنزل عليها ، وأحاط بها وقرب منها ؛ وضرب خيمته بحيث يناله السلاحُ بأطرافه
ويزاحمه السورُ بأكتافه ؛ وقابها ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها ، وبرز إليها
ثم بارزها ، وحاجزها ثم ناجزها ، فضمها ضمةً ارتقب بعدها الفتح ، وصدع أهلها
فإذا هم لا يصبرون — على عبودية الخد — عن عِتْقِ الصَّفْحِ ، فراسلوه ببذل

قطيعة إلى مدة ، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لنجدة ؛ فعرفهم الخادم
 في لحن التول ، وأجابهم بلسان الطول ، وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات
 الحصون عصيتها وجبالها ، وأوتر لهم قسيها التي تضرب فلا تفارقها سهامها ،
 ولا يفارق سهامها نصالها ؛ فصاحت السور بأكنافه ، فإذا سهمها في ثنايا شرفاتها
 سواك ، وقدم النصر نسرأ من المنجنيق بخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه
 إلى السماء ، فشج مرادع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها [صم أعلاجها] ورفع
 مئار عجاجها ، فأخلى السور من السيارة ، والحرب من النظارة ؛ فأمكن النقب ،
 أن يسفر للحرب النقب ، وأن يعيد الحجر إلى سيرته [الأولى] من التراب ؛
 فتقدم إلى الصخر فمضع سرده يأناب مغوله ، وحل عقده بضربه الأخرق
 الدال على لطافة أنمله ، وأسمع الصخرة الشريفة حنينه واستغاثته ؛ أن كادت
 ترق لمقباه ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض ، وأخذ الخراب عايبها موثقاً فلن
 تبرح الأرض ، وفتح في السور باباً سد من نجاتهم أبواباً ، وأخذ ينقب في حجره
 فقال عنده الكافر : (يا ليتني كنت تراباً) ، فحينئذ يئس الكفار من أصحاب
 الدور ، كما يئس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الفرور .
 وفي الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام أمرهم ، ابن بارزان سائلاً أن يؤخذ
 البلد بالسلام لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسطود ، وألقى بيده إلى التهلكة ،
 وعلاه ذل الملكة بعد عز الملكة ، وطرح جبينه في التراب ، وكان جبيناً
 لا يتعاطاه طارح ، وبذل مبلغاً من القطيعة لا يطمح إليه طرف أمل طامح ،
 وقال : ها هنا أسارى مؤمنون يتجاوزون الألوف ، وقد تعاقد الفرنج على أنهم
 إن هجمت عليهم الدار ، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ، بدى بهم فعجلوا
 وثني بنساء الفرنج وأطناهم فقتلوا ؛ ثم استقتلوا بعد ذلك فلم يقتل خصم إلا بعد
 أن ينتصف ، ولم يسئل سيف من يد إلا بعد أن تنقطع أوي ينقص ، وأشار الأمراء

بالأخذ بالميسور ، من البلد المأسور ، فإنه إن أخذ حرباً فلا بد أن تقتحم الرجال
الأنجاد ، وتبذل أنفسها في آخر أمر قد نيل من أوله المراد ؛ وكانت الجراح
في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات ، واعتاق الحركات ، فقبل منهم
للبذول عن يدٍ وهم صاغرون ، وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون ؛
وملك الإسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان ، نخدمها الكفر إلى أن صارت
روضة جنان ؛ لا جرم أن الله أخرجهم منها وأهبطهم ، وأرضى أهل الحق
وأسخطهم ، فإنهم — خذلهم الله — حموها بالأسل والصفاح [وبنوها بالعمد
والصفاح] ، أودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والأستبارية منها كل غريبة
من الرُخام الذي يطرِدُ ماؤه ، ولا يطرِدُ لآلؤه ، وقد لطف الحديد في تجزيه ،
وتفنن في توشيعه ، إلى صار الحديد ، الذي فيه بأس شديد ، كالذهب الذي فيه
نعيم عتيق ، فما ترى إلا مقاعد كالرياض ، لها من بياض الترخيم رقرق [وعمداً
كالأشجار لها من التنبيت أوراق] .

وأوعز الخادم برد الأقصى إلى عهده المعهود ، وأقام له من الأئمة من يوفيه
وردة المورد .

وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شهر شعبان فكادت السموات يتفطرن
للسجود لا للوجوم ، والكواكب [منها] ينتثرن للطرب لا للوجوم ، ورفعت
إلى الله كلمة التوحيد ، وكانت طرائقها مسدودة ، وظهرت قبور الأنبياء وكانت
بالنجاسات مكدودة ؛ وأقيمت الخمس وكان التشيئ يُقعدُها [وجهرت الألسن
بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدُها] ، وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه
الأشرف من المنبر ، فرحب به ترحيب من بر بمن بر ، وخفق علماه
في حفاقه ، فلو طار به سروراً لطار بمناحيه .

وكتابُ الخادم وهو مُجَدِّ في استفتاح بقية الثغور ، واستشراح ماضاق بتأدي
الحرب من الصدور ، فإنَّ قوى العساكر قد استنفدت مواردها ، [وأيامَ الشتاء
قد مرَّدت مواردها] ، والبلادُ المأخوذةُ المشارُ إليها قد جاست العساكرُ خلالها ،
ونهبَت ذخائرها وأكلت غلالها ؛ فهي بلادٌ تُرْفَدُ ولا تُسْتَرْفَدُ ، وتُجَمُّ
ولا تُسْتَفَدُ ، ويُنفَقُ عليها ولا يُنْفَقُ منها ؛ وتُجَهَّزُ الأساطيلُ لبحرها ، وتقام
المرايط لبرِّها ، ويدأب في عمارة أسوارها ، ومرمَّاتٍ معاقليها ، وكلُّ مشقةٍ فهي
بالإضافة إلى نعمةِ الفتح محتملة ، وأطامع الفرج فيما بعد ذلك مذاهبها غير مُرَجَّيةٍ
ولا مُعْتَزلةٍ ، فلن يدعوا دَعْوَةً يرجو الخادمُ من الله أنها لا تُسمع ، ولن تزول
أيديهم من أطواق البلاد حتى تُقَطَّع .

وهذه البشائرُ لها تفاصيلٌ لا تكاد من غير الألسنة تتشخص ، ولا بما سوى
المشافهة تتلخص ، فلذلك نفذنا لساناً شارحاً ، ومُبَشِّراً صالحاً ؛ ينشرُ الخبرَ
على سياقته ، ويعرض جيشَ السرَّةِ مِن طليعته إلى ساقته .



خطاب بقلم العباد الأصفهاني صادر عن صلاح الدين
إلى الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ينبئه بفتح القدس .

عن : (القلقشندي : صبح الأمتى ، ج ٦ ، ص ٥١٧ — ٥٢٠)

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ) .

الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، على نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل
ومن بعد ؛ وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على شبهها كرام
الصحائف ، ولم يُجادل عن مثلها في المواقف ؛ في الأيام الإمامية الناصرية زادها الله
غوراً وأوضاحاً ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدواً ورواحاً ؛ ومكن سيوفها
في كل مازق ، من كل كافرٍ ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سرية تجمع بين
مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتحمي بالحقيقة حمى الحقائق ،
وأنجزها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، وملسكها هوادي المغارب ومرامي
المشارك ؛ ولا زالت أراؤها في الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفاتيح ، وأطراف
أستها لدماء الأعداء نوازع .

والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وأيده ، وأظفر جنده الغالب
وأنجده ، وجالاً به جلايب الظلماء وجدّد جدّده ؛ وجعل بعد عُشرٍ يُسراً ،
وقد أحدث الله بعد ذلك أمراً ، وهوّن الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع عليه
صبرا ، وخوطب الدين بقوله : (وَاتَّقُوا اللَّهَ مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ) .

فالأولى في عصر النبي — صلى الله عليه وسلم — والصجابة ، والأخرى هذه التي عتق فيها من رق الكآبة ، فهو قد أصبح حراً فالزمان كهيئته استدار ، والحق بمهجته قد استنار ؛ والكفرُ قد ردَّ ما كان عنده من المستعار ، وغُسل ثوبُ الليل بما فَجَّرَ الفجرُ من أنهار النهار ؛ وأتى الله بُنيانَ الكفر من القواعد ، وشفى غليل صدور المؤمنين برقاق ماء الموريات البوارد ، أنزل ملائكة لم تظهر للعيون اللاحظة ، ولم تخف عن القلوب الحافظة ؛ عزت سِيا الإسلام بمسومها ، وترادف نصره بُمردفها ، وأخذت القرى وهي ظالمةٌ فترى مترفيها كأن لم تُؤوَّ فيها ؛ فكم أقدم بها حيزوم ، وركض فاتبعه سحابٌ تجأججٍ مركوم ، وضرب فإذا ضربه كتابٌ جراحٍ مرقوم .

وإلا فإن الحروب إنما عقدت سجلاً ، وإنما جمعت رجالاً وإنما دعت خفاً وثقالاً ؛ فإما سيوف تقانلُ سيوفاً ، أو زحوفٌ تقانل زحوفاً ؛ فيكون حَدُّ الحديدِ بيدٍ مذكراً وبيدٍ مؤنثاً ، ويكون السيفُ في اليد الموحدة يُغنى بالضربة الموحدة ، ومن اليد المثلثة لا يغنى بالضرب مثلثاً ، وذلك أنه في فئتين التقتا ، وعدوتين لغير مودة اعتنقتا ، وإن هذه النصره إن زويت عن ملائكة الله جُحدت كراماتهم ، وإن زويت عن البشر فقد عرفت قبلها مقامتهم ، فما كان سيف يتيقظ من جفنه قبل أن ينبهه الصرير ، ولا كان ضربٌ يطير الهام قبل ضرب يراه الناظر ويسمعه المصيح ، فكم ضربةٌ كأنها هجرة الموت وبها التاريخ ، وكم طعنةٌ تحزُّ لها هضاب الحديد ولها شماريح .

والحمد لله الذي أعاد الإسلام جديداً ثوبه ، بعد أن كان جديداً حباًه ، مبيضاً نصره ، مخضراً نصله ، متسعاً فضله ، مجتمعاً شمله .

والخادم يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم ، والنصر الكريم ؛ ما يشرح صدور المؤمنين ، ويمنح الحبور لكافة المسلمين ؛ ويكرر البشرى بما أنعم الله به

— من يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر إلى يوم الخميس منسلخه —
وتلك سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً سخرها الله على الكفار (فترى القوم فيها
صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية) ورايتها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت
من الكفر باكية .

فيوم الخميس الأول فتحت طبرية ، وفاض رى النصر من بحيرتها ، وقضت
على جسرهما الفرنج فقضت نحبها بحيرتها .

وفي يوم الجمعة والسبت كسر الفرنج الكسرة التي ما لهم بعدها قائمة ،
وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظلمة .

وفي يوم الخميس منسلخ الشهر فتحت عكا بالأمان ، ورُفعت بها أعلام
الإيمان ؛ وهي أم البلاد ، وأخت إرم ذات العماد ؛ وقد أصبحت كأن لم تفن
بالكفر وكان لم تفتقر من الإسلام .

وقد أصدر هذه المطالعة وصليب الصابوت مأسور ، وقاب ملك الكفر
الأسير جيشه المكسور مكسور ؛ والحديد الكافر الذي كان في الكفر
يضرب وجه الإسلام ، وقد صار حديداً مسلماً يُفرق خطوات الكفر
عن الأقدام ؛ وأنصار الصليب وكبارهم ، وكل من المعمودية عُمدته والدائر داره ؛
وقد أحاطت به يد القبضه ، وأخذ رهناً فلا تقبل فيه القناطير المقنطرة
من الذهب والفضة ؛ وطبرية قد رُفعت أعلام الإسلام عليها ، ونكست من
عكاً ملة الكفر على عقبيها ، وعمرت إلى أن شهدت يوم الإسلام ، وهو خير
يومها ؛ بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غسل عن بلاد الإسلام
بدماء الشرك ما كان يتخللها فلا ضرر ولا ضير ؛ وقد صارت البيع مساجدهم ،
بها من آمن بالله واليوم الآخر ، وصارت المناجر مواقف لخطباء المنابر ، واهتزت

أرضها لوقوف المسلمين فيها وطلما ارتجّت لمواقف الكافر ، والبأسُ الإمامي
الناصرى قد أمضى مشكاته على يد الخادم حتى بالدني في الكنائس ،
وإنَّ عنَّ أول الإسلام بحطّ تاج فارس ، فكم حطّت سيوفه في هذا اليوم
من تاج فارس .

فأما القتلى والأسارى فإنها تزيد على ثلاثين ألفاً .

وأما فرسان الديوية والاستتارية فقد أمضى الله حكمه فيهم وقطع بهم
سيوف نار الجحيم ، ووصل الراحل منهم إلى الشقاء المقيم ؛ وفك بافرنس كافر
الكفار ، ومشيد النار ، من يده في الإسلام كما كانت يد السكيم ؛ وانفرت
النصرة عن ثغر عكا بحمد الله الذي يسر فتحها ، وتسلمتها الملة الإسلامية
بالأمان وعرفت في هذه الصفة ربهما .

وأما طبرية فافترتها يد الحرب فأنهت الحرب جرحها .

فالحمد لله حمداً لا تضرب عليه الحردد ، ولا تزكى بأزكى منه العقود ؛
وكأنه بالبيت المقدس وقد دنا الأقصى من أقصاه ، وبأنغ الله فيه الأمل الذي علم
أن يحصيه وأحاط بأجله وأقصاه ؛ لكل أجل كتاب ، وأجل العدو هذه
الكتائب الجامعة ، ولكل عمل ثواب ، وثواب من هدى لطاعته جنات نعيمه
الواسع ؛ والله المشكور على ما وهب ، والمسئول في إدامة ما استيقظ من جد
الإسلام وهب .

وقد توجه من جانبه الأمير رشيد الدين دام تأييده في إهداء هذه البشري
نيابة عن الخادم ، ووصف ما يسره الله لأوليائه من العزائم ، والبلاد والمعاقل
التي فتحت هي : « طبرية ، عكا ، الناصرة ، صفورية ، قيسارية ، نابلس ،
حيفا ، مغلينا ، القرزله ، الطور ، الشقيف ، وقلاع بين هذه كثيرة » .

والولد المظفر تقي الدين بصور وحصن تبنين .

والأخ العادل سيف الدين — نصره الله — قد أوفت بالوصول من عنده من العساكر فينزل في طريقه على غزة وعسقلان ، ويجهز مراكب الأسطول المنصور ويكثر عددها ، ويسير بها إلى ثغر عكا المحروس ويشجعها بالرجال ، ويوفر سلاحها وعددها ؛ والنهوض إلى القدس فهذا أوان فتحه ولقد دام عليه ليل الضلال ، وقد آن أن يستقر فيه الهدى مشكور الإحسان ، إن شاء الله تعالى .



خطاب مرسل من السلطان صلاح الدين إلى أخيه
سيف الإسلام — صاحب اليمن — يستقدمه إليه ، معاوناً له
على قتال الفرنج ، ويخبره بما وقع له من الفتوحات في سنة
أربع وثمانين وخمسمائة .

عن : (التلغندي : صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٤٠ -- ٣٤٤ .
ج ٧ ص ٢٣ — ٢٧)

أصدرنا هذه المكاتبة إلى المجلس ، ومما تجدد بحضرتنا فتوح « كوكب »
وهي كرسى الإستبارية ودار كفرهم ، ومستقر صاحب أمرهم ، وموضع سلاحهم
وذخرم ، وكان بمجمع الطرق قاعداً ، وللتقى السبل راصداً ؛ فتعاقبت بفتحها
بلاد الفتح واستوطنت ، وسلكت الطرق فيها وأمنت ، وعمرت بلادها
وسكنت ؛ ولم يبق في هذا الجانب إلا « صور » ، ولولا أن البحر ينجد لها
والمراكب تردها ، لكان قيادها قد أمكن ، وجأحها قد أذعن ؛ وما هم بحمد
الله في حصن يحميهم ، بل في سجن يخويهم ، بل هم أسارى وإن كانوا طلقاء ،
وأموات وإن كانوا أحياء ؛ قال الله عز وجل : (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا
نَعْدُّ لَهُمْ عَدًّا) ولكل امرئ أجل لا بد أن يصدق غائبه ، وأمل لا بد
أن يكذبه خائبه .

وكان نزولنا على « كوكب » بعد أن فتحنا « صفد » بلاد الديورية
ومعقلهم ، ومشتغلهم وعمالهم ، ومحالهم الأحمق ومنزلم ؛ وبعد أن فتحنا

« الكرك » وحصونه ، والمجلس السيفي — أسماء الله — أعلم بما كان على الإسلام من مئونته المُنْقِلِه ، وقضيته المشككة وعِلته المعضله ؛ وأن الفرنج — لعنهم الله — كانوا يقعدون منه مقاعد السمع ، ويتبوءون منه مواضع للنفع ؛ ويحولون بين قات وراكبها ، فيذلّلون الأرض بما كان منه ثقلًا على منّا كبها . والآن ما أمن بلاد الهرمين ، بأشدّ من بلاد الحرّمين ؛ فكُلّها كان مشتركا في نُصرة المسلمين بهذه القلعة التي كان تُرامى ولا تُرام ، وتُسامى ولا تسام ؛ وطالما استفرغنا عليها بيوت الأموال ، وأنفقنا فيها أعمار الرجال ، وقرعنا الحديد بالحديد إلى أن ضجّت النصال ؛ والله المشكور على ما انطوى من كلمة الكفر وانتشر من كلمة الإسلام . وإن بلاد الشام اليوم لا تسمع فيها لغوا ولا تأثيا إلا قِيلاً سلاماً سلاماً فادخلوها بسلام .

وكان نزولنا على « كوكب » والشتاء في كوكبه ، وقد طاع بيمن الأنواء في موكبه ، والتلوج تنشر على البلاد ملأها النضيب ، وتكسو الجبال عماثها البيض ؛ والأودية قد عجت بمائها ، وفاضت عند امتلائها ؛ وشمخت أنوفها سيولا ، فخرقت الأرض وبلغت الجبال طولا ؛ والأوحال قد اعتقلت الطرقات ، ومشى المطاق فيها مشية الأسير في الحلقات ؛ فتجشّمتنا العناء نحن ورجال العساكر ، وكثرنا العدو والزمان وقد يُحرز الحظّ المكاثِر ؛ وعلم الله النية فأنجَدنا بفضائها ، وضمير الأمانة فأعان على حملها ؛ ونزلنا من رؤوس الجبال بمنازل كان الاستقرار عليها أصعب من نقلها ، والوقوف بساحتها أهون من نقلها (وأما بنعمة ربك فحدث) .

والحمد لله الذي ألهمنا بنعمته الحديث ، ونصر بسيف الإسلام الذي هو سيفه وسيف الإسلام الذي هو أخونا الطيب على الخبيث ، فمدح السيف ينقسم على حدّيه ، ومدح الكريم يتعدى إلى يديه ؛ والآن فالمجلس

— أسماء الله — يعلم أن الفَرَنَج لا يسألون عما فتحنا ، ولا يصبرون على ما جرحنا ؛
فإنهم — خذلهم الله — أمم لا تحصى ، وجيوش لا تسنقصى ؛ ووراءهم
من ملوك البحر من يأخذ كل سفينة غصبا ، ويطمع في كل مدينة كسبا ،
ويد الله فوق أيديهم ، والله محيط بأقربهم وأبعدهم ؛ و (سيجعل الله بعد
عسر يسرا) . (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) .

وما هم إلا كلاب قد تعاوت ، وشياطين قد تعاوت ، وإن لم يقذفوا
من كل جانب دحورا ، ويتبعوا بكل شهاب ثاقب مدحورا ؛ استأسدوا
واستكلبوا ، وتألّبوا وجلّبوا وأجلّبوا ، وحاربوا ، وخربوا ؛ وكانوا لباطلهم
الداحض ، أنصر منا لحقنا الناهض ؛ وفي ضلالهم الفاضح ، أبصر منا لهدانا
الواضح ؛ والله درّ جرير حيث يقول :

إن الكريمة ينصر الكرم ابنها وابن اللثيمة للشام نصور

فالبدار إلى النجدة البدار ، والمسارة إلى الجنة فإنها لن تبال إلا بإيقاد
نار الحرب على أهل النار ، والهمة الهمة فإن البحار لا تلقى إلا بالبحار ، والملوك
الكبار لا يقف في وجوهها إلا الملوك الكبار .

وما هي إلا نهضة تورث العلاء ليومك ما حنت روازيم نيب
ونحن في هذه السنة — إن شاء الله تعالى — نزل على أنطاكية ،
وينزل ولدنا الملك المظفر — أظفروه الله — على طرابلس ؛ ويستقر الرّكاب
العادى — أعلاه الله — بمصر فإنها مذكورة عند العدو — خذله الله — بأنها
تطرق ، وأن الطاب على الشام ومصر تفرق ؛ ولا غنى عن أن يكون المجلس
السيفى — أسماء الله — بحراً في بلاد الساحل يزخر سلاحا ، ويجرد سيفاً
يكون على مافتحناه قفلا ولما لم يفتح بعد مفتاحا ؛ فإنه ليس لأحد ما للأخر

من سُمِّعَ لها في كل مَسْمَعٍ سَمِعَهُ ، وفي كل رُوعٍ رَوَّعَهُ ، وفي كل مُحَضَّرٍ مُحَضَّرَ ،
وفي كل مسجدٍ منبر ، وفي كل مَشْهَدٍ مَخْبَرٌ ؛ فما يُدْعَى العَظِيمُ إلا للعَظِيمِ ،
ولا يُرْجَى لمَوْقِفِ الصبرِ الكَرِيمِ إلا الكَرِيمُ ؛ والأَقْدَارُ ماضية ، وبمَشِيئَةِ اللَّهِ
جارية ؛ فإنَّ يَشَاءُ اللَّهُ يَنْصُرْ عَلَى الْعَدُوِّ الْمَضْعَفِ ، بِالْعَدَدِ الْأَضْعَفِ ؛ وَيُوصِّلُ
إِلَى الْجَوْهَرِ الْأَعْلَى ، بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى ؛ فَإِنَّا لَا نَرْتَابُ أَنَّ اللَّهَ مَافَتْحَ عَلَيْنَا هَذِهِ
الْفُتُوحَ لِيُغْلِقَهَا ، وَلَا جَمَعَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْأُمَّةَ لِيُفَرِّقَهَا ؛ وَأَنَّ الْعَدُوَّ إِنْ خَرَجَ
مِنْ دَارِهِ بَطَرًا ، وَدَخَلَ إِلَى دَارِنَا كَانَ فِيهَا جَزَرًا ، وَمَا بَقِيَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
إِلَّا أَمْوَالٌ تُسَاقُ إِلَى نَاهِبِهَا ، وَرِقَابٌ تُقَادُ إِلَى ضَارِبِهَا ، وَأَسْلِحَةٌ تُحْمَلُ إِلَى كَاسِبِهَا ،
وَأَمَّا نُؤْثِرُ أَنْ لَا تَنْطَوِي صَحَائِفُ الْحَدِّ خَالِيَةً مِنْ اسْمِهِ ، وَمَوَاقِفُ الرُّشْدِ خَاوِيَةً
مِنْ عِزِّهِ ؛ وَنُؤْثِرُ أَنْ يُسَاهِمَ آلُ أَيُّوبَ فِي مِيرَاثِهِمْ مِنْهُ مَوَاقِعَ الصَّبْرِ ، وَمَطَالِعَ
النَّصْرِ ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّا عَلَى أَنْ نُعْطِيَهُ عَطَايَا الْآخِرَةِ الْفَاخِرَةِ ، أَشَدُّ مَنَّا حِرْصًا عَلَى أَنْ
نُعْطِيَهُ عَطَايَا الدُّنْيَا الْقَاصِرَةِ ، وَإِنَّا لَا يَسِرْنَا أَنْ يَنْقُضِيَ عُمرُهُ فِي قِتَالِ غَيْرِ الْكَافِرِ ،
وَنَزَالَ غَيْرَ الْكَفِّءِ الْمُنَاطِرِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ سَيْفَهُ لَوْ اتَّصَلَ بِإِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمٍ ،
لَقَالَ مَا دُمْتُ هُنَاكَ فَلَسْتُ مُتَمِّمٌ ؛ وَمَا هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى خُطَّةٍ يَخَافُهَا ، وَلَا مُتَكَلِّفٌ قَضِيَّةٍ
يُحْكَمُ بِهَا عَاقِبَتُهَا ؛ وَالَّذِي بِيَدِهِ لَا نَسْتَكْثِرُهُ ، بَلْ نَسْتَقْصِرُهُ عَنْ حَقِّهِ وَنَسْتَصْغِرُهُ ؛
وَمَا نَاوَلْنَاهُ لِفَتْحِ أَرْضِهِ السَّلَاحَ ، وَلَا أَعْرَنَاهُ لِمَلِكٍ مَرْكَزِهِ النَّجَاحَ ؛ إِلَّا عَلَى سَخَاءٍ
مِنَ النَّفْسِ بِهِ وَبِأَمْثَالِهِ ، عَلَى عِلْمٍ مِنَّا أَنَّهُ لَا يَقْعُدُ عَنَّا إِذَا قَامَتِ الْحَرْبُ بِنَفْسِهِ
وَمَالِهِ ، وَلَا نَكُنْ بِهِ ظَنًّا أَحْسَنَ مِنْهُ فَعَلًا ، وَلَا نَرْضَى وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ أَهْلًا أَنْ
لَا نَرَاهُ لِنَصْرِنَا أَهْلًا ، وَلَيْسَتْ شِرْ أَهْلَ الرِّشَادِ فَإِنَّهُمْ لَا يَأْلُونَهُ حَقًّا وَاسْتِنْبَاطًا ،
وَلِيُعْصِ أَهْلَ الْغَوَايَةِ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَغَالَوْنَ بِهِ لِمَصَالِحِهِمْ أَغْرَاضًا ؛ وَمَنْ بَيْتُهُ يَظُنُّ
وَأِلَى بَيْتِهِ يَقْفُلُ ، وَهُوَ يَجِيبُنَا جَوَابَ مِثْلِهِ لِمِثْلِنَا ، وَيَنْوِي فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ جَمَعَ
شَمْلِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ نِيَّةِ جَمْعِ شَمْلِنَا ؛ وَلَا تَقْعُدُ بِهِ فِي اللَّهِ نَهْضَةٌ قَائِمٌ ، وَلَا تَحْزَلُهُ

عزيمة عازم ؛ ولا يستفت فيها فوت طالب ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ؛
فإنما هي سفرة قاصدة ، وزجرة واحدة ؛ فإذا هو قد بيّض الصحيفة والوجه
والذكر والسمة ، ودان الله أحسن دين ، ولا حرج عليه إن فاء إلى أرضه
بالرجعة ، ولتدبر ما كتبناه ، ولتفهم ما أردناه ؛ وليقدم الاستخارة ، فإنها
سراج الاستنارة . وليغضب الله ورسوله ولدينه ولأخيه ، فإنها مكان الاستغاضاب
والاستنارة ، وليحضر حتى يشاهد أولاد أخيه ، يستشعرون لفرقة غمًا ، وقد
عاشوا ما عاشوا لا يعرفون أن لهم مع عمهم غمًا ، والله سبحانه يُلهمه توفيقًا ،
ويسلك به إليه طريقًا ، وينجدنا به سيفًا لرقبة الكفر ممزقا ، ودمه مريقا ،
ويجعله في مضمار الطاعات سابقًا لا مسبوقًا . إن شاء الله تعالى .



خطاب بقلم القاضي الفاضل مرسل من صلاح الدين
إلى ديوان الخلافة ببغداد .

عن : (التلخشي : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٥٠٤ - ٥٠٦)

أسعد الله عظماء الأملاك بالانتساب إلى الخدمة الشريفة النبوية ، وأوزعهم
ما أمرهم به من طاعتها ، وخلد ملك الديوان العزيز النبوي ما دامت الأفلاك
قائمة ، والنجوم ناجمة ، وتقع بغائثها غلال الآمال الحائمة ، وفتر بمكارمها حلم
الأماني الحاملة ، ورتق بتدبيراتها المعصومة فتوق الثوب المتعاضمة ، وأظهر
على أيدي أوليائها معجزات نصرها ، وصرف الأيام والليالي بين المرضيين لله
نهيها وأمرها ، وأودع بركات السماء والأرض بمودعها ومستقرها .

المملوك — وإن كان قد يسر الله له منذ أطلقت عذبة لسانه ، خدمة الدولة
العباسية ، فتفسح في وسيع مآثرها ، وتخير من بديع جواهرها ، وامتاح من ندير
زواجرها ، فإنه لا يعتذر عن الحضر الذي اعتراه في وصف المنعم عليه به من
الخطاب الشريف ، الذي لولا أن عصمة الموالاة تثبت فؤاده الخافق ، وتسدد لسانه
الناطق ، لما تعاطى وصف ما أعطاه من كتابه المرقوم ، وسبق إليه من سحابه
المركوم ، فإنه مما يشف عنه الأمان ناكصا وهو كسير ، وينقلب دونه البصر
خاسئا وهو حسير ، إلا أن الإنعام الشريف يبدأ الأولياء بما لو وكلهم إلى أمانهم
لتهيئت أن تتعاطى حظيته ، ولو فوضه إلى راحتهم ، لنسكت عن أن تترقى

نصَّيْتَهُ ، ولا غرو للسحاب أن بصافحَ قَطْرُهُ الثرى ، والفجرِ أن يشرقَ نوره
على عين الكرى والسرى .

فالحمدُ لله الذى قرَّب على المملوك منالَ الآمال ، وثبَّت حصاة فؤاده
لما لا تستقل بحمله صُمُّ الجبال ، وبسْتَنِيْبُ عن جَهْرِ الشكرِ بِسِرِّ الأدعية ،
ويقتصر على ما يفضى به إلى المحاريب وإن لم يُقَصِّرْ عما يَقْصُهُ فى الأندية ؛
ويطالع بأن مملوك الخدمه وابنُ مملوكها أخذ الكتابَ بقوة ، وثمرَ لخدمة أشرف
خلافةٍ لأشرف نبوة ، وتلقَّاه تلقى أبيه الأولِ الكلمات ؛ ورأى إطلاعَ الله
لأمير المؤمنين على ما فى ضميره من طائته ، إحدى المعجزات والكرامات ، وسمع
المشافهة خاشعاً متصدعاً ، واشتمل عليها بنهمه سامياً طرفه متطلعاً .

ولقد أشبه هذا الكتابُ الكريمَ بيعةً أخذت عليه ، مدَّ إليها يده آخذاً
بكلتا يديه ، والمملوكُ يرجو ، بل يتحقق ، أن هذا العبدَ المشارَ إليه ، سيوفى
على سابقه من عبيد الدولة العباسية فى زمان ، ويكون بمشيئة الله أسبقَ منهم
بالإحسان ؛ وقد صدرت خدمتان من جهته ، وبمدهما تصدر الخدم ، ولا يألُو جهداً
فى الخدمتين مباشرة بيده السيف ، ومستنبيهاً عنها العلم ، وله نُصْرَةٌ باقيةٌ فى الولاء
وهو غنى بها عن النصير ، وسريرةٌ باديةٌ فى الطاعة هو إليها أسكنُ منها
إلى كل مشير .

يعود المملوك إلى ما لا يزال يفتح به الصلوات المفروضة ، ويختتم به
الختامَ المعروفه ؛ من الدعاء الصالح الذى [وإن] أغنى الله وليه عنه فقد
أحوج ذوى العقائد السليمة إليه ؛ لأنه مُزَكَّى لأعمالهم ؛ بل متم لإسلامهم ،
وكيف لا يدعون لمن يُدْعون به يوم يُدعى كلُّ أناسٍ بإمامهم ، فيقول : جمع الله
لأمير المؤمنين طاعة خاتمه ! وأذلَّ رقابَ الباطل سيف حقه ! ، وجعل الله ما هو

قبضته في الأخرى قبضة أمير المؤمنين في الأولى ! من الأرض التي هي موطوءة
كالسموات العلى ، وأدام نِعَمَه على هذه الأمة بإمامته ، وأظهر كرامة نبيّه
عليه السلام بما يظاھر به من كرامته ؛ وعَجَّلَ لمن لا يقوم بغرض ولايته إقامة
قيامته ، وردَّ بسيفه التي لا تُرَدُّ ما الإسلام ممطوّلٌ به من ظلامته ، وأقام به
مناهج الدين لأهله ، وأظهره بمظاھرتة على الدين كلّهُ ، حتى يلقي الله وما خلف
في الدنيا كافراً ولا ضميراً إلا بالتوحيد عامراً ، ولا بلداً إلا وقد بات الإسلام به
آهلاً ، وقد أصبح منه الكفر دائراً ، إن شاء الله تعالى .



خطاب بقلم القاضي الفاضل درسل من السلطان صلاح الدين
إلى الخليفة الناصر لدين الله بنخبر ملك الألمان والقتال معه ،
في جواب كتاب ورد عليه .

عن : (القلقشندي . صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ١٢٦ — ١٣٠)

أدام الله ظلَّ الديوان العزيز النبوي ، الإمامي ، الشريف الناصري ؛
ومدّه على الأمة ظليلاً ، وجعل الأنوار عليه دليلاً ؛ وحاطه بلطفه وتقبل أعماله
بقبول حسن وأنتها ، وأزغم أعداءه وكبتها ، ومسّها بعذاب من عنده وسحقها ؛
ولا زالت رايته السوداء بيضاء الخبر ، محرّرة المخبر في العداة مسودة الأثر .

ورد على الخادم ما كوتب به من الديوان العزيز رائداً في استخلاصه ،
مُبرهنًا عن اختصاصه ، مُطلقاً في الشكر لسانه ، وفي الحرب لعنانه ؛
ومقتضياً لأمنيّة كان يتهيّبها ، ومنيضاً لمكرمة لو سمت نفسه إليها ، كان
يتهمها ، فله هو ! من كتاب كأنه سورة وكلّ آية منه سجدة ، قابله بانخسوع
كأنما قلّم الكتاب القضيبي وطرسه البردة ؛ وتلاه على من قبله من الأولياء
مستزهِفاً به لعزائمهم ، مستجزلاً به لمغانمهم ؛ مستثبناً به للآزمهم ، مستدعياً به
الخدمة للآوزمهم ؛ مرهفاً به ظباهم في القتال ، فاسحاً به خطاهم يوم النزال ؛
فأثر فيهم كالاقتداح في الزند ، وكالانبجاس من الصلْد ، وكالاستلّال
من الغمد ، فشمّر مَنْ كان قد أسبل ، وانتهى مَنْ كان قد أجبل ؛ وكأنما أعطوا
كتاباً من الدهر بالأمان ، أو سمعوا منادياً للإيمان ؛ وقالوا سمعنا

وأطعنا ، وعلينا من الخدمة ما استطعنا ؛ هذا مع كونهم أنضاء زُحُوف ،
وأشلاء حُتُوف ، وضرائب سيُوف ؛ قد وسمت وجوههم علامات الكِفَاح ،
وأحالت غرضهم أقلام الرِّماح ؛ صارين مُصابرين ، مُكاثرين مُكابرين ،
مُناضلين مُناظرين ؛ قد قاموا عن المسلمين بما قعد عنه سائرهم ؛ ونزلوا بقارعة
القِرَاع فلا يَسِيرُ عنها سائرهم ؛ وسدست كعوب الرِّماح أنماهم ، وأثبتتوا
في معترك الموت أرجلهم ؛ كلُّ ذلك طاعة لله ورسوله وخلايفتيهما ، وإذا رموا
فأصابوا ، قالوا : ولكنَّ الله رمى .

ومن خبر الكفار أنهم إلى الآن ، على عكس يمدِّهم البحرُ بمراكب أكثر
عدَّة من أمواجه ، ويخرج للمسلمين منهم أمرٌ من أجاجه ؛ قد تعاظدت ملوكُ
الكُفَرِ عل أن يُنهِضُوا إليهم من كلِّ فرقة منهم طائفة ، ويقلِّدوا لهم من كلِّ
قرن يُعْجِزُ بالكرَّة واصِفَه ؛ فإذا قتل المسلمون واحداً في البرِّ ، بعث البحرُ
عوضه ألفاً ، وإذا ذهب بالقتل صنفٌ منهم ، أخلف بدله صنفًا ؛ فالزرع أكثرُ
من الجِداد ، والثمرَةُ أنمى من الحِصاد . وهذا العدوُّ المقاتل — قاتله الله —
قد زرَّ عليه من الخنادق أدراعاً متينة ، واستجنَّ من الجنويات بحصون حصينة ؛
مُضْجِراً ومُتَمَنِّعاً ، وجاسراً ومتدرباً ، ومُواصلًا ومُنْقَطِعاً ، وكلُّما أخرج رأساً
قد قُطِعَ منه رُفُوس ، وكلُّما كُشِفَ وجهها كُشِفَتْ من غطاء أجسادها
نُفُوس ؛ فكم من يوم أرسلوا أعنة السوابق فذمُّوا عُمَيَّ إرسالها ، وكم من ساعة
فضُّوا فيها أقفال الخنادق ، فأفضى إليهم البلاء عند فضِّ أقفالها ؛ إلا أن عددهم
الجمُّ قد كثرَ القتل ، ورقابهم الغلب قد قطعت النِّصل لِشِدَّة ما قطعها النِّصل ،
ومن قبل الخادم من الأولياء قد أثرت المدة الطويلة والكُفُف الثقيلة
في استطاعتهم ، لا في طاعتهم ، وفي أجوالهم لا في شجاعتهم ؛ فالبرك قد أنصوه ،

والسَّلاح قد أحفوه ، والدَّرهم قد أفنوه ، وكل من يعرفهم من أهل المعرفة ،
ويراهم بالعين فما هم مثل من يراهم بالصفة ؛ يناشدُ الله المناشدة النبوية ،
في الصَّيحة البذرية ؛ اللهم أن تهلك هذه العصابة ، ويخلص الدعاء ويرجو
على يد أمير المؤمنين الإجابة .

هذا والساحل قد تماسك ، ومات بهالك ، وتجلد ، ومات تبلد ؛ وشجعت
مواعد النجدة الخارجة . . وأسئلته عن مصارع العدة الدارجة ؛ فكيف به
إذا خرج داعية الألمان ، وملوك الصُّلبان ؛ وجموع ما وراء البحر ، وحشود
أجناس الكُفر ؟ وقد حرّم باباهم — لعنة الله عليهم وعليه — كلّ مباح
واستخرج منهم كلّ مذخور ، وأغلق ذونهم الكنائس ، ولبس وألبسهم
الحِداد ، وحكّم عليهم أن لا يزالوا كذلك أو يستخلصوا المقبرة ، ويُعيدوا
القمامة . (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من
الناس وإني جار لكم) .

لهم أخفّر جواره ، واضرف جورده ، وأخلف وعده ، واكسر ضمّانه ،
وانكصه على عقبه ، وعجل في الدنيا والآخرة منهم تبابه . وما بدأتنا به
من نعمتك فلا تقطعه ، وما وهبتنا من نصرك فلا تسلبه ، وما سترته من عجزنا
فلا تهتكه . وفي دون ما الدين مستقباه ، وعدوه خذله الله يومئله ؛ ما يستفرغ
عزائم الرجال ، ويستنفذ خزائن الأموال ؛ ويوجب لإمام هذه الأمة أن يحفظ
عليها قبالتها ، ويؤرخ في قتل عدوها عتبا ؛ ولولا أن في التصريح ، ما يعود
على عدالته بالتجريح ، لقال ما يبكي العين ويبكي القلوب ، وتنشق له الرائر
وتشق له الجيوب ، وليكنه صابر محتسب ، منتظر لنصر الله مرتقب ، قائم
من نفسه بم يحب ؛ (رَبِّ إِنِّي لَا أُمْنِي إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) ، وهو هو قد هجر

إليك هجرة يرجوها عندك مقبولة ، ووُلدِي وقد أبرزت لعدوك صفحات
وجوههم ، وهان على محبوبك بمكروهم وفيهم ومكروهم . ونقف عند هذا
الحد ، والله الأمر من قبل ومن بعد ؛ وإن لم يشكك الدين إلى « ناصره » والحق
إلى من قام بأوله وإلى اليوم الآخر يقوم بآخيره ؛ فإلى من يشتكى البث ،
وعند من يتفرج بالنفت ؟ ومنفعة الغوث قبل العطب ، والنجاء قبل أن يصل
الحزام الطبيين ، والبلاغ قبل أن يصل السيل الزبي .

فيا عَصَبَةَ محمد — صلى الله عليه وسلم — اخلفه في أمته بما تطمئن به مضاجعه ،
ووفه الحق فينا فإننا وإن المسامين عندك ودائعه ، وما مثل الخادم نفسه في هذا
القول إلا بحالة من وقف بالباب ضارعا ، وناجى بالقول صادعا ؛ ولورفعت عنه
العوائق لهاجر ، وشافة طبيب الإسلام بل مسيحه بالداء الذي خامر ؛ ولو أمِنَ
عدو الله أن يقول فرّ لسافر ، وبعد فقيه وإن عض الزمان بقيّة ، وقبله
وإن تدارأت الشهاد دريّة ؛ فلا يزال قائما حتى ينصر أو يعذر ، فلا يصل
إلى حرم ذرية أحمد — صلى الله عليه وسلم — ومن ذرية أيوب واحد يذكر .

أنجز الله لأمير المؤمنين مَوَاعِدَ نصره ! وتم مساعدة دهره ! وأصفي مَوَارِدَ
إحسانه ! وأرسى قواعد سلطانه ! وحفظه وحفظ به فهو خير حافظا ، ونصره
ونصر على يديه فهو أقوى ناصرا ، إن شاء الله تعالى .

نسخة العهد المكتوب به من ديوان الخلافة ببغداد
إلى السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب — أخى السلطان
الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب —

عن : (الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج . ١ ، ص ٩٩ - ١١١)

الحمد لله الذى اطمأنت القلوبُ بذكره ، ووجب على الخلائق جزيلُ تحمده
وشكره ، ووسعت كلُّ شيء رحمته ، وظهرت في كل أمر حكمته ، ودلَّ
على وحدانيته بعجائب ما أحكمه صنعا وتديباً ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً ؛
مُمدِّ الشاكرين بنعمه التى لا تحصى عدداً ، وعالم الغيب الذى لا يظهر على غيبه
أحداً ؛ لا مُعقب لحكمه فى الإبرام والنقض ، ولا يؤدده حفظ السموات
والأرض ؛ تعالى أن يحيط بحكمه الضمير ، وجل أن يبلغ وصفه البيان والتفسير :
(أَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

والحمد لله الذى أرسل — محمداً صلى الله عليه وسلم — بالحق بشيراً ونذيراً ، وداعياً
إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ؛ وابتعثه هادياً للخلق ، وأوضح به مناهج الرشد وسبل
الحق ؛ واصطفاه من أشرف الأنساب وأعز القبائل ، واجتباة لإيضاح البراهين
والدلائل ؛ وجعله لديه أعظم الشفعاء وأقرب الوسائل ، فقذف — صلى الله عليه وسلم —
بالحق على الباطل ، وحمل الناس بشريعته الهادية على المحجة البيضاء والسنن
العادل ، حتى استقام اعوجاج كل زائغ ، ورجع إلى الحق كل حائد عنه ومائل ؛
وسجد لله كل شيء تنفيذاً لظلاله عن اليمين والشمال ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الكرام الأفاضل ، صلاةً مستمرة بالغدوات والأصائل ؛ خصوصاً على عمّه وصنو
أبيه العباس بن عبد المطلب الذي اشتهرت مناقبه في الجامع والمحافل ؛ ودرّت
ببركة الاستسقاء به أخلاف السحب المواطيل ، وفاز من تنصيب الرسول على
عقبه في الخلافة بما لم يفز به أحد من الأوائل .

والحمد لله الذي حاز مواريث النبوة والإمامة ، ووفر جزيل الأقسام
من الفضل والكرامة ، لعبده وخليفته ، ووارث نبيّه ومحبي شريعته ، الذي أحله
الله عز وجل من معارج الشرف والجلال في أرفع ذروة ، وأعلقه من حسن
التوفيق الإلهي بأمتن عصمة وأوثق عروة ؛ واستخرجه من أشرف نجار وعنصر ،
واختصه بأزكى منحة وأعظم مفخر ؛ ونصبه للمؤمنين علماً ، واختاره للمسلمين
إماماً وحكماً ؛ وناط به أمر دينه الحنيف ، وجعله قائماً بالعدل والإنصاف
بين القوى والضعيف ؛ إمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ؛ أبي جعفر المنصور
المستنصر بالله أمير المؤمنين ؛ ابن الإمام السعيد التقي ، أبي نصر محمد الظاهر
بأمر الله ، ابن الإمام السعيد الوفي أبي العباس أحمد الناصر لدين الله ، ابن الإمام
السعيد أبي محمد المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليهم أجمعين ،
وعلى آبائه الطاهرين ، الأئمة المهديين ؛ الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ،
ولقوا الله تعالى وهو عنهم راضٍ ، وهم عنه راضون .

وبعد ، فبحسب ما أفاضه الله على أمير المؤمنين — صلوات الله عليه
وسلامه — من خلافته في الأرض ، وفوصه إلى نظره المقدس في الأمور
من الإبرام والنقض ، وما استخاضه له من حيطة بلاده وعباده ، ووكله
إلى شريف نظره ومقدس اجتهاده ؛ لا يزال — صلوات الله عليه — يكلأ
العباد بعين الرعاية ، ويسلك بهم في مصالح العامة وانحاصه مذاهب برشد وسبيل

الهداية ؛ وينشر عليهم جناحى عدله وإحسانه ، وينعم لهم النظر فى ارتياد الأمانه
والصلحاء من خلصاء أكفائه وأعوانه ؛ متخيراً للاستعلاء من استحمد إليه
بمشكور المساعى ، وتعرف إليه فى سياسة الرعايا بجميل الأسباب والدواعى ؛
وسلك فى مفترض الطاعة الواجبة على الخلائق قصد السبيل ، وعلم منه حسن
الاضطلاع فى مصالح المسلمين بالعبء الثقيل ، والله عز وجل يؤيد آراء
أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — بالتأييد والتسديد ، ويمده أبداً من أقسام
التوفيق الإلهى بالموفور والمزید ؛ ويقرن عزائمه الشريفة باليمن والنجاح ، ويسنى له
فما يأتى ويذر أسباب الخير والصلاح ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه
يتوكل وإليه ينيب .

ولما وفق الله تعالى نصير الدين محمد بن سيف الدين أبى بكر بن أيوب
من الطاعة المشهورة ، والخدم المشكورة ، والحظوة فى جهاد أعداء الدين بالمساعى
الصالحة ؛ والفوز من المراضى الشريفة الإمامية — أجاها الله تعالى — بالمغانم
الجزية والصفقة الراجحة ؛ لما وصل فيه سالف شريف الاختصاص بآنفه ، وشفع
تأله فى تحصيل مآثور الاستخلاص بطارقه ؛ واستوجب بسلوكه فى الطاعة
مفروضة مزيد الإكرام والتفضيل ، وضرع فى الإنعام عليه بمنشور شريف إمامى
يسلك فى اتباعه هداة والعمل بمرشده سواء الصراط وقصد السبيل — اقتضت
الآراء الشريفة المقدسة — زادها الله تعالى جلالاً متألق الأنوار ، وقدسا
يتساوى فى تعظيمه من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار — الإيعاز بإجابته
إلى ما وجه أمله إلى الإنافه فيه به إليه ، والجذب بضبعيه إلى ذروة الاجتباء
الذى تظهر أشعة أنواره الباهرة عليه ؛ فقلده — على خيرة الله تعالى — الزعامة
والغلات ، وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والضياع والصدقات ،
والجوالى وسائر وجوه الجبايات ، والعرض والعطاء ، والنفقة فى الأولياء ؛ والمظالم

والحسبة في بلاده ، وما يفتتحه ويستولى عليه من بلاد الفرنج الملاحين ، وبلاد من تبرز إليه الأوامر الشريفة بقصده من الشاذين عن الإجماع المنعقد من المسلمين ؛ و [من] يتعدى حدود الله تعالى بمخالفة من يصل (؟) من الأعمال الصالحات بولائه المفروض على الخلائق مقبولة ، وطاعته ضاعف الله جلاله بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم موصولة ؛ حيث قال عن من قال :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) واعتمد — صلوات الله عليه وسلامه — في ذلك على حسن نظره ومدد رعايته ، وألقى مقاليد التفويض إلى وفور اجتهاده وكمال سياسته ؛ وخصه من هذا الإناعام الجزيل بما يبقى له على تعاقب الدهر واستمراره ، ويخلد له على ممر الزمان حسن ذكره وجزيل فخاره ؛ وحباه بتقليد يوطد له قواعد الممالك ، ويفتح بإقليده رتاج الأبواب والمسالك ؛ ويفيد قاعدته في بلاده زيادة تقرير وتمهيد ، ويطير به صيته في كل قريب وبعيد ، ووسمه بالملك الأجل ، السيد ، الكامل ، المجاهد ، الم رابط ؛ نصير الدين ، ركن الإسلام ، أثير الأنام ، تاج الملوك والسلطين ، قانع الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، غازي بك محمد ، بن أبي بكر ، ابن أيوب ، معين أمير المؤمنين ، رعاية لسوابق خدمه وخدم أسلافه وآبائه ، عن وفور اجتباؤه ، وكمال ازدلافه ، وإنافة من ذروة القرب إلى محل كريم ، واختصاصاً له بالإحسان الذي لا يلقاه إلا من هو كما قال تعالى : (ذو حظ عظيم) . وثوقاً بصحة ديانته التي يسلك فيها سواء سبيله ، وإستقامة إلى أمانته في الخدمة التي ينصح فيها لله تعالى ورسوله ، وركونا إلى [كون] الإناعام عليه موضوعاً بحمد الله تعالى في أحسن موضع ، واقعا به لديه في خير مستقر ومستودع .

وأمير المؤمنين — صلوات الله عليه — (لا زالت الخيرة موصولة بآرائه ،

والتأييد الإلهي مقرونا بإنفاذه وإمضائه) يستمد من الله عز وجل حسن الإعانة في اصطفاؤه الذي اقتضاه نظره الشريف واعتماده ، وأدى إليه ارتياده المقدس الإمامي واجتهاده ؛ وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

أمره بتقوى الله تعالى التي هي الجنة الواقية ، والنعمة الباقية ؛ والملجأ المنيع ، والعماد الرفيع ؛ والذخيرة النافعة في السر والنجوى ، والجذوة المقتبسة من قوله سبحانه : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) وأن يدرع بشعارها ، في جميع الأقوال والأفعال ، ويهتدى بأنوارها ، في مشكلات الأمور والأحوال ، وأن يعمل بها سرّاً وجهراً ، ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدراً ؛ قال الله تعالى : (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) .

وأمره بتلاوة كتاب الله متديراً غوامض عجائبه ، سالكا سبيل الرشاد والهداية في العمل به ، وأن يجعله مثالا يتبعه ويقتفيه ، ودليلا يهتدى بمرآشده الواضحة في أوامره ونواهيه ؛ فإنه الثقل الأعظم ، وسبب الله الحكم . والنور الذي يهتدى به إلى التي هي أقوم ؛ ضرب الله تعالى فيه لعباده جوامع الأمثال ، وبين لهم بهداه الرشد والضلال ، وفرق بدلائله الواضحة الحرام والحلال ؛ فقال عز من قائل : (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) . وقال تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) .

وأمره بالمحافظة على مفروض الصلوات ، والدخول فيها على أكمل هيئة من قوانين الخشوع والإخبات ؛ وأن يكون نظره في موضع سجوده من الأرض ، وأن يمثل لنفسه في ذلك موقفه بين يدي الله تعالى يوم العرض ؛ قال الله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، وقال تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) . وأن لا يشتغل بشاغل عن أداء فروضها

الواجبة ، ولا يلهو بسبب عن إقامة سُنتها الذاتية ؛ فإنها عماد الدين الذى تمت
أعاليه ، ومهاد الشرع الذى تمت قواعده ومبانيه ؛ قال الله تعالى : (حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) ، وقال سبحانه : (إن الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر) .

وأمره أن يسعى إلى صلوات الجُمع والأعياد ، ويقوم فى ذلك بما فرضه
الله تعالى عليه وعلى العباد ؛ وأن يتوجه إلى الجوامع والمساجد متواضعا ، ويبرز
إلى المصليات الضاحية فى الأعياد خاشعا ؛ وأن يحافظ فى تشييد قواعد الإسلام
على الواجب والمندوب ، ويعظم باعتماد ذلك شعائر الله التى هى من تقوى القلوب ،
وأن يشمل بوافر اهتمامه واعتنائه ، وكل نظر وإرعائه ؛ بيوت الله التى هى محال
البركات ، ومواطن العبادات ؛ والمساجد التى تأكد فى تعظيمها وإجلالها حكمه ،
والبيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ؛ وأن يرتب لها من الخدم
من يتبتل لإزالة أدناسها ، ويتصدى لإذكاء مصابيحها فى الظلام وإيناسها ؛
ويقوم لها بما تحتاج إليه من أسباب الصلاح والعمارات ، ويحضر إليها ما يليق
من الفرُش والكسوات

وأمره باتباع سنة النبى صلى الله عليه وسلم التى أوضح جردها ، وثقف
— عليه السلام — أودها ؛ وأن يعتمد فيها على الأسانيد التى نقاها الثقات ،
والأحاديث التى صحت بالطرق السليمة والروايات ؛ وأن يقتدى بما جاءت به
من مكارم الأخلاق التى ندب صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغب
أُمته فى الأخذ بها والعمل بأدبها ؛ وقال الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا) . وقال سبحانه وتعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر فى ثغوره ، وأن يشماهم بحسن نظره

وجيل تديره ؛ مستصلحاً نياتهم بإدانة التلطف والتعهد ، مستوضحاً أحوالهم بمواصلة التفحص والتفقد ؛ وأن يسوسهم سياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم ، ويهديهم في انتظامها واتساقها إلى الصراط المستقيم ، ويحملهم على القيام بشرائط الخدم ، والتمسك منها بأقوى الأسباب وأمتن العصم ؛ ويدعوهم إلى مصلحة التواصل والائتلاف ، ويصدّمهم عن موجبات التخاذل والاختلاف ؛ وأن يعتمد فيهم شرائط الحزم في الإعطاء والمنع ، وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفع ؛ وأن يثيب المحسن على إحسانه ، ويسيل على المسيء ما وسعه العفو واحتمله الأمر ذيل صفحه وامتنانه ؛ وأن يأخذ برأى ذوى التجارب منهم والحنكة ، ويحتجى بمشاورتهم في الأمر ثمر الشركة ؛ إذ في ذلك أمن من خطا الأفراد ، وتزحزح عن مقام الزيغ والاستبداد .

وأمره بالتبطل لما يليه من البلاد ، ويتصل بنواحيه من ثغور أولى الشرك والعناد ؛ وأن يصرف مجامع الالتفات إليها ، ويخصها بوفور الاهتمام بها والتطلع عليها ؛ وأن يشمل ما يبلاده من الحصون والمعقل بالإحكام والإتقان ، وينتهى في أسباب مصالحها إلى غاية الوسع ونهاية الإمكان ، وأن يشحنها بالميرة الكثيرة والذخائر ، ويمدها من الأسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر ، وأن يتخير لحراستها [من يختاره] من الأمناء التقاة ، ولسدها من ينتخبه من الشجعان الكفاة ؛ وأن يؤكد عليهم في استعمال أسباب الحفظ والاستظهار ، ويوقظهم للاحتراس من غوائل الغفلة والاغترار ؛ وأن يكون المشار إليهم ممن ربوا في ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد ، وتدريبوا في نصب الحبالل للمشركين والأخذ عاينهم بالمرصد ، وأن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد ، وكثرة العدد ، والتوسعة في النفقة والعطاء ؛ والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم في التقصير والفناء ؛ إذ في ذلك حسم لمادة الأطماع في بلاد الإسلام ، ورد لكيد المعاندين

من عبدة الأصنام ؛ فمعلوم أن هذا الفرض أولى ما وجهت إليه العنايةات وصرفت ، وأحق ما قصرت عليه المهمم ، ووقفت : فإن الله تعالى جعله من أهم الفروض التي كرم فيها القيام بحقه ، وأكبر الواجبات التي كتب العمل بها على خلقه ؛ فقال سبحانه وتعالى هادياً في ذلك إلى سبيل الرشاد ، ومحرضاً لعباده على قيامهم بفروض الجهاد : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطاقون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) . وقال تعالى : (فاقتلوهم حيث ثقتهم وهم) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من نزل منزلاً يخيف فيه المشركين ويخيفونه ، كان له كأجر ساجد لا يرفع رأسه إلى يوم القيامة ، وأجر قائم لا يقعد إلى يوم القيامة ، وأجر صائم لا يفطر » . وقال عليه السلام : « غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس » . هذا قوله صلى الله عليه وسلم في حق من سمع هذه المقالة فوقف لديها ، فكيف بمن كان كما قال عليه السلام : « ألا أخبركم بخير الناس : ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها » . وأمره باقتفاء أوامر الله تعالى في رعاياه ، والاهتداء إلى رعاية العدل والإنصاف والإحسان بمراشده الواخضة ورصاياه ؛ وأن يسلك في السياسة [بهم] سبيل الصلاح ، ويشملهم بلبين الكنف وخفض الجناح ، ويمد ظل رعايته على سامهم ومعاهدهم ويزحزح الأقداء والشوائب عن مناههم في العدل ومواردهم ، وينظر في مصالحهم نظراً يساوى فيه بين الضعيف والقوى ، ويقوم بأودهم قياماً يهتدى به ويهديهم فيه إلى الصراط السوى ؛ قال الله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

وأمره باعتبار أسباب الاستظهار والأمنه . واستقصاء الطاعة والقُدرة الممكنة ، في المساعدة على قضاء تَفَثِ حُجَاجِ بَيْتِ اللَّهِ الحرام ، وزُوارِ نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأن يُمدِّمهم بالإعانة في ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ المرَام ، ويحرمهم من التخطف والأذى في حالتي الظعن والمقام ؛ فإن الحج أحد أركان الدين المشيِّدة ، وفروضه الواجبة المؤكدة ؛ قال الله تعالى « والله على الناس حِجُّ البيت » .

وأمره بتقوية أيدي العاملين بحكم الشرع في الرعايا ، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام والقضايا ؛ والعمل بأقوالهم فيما يثبت لذوى الاستحقاق ، والشد على أيديهم فيما يرونه من المنع والإطلاق ، وأنه متى تأخر أحد الخصمين عن أجابة داعي الحكم أو تقاعس في ذلك لما يلزم من الأداء والعدم ، جذبه بعنان القسر إلى مجلس الشرع واضطره بقوة الانصاف إلى الأداء بعد المنع . وأن يتوخى عُمال الوقوف التي تقرب المتقربون بها ، واستمسكوا في ثواب الله بمتين حبلها . وأن يمدِّمهم بجميل المعاونة والمساعدة ، وحسن الموازنة والمعاوضة ، في الأسباب التي تؤذن بالعمارة والاستئمان ، وتعود عليها بالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء ؛ قال الله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)

وأمره أن يتخير من أولى الكفاءة والنزاهة من يستخلصه للخدم والأعمال ، والقيام بالواجب : من أداء الأمانة والحراسة والتمييز لبیت المال . وأن يكونوا من ذوى الاضطلاع بشرائط الخدم المعينة وأموالها ؛ والمهتدين إلى مسالك صلاحها وتديرها . وأن يتقدم إليهم بأخذ الخُتُوف من وجوها المتيقنة ، وجبايتها في أوقاتها المعينة ؛ إذ ذاك من لوازم الجند ووُفُور الاستظهار ، وموجبات قوة الشوكة بكثير الأعوان والأنصار ، وأسباب الحِيطة التي تحمى بها البلاد والأمصار ؛ ويأمرهم بالجرى في الطسوق والشروط على النمط المعتاد ، والقيام في مصالح الأعمال

على أقدام الجد والاجتهاد . وإلى العاملين على الصدقات بأخذ الزكوات على مشروع السنن المهيغ ، وقصد الصراط المتبع ؛ من غير عدول في ذلك عن المنهاج الشرعى ؛ أو تساهل في تبديل حكمها المفروض وقانونها المرعى ، فإذا أخذت من أربابها الذين يطهرون ويزكون بها ؛ كان العمل في صرفها إلى مستحقها بحكم الشريعة النبوية وموجبها . وإلى جباة الجزية من أهل الذمة بالمطالبة بأدائها في أول السنة ، واستيفائها منهم حسب أحوالهم بحكم العادة في الثروة والمسكنة ؛ إجراء في ذلك على حكم الاستمرار والانتظام ، ومحافظة على عظيم شعائر الإسلام .

وأمره أن يتطلع على أحوال كل من يستعمله في أمر من الأمور ، ويصرفه في مصلحة من مصالح الجمهور ، تطأما يقتضى الوقوف على حقائق أماناتهم ، وموجب تهذيبهم في حركاتهم وسكناتهم ، ذهاباً مع النصيح لله تعالى في بريته وعملا فيه بقول النبي صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وأمره أن يستصلح من ذوى الاضطلاع والغناء ، من يرتب العرض والعطاء والنفقة في الأولياء ، وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة ، والموسومين في المناصحة بإخلاص الطوية وإصفاء السريرة ، حالين من الأمانة والصون بما يزين ؛ ناكبين عن مظان الشبه والطمع الذى يصم ويشين ؛ وأن يأمرهم باتباع عادات أمثالهم في ضبط أسماء الرجال ، وتحلية الأشخاص والأشكال ، واعتبار شيات الخيول وإثبات أعدادها ، وتحريض الجند على تخيرها واقتناء جيادها ، وبذل الجهد في قيامهم من الكراع واليزك والسلاح بما يلزمهم والعمل بقوله تعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم) .

فإذا نطقت جرائد الجند المذكورين بما أثبت لديهم ، وحقق الاعتبار والعيان

قيامهم بما وجب عليهم ، أطلقت لهم المعاش والأرزاق بحسب إقراراتهم وأوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم واستحقاقهم : فإن هذا الحال أصل حراسة البلاد والعباد ، وقيام الأمر بما أوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد ، قال تعالى :
(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) .

وأمره بتفويض أمر الحسبة إلى من يكون بأمرها مضطلعا ، وللسنة النبوية في إقامة حدودها متبعاً ، فيعتمد في الكشف عن أحوال العامة في تصرفاتها الواجب ، ويسلك في التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسنن اللائق ، في الأسواق لاعتبار المكاييل والموازين . ويقوم [مقامه] في مؤاخذه المطففين ، وتأديبهم بما تقتضيه شريعة الدين ، ، ويحذرهم في تعدى حدود الإنصاف شدة نكاله ، ويقابل المستحق المؤاخذه بما يرتدع به الجمع الكثير من أمثاله ، قال الله تعالى :

(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مَنَافِدِينَ) .
وقال سبحانه :

(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ زَنَوْهُم يَخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

فليتول الملك السيد الكامل ، المجاهد ، الم رابط ، نصير الدين ، ركن الإسلام ، أثير الأنام ، جلال الدولة ، نحر الملة ، عز الأمة ، سند الخلافة ، تاج الملوك والسلطين ، قاعم الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، أمير المجاهدين غازى بك معين أمير المؤمنين — ما قلده عبد الله وخليفته في أرضه ، القائم له

بحقه الواجب وفرضه ، أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ، تقايد مطمئن
بالإيمان ، وينصح لله ولرسوله وخليفته — صلوات الله عليه — في السر والإعلان ،
وليشرح بما فُوض إليه من هذه الأمور صدراً ، ولتُقم بالواجب عليه من شكر
هذا الإنعام الجزيل سرّاً وجهراً ، وليعمل بهذه الوصايا الشريفة الأمامية ، ولتقف
آثار مرادها المقدسة النبوية ، وليظهر من أثر الجد في هذا الأمر والاجتهاد ،
وتحقيق النظر الجميل لله والإرشاد ، ما يكون دليلاً على تأييد الرأي الأشرف
المقدس — أجله الله تعالى — في اصطناعه واستكفائه ، وإصابة مواقع النجح
والرشد في التفويض إلى حسن قيامه وكمال اعتناؤه ، فليقدر النعمة في هذه الحال
حق قدرها ، ولتتمتر بأداء الواجب بما غلب عليه من جزيل الشكر غزير درها ،
وليطالع مع الأوقات بما يُشكل عليه من الأمور الغوامض ، ولتُنه إلى العلوم
الشريفة المقدسة — أجلها الله تعالى — ما يلبس عليه من الشكوك والغوامض (؟)
ليرد عليه من الأمثلة ما يوضح له وجه الصواب في الأمور . ويستمد من المرشد
الشريفة التي هي شفاء لما في الصدور بما يكون وروده عليه وتتابعه إليه نوراً
على نور ، إن شاء الله تعالى .



مرسوم بقلم القاضي الفاضل صادر عن صلاح الدين لتحويل
السنة الخراجية إلى سنة هلالية .

عن : (التلغشندی : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٧١ - ٧٤)

خرجتُ الأوامر الصلاحية بكتب هذا المنشور وتلاوة مُودّعه بحيث يستمر ،
ونسخه في الدواوين بحيث يستقر ؛ ومضمونه .

إنَّ نظرنا لم يزل تتجلى له الجلائلُ والدقائق ، ويتوخى من الحسنات ما تسير
به الخقائبُ والحقائق ، ويُخلّد من الأخبار المشروعة ، كلّ عَذْبِ الطرائقِ رائق ،
ويحدّد من الآثار المتبوعة ، ما هو ببناء الخلائق لائق ، ولا يفادر صغيرةً
ولا كبيرةً من الخير إلا جهدنا أن نكتسبها ، ولا يُثوّب بنا الداعي إلى مَثُوبة
إلا رأينا أن نحتسبها ، لا سيما ما يكون للسنين الماضية مُمضياً ، وإلى القضايا
العادلة مُغضياً ، ولحاسن الشريعة مُجَلِّياً ، ولعوارض الشبه رافعا ، ولتناقض الخبر
دافعا ، ولأبواب المعاملات حافظا ، ولأسباب المغالطات لافظا ، وللخواطير
من أمراض الشكوك مصحّحا ، وعن حقائق اليقين مفصّحا ، وللإسماع من طائف
الاختلاف مُعَفِّيا ، ولغاية الإشكال من دُرُقِ الأفهام معَفِّيا .

ولما استهأت سنة كذا الهلالية ، وقد تباعد ما بينها وبين السنة الخراجية
إلى أن صارت غلاتها منسوبةً إلى ما قبّاه ، وفي ذلك ما فيه : من أخذ الدرهم
المنقود عن غير الوقت المفقود ، وتسمية بيت المال مُمطلا وقد أنجز ، ووَصَف

الحق المُتلف بأنه دَيْنٌ وقد أُعْجِزَ ، وأ كل رِزْق اليوم وتسميته منسوباً إلى أُمِّهِ ، وإخراج المعتدِّ لسنة هلاله إلى حساب المعتدِّ إلى سنة شمسه .

وكان الله تعالى قد أجرى أمر هذه الأمة على تاريخ منزّه عن اللَّبس ، مُوقَّر عن الكَبْس ، وصرَّح كتابه العزيزُ بتحريمه ، وذكر ما فيه من تأخير وقتِ النَّسيء وتقديمه ، والأُمَّةُ المحمدية لا ينبغي أن يدركها الكسر ، كما أن الشمس لا ينبغي أن تدرك القمر ، وسُنَّها بين الحق والباطل فَارِقَةٌ ، وسُنَّها أبداً سَابِقَةٌ ، والسُّنُونُ بعدها لَحِقَةٌ ، يتعاورها الكسر الذي يرحل أوقات العبادات عن مواضعها ، ولا يُدْرِك عملها إلا من دقَّ نظره ، واستُفْرِغَتْ في الحساب فِكْرُهُ ، والسنة العربية تُقَطَّعُ بِخَنَاجِرِ أَهْلِهَا الاشتباه ، وتردُّ شهورها حاليةً بمقودها موسومة الجِباة ، وإذا تقاعست السنة الشمسية عن أن نطأ أَعْقَابَهَا ، وتُواطِي حِسَابَهَا ، اجتذبت قِرَاهَا قَسْراً ، وأُوجِبَتْ لِحَقِّهَا ذِكْراً ، وتزوجت سنة الشمس سنة الهلال وكان الهلال بينهما مَهْراً ؛ فستهم المؤنثة وسنننا المذكرة ، وآية الهلال هنا دون آية الليل هي البصرة ، وفي السنة العربية إلى ما فيها من عربية الإفصاح وراحة الإيضاح الزيادة التي تظهر في كل ثلاثٍ وثلاثين سنة توفى على عدد الأمم قطعاً ، وقد أشار الله إليها بقوله :

(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً) . وفي السنة الزائدة زيادة ، من لطائف السعادة ، ووظائف العبادة ، لأن أهل مِلَّةِ الإسلام يمتازون على كل مِلَّة بسنة في نظير تلك المدة قصدوا صلاتها ، وأدروا زكاتها ، وحجَّوا فيها البيت العتيق الكريم ، وصاموا فيها الشهر العظيم ، واستوجبوا فيها الأجور الجليلة ، وأنسِت فيها أسماعهم بالأعمار الطويلة ، ومخالفوهم فيها قد عطلت

صحائفهم في عدوانهم ، وإن كانت عاطلة ، وملت موافقهم في أديانهم ،
وإن لم تكن قط أهلة .

وقد رأينا باستخارة الله سبحانه وإيمنا باتباع العوائد التي سلكها السلف ،
ولم تسلك فيها السرف ، أن ينسخوا أسماءها من الخراج ، ويذهب ما بين
السنين من الاضطراب والاعوجاج ، لا سيما والشهور الخراجية قد وافقت
في هذه الشهور الشهور الهلالية ، وألقى الله في أيامنا الوفاق بين الأيام ، كما ألقى
باعتلائنا الوفاق بين الأنعام ، وأسكن بنظرنا ما في الأوقات من اضطراب
وفي القلوب من اضطراب .

فليستأنف التاريخ في الدواوين المعمورة ، لاستقبال السنة المذكورة ،
بأن توسم بالهلالية الخراجية لإزالة الالتباس ، ولإقامة القسطاس ، [وإيضاحا]
لمن أمره عليه غمة من الناس ، وعلى هذا التقرير تكتب سجلات التحضير ،
وتنظم الحسابات المرفوعة ، والمشارع الموضوعة ، وتطرد القوانين المشروعة ،
وتثبت المكلفات المقطوعة ، ولو لم يكن بين دواعي نقلها ، وعوارض زللها
وزوالها ، إلا أن الأجناد إذا قبضوا واجباتهم عن منشور إلى سنة خمس في أواخر
سنة سبع وسقط ساقطهم بالوفاة ، وجرى بحكم السمع لا بالشرع إلى أن يرث
وارثه دون بيت المال مستغل السنة الخراجية التي يلتقي فيها تاريخ وفاته من السنة
الهلالية وفي ذلك ما فيه ، مما يبين الإنصاف وينافيه [لكفى] .

وإذا كان العدل وضع الأشياء في مواضعها فلسنا نحرم أيامنا المحرمة
بذماننا ما رزقته أبناؤها من عدل أحكامنا ، بل نخاع عن جديدها المس كل
المس ، و [نمنع] تبعة الضلال أن تسند مبدئته إلى نور الشمس ، ولا نجعل أيامنا

معمورة بالأسقاط التي تجمعها ، بل معمورة بالأسقاط التي تنفعها ، فليُبين التاريخُ
على بنيانه وليُحسَم الخلف الواقع في السنين ، بهذا الحقَّ الصادع المبين ،
وليُنسخ المشهودُ به في جميع الدواوين ، وليكاتبَ بِحُكْمِهِ من الخراج إلى من
يمكنه من المستخدمين ؛ ومنها أن المستجِدَّ من الأجناد لو حُمل على السنة
الخراجية في استغلاله ، وعلى الهلالية في استقباله ، لكان مُحالاً على ما يكون
مُحالاً ، وكان يتمجّل استقبالا ، ويُباطِن استعمالاً ، وفي ذلك ما ينافِرُ أوصافَ
الإِنصاف ، ويصون الفلاح إن شاء الله .



خطاب بقلم القاضى الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين
إلى صاحب مكة ، جواباً عن كتاب ورد منه عليه فى معنى
وصول غلالٍ بعث بها إلى مكة .

عن : (الفقهندى : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٠٩ — ١١٠)

وصل كتابك ، أيها الشريفُ مُعَرِّباً عن المُشايعةِ الشائعةِ أنباؤها ،
والمُخالصةِ الخالصةِ أسرارها الوافرةِ أنصباؤها ؛ وحسانِ الخلال ، التى اقتسم
طرفي الحمدِ إعادتها وإبداؤها ، ومَكْرُماتِ الآل ، التى تساوى فى اقتناءِ الحمدِ
أبناؤها وآباؤها ؛ وفضائلِ الإفضالِ التى لا تخفى على غير أهلِ العباءِ صلوات الله
عليهم أعباؤها . ونشَر كتابك من محاسنك ما انطوى ، ووردنا منه مَنَهَلاً
أروى وارده وارتوى ؛ ووقفنا منه على أثرِ فضلٍ اشتمل على عَيْنِ الكَرَمِ
واحتوى ، ووقفنا وإياه من الحمدِ مالا نُخْلِفُه نحنُ ولا هو مَكَاناً سُوًى ؛
فاقتضانا مزيداً فى رفعِ قدره ، واختصاصه من الإِنعامِ بكلِّ غريبِ المَوْقعِ نَذْرِهِ ،
وأَصْرَنا كتابه إلى مستقرِّ كاتبه من قلبِ الوُدِّ وصَدْرِهِ ؛ وكيف لا يكون
ذلك وقد اشمخرَّتْ لبيته الأنساب ، وخَرَّتْ الأنصاب ، وسجَدَتِ الرِّقاب ،
ورُدَّتْ له بعدما توارت بالحِجَاب ، وشَهِدَ بفضْلِ توقيعهم الحربُ وبفضلِ
ليلهم المِحْراب .

فأما ما أشار إليه من الشُّكرِ على ماسِيَرٍ من الغالَّاتِ التى كان الوعدُ بها
هَلِيناً نَذْراً ، وروَّحنا بإرسالها قَبْلاً ، وشرَّحنا بتسييرها صَدْراً ، وأَنَّنَّا حَلَّتْ رِبْقَةً

الجذب وفككتها ، وجلت هبوة القحط وكففتها ؛ وهونت مصاعب المسائب ،
 وخلفت سواحب السحاب ، وأطفأت — والله الحمد — بوار النوائب ؛
 فقد سررتنا بحسنتنا جعله الله ممن تسره الحسنة ، وقد نبهنا من سنتنا لأن نستقبل
 بالحمد الولي السنة ، وقد قوى النية وقومها ، واستزاد لهم بلسان الشكر الفصيح ،
 وتناول لهم بياع التلطف الفسيح ، وألقح لهم سحاب ، محله منها محل ملقحها
 من الرّيح ، واقتضى ما يعرضه أن خرج الأمر بأن يضاعف المحمول في كل عام ،
 ولا يخص به خاص دون عام ؛ وأمرنا أن يوفر جلب الجلاب ، وتوفر ظهور
 الرّكاب ، ليجمع للحرم الشريف بين بر البر والبحر . وبين حمل البطن
 والظهر ؛ فتظل السنة ودودا ولودا ، ويشاهد المحل الشريف وقد نأى عنه
 المحل شريدا ؛ وتخط القلوع عما يحيط عنه أمثاله من السحاب ، وتستريح
 الأنفس اللواغب ، فأما ما ألقاه إلى رسوله ، فقد أسمع ما أسنده إليه ، وأعيد
 بما يعيده عليه ؛ وقد تكاثرت بولاء الشريف الأشهاد ، فغنى عن الاستشهاد ،
 وأغنته الخطوة بجميل رأينا عما نأى أخذه لشئمة العطاء ، بل لشفاعة الاجتهاد ،
 إن شاء الله تعالى .



خطاب أرسله القاضي الفاضل إلى السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب يهنئه بمولود ولده .

عن : (اقلشندي : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٩٠ - ٩١)

المملوك يقبل الأرض بالمقام العالي الناصري ، نصر الله الإسلام بمقامه ،
وأهلك أعداء الحق بانتقامه ، ولا أعدم الأمة الحمديّة عقد اعتزائه بكفالتها
ومضاء اعتزامه .

يهنئ المملوك المولى بنعمة الله عنده وعند الإسلام وأهله بمن زاده في ولده ،
وكتّره في عدده ؛ وهو الأمير « أبو سليمان داود » ^(١) أنشأه الله إنشاء الصالحين ،
ومنّ الله بكمال خلقه ، ووسامة وجهه ، وسلامة أعضائه ، وتهلل غرته ، وابتسام
أسرته ، ودلّ على أن هذا البيت الكريم فلك الإسلام ، لا يطالع فيه إلا البدور ،
كما دلّ على عناية الله بأبيه ، فإن الله تعالى قال :

(يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ) .

فطريق المولى هذه قد تواتت فيها البشائر ، ونصر الله فيها بالطاف أغنت
بلطف الخواطر عن قوّة العساكر واشتملت عليه (؟) في الغائب من أمره

(١) الملك الزاهر أبو سليمان مجير الدين داود - شقيق الملك الظاهر - وابن صلاح الدين
ولد في مصر في ذي القعدة سنة ٥٧٣ هـ ، فهذا إذن هو تاريخ كتابة هذه الوثيقة ، انظر :
(أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٧٦) و (ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ،
ص ٤٢٤) .

والحاضر (وإن تعدُّوا نعمة الله لا تُحصوها) وكيف يحصيها ويحصرها الحاضر ،
أيحيط ما يفنى بما لا ينفد ؟ .

فالحمد لله الذي جعل كتب المولى إلى أوليائه وكتبهم إليه مبتسمة عن المسار ،
ناطقة بأطيب الأخبار ، منكشفة أسرارها عما يروح الأسرار .

وهذا الولد المبارك هو الموفى لأثنى عشر ولدا ، بل اثني عشر نجما
متوقدا ؛ فقد زاد الله في أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجما ، ورآهم المولى
يقظة ورأى ذلك الأنجم حُلما ؛ ورآهم ساجدين له ورأينا الخالق له سجدوا ،
وهو سبحانه قادر أن يزيد جود المولى إلى أن يراهم آباء وجدودا .



نسخة خطاب مرسل إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب
في جواب كتاب ورد منه بالبشارة بفتح خلاط .

عن : (القافشندي : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٨٨ — ٨٩)

أدام الله سلطان مولانا الملك العادل وزاده من فضله ! ، ومدّ على خلقه
وارِفَ ظله ، وأظهر به دينه على الدين كله ؛ وأوضح إلى مرضاته ما يسلكه
من سبيله ، ولا عَدِمَت يدُ الإسلام والمسلمين التعاقُّ بوثيق حبله ؛ وفرَّج به
الخطَطَ المُطْبِقة ، وفتح به البلادَ المستغلبة ، وأخضع لطاعته الأعناق ، وعمَّ
بفتوحه الآفاق ؛ ودمَّرَ الكُفْرَ بمقامه ، وطوى أيامهم بما ينشره ويُدِيَمُه
من أيامه ، وأنزل النصرَ في مواقف النزال بما ترفعه راياته من أعلامه .

وقف المملوكُ على ما أنعم به مولانا : من كتابِ البشارة التي وصلتْ
إلى كلِّ قلبٍ وسمِعَ ، وأملَ بها كلُّ مسلمٍ كلَّ خيرٍ ونفعٍ ؛ وعَلِمَ ما وراءها
من جمعٍ شَمَلٍ كان عزيزَ الجمعِ ، وعلمَ ما يتبَّعُها من عواطف مولانا التي عودها
منه أكرمُ طبعٍ ؛ وتحقَّقَ أن الله سبحانه قد قلَّدَ الدينَ منه سيفاً خاقه للوصلِ ،
وخلق السُّيُوفَ للقطع .

وبالجملة إن الله سبحانه نظر إلى هذه الملة بنظر مولانا لها ، وكفَّالته لأهلها ،
وسياستهم بشرفِ السجِّية وعذلها ؛ وإنَّ كلَّ ما اختلَسَ الملكُ الناصرُ — رحمه
الله — فإن الله يُتِمُّه على يديه ، ويجبرُ به تارة بصفحه وتارة بحدَّيه ، ويَهَبُ له

نُحْمَرَا نُوحِيًّا إِلَى أَنْ لَا يَنْدَر عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَّارًا ، وَإِلَى أَنْ يُورِثَ
الْإِسْلَامَ بِسَيْفِهِ مِنْهُمْ أَرْضًا وَمَالًا وَدِيَّارًا ؛ وَهَذِهِ مَخَائِلُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ بَارِقَتَهَا ،
بَلْ يَرُدُّ إِلَى جِهَةِ الْكُفْرِ صَاعِقَتَهَا ؛ فَمَا يَحْسَبُ الْمَمْلُوكُ أَنَّ جَانِبًا يَتَلَوَّى عَلَى طَاعَةِ
مَوْلَانَا وَلَا يَنْحَرِفُ ، وَلَا أَنَّ كَلِمَةً عَلَيْهِ بَعْدَ الْيَوْمِ تَخْتَلِفُ ، وَلَا أَنَّ مَمْتَنِعًا بِالْأَمْسِ
يَكُونُ مَعَهُ الْيَوْمَ إِلَّا أَنْ يَرْضَى عَنْهُ مَوْلَانَا وَعَالِيهِ يَنْعَطِفُ .

وَعَلَى هَذَا فَالْشَّامُ الْفَرَنْجِيُّ مَتَأَخِّذٌ بِجَنَاحٍ إِلَى الْأَخْذِ وَبَقِيَّةُ عَمْرِ الْمُؤْمِنِ
كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا ثَمَنَ لَهَا ، وَالْفُرْصُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالْمُسْتَعَاذُ
بِاللَّهِ مِنْ حَسَرَاتِ الْفَوْتِ بَعْدَ الْإِمْكَانِ (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) ،
وَمَا يَشْخَصُ لِحَطَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْجِهَادِ إِلَّا مَوْلَانَا ، النِّيَّةُ خَالِصَةٌ ، وَالْبَصِيرَةُ ثَابِتَةٌ ،
وَالْعَزِيمَةُ مَاضِيَةٌ ؛ وَالشُّجَاعَةُ مَنَحَةٌ مِنَ اللَّهِ لَهُ مَوْهُوبَةٌ ، وَالسَّمَاحَةُ خَلِيقَةٌ مِنْ خَلَائِقِهِ
الْكَرِيمَةِ مَوْجُودَةٌ ؛ وَالرِّجَالُ تَطَأَ عَقَبَيْهِ ، وَالْمُلُوكُ تُطِيعُ أَمْرَهُ ، وَالشُّجْعَانُ تُبْذَلُ
أَنْفُسُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْعَدُوُّ يَعْرِفُ مِنْهُ خَصْمًا طَالَمَا خَاطَبَهُ بِاسْمِ السَّيْفِ مِنْهُ إِلَيْهِ ،
وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ أَرَادَهُ . وَعَكَّا أَقْرَبُ مِنْ (خِلَاطٍ) وَأَنْفَعُ لِلْمُسْلِمِينَ
فَتْحًا ، وَأَعْظَمُ فِي الْكُفَرِ قَدْحًا ؛ فَوَاللَّهِ لَئِنْ انْفَلَقَ بَابُ الشَّامِ فِي وَجْهِ الْكُفْرِ ،
لَتَنْقَطِعَنَّ آمَالُ أَهْلِ الْبَحْرِ وَالْبَرِّ ، وَمَا دَامَ فِي الشَّامِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْكُفْرِ فَهُوَ يَقْبَلُ
الزِّيَادَةَ ، وَيَنْتَظِرُ النَّجْدَةَ وَيُؤْمَلُ الْاسْتِعَادَةَ ؛ وَمَا كَرَّرَ الْمَمْلُوكُ هَذَا الْحَدِيثَ
جَهْلًا بِمَا يَجِبُ فِي خِدْمَةِ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَدَبِ فِي أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي الْقَضِيَّةِ
إِلَّا مِنْ اسْتِشِيرٍ فِيهَا ، وَلَا يَجْتَرِئُ عَلَى الْكَلَامِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُجِيبًا بِمَا يُؤْمَرُ
بِالْإِجَابَةِ عَنْهُ ، وَلَكِنْ الْمَمْلُوكُ غُلِبَ عَلَى الصُّحْبَةِ ، وَانْقَطَعَ عَنِ الْخِدْمَةِ ؛ وَعَلِمَ أَنَّهُ
لَوْ كَانَ حَاضِرًا لَكَانَ مَوْلَانَا يَبْسُطُهُ وَلَا يَقْبِضُهُ ، وَيَسْتَشِفُّ مَا عِنْدَهُ ، وَيَسْتَعْرِضُهُ ،
وَيُسَمِّعُ قَلْبَهُ فِي لِسَانِهِ إِذَا هَفَأَ ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى صَفَاءِ ضَمِيرِهِ فِيمَا يَقُولُهُ فَلَا يَقَابِلُ

بالتكدير مَنْ صَفَا ؛ فقد علم الله أن المملوك يتمنى للمسلمين أن يُردَّ عليهم
حقُّهم ، وترجع إليهم بلادُهم ؛ وأن تكون هذه الأُمْنِيَّةُ جاريةً على يد مولانا
ومستفادَةً من عزيمته ، ومكتوبةً في صحيفته ؛ ومغتَنَمَةً فيما يمدَّه الله في حياته ؛
فإن الأمورَ فيما بعدُ ملموَّحة ، ولكن أبوابَ قدرةِ الله مفتوحة ، فإله يجعل
منها أن يفتَّح على مولانا فيه بلادَ الساحل ، وأن يأخذ للإسلام به أُهْبَةَ المقيم
وللمُقيم أُهْبَةَ الراحل ؛ وما يخلط المملوكُ هذا المهِّمَّ بغيره ، طالع به ، ولمولانا
علوُّ الرأى .



نسخة توقيع صادر عن السلطان صلاح الدين إلى أخيه الملك
العاذل أبي بكر بإقطاع بالديار المصرية ، وبلاد الشام ، وبلاد
الجزيرة ، وديار بكر ، وذلك في سنة ٥٨٠ هـ بعد الانفصال
من حرب الفرنج بعكا وعقد الهدنة معهم .

عن : (النفائس : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٤٥ - ١٤٨)

الحمد لله الذي جعل أيامنا حسنا ، وأعلى لنا يداً ولسانا ، وأطاب محتدنا
أوراقاً وأغصانا ، ورفع لجدنا لواء ولجدنا برهاناً ، وحقق فينا قوله : (سَدَّ شِدَّ عَضْدَكَ
بَأَخِيكَ وَنَجَّعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا) .

نحمده على سبوغ نعمته ، ونسأله أن يجعلنا من الداخلين في رحمته .
ثم نصلي على رسوله محمد الذي أيدته بحكمته ، وعصمه من الناس بعصمته ،
وأخرج به كل قلب من ظلمته ؛ وعلى آله وأصحابه الذين خلفوه فأحسنوا
الخلافة في أمته .

أما بعد ، فإن فروع الشجرة يأوي بعضها إلى بعض لمكان قربه ، ويؤثر
بعضها من فضل شربه ؛ ونحن أهل بيت عرف منا وفاق القلوب وداً ، وإيثار
الأيدي رفداً ، وذلك وإن كان من الحسنات التي يكثر فيها إثبات الأقلام ،
فإنه من مصالح الملك التي دلت عليها تجارب الأيام ، وكلا هذين الأمرين مشكورة
مذاهبه ، محمود عواقبه ، مرفوعة على رموس الأشهاد مناقبه ، وما من أحد
من أدانينا إلا وقد وسمناه بعوارف يختال في ملابسها ، ويسرف في كل حين بزفاف

عرائسها ، ولم نرض في بل أرحامهم بمواصلة سلامها دون مواصلة برها وإدناء مجالسها ؛ ولإخوتنا من ذلك أوفر الأقسام ، كما أن لهم من أرحامها هو أقرب الأرحام ؛ وقد أمرنا بتجديد العارفة لأخينا الملك العادل ، الأجل السيد ، الكبير ، سيف الدين ، ناصر الإسلام « أبي بكر » أبقاه الله . ولو لم نفعل ذلك قضاء لحق إخوانه الذي ترف عليه حوائى الأضالع ، لفعلناه جزاء لذائع خدمه التي هي نعم الذرائع ؛ فهو من لزوم آداب الخدمة بعيد وقف منها على قدم الاجتهاد ، وفي لمة شوابك النسب قريب وصل حرمة نسبه بحرمة الوداد ؛ وعنده من الغناء ما يحكم لآماله ببسطة الخيار ، ويرفع مكانته عن مكانة الأشباه والأنظار ، ويجعله شريكا في الملك والشريك مساو في النقض والإمرار ؛ فكم من موقف وقفه في خدمتنا فجعل وعده سهلا ، وفاز فيه بإرضائنا وبفضيلة التقدم فانقلب بالمجندين إرضاء وفضلا ، ويكفي من ذلك ما أبلاه من لقاء العدو الكافر الذي استشرى في هياجه ، وتمادى في لجاجه ، ونزل على ساحل البحر فأطل عليه بمثل أمواجه ، وقال : لا براح ، دون استفتاح ، الأمر الذي عسرت معالجة رتاجه ؛ وتلك وقائع استضأنا فيها برأيه انذى ينوب مناب الكمين في مضمره ، وسيفه الذي ينسب من الاسم إلى أبيضه ومن اللون إلى أخضره ، ولقد استغنينا عنهما بنصرة لقبه الذي تولت يد الله طبع فضله ، وعنيت يد السيادة بروثق صقله ، فهو يفرى قلوب الأعداء قبل الأجساد ، ويسرى إليهم من غير حامل لمناط النجاد ، ويستقصى في استلابهم حتى ينزع من عيونهم لذة الرقاد ، وليس للحديد جوهر معدنه المستخرج من زكاه الحسب ، وإذا استنجد قيل له : يا ذا المعالي ! كما يقال لسميّه : يا ذا الشطب ، ولو أخذنا في شرح مناقبه ، لظل القلم واقفاً على أعواد منبره ، وامتد شأو القول فيه فلم ينته موزده إلى مصدره ، فهما خولناه من العطايا فإنه يسير في جنب غنائه ، ومنهما أثينا عليه فإنه سطر في كتاب ثنائه .

وقد جفنا له من البلاد ما هو مقسم من الديار المصرية والشامية ، وبلاد الجزيرة وديار بكر : ليكون له من كل حظ تفيض يده في أمواله ، ويركب في حشد من رجاله ؛ ويصبح وهو في كل جانب من جوانب ملكنا كالطليعة في تقدم مكانها ، وكالريشة في إسهار أجفانها . فليتسلم ذلك بيد معظم قدرأ ، ولا يستكثر كثراً ، ويحمل منها رفقها غيثاً أو بحرأ ؛ كذلك فليعدل في الرعيّة الذين هم عنده ودائع ، وليجاوز بهم درجة العدل إلى إحسان الصنائع ، فإذا أسند هذا الأمر إلى ولاته فليكونوا تقاة لا يجد الهوى عليهم سبيلاً ، ولا يحمد الشيطان عندهم مقيلاً ، وإذا حملوا ثقلاً لا يجدون حمله ثقيلاً .

وقد فشا في هذا الزمن أخذ الرشوة ، وهي سحت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبذه ، ونهى عن أخذه ، وعن الرغبة في تداوله ، وهو كأخذ الربا الذي قرنت اللعنة بمؤكله وآكله .

وأما القضاة الذين هم للشرعية أوتاد ، ولأعضاء أحكامها أجناد ، ولحفظ علومها كنوز لا يتطرق إليها النقاد ، فينبغي أن يعول فيهم على الواحد دون الإثنين ، وأن يستعان منهم في الفصل بذى الأيدى ، وفي اليقظة بذى اليدين ، ومن رام هذا المنصب سائلاً فليلمه وليغلظ القول في تجريح ملامه ، وليعرف أنه ممن رام أمراً فأخطأ الطريق في استجلاب مرامه ، وأمرُ الحكم لا يتولاه من سألَه ، وإنما يتولاه من غفل عنه وأغفله .

وإذا قضينا حق الله في هذه الوصايا فلنعطفها على ما يكون لها تابعاً ، ولقواعد الملك رافعاً ، وذلك أن البلاد التي أضفناها إليك : فيها مدن ذات أعمال واسعة ، ومما قل [ذات] حصانة مانعة ، وكلها يفتقر إلى استخدام الفكر في تديره ، وتصريف الزمان في تعميمه ، فولّ وجهك إليها غير وان في تكثير قليلها ،

وترويض مخيلها ، وبث الأمانة على أوساطها ، وإهداء الغبطة إلى أفئدة أهلها حتى تسمع باغتيالها ، وعند ذلك يتحدث كل منهم بلسان الشكور ، ويتمثل بقوله تعالى : (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ) .

واعلم أنه قد يجاورك في بعضها جيران ذو بلاد وعساكر ، وأسرة ومنابر ، وأوائل للمجد وأواخر ، وما منهم إلا من يتمسك منا بود سليم ، وعهد قديم ، وله مساعدة نعرف له حقها (والحق يعرفه الكريم) .

فكن لهؤلاء جاراً يودون جواره ، ويحمدون آثاره ، وإن سألك عهداً فابذله لهم بذل وفي واقف على السنن ، مساو بين السر والعلن ، ولا يكن وفاؤك لخوف تتقى مراصده ، ولا لرجاء ترقب فوائده ، فإله قد أغدك أن تكون إلى المعاهدة لاجياً ، وجعلك بنا مخوفاً ومرجوا لا خائفاً ولا راجياً ، وقد زدناك فضلة في محلك تكون بها على غيرك مفضلاً ، وقد كنت من قبلها أغر فأوفت بك أغر محجلاً ، وذلك أنا جعلناك على آية الخيل تقودها إلى خوض الغمار ، وتصرفها في منازل الأسفار ، وترتب قلوبها وأجنحتها على اختلاف مراتب الأطوار ، فنحن لانتقى عدواً ولا نهتد إلى بلد إلا وأنت كوكبنا الذي نهتدى بمطلعه ، ومفتاحنا الذي نستفتح المفلق بيمن موقعه ، ونوقن بالنصر في ذهابه وبالغنيمة في مرجعه ، والله يشرح لك صدرأ ، وييسر لك منا أمراً ، ويشد أزرنا بك كما شد لموسى بأخيه أزرأ ، والسلام .

الفهارس

- ١ - فهرس الموضوعات .
- ٢ - فهرس الملاحق .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس الأعلام التي ترجم لها في الحواشي .
- ٥ - فهرس الجماعات والشعوب والقبائل .
- ٦ - فهرس المواقع والإمكنة والبلدان .
- ٧ - فهرس المصطلحات .
- ٨ - فهرس المصطلحات التي عرف بها في الحواشي .
- ٩ - فهرس الكتب التي ذكرت بالمتن .
- ١٠ - فهرس الوثائق .
- ١١ - فهرس الشعر والشعراء .

فهرس الموضوعات

للجزء الثالث

من كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب

الصفحات

ج - ص

مقدمة

ذكر ما استقرت الحال عليه من الممالك بعد وفاة السلطان

٢ - ٥ - رحمه الله

٥ - ٩ ذكر المراسلة الى الديوان العزيز

١٠ - ١٤ ذكر ما اعتمده الملك الافضل من الامور التي آلت به الى زوال ملكة

ذكر ابتداء الوحشة بين الاخوين الملك الافضل والملك العزيز - رحمهما

١٦ - ٢٠ ذكر المتجددات بالشرق في هذه السنة بعد موت السلطان - رحمه الله

١٤ - ١٥ الله -

٢٠ ذكر وفاة عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل

٢٠ - ٢٢ ذكر صفته وسيرته - رحمه الله

ذكر استيلاء نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى

٢٢ - ٢٥ ابن آق سنقر على الموصل

٢٦ ودخلت سنة تسعين وخمسمائة

٢٧ - ٢٨ ذكر مفارقة الامير صارم الدين قايمار النجمي الملك الافضل

٢٨ - ٢٩ ذكر خروج الملك الافضل من دمشق لمحاربة أخيه الملك العزيز

ذكر وصول الملك العزيز الى الشام ورجوع الملك الافضل الى دمشق

٢٩ - ٣٠ ومنازلة الملك العزيز لها

٣٠ ذكر وصول الملوك الى دمشق

٣٠ - ٣٣ ذكر اجتماع الملك العادل بابن أخيه الملك العزيز ووقوع الاتفاق

٣٤ - ٣٥ ذكر تزوج الملك العزيز بابنة عمه الملك العادل

٣٥ ذكر انتظام الصلح بين الملوك والحلف

٣٦ ذكر خروج الملوك لوداع الملك العزيز وصفره الى الديار المصرية

٣٧ ذكر رجوع الملوك الى بلادهم

٣٧ - ٤٠ ذكر المتجدد من الحوادث في هذه السنة بعد ذلك

٤١ ودخلت سنة احدى وسعين وخمسمائة

٤١ - ٤٢ ذكر توجه الملك الافضل الى الشرق مستنجدا بالملك العادل

ذكر توجه الملك الافضل الى حيه الملك الظاهر وابن عمه الملك المنصور

٤٣ صاحب حماء واتفاقه معهم

الصفحات	
٤٤ - ٤٢	ذكر وصول الملك الأفضل الى دمشق
	ذكر أمور أوجبت الاستيحاء عند الملك الظاهر من معه الملك العادل
٤٦ - ٤٤	وأخيه الملك الأفضل
٤٦	ذكر قدوم الملك العزيز الى الشام بمساكره
٤٨ - ٤٦	ذكر اضطراب بعض العسكر على الملك العزيز ومفارقتهم له
	ذكر رجوع الملك العزيز بمن معه من مساكره الى الديار المصرية
٥٠ - ٤٨	واستقراره بها
٥٢ - ٥٠	ذكر رحيل الملك العادل والملك الأفضل الى مصر متبعين الملك العزيز
٥٢	ذكر نزول الملك العادل والملك الأفضل على بلييس محاصرين لها
٥٤ - ٥٢	ذكر وقوع الصلح بين الملوك
	ذكر رجوع الملك الأفضل الى دمشق ومقام الملك العادل بمصر عند
٥٤	الملك العزيز
٥٥	ودخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة يوم وصول الملك الأفضل الى دمشق
٦٠ - ٥٦	ذكر تبريز الملك العادل بنية السفر الى الشام وتقرير قواعده
٦٢ - ٦١	ذكر سير الملك العزيز والملك العادل الى الشام ومنازلتهما دمشق
	ذكر استيلاء الملك العزيز على دمشق والاقتصار بالملك الأفضل
٦٥ - ٦٢	على صرخد
٦٧ - ٦٦	ذكر واقعة غريبة ذكرها عماد الدين الكاتب
	ذكر استيلاء الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب على دمشق
٧٠ - ٦٨	وأعمالها وسفر الملك العزيز الى مصر
٧١	ودخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
٧٢	ذكر وفاة سيف الاسلام صاحب اليمن
٧٣	ذكر استيلاء الملك المعز اسماعيل بن سيف الاسلام على اليمن
٧٤	ودخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة
٧٥	ذكر فتح يافا
٧٦ - ٧٥	ذكر منازلة الفرنج تبين وقدوم الملك العزيز الى الشام
٧٧ - ٧٦	ذكر رجوع الملك العزيز الى الديار المصرية
٧٨	ذكر الهدنة مع الفرنج
٧٩ - ٧٨	ذكر وفاة عماد الدين صاحب سنجار وقيام ولده قطب الدين محمد بمقامه
٨١ - ٨٠	ذكر توجه الملك العادل الى البلاد الشرقية ومنازلته ماردین وأخذربضها
٨٢	ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة
٨٢ - ٨٢	ذكر وفاة الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك الناصر - رحمهما الله -
٨٦ - ٨٣	ذكر سيرته - رحمه الله -
٩٠ - ٨٧	ذكر تملك الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك العزيز الديار المصرية
٩٣ - ٩١	ذكر قيام الملك الأفضل بآتابكية ابن أخيه الملك المنصور بن الملك العزيز
٩٥ - ٩٣	ذكر سير الملك الأفضل الى دمشق
٩٥	ذكر وصول الملك الأفضل الى دمشق ومنازلته لها
٩٧ - ٩٦	ذكر هجوم بعض العسكر دمشق ثم خروجهم عنها مقهورين
٩٨ - ٩٧	ذكر تأخر الملك الأفضل الى ذيل عقبة الكسوة
٩٩ - ٩٨	ذكر وصول الملك الظاهر الى ظاهر دمشق نجدة لأخيه الملك الأفضل

المنحآت

٩٩ - ١٠١	•	ذكر تقدم الملكين الأفضل والظاهر الى دمشق ومضايقتهما لها
١٠١	• • • • •	ذكر استيلاء الملك المنصور صاحب حماة على بمرين
١٠٢ - ١٠٣	• • • • •	ذكر رحيل الملك الكامل بن الملك العادل عن مارددين
١٠٤	• • • • •	ودخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة
١٠٤ - ١٠٥	• • • • •	ذكر وصول الملك الكامل بن الملك العادل الى دمشق
١٠٦	• • • • •	ذكر وقوع الخلاف بين الملكين : الأفضل والظاهر
١٠٧ - ١٠٨	• • • • •	ذكر تأخر المعسكر الى رأس الماء ثم تفرقهم
١٠٨	• • • • •	ذكر مسير الملك العادل الى الديار المصرية
١٠٩ - ١١٠	• • • • •	ذكر منازلة الملك العادل القاهرة وتسليمه لها
١١٠ - ١١٤	• • • • •	ذكر استقلال الملك العادل بالسلطة وازالة أمر الملك المنصور بن الملك العزيز
١١٤ - ١١٥	• • • • •	ذكر تمريض ابن المقدم عن بمرين منبج وقلعة نجم
١١٤ - ١١٥	• • • • •	ودخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة
١١٦	• • • • •	ذكر استيحاء الصلاحية من الملك العادل وميلهم الى الملك الأفضل
١١٧ - ١٢٠	• • • • •	ذكر استيلاء الملك الظاهر على منبج وقلعة نجم
١٢٠ - ١٢٢	• • • • •	ذكر منازلة الملك الظاهر حماة ورحيله منها
١٢٢ - ١٢٣	• • • • •	ذكر منازلة الملك الأفضل والملك الظاهر دمشق وهي المنازلة الثانية
١٢٣	• • • • •	ذكر تسليم صرخد الى زين الدين قراجا
١٢٤	• • • • •	ذكر وصول الملك العادل الى نابلس
١٢٤	• • • • •	ذكر مضايقة الملك الأفضل والظاهر دمشق
١٢٥	• • • • •	ذكر الاختلاف بين الملكين : الأفضل والظاهر
١٢٥ - ١٢٨	• • • • •	ودخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة
١٢٩	• • • • •	ذكر رحيل الملك الأفضل والملك الظاهر عن دمشق
١٢٩ - ١٣١	• • • • •	ذكر قدوم الملك العادل الى دمشق
١٣٢ - ١٣٤	• • • • •	ذكر وصول الملك العادل الى حماة وانتظام الصلح بينهما وبين الملك الظاهر
١٣٥	• • • • •	ودخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة
١٣٥ - ١٣٩	• • • • •	ذكر حوادث حدثت باليمن
١٣٩ - ١٤٠	• • • • •	ذكر الحوادث المتجددة بالشرق
١٤٠ - ١٤١	• • • • •	ذكر اخراج الملك العادل الملك المنصور بن الملك العزيز من الديار المصرية
١٤١ - ١٤٣	• • • • •	ذكر نزول الملك المنصور ببمرين مرابطا للفرنج
١٤٣ - ١٤٨	• • • • •	ذكر الوقعة التي اوقعها الملك المنصور بالفرنج
١٤٨ - ١٥٠	• • • • •	ذكر الوقعة التي اوقعها الملك المنصور ببيت الاستبار
١٥٠ - ١٥٣	• • • • •	ذكر انتزاع ما كان اعطيه الملك الأفضل من البلاد ما عدا سميساط
١٥٤	• • • • •	ودخلت سنة ستمائة
١٥٤ - ١٥٥	• • • • •	ذكر وقوع الهدنة بين الملك المنصور والفرنج
١٥٥ - ١٥٩	• • • • •	ذكر ايقاع الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل بمعسكر الموصل
١٥٩	• • • • •	ذكر نزول الملك العادل على الطور لمحاربة الفرنج
١٦٠ - ١٦١	• • • • •	ذكر استيلاء الفرنج على قسطنطينية
١٦٢	• • • • •	ودخلت سنة احدى وستمائة
١٦٢	• • • • •	ذكر الهدنة مع الفرنج

المساحات

١٦٢	ذكر رحيل الملك العادل الى الديار المصرية
١٦٢ - ١٦٣	ذكر اغارة الفرنج على حماة
١٦٢ - ١٦٦	ذكر الهدنة بين الملك المنصور والفرنج
١٦٦ - ١٦٧	ذكر اغارة الفرنج على جبله واللاذقية
١٦٧ - ١٦٩	ذكر واقعة هربية
١٧٠ - ١٧١	ودخلت سنة اثنتين وستمئة
١٧٢	ودخلت سنة ثلاث وستمئة
١٧٢ - ١٧٤	ذكر وصول الملك العادل الى بحيرة قدس وما فعله بالساحل بعد ذلك
١٧٥	ودخلت سنة أربع وستمئة
١٧٥ - ١٧٧	ذكر استيلاء الملك الاوحد نجم الدين ايوب بن الملك العادل على خلاط وبلادها
١٧٧ - ١٧٩	ذكر الفتنة بخلاط
١٨٠ - ١٨٢	ذكر الشريف الوارد الى الملك العادل من الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين
١٨٣	ودخلت سنة خمس وستمئة
١٨٣ - ١٨٧	ذكر قدوم الملك الاشرف الى حلب ثم توجهه الى الشرق
١٨٧ - ١٨٩	ذكر مقتل معز الدين سنجر شاه - صاحب الجزيرة -
١٩٠	ودخلت سنة ست وستمئة
١٩٠ - ١٩٢	ذكر مسير الملك العادل الى البلاد الشرقية
١٩٣ - ١٩٥	ذكر منازل الملك العادل منسجار
١٩٦ - ١٩٧	ذكر رحيل الملك العادل عن منسجار ورجوعه الى حران بعد انتفاض ما بينه وبين ابن أخيه الملك الظاهر وصاحب الموصل وصاحب اربل ذكر وفاة الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين
١٩٨ - ٢٠٠	ودخلت سنة سبع وستمئة
٢٠١ - ٢٠٢	ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل
٢٠٢ - ٢٠٣	ذكر صفته وسيرته - رحمه الله -
٢٠٣ - ٢٠٥	ذكر استيلاء الملك القاهر بن نور الدين على الموصل
٢٠٦ - ٢٠٧	ذكر رحيل الملك العادل الى الديار المصرية
٢٠٧ - ٢٠٨	ذكر وفاة الملك الاوحد بن الملك العادل واستيلاء أخيه الملك الاشرف على خلاط
٢٠٨	ودخلت سنة ثمان وستمئة
٢٠٩ - ٢١٠	ذكر الفتنة بمكة
٢١٠ - ٢١١	ذكر عود الملك العادل الى الشام
٢١٢	ذكر الاتفاق بين الملك الظاهر وعمه الملك العادل وخطبة الملك الظاهر ابنة الملك العادل
٢١٣	ودخلت سنة تسع وستمئة
٢١٣ - ٢١٥	ذكر وصول صاحبة حنيفة خاتون ابنة الملك العادل الى حلب بعد عقد العقد بدمشق
٢١٥ - ٢١٧	ذكر عمارة الطور

الصفحات

٢١٨ — ٢١٧	• • • • •	ذكر قبض السلطان كيكافس على أخيه كيتباد
٢٢٠ — ٢١٩	• • • • •	ودخلت سنة عشر وستمئة
٢٢٢ — ٢٢٠	• • • • •	ذكر ولادة الملك العزيز بن الملك الظاهر
٢٢٣	• • • • •	ودخلت سنة إحدى عشرة وستمئة
٢٢٥ — ٢٢٤	• • • • •	ذكر منازلة الفرنج الخواري ثم رحيلهم عنها
٢٢٦	• • • • •	ذكر رحيل الملك العادل إلى الديار المصرية
٢٢٧	• • • • •	ودخلت سنة اثنتى عشرة وستمئة
٢٢٩ — ٢٢٧	• • • • •	ذكر استيلاء الملك المسعود بن الملك الكامل على اليمن
٢٣٣ — ٢٢٩	• • • • •	ذكر وفاة أبي الحسن على ولد الخليفة الناصر لدين الله
٢٣٦ — ٢٣٤	• • • • •	ودخلت سنة ثلاث عشرة وستمئة
٢٣٧ — ٢٣٦	• • • • •	ذكر توجه القاضي بهاء الدين بن شداد إلى مصر لتقرير قواعد الملك الظاهر
٢٤٢ — ٢٣٧	• • • • •	ذكر وفاة الملك الظاهر صاحب حلب — رحمه الله —
٢٤٨ — ٢٤٣	• • • • •	ذكر سيرته — رحمه الله —
٢٥٢ — ٢٤٨	• • • • •	ذكر تملك الملك العزيز بن الملك الظاهر حلب
٢٥٣ — ٢٥٢	• • • • •	ذكر وقوع الخلاف بين أمراء الدولة بحلب ثم زوال الخلاف ووقوع الاتفاق
٢٥٤	• • • • •	ودخلت سنة أربع عشرة وستمئة
٢٥٤	• • • • •	ذكر خروج الفرنج من البحر لاستعادة البيت المقدس
٢٥٦ — ٢٥٤	• • • • •	ذكر وصول الملك العادل إلى الشام وغارة الفرنج على المسلمين
٢٥٧	• • • • •	ذكر نزول الفرنج على الطور ومحاصرتهم له ، ثم رحيلهم عنه
٢٥٨	• • • • •	ودخلت سنة خمس عشرة وستمئة
٢٦١ — ٢٥٨	• • • • •	ذكر توجه الفرنج إلى الديار المصرية ومنزلتهم ثغر دمياط
٢٦١	• • • • •	ذكر وفاة الملك القاهر عز الدين — صاحب الموصل —
٢٦٢	• • • • •	ذكر سيرته — رحمه الله —
٢٦٣ — ٢٦٢	• • • • •	ذكر قيام بدر الدين لؤلؤ بتدبير مملكة الموصل أتابكا لنور الدين بن الملك الظاهر
٢٦٤ — ٢٦٣	• • • • •	ذكر قصد عز الدين — سلطان الروم — حلب
٢٦٦ — ٢٦٥	• • • • •	ذكر قدوم الملك الأشرف إلى حلب لنجدة الملك العزيز
٢٧٠ — ٢٦٧	• • • • •	ذكر انهزام عز الدين — سلطان الروم — من الملك الأشرف
٢٧١ — ٢٧٠	• • • • •	ذكر وفاة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب — رحمه الله —
٢٧٣ — ٢٧١	• • • • •	ذكر سيرته — رحمه الله —
٢٧٥ — ٢٧٣	• • • • •	ذكر أولاد الملك العادل
٢٧٦ — ٢٧٥	• • • • •	ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة الملك العادل

فهرس الملاحق

الملاحق

- ١ - خطاب بقلم القاضي الفاضل ، مرسل من السلطان صلاح الدين الى الخليفة المستفيء بنور الله ببغداد ، يبشره بفتح بلد من بلاد النوبة ، والنصرة عليها ٢٧٩ - ٢٨٤
- ٢ - خطاب بقلم القاضي الفاضل ، مرسل من السلطان صلاح الدين الى الخليفة ببغداد ، يبشره بفتح بلد من بلاد النوبة كذلك ، وانهمزام ملكها بمساكره ٢٨٥ - ٢٨٨
- ٣ - تذكرة أنشأها القاضي الفاضل من السلطان صلاح الدين يوسف ابن ايوب ، وارسلها صحبة الأمير شمس الدين الخطيب - أحد أمراء الدولة الصلاحية - الى ابواب الخلافة ببغداد ، في خلافة الناصر لدين الله . وفي هذه التذكرة يمدد صلاح الدين فتوحه وانتصاراته في مصر واليمن والمغرب ، ويسأل الخليفة أن يرسل اليه التقاليد بتوليته على هذه البلاد وعلى ما قد يفتح في المستقبل من بلاد أخرى ٢٨٩ - ٢٩٩
- ٤ - صورة العهد الصادر من ديوان الانشاء ببغداد بتولية صلاح الدين ملك مصر وأعمالها ، والصعيد الاعلى ، والاسكندرية ، وما يفتح من بلاد المغرب والساحل ، وبلاد اليمن وما افتتحه منها ، ويستخلصه بعد من ولايتها ٣٠٠ - ٣٠٧
- ٥ - كان صلاح الدين قد أناب عنه في سنة ٥٨٢ ابنه الملك العزيز في حكم مصر ، وأقطع أخاه العادل مديرية الشرقية ، فغضب ابن أخيه تقي الدين عمر ، وأخذ يمد العدة للمسير بجيشه لفتح المغرب ، يلتمس لنفسه ملكا هناك ، وهذه قطعة من خطاب بقلم القاضي الفاضل أرسله صلاح الدين الى ابن أخيه تقي الدين عمر في هذا المعنى ٣٠٨ - ٣٠٩
- ٦ - خطاب بقلم القاضي الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين الى ديوان الخلافة ببغداد يعتذر له عن تأخر الكتب ، ويذكر له خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك النمرانية من السروم والفسرج ٣١٠ - ٣١١
- ٧ - رسالة بقلم القاضي الفاضل مرسلة من السلطان الملك الناصر صلاح الدين الى أخيه الملك العادل ابن بكر بشأن انتصار الاسطول المصري بقيادة أميره حسان الدين لؤلؤ على اسطول الصليبيين الذي جرؤ فعبّر مياه البحر الاحمر قاصدا مهاجمة مدينتي مكة والمدينة وذلك في شوال سنة ٥٧٨ ٣١٢ - ٣١٣
- ٨ - قطعة من خطاب ثان بقلم القاضي الفاضل ، مرسل من صلاح الدين

الصفحات

- وكان في الشام — الى اخيه العادل — في مصر — بشأن الانتصار
سالف الذكر ، وفيه يأمره بالاسراع بقتل أسرى الفرنج حتى لا يبقى
منهم احد يخبر بطريق ذلك البحر (الاحمر) ٢١٤
- ٩ — قطعة من خطاب ثالث بقلم القاضي الفاضل مرسل من صلاح الدين
في مصر يكرر فيه ضرورة القضاء على أسرى الفرنج في الموقعة
السابقة الذين جرعوا على اجتياز بحر الحجاز ٢١٥
- ١٠ — قطعة من خطاب آخر مرسل من صلاح الدين الى الخليفة في بغداد
بشأن الغزوة الفرنجية سالف الذكر في البحر الاحمر ٢١٦
- ١١ — قطعة من خطاب آخر مرسل من صلاح الدين الى الخليفة ببغداد
بشأن غزوة الفرنج سالف الذكر في البحر الاحمر ، وبهذا الخطاب
تفصيلات جديدة هامة ٢١٧ — ٢١٨
- ١٢ — قطعة من خطاب مرسل من صلاح الدين — وكان بالشام — الى
الخليفة ببغداد ينقل اليه اخبار بعض انتصارات أسطوله على
الفرنج في البحر المتوسط ، وبعض انتصارات عسكره في المغرب
٢١٩
- ١٣ — خطاب بقلم القاضي الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين الى
« بردويل » أحد ملوك الفرنج ، وهو يومئذ مستول على بيت
القدس وما معه ، معزيا له في أبيه ، ومهنثا له بجلوسه في الملك بعده
٢٢٠ — ٢٢١
- ١٤ — قطعة من خطاب مرسل من القاضي الفاضل الى السلطان
صلاح الدين في نفس السنة ٥٨٢ بشأن موقف اخيه العادل وابن
أخيه المظفر تقى الدين عمر منه وطعمهما في ملك يطمئنان اليه ٢٢٢ — ٢٢٣
- ١٥ — خطاب بقلم القاضي الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين في
جواب كتاب ورد عليه مخبرا فيه بالحركة لبقاء العدو ٢٢٤ — ٢٢٥
- ١٦ — قطعة من خطاب أرسله السلطان صلاح الدين الى بعض اخوانه
وهو يجمع ويحشد الحشود في سنة ٥٨٢ هـ استعدادا لموقعة حطين
٢٢٦
- ١٧ — خطاب مرسل من عبد الله بن أحمد المقدسي — وكان مقيما بعسقلان —
الى بغداد في وصف موقعة حطين ٢٢٧ — ٢٢٨
- ١٨ — لم يكن القاضي الفاضل حاضرا موقعة حطين ، بل كان في دمشق ،
ومنها أرسل هذا الخطاب الى صلاح الدين يهنئه بالنصر العظيم
٢٢٩
- ١٩ — خطاب من السلطان صلاح الدين الى بغداد في وصف وقعة حطين ،
والخطاب بقلم القاضي الفاضل كتبه من عكا بعد أن فتحها
صلاح الدين بعيد انتصاره في حطين ٢٣٠
- ٢٠ — قطعة من خطاب آخر مرسل من صلاح الدين وهو في عكا
للشري بانتصاره في وقعة حطين ٢٣١
- ٢١ — خطاب بقلم العماد الاصفهاني مرسل من صلاح الدين الى الديوان
العزير ببغداد يصف فيه انتصاراته في حطين وعكا ، واستيلاؤه على
معظم مدن الساحل وهو يشهد لاستعادة بيت المقدس ٢٣٢ — ٢٣٣
- ٢٢ — خطاب أرسله السلطان صلاح الدين الى بعض أهله يشير فيه الى
فتح معظم مدن الساحل وتهيبته للمسير لفتح بيت المقدس ٢٣٥
- ٢٣ — خطاب بقلم القاضي الفاضل أرسله السلطان صلاح الدين الى
الديوان العزيز — أيام الخليفة الناصر لدين الله — ينبئه بفتح

الصفحات

- ٢٤٣ - ٢٣٦ القدس الشريف واستنقاذه من أيدي الصليبيين
- ٢٤٨ - ٢٤٤ ٢٤- خطاب بقلم العماد الاصفهاني صادر من صلاح الدين الى الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ينبئه بفتح القدس
- ٢٥٢ - ٢٤٩ ٢٥- خطاب مرسل من السلطان صلاح الدين الى اخيه سيف الاسلام - صاحب اليمن - يستقدمه اليه ، معاونا له على قتال الفرنج ، ويخبره بما وقع له من الفتوحات في سنة أربع وثمانين وخمسمائة
- ٢٥٦ - ٢٥٤ ٢٦- خطاب بقلم القاضي الفاضل مرسل من صلاح الدين الى ديوان الخلافة ببغداد
- ٢٦٠ - ٢٥٧ ٢٧- خطاب بقلم القاضي الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين الى الخليفة الناصر لدين الله يخبر ملك الالمات والقتال معه ، في جواب كتاب ورد عليه
- ٢٧٢ - ٢٦١ ٢٨- نسخة العهد المكتوب به من ديوان الخلافة ببغداد الى السلطان الملك المعادل ابي بكر بن ايوب - اخي السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب -
- ٢٧٦ - ٢٧٢ ٢٩- مرسوم بقلم القاضي الفاضل صادر عن صلاح الدين لتحويل السنة الخراجية الى سنة هلالية
- ٢٧٨ - ٢٧٧ ٣٠- خطاب بقلم القاضي الفاضل مرسل من السلطان صلاح الدين الى صاحب مكة ، جوابا عن كتاب ورد منه عليه في معنى وصول غلال بعث بها الى مكة
- ٢٨٠ - ٢٧٩ ٣١- خطاب ارسله القاضي الفاضل الى السلطان صلاح الدين يوسف ابن ايوب يهنئه بمولود ولد له
- ٢٨٢ - ٢٨١ ٣٢- نسخة خطاب مرسل الى الملك المعادل ابي بكر بن ايوب في جواب كتاب ورد منه بالبشارة بفتح خلاط
- ٢٨٧ - ٢٨٤ ٣٣- نسخة توقيع صادر عن السلطان صلاح الدين الى اخيه الملك المعادل ابي بكر باقطاع بالديار المصرية ، وبلاد الشام ، وبلاد الجزيرة ، وديار بكر ، وذلك في سنة ٥٨٠ هـ بعد الانفصال من حرب الفرنج بعكا وعقد الهدنة معهم

٣ فهرس الأعلام

- آق ناش (الأمير ، من خواص ممالك الخليفة الناصر لدين الله العباسي) : ١٩٧ .
- آقسنقر بن سكرمان (بدر الدين ، صاحب خلاط) : ١٩ .
- ابراهيم بن شمس الدين بن المقدم (الامير عز الدين ، صاحب بعرين وافامية وكفر طاب) .
- ٤ ، ١٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١١٤ ، ١٢٠ .
- ابراهيم بن الملك العادل (الملك الفائز) : ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ٢٧٥ .
- الابرنس (صاحب أنطاكية) : ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، .
- الابرنس (صاحب الكرك) : ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ .
- ابن الابرنس : ٢١٩ ، ٢٢٤ .
- ابن أبي يعلى (وزير الملك الظاهر) : ٢٤٩ ، ٢٥١ .
- الانابك = (انظر : طغرل الخادم)
- ابن الاثير (عز الدين ، المؤرخ) : ١٠ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٨٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، .
- ١٥١ ، ٢٠٢ ، ٢٧١ .
- اثير الانام = (محمد بن الملك العادل)
- الاجل السيد = (أبو بكر بن أيوب)
- أحمد بن أبي ذكرى (جمال الدين ، من الامراء المصريين) : ٢٥٠ .
- أحمد بن الملك الظاهر (الملك الصالح ، صلاح الدين) : ١٤١ ، ١٦٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، .
- ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ .
- أحمد بن يرقش : ١٩١ .
- أحمد الناصر لدين الله = (الامام الناصر لدين الله ، الخليفة العباسي)
- أخت دقاق لأمه = (زمردة خاتون ابنة الامير جاولي)
- أخت صلاح الدين = (ست الشام بنت أيوب)
- أخت الملك العادل = (ربيعة خاتون بنت أيوب)
- أخو الملك العادل لأمه = (سليمان بن شروة بن خللك)
- أرتق (ناصر الدين ، أخو يولق حسام الدين) : ١٦ .
- أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر (الملك العادل ، نور الدين ، صاحب الموصل) : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، .
- ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، .
- ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
- أرسلان شاه بن الملك العادل (الملك الحافظ ، نور الدين) : ١٢٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
- أرسلان شاه بن الملك الظاهر - مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر - (نور الدين ، صاحب الموصل) : ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
- أسامة (عز الدين ، صاحب مجلون وكوكب) : ٤ ، ٢٩ ، ٥٥ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، .
- ١١٩ ، ١٢٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .
- اسحق بن الملك العادل - (عز الدين) : ١٧١ .

- الاسد أقطان (والى حارم) : ٢٥٢ .
- اسد الدين = (مرا سنقر)
- = (شيركوه بن محمد بن شيركوه)
- اسعد بن يحيى السنجاري (بهاء الدين) : ١٤٣ .
- اسماعيل بن سيف الاسلام ظهير الدين طفتكين بن أيوب (الملك المعز) : ٧٣٠ ، ١٣٦ ، ١٣٨
- اسماعيل بن الملك العادل (الملك الصالح ، عماد الدين) : ٢٧٥ .
- أفرمبلو (من الاخوة الاستبار) : ١٤٩ .
- أفرنس : ٣٤٧ .
- أقبا (مبارز الدين) : ١٦٥ .
- الاقسيس = (يوسف بن الملك الكامل)
- الب غزى بك = (يوسف بن أيوب)
- البكى الفارس (عز الدين) : ٩٤ ، ١٣١ .
- البلى الصلاحى (الفارس) : ١١٩ .
- البنى (ابن توتاش بن ايلغازى ، نجم الدين ، صاحب منردين) : ٢١ .
- الجرد (من الاخوة الاستبار) : ١٤٩ .
- الدكر الكبير العادلى شمس الدين أستاذ دار الملك العادل : ١٠٤ ، ١٨٠ .
- الطنيفا : ٢٥٣ ، ٢٦٦ .
- الكيا جلال الدين حسن (امام الباطنية ، صاحب الالوت) : ٢١١ .
- أم الكيا حسن - صاحب الالوت - : ٢١٠ .
- أم الملك الناصر - ابن سيف الاسلام طفتكين - : ١٣٧ ، ١٣٨ .
- الامام الناصر لدين الله (أبو العباس أحمد ، الخليفة العباسى) : ٥ ، ٩ ، ٦٩ ، ١٦٨
- ١٦٩ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٥٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٨٩ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ .
- ابن أمير التركمان : ٢٥٢ .
- الامير رشيد الدين (رسول صلاح الدين الى الخليفة الناصر لدين الله) : ٣٤٧ .
- الامير شمس الدين الخطيب (من أمراء الدولة الصلاحية) : ٢٨٩ .
- الامير الفقيه شمس الدين خطيب الخطباء = (الامير شمس الدين الخطيب)
- الامير مانع بن حديثه (أمير العرب) : ٢٦٦ .
- أمير المجاهدين = (محمد بن الملك العادل)
- أمين الدين = (يمن)
- أوانى (ملك الكرج) : ٢٠١ .
- أياش البانياسى (فخر الدين) : ٩٨ ، ١٠٤ .
- أيك (عز الدين ، مملوك الملك المعظم عيسى بن العادل وأستاذ داره) : ٢١٠ .
- أيك (مملوك الملك الظاهر) : ١٠٦ .
- أيك الجمدار الظاهرى (عز الدين) : ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
- أيك قطيس (عز الدين) : ٩٤ ، ١٨٧ .
- ايلغازى بن ألبى (قطب الدين) : ١٦ ، ١٧ .
- أيوب بن المبارك أقبا (المبارك) : ٢٥٢ .
- أيوب بن الملك العادل (الملك الاوحد ، نجم الدين ، صاحب ميفارقين و خلاث) : ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .
- البابا : ٢٥٤ .

- باخل (من الامراء الاكراد ، باليمن) : ١٢٧ .
- ابن بارزان : ٢٤١ .
- ابنة بلوزان : ٨
- بدر الدين = (آقسنقر بن سكرمان)
- = (دلدرد بن بهاء الدين ياروق)
- = (لؤلؤ ، مملوك أرسلان شاه بن مسعود)
- بردويل (أحد ملوك الفرنج) : ٢٢٠ .
- أبو البركات = (محمد بن الحسن بن طاهر)
- بشاره (حسام الدين) : ٧٥ ، ١١٧ .
- البقش (نظام الدين ، مملوك ايلغازي بن ألبى ، أتابك حسام الدين يولق أرسلان بن ايلغازي بن ألبى) : ١٦ .
- بكتمر (سيف الدين ، مملوك ظهير الدين ابراهيم ، صاحب خلاط) : ١٦ ، ١٩ ، ١٧٥ .
- أبو بكر (رضى الله عنه) : ٦٩ .
- أبو بكر بن أيوب (الملك العادل ، سيف الدين) : ٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ .
- ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
- بليان (سيف الدين ، أحد مماليك شاهر من) : ١٧٥ ، ١٧٦ .
- بنا البانياس (زين الدين) : ١٢٣ .
- بهاء الدين = (ابن شداد)
- = (أسعد بن يحيى السنجارى)
- = (عمر بن أياز)
- = (قراقوش)
- بهرام التاجي : ٩٣ .
- بهرام الرومي : ٩٣ .
- بهرامشاه بن عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (الملك الامجد ، مجد الدين ، صاحب بعلبك) : ٤ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٩٠ .
- بيبرس (الملك الظاهر ، ركن الدين ، صاحب الديار المصرية والشام) : ٧٥ .
- تاج الدين = (اسحق بن الملك العادل)

= (الكندري)

تاج الملوك والسلاطين = (محمد بن الملك العادل)

= (يوسف بن أيوب)

تقي الدين = (عباس بن الملك العادل)

= (عمر بن شاهنشاه بن أيوب)

= (محمود بن الملك المنصور)

تمرتاش بن ايلغازي الارتقي (حسام الدين ، صاحب ماردين) : ٢١ .

توران شاه بن أيوب (الملك المعظم ، فاتح اليمن) : ٦٣ .

توما (من عظماء الروم) : ٦٤ .

ثيودور لاسكاريس (Theodore Lascaris ، امبراطور الدولة البيزنطية) : ٢٢٥ .

ابن جبير (الرحالة) : ١٠٣ .

البحاف - أو البحاف : ١٠٠ ، ١٢٦ .

جرديك النوري (عز الدين ، نائب الملك العزيز بالقدس) : ٥٢

الجزري = (ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير)

أبو جعفر (المنصور المستنصر بالله)

جلال الدولة = (محمد بن الملك العادل)

جمال الدولة = (كافور)

جمال الدين = ابن واصل .

= (احمد بن أبي ذكرى)

= (عبد الواحد بن الحصين)

= (علي بن صفى الدين أبو القسم بن الطريفة)

= (محاسن بن عجم الموصلى)

جمال الملك = (يوسف بن أيوب)

جهازكس بن عبد الله الناصري الصلاحى (الامير فخر الدين ، أبو المنصور ، مقدم الامراء

الصلاحية) : ١١ ، ٣١ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،

١٢٦ ، ١٢٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٧٤ .

جوهر الخادم (شجاع الدين) : ١٠٠ .

الحافظ أبو القاسم : ٦٨

أبو حامد = (محيى الدين بن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون)

الحجاء (فخر الدين) : ٩٣

حسام الدين = (أبو الهيجاء السمين)

= (بشارة)

= (تمرتاش بن ايلغازي الارتقى)

= (عمر بن لاجين)

= (عيسى بن خوشترين)

= (لؤلؤ ، الحاجب)

= (يولقى أرسلان بن ايلغازي بن ألبى بن تمرتاش بن ايلغازي بن أرتق

حسام الدين (صاحب عين تاب) : ٩٥

حسن بن الملك العادل (الملك الامجد ، مجد الدين) : ٢٧٤

الحسامية = (ست الشام بنت أيوب)

أبو الحسن = (على بن الخليفة الناصر لدين الله)

- أبو الحسن بن الواعظ الزاهد : ٦٨
 الخاتون = (انظر : حنيفة خاتون بنت الملك العادل)
 الخاتون ابنة حسام الدين تمرثاش : ٢١ ، ٢٣
 ختلج العزى (صارم الدين ، مملوك عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب) : ٧٦ ، ٩٢
 خضر بن السلطان صلاح الدين (الملك الظافر ، مظفر الدين ، أبو الدوام ، أبو العباس .
 المعروف بالشمس) : ٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٩٦ ، ١٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٠
 خضر بن الملك الناصر = (خضر بن السلطان صلاح الدين)
 ابن خلكان : ٩ ، ٢٢ ، ٨٢
 الخليفة أحمد = (انظر الامام الناصر لدين الله العباسي)
 خليل أمير المؤمنين = (أبو بكر بن أيوب)
 خليل بن المصمودي الحنفي الحموي (نجم الدين ، قاضي العسكر) : ١٨٠
 خليل الله - ابراهيم - (عليه السلام) : ٢٨٢
 داود بن الملك الناصر (الملك الزاهر ، أبو سليمان ، مجير الدين ، صاحب تليمة) :
 ٥٨ ، ٥٩ ، ١٥٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٣٧٩
 درباس الكردي : ٣٢٨
 درباس المهراني (عز الدين) : ٩٧
 ابن الدل (الفقيه) : ٢٤١
 دلدوم بن بهاء الدين ياروق (بدر الدين ، صاحب تل باشر) : ٤ ، ٤٥ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٣١ ،
 ٢٢٤ ، ٢٦٤
 أبو الدوام = (خضر بن السلطان صلاح الدين)
 ابن ذي وزن : ٣٢٩
 راجح بن اسماعيل الحلبي (شرف الدين ، الشاعر) : ١٨٥ ، ١٩٨ ، ٢١٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
 رأس الكيش (الأمير) : ٩٧
 ربيعة خاتون بنت أيوب (أخت الملك العادل) : ١٩٧ ، ٢١١
 ركن الاسلام = (محمد بن الملك العادل)
 ركن الدين = (بيبرس)
 = (سليمان بن قلع أرسلان بن مسعود السلجوقي)
 الرئيس العميد مختار الدين (رسول صلاح الدين الى بردويل) : ٣٢٠
 زكي الدين بن محيي الدين بن زكي الدين (قاضي دمشق) : ١٣٣
 زمردة خاتون ابنة الأمير جاولي (صفوة الملوك) : ٦٥
 زنكي بن آق سنقر (عماد الدين) : ٢٠
 زنكي بن مودود بن زنكي (عماد الدين ، صاحب سنجان) : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٧٨ ، ٧٩
 زنكي بن نور الدين - أرسلان شاه - (عماد الدين) : ١٩٧ ، ٢٠٦
 زوجة مظفر الدين - صاحب اربل - = (ربيعة خاتون بنت أيوب)
 زوجة الملك تاج الملوك بوري = (زمردة خاتون ابنة الأمير جاولي)
 زين الدين = (بنا البانياسي)
 = (قراجا الصلاحى)
 = (الهبطلية)
 = (يوسف الدمشقي)
 زين الدين (والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى) : ٣٠٣

- زين الدين بن الاستاذ (القاضي) ٢٦٦
 زين الدين بن هندی (قاضي حمص) : ١٥١ ، ١٥٢
 سابق الدين = (عثمان بن الداية)
 = (مثقال الجمدار)
 سالم بن سمادة الحمصي (الشاعر) : ١٤٧ ، ١٤٩
 سبط ابن الجوزي : ٨٢
 ست الشام بنت أيوب (الحسامية ، أخت صلاح الدين) : ٦٣ ، ٦٤
 سرا سنقر (أسد الدين) : ٩٢ ، ١٣١
 سعد الدين = (شاهان شاه بن الملك المظفر تقي الدين عمر)
 سعد الدين بن علم الدين قيصر : ١٢٦
 سعد الدين بن فاخر : ١٢١ ، ١٧٠ ، ١٧١
 سعيد النديوه جي (مؤرخ الموصل) : ٢٢
 أبو سليمان = (داود بن الملك الناصر)
 سليمان (عليه السلام) : ٢١٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨
 سليمان بن شروة بن خلدك (الأمير أبو منصور ، فلك الدين ، الملك البارز ، أخو الملك
 العادل لأمه) : ٦٠ ، ٦١ ، ١٣٥
 سليمان بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلмыш بن تبغو
 أرسلان بن سلجوق (ركن الدين ، سلطان بلاد الروم) : ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٦
 سليمان شاه بن سعد الدين شاهان شاه بن الملك المظفر تقي الدين عمر : ١٣٨ ، ١٣٩
 ٢٢٧
 ابن مناء الملك (القاضي السعيد) : ٤٩ ، ٧٦
 سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي (معز الدين ، صاحب الجزيرة)
 ١٧ ، ١٨٧ ، ١٨٩
 سند الخلافة = (محمد بن الملك العادل)
 سنقر (سيف الدين ، أتابك الملك الناصر بن سيف الاسلام طفتكين) : ١٢٧
 سنقر (مظفر الدين ، المعروف بوجه السبع) : ١٧٨
 سنقر الحلبي (مبارز الدين ، من الامراء المصريين) : ٢٥٠
 سنقر العزيزي : ٩٧
 سنقر الكبير (شمس الدين ، صاحب القدس) : ١١ ، ١٥ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٦
 سوباش سيواس : ٢٦٧
 السيد = (محمد بن الملك العادل)
 ابن سيف الاسلام = (اسماعيل ، الملك المعز)
 سيف الاسلام = (طفتكين بن أيوب)
 سيف الدين = (أبو بكر بن أيوب)
 = (بلبان)
 = (سنقر ، أتابك الملك الناصر بن سيف الاسلام طفتكين)
 = (علي بن علم الدين سليمان بن جندر)
 = (علي بن مهران)
 = (غازي بن زنكي)
 = (ياركوج)
 سيف الدين (أخو عيسى بن خوشترين) : ٩٨

سيف الدين بن قلج : ٨١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٩

أبو شامة : ١٤ ٣١

شاهان شاه = (أبو بكر بن أيوب)

شاهان شاه بن الملك المظفر تقي الدين عمر (سعد الدين) : ١٣٨

شاهرمن = (موسى بن الملك العادل)

شاهرمن بن سكران (صاحب خلاط) : ١٦ ، ١٧٥

شجاع الدين = (جوهر الخادم)

= (طغرل السلحدار)

= (يونس)

ابن شداد (بهاء الدين يوسف ، قاضي حلب) : ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٢٣ ،

١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،

٢٦٩

شرف الدين = (ابن عنين)

= (راجع بن اسماعيل الحلبي)

= (عيسى بن الملك العادل)

= (هندو أمير أميران بن مودود)

الشريف قتادة (أبو عزيز ، صاحب مكة) : ٢١٠ ، ٢١١

شقيز (علاء الدين) : ٩٤ ، ١٢٦

شقيق الملك الأفضل = (خضر بن السلطان صلاح الدين)

شقيق الملك الظاهر = (داود بن السلطان صلاح الدين)

شقيقة الملك الكامل = (ضيفة خاتون)

شقيقة الملك المعظم توران شاه بن أيوب = (مت الشام بنت أيوب)

شمس الدين = (الذكر الكبير العادلي)

= (منقر الكبير)

= (عبد الملك بن المقدم)

= (مودود بن قلج)

= مودود بن الملك العادل

= (محمود بن قلج)

شمس الدين بن التنبى : ٢١٢

شمس الدين بن الدقيق (من الامراء الاكراد باليمن) : ١٢٧

شمس الدين بن السلار (الأمير ، من اكابر الدولة الصلاحية) : ٣٩

شهاب الدين = (طغريل الخادم ، الاتابك)

= (غازي بن الملك العادل)

= (محمود بن الملك المغيث عمر)

شهاب الدين (ابن أبي محمد مختار بن أبي محمد بن مختار) : ١٦٧

شهاب الدين بن البلاعي (من اكابر أهل حماة) : ١٦٣

شهاب الدين بن حرب (خطيب قلعة حلب) : ٢٤١

ابنة شهاب الدين بن شرف الدين بن أبي معصرون : ٢٥٧

الشيخ أبو الحسن الفاسي (الزاهد) : ١٦٥

الشيخ تقي الدين = (علي بن أبي بكر الهروي)

الشيخ تقي الدين بن قاضي شهاب : ٦٣

الشيخ شهاب الدين السهروردي (الشيخ الإمام قدوة العارفين ، شيخ الطريقة

- والحقيقة (: ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣)
- الشيخ صدر الدين بن حمويه : ٢٥٧
- الشيخ عماد الدين (والد الشيخ صدر الدين بن حمويه) : ٢٥٧
- شركوه بن محمد بن شركوه (الملك المجاهد ، أسد الدين ، صاحب حمص) : ١٨ ، ٤٠
- ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٩٠
- ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٣ ، ٢٦٦
- بنت صاحب جبلة : ٨
- الصاحب صفى الدين = (عبد الله بن علي بن شكر)
- ابنة صاحب عكا : ٢٢٣
- صارم الدين = (خنلج العزى)
- = (قايمار النجمى)
- صفوة الملوك = (زمردة خاتون ابنة الأمير جاولى)
- صفى الخلافة = (يوسف بن أيوب)
- صلاح الدين = (أحمد بن الملك الظاهر)
- = (قلج أرسلان بن الملك المنصور)
- = (يوسف بن أيوب)
- = (يوسف بن الملك الكامل)
- الضياء الجزرى = (ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير)
- ضياء الدين = (القاسم بن يحيى بن عبد الله بن الشهرزورى)
- ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير الجزرى (وزير الملك الافضل) : ١٠ ، ١١
- ١٢ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ١١٢
- ضيقة خاتون بنت الملك العادل (صاحبة) : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٤١
- طفتكين بن أيوب (الملك العزيز ، سيف الاسلام ، ظهير الدين ، صاحب اليمن) : ٣٠ ، ٢٩
- ٧٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠
- طغرل السلحدار (شجاع الدين) : ٩٢
- طغرل شاه بن قلج أرسلان السلجوقى (مفيت الدين ، صاحب أرزن الروم) : ١٧٦
- ١٩٥ ، ٢١٧
- طغرل المهرانى : ٩٧
- طغريل الخادم (شهاب الدين ، أتابك الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازى) : ٨
- ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦
- ٢٦٨ ، ٢٦٩
- ظهير الدين = (طفتكين بن أيوب)
- أبو العباس = (الإمام الناصر لدين الله)
- = (خضر بن السلطان صلاح الدين)
- العباس بن عبد المطلب : ٣٦٢
- عباس بن الملك العادل (الملك الامجد ، تقى الدين) : ٢٧٥
- عبد الرحمن المنجى : ٢٣٤
- عبد الرحمن بن علي البيسانى = (القاضى الفاضل)
- عبد الكريم بن علي البيسانى = (أخو القاضى الفاضل) : ٨٤ ، ٨٥
- عبد الله بن أحمد المقدسى : ٣٢٧
- عبد الله بن عبد الله الحسنى (الشريف) : ١٢٦

- عبد الله بن علي بن شكر (صاحب صفى الدين ، وزير الملك العادل) : ١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٦٧ ، ١٨٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
- عبد الملك بن المقدم (شمس الدين) : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٣٢
- عبد الواحد بن الحصين (جمال الدين ، أبو غالب) : ١٣
- عثمان (ابن الملك العادل ، الملك العزيز ، عماد الدين ، صاحب بانياس) : ٢١٠ ، ٢٧٤
- عثمان بن الداية (سابق الدين ، صاحب شيزر) : ٤ ، ٥٨
- عثمان بن عفان : ٦٩ ، ٢٠٧
- عثمان بن علي الزنجبيلي (الامير عز الدين ، أبو عمرو) : ٢٩
- عثمان بن الملك الناصر (الملك العزيز ، عماد الدين ، صاحب الديار المصرية) : ٣ ، ٥ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١٤٠ ، ٢٠٨
- عده الدين = (محمد بن الامام الناصر لدين الله)
- عز الامة = (محمد بن الملك العادل)
- عز الدين = (ابراهيم بن شمس الدين بن المقدم)
- = (ابن الاثير ، المؤرخ)
- = (أسامة)
- = (البكي الفارس)
- = (أيبك ، مملوك الملك المعظم عيسى بن العادل)
- = (أيبك الجمدار الظاهري)
- = (ايبيك قطيس)
- = (جرديك النوري)
- = (درباس المهراني)
- = (عثمان بن علي الزنجبيلي)
- = (قلج أرسلان بن سليمان بن قلج أرسلان)
- = (كيناوس بن كيخسرو)
- = (مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر)
- = (مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر)
- عز الدين بن الزنجبيلي (رسول الملك الافضل الى عمه الملك العادل) : ٢٩
- عز المجاهدين = (يوسف بن أيوب)
- أبو العزائم = (عيسى بن الملك العادل)
- عصمة الدين = (ملكة خاتون)
- علام الدين = (شقير)
- = (كيقباز بن كيخسرو)
- ابنة علام الدين - صاحب نابلس - : ١٦٤
- علم الدين = (قيصر الصلاحى)
- = (كرجى)

علي بن ابي بكر الهروي (الشيخ تقي الدين) : ١٢١ ، ٢١٨ ، ٢٢٤

علي بن ابي طالب : ٦٩ ، ٢٠٦

على بن الخليفة الناصر لدين الله (الامير ابو الحسن) : ١٦٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢
 على بن السلطان صلاح الدين (الملك الافضل ، نور الدين صاحب دمشق) : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١

على بن صفى الدين ابو القسم بن الطريرة (الرئيس جمال الدين) : ٢٣٨ ، ٢٣٩
 على بن علم الدين سليمان بن جندر (الامير سيف الدين) : ٧١ ، ٨٠ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٩

على بن مهران (سيف الدين) : ٩٨
 على بن النبيه المصرى (كمال الدين ، القاضى) : ١٥٧ ، ٢١٦ ، ٢٣١
 العماد الاصفهاني = (العماد الكاتب)
 عماد الدولة = (يوسف بن أيوب)
 العماد الكاتب = (محمد بن محمد) : ١٢ ، ١٣ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ١٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٤٤

عماد الدين = (اسماعيل بن الملك العادل)
 = (زنكى بن آق سنقر)
 = (زنكى بن مودود)
 = (زنكى بن نور الدين ارسلان شاه)
 = (عثمان بن السلطان صلاح الدين)
 = (عثمان بن الملك العادل)

عماد الدين (ابن الشيخ صدر الدين بن حمويه) : ٢٥٧
 عماد الدين ابو بكر (ابن غرس الدين قلع النورى) : ٨١
 عماد الدين الكاتب = (العماد الكاتب)
 عماد الدين بن المشطوب : ١٣١
 عمر — ابن شاهنشاه بن أيوب — (الملك المظفر ، تقى الدين) : ٢٧١ ، ٣٠٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥١

عمر بن اياز (الحاج بهاء الدين) : ٢٤١
 عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : ٣٢٢
 عمر بن العجمى (كمال الدين) : ١٦٤ ، ١٦٥
 عمر بن لاجين (حسام الدين) : ٦٣
 عمر بن الملك العادل (الملك المغيث) : ٢٧٣
 عمر بن الملك المنصور = (أنظر : محمود بن الملك المنصور)
 ابو عمرو = (عثمان بن على الزنجبيلى)
 ابن عنين (شرف الدين ، الشاعر) : ٧٢ ، ١٢٩ ، ٢٧٢

عيسى بن خوشترين (حسام الدين) : ٩٨
عيسى بن الملك العادل (الملك المعظم ، شرف الدين ، أبو الغزائم ، صاحب دمشق) :
١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ،
٢١٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

عيسى الهكاري (الفقيه) : ٩٦
غازي بك محمد = (محمد بن الملك العادل)
غازي بن جبريل (من أمراء الدولة باليمن) : ١٢٨
غازي بن زنكي (سيف الدين ، صاحب الموصل) : ٤٤ ، ١٨٧
غازي ابن صاحب الجزيرة = (غازي بن معز الدين سنجر شاه)
غازي بن معز الدين - سنجر شاه - : ١٨٨ ، ١٨٩
غازي بن الملك العادل (الملك الظفر ، شهاب الدين ، صاحب ميافا رقين) : ٢٠٨ ،
٢١٢ ، ٢٧٤ .

غازي بن يوسف بن أيوب (الملك الظاهر ، غياث الدين ، صاحب حلب) : ٣ ، ٨ ،
٩ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
٤٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ،
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ،
٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ .

غازية خاتون ابنة الملك العادل : ١٦٦ ، ٢١٢ .
أبو غالب = (عبد الواحد بن الحصين) .
فرس الدين = (قلع النوري) .
غياث الدين = (غازي بن يوسف بن أيوب) .
= (كيخسرو بن قلع أرسلان) .
= (محمد بن الملك الظاهر) .
فارس الدين = (ميمون القصري) .
فتح الدين بن بدر الدين دلدرم (صاحب تل باشر) : ٢٢٤ ، ٢٦٤ .
فتح الدين بن جمال الدين فرخ : ١٦٤ .
فخر الدين = (إياس البانياسي) .
= (جهاركس بن عبد الله التامري الصلاحي) .
= (الحجاج) .

فخر الدين (ابن أبي محمد مختار بن أبي محمد مختار) : ١٦٧ .
فخر الدين (ابن الشيخ صدر الدين بن حمويه) : ٢٥٧ .
فخر الملة = (محمد بن الملك العادل) .
أبو الفضائل = (القاسم بن يحيى بن عبد الله بن الشهرزوري) .
فلانة خاتون = (الخاتون ابنة حسام الدين تمرشاش) .
فلك الدين = (سليمان بن شروة بن خلدك) .

القاسم بن يحيى بن عبد الله بن الشهرزورى (ضياء الدين ، أبو الفضائل ، انقاض)
 . ٨٦٧

قاسم الدين (من أصحاب الملك العادل) : ١٠٤ •

القاضي الاجل الفاضل = (القاضي الفاضل) .

ابن قاضی دارا = (مختار بن ابی محمد بن مختار) •

القاضي السعيد = (ابن مناء الملك) .

القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي البيساني) : ١١ ، ١٢ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ،

6T1Y6 Y1. 6 Y.A 6 YΛ9 6 YΛ0 6 YV9 : 11. 6 1.9 6 9. 6 Λ9 6 Λ8 6 ΛY

6 2426 257 : 265 6 277 6 28. : 291 6 292 6 293 : 29. 6 300 6 302

• 749 • 747

قامع الكفرة والمشركين = (محمد بن الملك العادل) .

• = (يوسف بن أيوب)

قاهر الخوارج والتمردين = (محمد بن المنك العادل) .

• = (يوسف بن أيوب)

قايماز بن عبد الله الزيتي (أبو منصور ، مجاهد الدين) : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ،

• 1.5 6 20 6 28 6 25

قايمعز النجمي (الامير سارم الدين ، من أمراء الدولة الصلاحية) : ٢٧ ، ٥٥ .

قراجا الصلاحی (زین الدین) : ۹۲ ، ۱۲۴ ، ۱۲۶ ، ۱۲۹ ، ۱۷۵ ، ۲۰۹ .

فراقوش (نائب عبد الملك بن المدم باقاميه) : ١٢٢ ، ١٢١

قراقوش الاسدي (الامير بهاء الدين) : ٨٨ ، ٨٩ .

قُتِمِر (من أخص ممالك الخليفة العباسي) : ١٧٨ .

قطب الدین = (ایلغازی بن البی) .

• = (محمد بن زنگی بن موزود)

= (موسى بن صلاح الدين) .

قلج أرسلان (عز الدين ، ابن سليمان بن قلج أرسلان السلجوقي) : ١٦١ ، ١٦٦ .

سليح ارشد بن الملك المنصور (ابنك الناصر ، صلاح الدين) : ١٦١ .

قنچ التوری (الامیر عرس الدین) ۷۰۰ ، ۷۱ ، ۸۱ .

• قیصر - الروم - : ۲۷۲ •

قيصر الصلاحى (علم الدين ، مملوك الملك الناصر) : ١١٨ ، ١٢٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ،

• 154 6 170

قبصر الظاهرى = (قبصر الصلاحى) .

قيصر الناصري = (فيصر الناصري) .

• کافور (جمال الدین) : ۷۳ •

کرجی (علم الدین) : ۶۷ .

كريم الدين الخلاطى (من أخص أصحاب الملك العادل) : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

• كسرى الملوك : ٢٧٢ .

كمال الدين = (على بن النبيه المصرى) .

• (عمر بن العجمی) =

كمال الدين (ابن الشيخ صدر الدين بن حمويه) : ٢٥٧ .

كمال الدين بن العديم (الصاحب ، المؤرخ) : ٢٦٥ .

کند قلنط : ۱۴۶ .

- الكندی (تاج الدين) : ٢٢ .
- كوكبوری بن زین الدين كوجك (الملك المعظم ، مظفر الدين ، صاحب اربل) : ١٦ ، ١٠٢ ، ١٥٦ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ .
- کیخسرو بن قلچ ارسلان السلیجوقی (السلطان غیاث الدين ، صاحب بلاد الروم) : ١٦٦ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ .
- کیقباد بن کیخسرو (علاء الدين) : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦٨ .
- کیکاووس بن کیخسرو (الملك الغالب ، عز الدين ، صاحب بلاد الروم) : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
- لاجین (الامیر) : ٦٣ .
- ابن لاون (صاحب الارمن) : ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
- الشکری - أو الاشکری ، أو الشکری - (ملک الروم) : ٢٢٥ .
- لؤلؤ (بدر الدين ، مملوك أرسلان شاه بن مسعود صاحب الموصل) : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
- لؤلؤ (حسام الدين ، الحاجب ، قائد الاسطول المصری) : ٣١٢ .
- ماجد بن محمد بن القیسرانی (مهذب الدين ، ابو الحسن) : ٢٤٥ .
- ماما خاتون (صاحبة أرزن الروم) : ١١٨ .
- المبارز = (ایوب بن المبارز أقجا) .
- مبارز الدين = (أقجا) .
- = (سنقر الحلبي) .
- = (یوسف بن خطلخ) .
- مثقال الجمدار (سابق الدين) : ٩٨ .
- المجاهد = (محمد بن الملك العادل) .
- مجاهد الدين = (قایماز بن عبد الله الزبني) .
- = (یرنقش) .
- مجد الدين = (بهرامشاد بن فرخشاد بن شاهنشاه بن ایوب) .
- = (حسن بن الملك العادل) .
- مجد الدين : ٢١٩ .
- مجد الدين (أخو الفقيه عیسی الهکاری) : ٩٦ .
- مجد الدين أبو السعادات بن الاثیر : ١٠ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
- مجیر الدين = (داود بن الملك الناصر) .
- = (یعقوب بن الملك العادل) .
- أبو المحاسن = (ماجد بن محمد بن القیسرانی) .
- محاسن بن عجم الموصلی (جمال الدين ، الحاجب) : ٦٦ .
- محمد (علیه الصلاة والسلام) : ٣٢ ، ٣٤ ، ٦٩ ، ١٨٦ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٤٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ .
- أبو محمد = (مختار بن أبی محمد بن مختار) .
- = (المستفی بأمر الله) .
- محمد (ابن الامام الناصر لدين الله ، عدة الدين ، أبو نعر) : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٢٩ .
- محمد بن أسد الدين شیرکوه (الامیر ناصر الدين ، صاحب حمص) : ٦٣ .

محمد بن الحسن بن طاهر (أبو البركات) : ٦٨ .
 محمد بن الحسين الاصفهاني (نظام الدين الكاتب ، وزير الملك الظاهر) : ٩٤ ، ٩٥ ،
 ١١٤ ، ١١٨ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ .

محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب = (محمد بن الملك العادل) .
 محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي (قطب الدين ، صاحب سنجار) : ٧٨ ،
 ٧٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
 ١٩٧ .

محمد بن القاضي الجليس عبد العزيز السعدي (المرتضى ، القاضي) : ٣٤ .
 محمد بن القاضي زكي الدين علي بن محمد (محيي الدين ، أبو المعالي ، قاضي القضاة) :
 ٣٤ ، ١٣٣ .

محمد بن الملك الظاهر (الملك العزيز ، غياث الدين ، صاحب حلب) : ٨ ، ١٤١ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

محمد بن الملك العادل (الملك الكامل ، ناصر الدين ، أبي المعالي ، صاحب الديار المصرية) .
 ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٦٧ ، ١٨٢ ،
 ٢٠٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧١ .
 محمد بن الملك العزيز (الملك المنصور ، ناصر الدين) : ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٦ ،
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥١ .

محمد بن الملك المظفر تقي الدين (الملك المنصور ناصر الدين ، صاحب حماة) : ٤ ،
 ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،
 ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
 ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٩ .

محمد الظاهر بأمر الله (أبو نصر) : ٣٦٢ .
 محمد مصطفى زيادة (الدكتور) : ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ .
 محمود بن سنجر شاه (ممز الدين ، صاحب الجزيرة) : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ .
 محمود بن الشكري : ١٠٦ ، ٢٢٨ .
 محمود بن قلعج (شمس الدين) : ٨١ ، ١١٤ .
 محمود بن محمد بن قرا أرسلان الورتقي (الملك الصالح ، صاحب آمد وحصن كيفا) :
 ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٦٥ .

محمود بن الملك المغيث عمر (الملك المغيث ، شهاب الدين) : ٢٧٣ .
 محمود بن الملك المنصور (الملك المظفر ، تقي الدين) : ١٤٧ ، ١٦١ .
 محيي الدين = (محمد بن القاضي زكي الدين علي بن محمد) .
 محيي الدين بن الشيخ شرف الدين بن أبي عمرو (أبو حامد ، القاضي) : ٣٤ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤ .

مختار بن أبي مختار بن مختار (أبو محمد ، القاضي المعروف بابن قاضي دارا ، وزير
 الملك الكامل محمد) : ١٦٧ .

المرايط = (محمد بن الملك العادل) .
 المرتضى = (محمد بن القاضي الجليس عبد العزيز السعدي) .
 المركيس : ١٤٦ .
 المستضيء بأمر الله (أبو محمد ، الخليفة العباسي) : ١٧٩ ، ٢٩٥ ، ٣٦٢ .

- مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر (الملك القاهر ، عز الدين ، صاحب الموصل) : ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
- مسعود بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين (الملك المؤيد ، نجم الدين) : ٨٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .
- مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر (عز الدين صاحب الموصل) : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ١٥١ .
- المشعر = (خضر بن السلطان صلاح الدين) .
- مظفر الدين = (خضر بن السلطان صلاح الدين) .
- = (سنقر ، وجه السبع) .
- = (كوكبورى) .
- = (موسى بن الملك العادل) .
- = (يونس بن مودود) .
- أبو المعالى = (محمد بن الملك العادل ، بن القاضي زكى الدين على بن محمد) .
- معز الدين = (سنجرشاه بن سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى) .
- = (محمود بن سنجر شاه) .
- معين أمير المؤمنين = (محمد بن الملك العادل) .
- معين الدين (ابن الشيخ صدر الدين بن حمويه ٢٥٧) .
- مفيث الدين = (طغرل شاه بن دنج أرسلان السلجوقى) .
- ابن المقدم = (عبد الملك بن المقدم) .
- المقريزى : ١١ ، ٩٣ .
- ملك (زوجة سايمان شاه بن سعد الدين بن تقي الدين عمر) : ٢٢٧ .
- الملك الاجل = (محمد بن الملك العادل) .
- = (يوسف بن أيوب) .
- الملك الاشرف = (موسى بن الملك العادل) .
- الملك الأفضل = (على بن السلطان صلاح الدين) .
- الملك الامجد = (بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب) .
- = (حسن بن الملك العادل) .
- = (عباس بن الملك العادل) .
- الملك الاوحد = (أيوب بن الملك العادل) .
- الملك الجواد = (مودود بن الملك العادل) .
- = (يونس بن مودود) .
- الملك الحافظ = (أرسلان شاه بن الملك العادل) .
- الملك الزاهر = (داود بن الملك الناصر) .
- الملك الصالح = (أحمد بن الملك الظاهر) .
- = (اسماعيل بن الملك العادل) .
- محمود بن محمد بن قرا أرسلان الازقى : .
- الملك الظاهر = حصر بن السلطان صلاح الدين .
- الملك الظاهر = بيبرس) .
- = (غازى بن السلطان صلاح الدين) .
- الملك العادل = (أبو بكر بن أيوب) .
- = (أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر) .

- ابنة الملك العادل : ١٤
- الملك العزيز = (عثمان بن السلطان صلاح الدين) .
- = (عثمان بن الملك العادل) .
- = (طفتكين بن أيوب) .
- = (محمد بن الملك الظاهر) .
- ابن الملك العزيز = (محمد بن الملك العزيز) .
- الملك الغالب = (كيكافوس بن كيخسرو) .
- الملك الفائز = (ابراهيم بن الملك العادل) .
- الملك القاهر = (مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر) .
- الملك الكامل = (محمد بن الملك العادل) .
- ابنة الملك الكامل : ٢٣٧ .
- الملك المبارز = (سليمان بن شروة بن خلدك) .
- الملك المجاهد = (شيركوه بن محمد بن شيركوه) .
- الملك المحسن = (ابن السلطان صلاح الدين) : ٢٣٨ .
- الملك المسعود = (يوسف بن الملك الكامل) .
- الملك المظفر = (عمر بن شاهنشاه بن أيوب) .
- = (غازي بن الملك العادل) .
- = (محمود بن الملك المنصور) .
- الملك المر = (اسماعيل بن سيف الاسلام) .
- = (يعقوب بن الملك العادل) .
- الملك المعز = (عم محمد بن الملك العزيز) : ٨٩ .
- الملك المعظم = (أبو الحسن بن الامام الناصر لدين الله) .
- = (توران شاه بن أيوب) .
- = (عيسى بن الملك العادل) .
- = (كوكبوري) .
- الملك المغيث = (عمر بن الملك العادل) .
- = (محمود بن الملك المغيث عمر) .
- الملك المفضل = (موسى بن صلاح الدين) .
- الملك المفضل قطب الدين (ابن الملك العادل) : ٢٧٥ .
- ملك الملوك = (أبو بكر بن أيوب) .
- الملك المنصور = (محمد بن الملك العزيز) .
- = (محمد بن الملك المظفر تقي الدين) .
- الملك المؤيد = (مسعود بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين) .
- الملك الناصر = (بكتمر) .
- = (قلج أرسلان بن الملك المنصور) .
- = (يوسف بن أيوب) .
- الملك الناصر (أخو الملك المعز اسماعيل بن سيف الاسلام) : ١٣٧ ، ١٣٨ .
- الملك الناصر بن الملك العزيز - محمد بن الملك الظاهر - : ٢٤٣
- ملكة خاتون (عصمة الدين ، والددة الملك المظفر ، ابنة الملك العادل) : ١١٤ ، ١٦١ ، ١٢٤
- الملكة صاحبة عكا : ٢٢٩ .
- منجيه الخلاطى : ٢٠٨

- أبو المنصور = (جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي)
 أبو منصور = (سليمان بن شروة بن خلدك) .
 = (قايماز بن عبد الله الزيني) .
 المنصور المستنصر بالله (أبو جعفر ، الخليفة العباسي) : ٣٦٢ ، ٣٧٢ .
 منكورس بن خمار تكين (ناصر الدين) : ٤ .
 ابن مهدي : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
 مهذب الدين = (ماجد بن محمد بن القيسراني) .
 مودود (ابن معز الدين سنجر شاد بن سيف الدين غازي) : ١٨٨ ، ١٨٩ .
 مودود بن الملك العادل (الملك الجواد ، شمس الدين) : ٢٧٤ .
 موسى (عليه السلام) : ٢١٦ ، ٣٨٧ .
 موسى بن السلطان صلاح الدين (الملك المفضل ، قطب الدين) : ٦٧ .
 موسى بن الملك العادل (الملك الأشرف ، مظفر الدين ، شاهر من ، صاحب البلاد الشرقية) : ٦٣ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ .
 موفق الدين = (ابن النخاس) .
 ميمون القصري (فارس الدين ، صاحب نابلس) : ١١ ، ١٥ ، ٧٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٧٠ ، ٢١٠ .
 ناصر الاسلام = (أبو بكر بن أيوب) .
 = (يوسف بن أيوب) .
 ناصر الدين = (أرتق) .
 = (محمد بن أسد الدين شيركوه) .
 = (محمد بن الملك العادل) .
 = (محمد بن الملك العزيز) .
 = (محمد بن الملك مظفر تقي الدين) .
 = (منكورس بن خمار تكين) .
 النبي = (محمد عليه الصلاة والسلام)
 النبي المصطفى = (محمد عليه الصلاة والسلام)
 نجم الدين = (ألبى) .
 = (أيوب بن الملك العادل) .
 = (خليل بن المصمودي الحنفي الحموي) .
 = (مسعود بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين) .
 نجم الدين بن الحجاج (القاني ، نائب القاني بهاء الدين في الحكم بحلب) : ٢١٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ .
 ابن النخاس (موفق الدين) : ٩٤ ، ٩٥ .
 أبو نصر = (محمد بن الإمام الناصر لدين الله)
 = (محمد الظاهر بأمر الله)
 = (هبة الله بن المبارك بن الضحاك)
 نصرة الدين (صاحب مرعش) : ٢٣٦ .
 نصير الدين = (محمد بن الملك العادل)
 نصير الدين بن ناصر الدين بن مهدي (الشريف العلوي ، وزير الخليفة الناصر لدين الله العباسي) : ١٦٩ ، ١٧٨ .

- النظام (مدبر مملكة حسام الدين يولق أرسلان بن ايلغازى بن البى الارتقى) : ٨٠
- نظام الدين = (البقش)
- نظام الدين الكاتب = (محمد بن الحسين الاسفهانى)
- نوح (عليه السلام) : ٢٢٢
- ابنة نور الدين - محمود بن زنكى : ١٥١
- نور الدين = (أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر)
- = (أرسلان شاه بن الملك العادل)
- = (الشهيد - هو محمود بن زنكى) : ١٢٨ ، ٢٥٧
- = (على بن السلطان صلاح الدين)
- هبة الله بن المبارك بن الضحاك (أبو نصر ، استاذ الدار) : ١٩٧
- أبو الهيجاء السمين (حسام الدين ، مقدم الامراء الاكراد) : ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٧٠
- الهيظلية (زين الدين) : ١١٢ ، ١١٤
- هكندوى (الامير ، من اكبر الامراء الحميدية) : ٤٧
- هندو امير اميران بن مودود (شرف الدين) : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥
- ابن واصل : ٦ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٨٥ ، ١٣٨ ، ٢٤٩
- والدة حسام الدين بن لاجين = (ست الشام بنت ايوب)
- والدة عز الدين مسعود = (الخاتون ابنة حسام الدين تمرشاش)
- والدة الملك الافضل : ١٥١
- والدة الملك الظفر = (عصمة خاتون)
- ولد الملك العزيز = (محمد بن الملك العزيز)
- وجه السبع = (سنقر ، مظفر الدين)
- باركوج (سيف الدين ، مقدم الاسدية) : ٨٨ ، ٨٩
- يرنقش (مجاهد الدين ، مملوك عماد الدين زنكى بن مودود) : ٧٨ ، ٧٩
- يعقوب بن الملك العادل (الملك العزيز ، مجير الدين) : ٢٧٤
- يمن (امين الدين ، الخادم) : ٢٣
- يوسف (عليه السلام) : ٢٢٩ ، ٢٨٠
- ابن يوسف = (الملك الافضل نور الدين على)
- يوسف بن ايوب (السلطان صلاح الدين ، الملك الناصر) : ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٩٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٨ ، ١٥١ ، ١٦٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٤
- يوسف بن خطنخ (مبارز الدين ، من الامراء المصريين) : ٢٥٠
- يوسف بن الملك الظاهر : ١٦٦
- يوسف بن الملك الكامل (الملك المسعود ، صلاح الدين ، المعروف بالاقسيس) : ٢٢٧
- يوسف الدمشقى (زين الدين) : ٥٤
- يولق أرسلان بن ايلغازى بن البى بن تمرشاش بن ايلغازى بن ارتق (حسام الدين ، صاحب مودين) : ١٦
- يونس (شجاع الدين ، من الاكراد) : ٩٦
- يونس بن مودود (الملك الجواد ، مظفر الدين) : ٢٧٤

فهرس الأعلام التي ترجم لها في الحواشي^(١)

	أرسلون شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر
٢ - ٢٠٢	(نور الدين ، صاحب الموصل)
٢ - ١٩	بكتمر (سيف الدين ، صاحب خلاط)
٢ - ٢١	تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق (حسام الدين)
	جهازكس بن عبد الله الناصرى الصالحى (أبو المنصور ،
١ - ١١	مظفر الدين
٢ - ٢١	الخاتون بنت حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق
	خضر بن الملك الناصر (الملك الظاهر ، مظفر الدين ،
١ - ٦٣	أبو الدوام ، أبو العباس ، الثمر)
١ - ٦٣	ست الشام بنت أيوب (الحامية ، أخت صلاح الدين)
١ - ٢١٢	ضيقة خاتون بنت الملك المعادل
٢ - ٣	طفكتين بن أيوب (سيف الاسلام ، ظهير الدين)
١ - ٢٩	عز الدين بن الزنجبيلى (الأمير)
	قايماز بن عبد الله الزينى (أبو منصور ، مجاهد الدين)
١ - ١٠٣	نائب الملكة بالموصل)
٢ - ١٧	كوكبورى (مظفر الدين ، صاحب أربل)
	محمد بن القانى زكى الدين علوى بن محمد (محيى الدين ،
١ - ٣٤	أبو المعالى ، قانى القضاة)
	مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن
٢ - ٢٦١	آق سنقر (الملك القاهر ، عز الدين ، صاحب الموصل)
	مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر (عز الدين ، صاحب
١ - ٢٠ ، ١ - ١٦	الموصل)
	يولق أرسلان بن ايلغازى بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن
٢ - ١٦	أرتق (حسام الدين ، صاحب ماردين)

فهرس الأمم والقبائل والجماعات

- آل أيوب = (الأيوبيون)
 آل شاذي = (الأيوبيون)
 آل فرعون : ١٥٨
 أباطرة بيزنطة : ٢٢٥
 بنو أتابك زنكي : ١٠
 الأتابكيات (بالموصل) : ١٥١
 الأتباع : ٢٢
 الأتراك = (الترك)
 الأتراك (باليمن) : ١٣٧
 الأجانب : ٢٦٤
 أجلاء الأمراء الصلاحية : ٣٩
 الأجناد : ٢١ ، ٢٣ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
 ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ ، ٣٧٥
 أجناد ماردن : ٨٠
 أجناد الملك العزيز : ٥٣
 الأحسرار : ٣٠٥
 أحزاب الكفر : ٧٧
 الأخوة (من بيت الاستبار) : ١٤٩
 أخوة الملك الأفضل : ٩١
 أرباب الدولة : ١٠٣ ، ١٨٩ ، ٢١٣
 أرباب دولة الملك الظاهر : ١٨٠
 أرباب المناصب : ٢٤ ، ١٦٥ ، ١٨٠
 الأرمن : ٢٣٥ ، ٢٩٣
 أسارى بحر الحجاز (من الفرنج) : ٣١٥
 أسارى - أسرى - الفرنج : ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣١٥
 الاستبار : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ٢٤٩
 الاستبارية = (الاستبار)
 الأسدية = (الأمراء الأسدية)
 الأسدية المقيمون بالقاهرة : ٤٨
 الأسرى - الأسارى - : ٢٦٧ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٧
 أسرى المسلمين : ١٧٢ ، ٢٣٣
 الأسمايلية = (الباطنية)
 الأشراف : ٢١٠
 أصحاب الراي (من أصحاب نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل) : ١٩١

- أصحاب الشبارات : ٢٠٢
أصحاب صارم الدين قايماز النجى : ١٠٤
أصحاب العزيز عثمان : ٦٩
أصحاب الفيل : ٢١٧
أصحاب المساون : ٢٠٥
أصحاب الملك الأفضل : ٤٢ ، ٤٤ ، ٨٧
أصحاب لملك العادل أبى بكر : ٦٩ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٩٧ ، ٢٧٥
أصحاب نور الدين - أرسلان شاه صاحب الموصل - : ١٩١ ، ٢٠٤
الاطباء : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٧٥
الاعراب : ٢١٨
الاميان : ٢٢ ، ٢٦ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٧٧ ، ٢٠٧
اميان البلد (بالموصل) : ٢٤
اميان الدولة : ٢١ ، ١٨٩
اميان الفرنج (بيانا) : ٧٥
الاغنياء : ٥٣
الاكابر : ٢٦ ، ٢٧ ، ١٦٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٨
اكابر الامراء : ١٠٤
اكابر امراء الدولة : ٢٩٧
اكابر امراء الملك الأفضل : ٢٨
أكابر اهل حماة : ١٦٣
الاكابر بدمشق = (الاكابر المقيمون بدمشق)
اكابر حلب : ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠
اكابر الحلبيين = (اكابر حلب)
اكابر الدولة : ١٤٧ ، ١٨٩ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦
اكابر الدولة الصلاحية : ٣٩
اكابر دولة الملك الظاهر : ٢٢٣ ، ٢٤٣
اكابر الكفار : ٢٩٧
الاكابر المقيمون بدمشق : ٦٢
اكابر ممالك الخليفة - العباسى - : ١٧٨
الاکراد : ٥٢ ، ٥٣ ، ٨٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧
الاکراد المهرانية : ٤٧
الامان : ٢٥٩
الاماء : ٢١٤
الامائل : ٣٢ ، ٥٣
الامة المحمدية : ٢٧٤ ، ٢٧٩
الامراء : ١٠ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٨٩ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٩٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ .
أمراء الانابكة : ٢٥
الامراء الاسدية : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١١٢

- امراء الاكراد : ١٣٧
 امراء الايوبيين (باليمن) : ٢٩
 الامراء بحلب = (امراء حلب)
 الامراء بدمشق = (الامراء المقيمون بدمشق)
 الامراء بمصر : ٢٦
 امراء حلب : ٢١٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧
 الامراء الحلبيون = (امراء حلب)
 الامراء الحميدية : ٤٧
 امراء الدولة : ٢٩٧
 امراء الدولة (الايوبية) : ٤ ، ٥ ، ٨٩
 امراء الدولة (بحلب) : ٢٥٢
 امراء الدولة (باليمن) : ١٢٨
 امراء الدولة الصلاحية = (الامراء الصلاحية)
 امراء الدولة التورية : ٢٩٨
 الامراء الصلاحية : ١١ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
 ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ،
 ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٨٩
 الامراء الصلاحية الذين بالقدس = (الصلاحية ، بالقدس)
 الامراء الصلاحية المقيمون بالقدس = (الصلاحية ، بالقدس)
 امراء العسكر : ٩٧ ، ٩٨ ، ٢١٦
 امراء عسكر الملك العادل : ٧٨
 الامراء الذين بحارم : ٢٥٣
 الامراء الذين مع الملك العزيز = (امراء الملك العزيز)
 الامراء المخامرون : ٢٦٧
 الامراء المصريون : ٢٥٠
 الامراء المقيمون بدمشق : ٦٢
 امراء الملك الظاهر : ٢٤٣
 امراء الملك العزيز : ٢٣ ، ٤٦
 امراء نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود : ٧٩
 امراء الملك العزيز : ٣٣
 بنو أمية : ١٣٦ ، ١٣٧
 الانبياء : ٣٤ ، ٢٤٢
 انصار الصليب : ٢٢٣ ، ٢٤٦
 الانفار : ٢٩٨
 اهل الاسكندرية : ٨٥
 اهل الاسلام = (المسلمون)
 اهل انطاكية : ١٤٠ ، ٢٢٣
 اهل ايران : ٢٢١
 اهل البحر والبر (من الفرنج) : ٢٨٢
 اهل البلاط : ٢٣٦
 اهل بيسان : ٢٥٥

- اهل جبلة : ١٦٦
 اهل الجزائر : ٣١٩
 اهل الجزيرة : ١٠
 اهل الحرب : ٣٠٩
 اهل حصن الاكراد : ١٧٢ ، ١٧٣
 اهل حلب = (الحلبيون)
 اهل خلاط : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٣
 اهل الخوابي : ٢٢٩ ، ٢٣٢
 اهل دمياط : ٢٥٩ ، ٢٦٠
 اهل الدمة : ٣٧٠
 اهل سجستان : ١٠٣
 اهل سنجار : ١٩٣
 اهل الشرك : ٣٣٧
 اهل شيراز : ٢٢٨
 اهل شيزر : ٢٢٨
 اهل الصليان : ٣٤٠
 اهل طرابلس : ١٧٢ ، ١٧٣
 اهل عكا : ١٧٢
 اهل الفساد : ٢٣٩
 اهل القبلة : ٣١٧
 اهل القرآن : ٣٤٠
 اهل مصر : ٥٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
 اهل ملة الاسلام = (المسلمون)
 اهل الملك العزيز : ٦٩
 اهل واصحاب الملك الافضل : ٦٤
 اهل وحرير الملك الافضل : ٦٧
 اولاد السلطان = (اولاد صلاح الدين)
 اولاد السلطان الملك الناصر = (اولاد صلاح الدين)
 اولاد صلاح الدين : ٤ ، ١١ ، ٢٧ ، ٨٨ ، ١٢١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠
 اولاد الملك العادل : ٢٧٣
 الاولياء : ٣٥ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨
 اولياء امير المؤمنين - العباسي - : ٢٨٦
 الائمة (بالمسجد الاقصى) : ٣٤٢
 الائمة المهديون : ٣٦٢
 بنو ايوب = (الايوبيون)
 الايوبيون : ١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٨ ، ١٨٢ ، ٢١٩ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠
 الباطنية : ١٩ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩
 بارونية ومقدمو الملك - الفرنجي - (في وقعة حطين) : ٢٣١
 البحرية : ٩٤
 البناءون : ١٠٣
 بنات الملك العادل : ٢١٢

- بنات ملوك الروم : ٨
 البنادقة — البياضة — الجنوبية : ٢٩٦
 البيت الاتابكي : ٢٦١
 بيت الاستبار = (الاستيل)
 البيت الايوبي : ١٠ ، ٢٩ ، ١٥١ ، ٢١٩ ، ٢٤٢
 البيت السلجوقي : ٢١٩
 البيت السلطاني = (البيت الايوبي)
 البيت الصلاحي = (البيت الايوبي)
 التتر : ١٧٧
 التجار : ١١ ، ١٠٠ ، ٢١٨
 تجار اليمن : ٢١٧
 الترك : ٢٢ ، ٢٠٢ ، ٢٢٧
 تركبلي : ١٤٨ ، ١٤٦
 التركبلية = (تركبلي)
 التركمان : ١٧٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦
 حياة الجزية : ٢٧٠
 جرائد الجند : ٢٧٠
 الجرخیة : ١٤٨
 جماعة ابن المقدم : ١٢٢
 جموع وراء البحر (من الفرنج) : ٢٥٩
 الجند : ٧٣ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
 جند المصريين : ٩٠
 جنود سليمان — عليه السلام — : ٢٨٨
 الجنوبيون : ٢٩٢ ، ٢٩٦
 الجوارى : ١٨٩ ، ٢١٤ ، ٢٣٩
 جوارى معز الدين سنجر شاه بن مودود : ١٨٩
 الجيش الايوبي : ٩٣
 الجيش في العصر الايوبي : ٩٣
 الجيش في العصر المملوكي : ٩٣
 جيوش عز الدين كيكائوس بن كيخسرو : ٢١٨
 الحاج الثامي : ٢١١
 الحاج العراقي : ٢١٠ ، ٢١١
 بنو حام : ٢٨٢ ، ٢٨٧
 الحجاب : ٩ ، ١٦٥
 حجاب الملك الظاهر : ٣٦
 حجاج البر : ٢٦
 حجاج بيت الله الحرام : ٣٦٩
 الحجارون : ٧١
 الحجارون (من الحلبيين) : ١٣٥
 الحراس : ٢٣٩

- الحرائر : ٢١٤
 الحرير : ٢٧٢
 الحشم : ٩
 حشود أجناس الكفر : ٢٥٩
 حظايا معز الدين سنجر شاه بن غازي : ١٨٩
 الحفظة : ٢٢٩
 الحفود : ٢٢
 الحكام : ١٠٣ ، ٢٠٥
 الحلبيون : ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٦٥ ، ٢٦٤
 الحلبيون النقايون : ١٠٠ ، ١٢٥
 الحلقة : ٩٤
 الحنفية : ٢٢
 الخارجون على الملك العزيز = (العسكر الخارجون على الملك العزيز)
 الخدام = (الخدم)
 الخدم : ٢١٤ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣١١
 الخدم الصفار : ١٨٩
 خدم القصر (بالقاهرة) : ٢٩٣
 خطباء المنابر : ٢٢٣ ، ٢٤٦
 الخواص : ٣٦ ، ٢٢٩
 خواص أصحاب الملك العزيز : ٤٨ ، ٥٣
 خواص السلطان : ١٠
 خواص ممالك الخليفة — العباسي — : ١٩٧
 الخيالة : ٢٩٦ ، ٢٢٨
 خيالة الفرنج : ١٤٢
 الداوية : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩
 الدولة الصلاحية : ٢٩ ، ٥٨ ، ٥٩
 الدولة العباسية : ٣٥٤
 الدولة الناصرية = (الدولة الصلاحية)
 الدولة النورية : ٢٩٧
 الديوية = (الداوية)
 ذرية أحمد — صلى الله عليه وسلم — : ٢٦٠
 ذرية أيوب = (الأيوبيون)
 راجل الفرنج : ٧٥ ، ١٤٢
 راجل من السودان : ٢٩٢
 الرجال : ٢٦ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ١٦٨ ، ١٩١ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٦٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٧٠
 رجال المسافر : ٢٥٠
 الرجالة : ١٠٢ ، ١٧٠ ، ٢٢٨
 رجالة الحلبين : ٢٢٩
 الرسل : ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٤ ، ٩٠ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ٢٠١ ، ٢٣٤ ، ٢٨٧ ،
 ٢١١
 رسل الخليفة — الامام الناصر لدين الله — الى الملك العادل : ١٩٧

- رسل الخليفة الناصر لدين الله (الى ملوك الاطراف) : ٢٠٦
 رسل. صاحب قسطنطينية (الى السلطان صلاح الدين) : ٢٩٦
 رسل عماد الدين - صاحب سنجار - الى الملك العادل : ٢٠
 رسل قطب الدين محمد - صاحب سنجار - الى الملك العادل : ٨٠
 رسل الملك الافضل : ٢٩
 رسل الملك افضل (الى نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الموصل) : ١٠٢
 رسل ملك الروم (الى غسان) : ٦٨
 رسل الملك الظاهر الى الملك الافضل : ٦٠
 رسل الملك الفائز الى الملك العادل : ١٢٧
 رسل الملوك (الايوبية) : ٤٨ ، ١٨١
 رسل الملوك (الى الموصل) : ٢٦٣
 رسل نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود الى الملك العادل : ١٢٧
 الرعية : ٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٣ ، ٢٨٦
 رعية الملك الظاهر : ٢٤٣
 الركاب دارية : ٢٥
 رماة البندق : ٢٠٧
 رماة الزنبورك : ١٤٨
 رؤساء البلاد : ٣٠٧
 الروم : ١٦٠ ، ٢٩٣ ، ٣١٠
 الزودخانة (من الحلبيين) : ١٣٥
 الزنادقة : ٣٠٦
 السراى : ١٨٨
 سلاطين الايوبيين : ٢٥ ، ٤٤
 سلاطين بنى ايوب = (سلاطين الايوبيين)
 سلاطين الممالك : ٢٥ ، ٤٤
 سلالة احمد - عليه الصلاة والسلام - : ١٧٩
 السودان : ٢٩٣
 الشافعية : ٢٢
 الشعراء : ٧٢ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٧٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٢٦٩
 الشهداء (بمؤنة) : ٢٧٤
 الشهود : ٣٢ ، ٨٤ ، ٢١٣
 شيوخ الدولة واكابرها : ٥٩
 الصحابة = (صحابة رسول الله)
 صحابة رسول الله : ٢٨٢ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥
 الصرب : ١٤٨
 الصلاحية (بالقدس) : ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠١
 الصلاحية = (الامراء الصلاحية)
 الصليبيون : ٢٣٦
 الصنائع : ٢١٦
 صناعات الزرد : ١٣٥
 صناعات السلاح : ١٣٥

- الصواغ : ٢٢٠
طواغيت الكفر : ٦
العامه : ١٠٤ ، ١٦٣ ، ٢٢٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٣٠٥ ، ٣٧١
العامه (بدمشق) : ٩٦
العاملون على الصدقات : ٢٧٠
بنو العباس : ٢٢٢
بنو عبد المؤمن (بالمغرب) : ٢٩٥
عبدة الأصنام : ٣٦٨
عبدة الصليبان : ٦
المبيد : ٣٠٥
مبيد الدولة العباسية : ٣٥٥
العجم : ٧٠
مدول الملك العزيز : ٢٤
العرب : ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٣١٦ ، ٣١٨
مرب البلاد (باليمن) : ١٢٨
عرب طى : ٢٦٥
العرب المختلفون بمصر : ٩٢
مرب الملك الأشرف : ٢٦٧
العربان : ٢١٠ ، ٣١٦
العساكر — العسكر — : ١٨ ، ١٩ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٧
العساكر الاسدية : ٥ ، ٢٩ ، ٤٦
العساكر الاسلاميه : ٢٥٥ ، ٢٥٨
العساكر الاكراد : ٥ ، ٢٩ ، ٤٦
عساكر أمير المؤمنين — العباسي — : ٢٨٧
عساكر — عسكر — الجزيرة : ١٠٢ ، ١٧٣
عساكر الجيش : ٩٣
العساكر الحلبية = (عسكر حلب)
عساكر السلطان صلاح الدين : ٢٨٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٧
عساكر — عسكر — سنجار : ١٠٢ ، ١٣٩ ، ١٧٣
العساكر الشاميه : ١٦٢
عساكر صاحب مقلية : ٢٩٦
العساكر الصلاحية : ٥ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٦
عساكر عز الدين مسعود بن مودود : ١٨ ، ١٩
عساكر عماد الدين زنكى بن مودود : ١٩

- عساكر - عساكر - الكفار : ٢٢٧ ، ٢٩١
- العساكر المصرية : ٣٠ ، ٥٧ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ٢٥٤
- عساكر - عساكر - الملك الافضل : ٢٨ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٠٦
- عساكر الملك الامجد - صاحب بعلبك : ١٤٢
- عساكر - عساكر - الملك العادل : ٥٢ ، ٥٣ ، ١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٥٩ ، ٢١٦
- عساكر - عساكر - الملك العزيز : ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٩٩
- عساكر الملك العزيز المارقون له = (العساكر الخارجون على الملك العزيز)
- عساكر نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود : ١٢٧ ، ١٥٧
- عساكر وجموع الملك العادل : ٥١
- عساكر آمد : ١٧٣
- عساكر ابن لاون : ٢٢٣
- عساكر بعلبك : ١٨
- عساكر حلب : ٩٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩
- العساكر الحلبى = (عساكر حلب)
- عساكر حماة : ٢٣٤
- عساكر حمص : ١٨ ، ٢٣٤
- العساكر - العساكر - الفرنجى - الخارج الى بلاد الشام : ١٤٦
- العساكر الخارجون على الملك العزيز : ٥١ ، ٥٣ ، ٥٦
- عساكر خلاط : ١٧٦
- عساكر دمشق : ١٨ ، ٢٣٤
- عساكر صاحب ماردين : ١٣٩
- عساكر طغرل شاه بن قلق ارسلان السلجوقى : ١٧٦
- العساكر العادلى = (عساكر الملك العادل)
- عساكر عز الدين - كيكاس - : ٢٢٥ ، ٢٦٨
- عساكر الفرنج : ٧٦
- عساكر ماردين : ١٧
- عساكر - عساكر - مصر = (العساكر المصرية)
- العساكر المصرى = (العساكر المصرية)
- العساكر المقيم بحارم : ٢٥٢
- عساكر - عساكر - الملك الاشرف موسى : ١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٨٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧
- عساكر الملك الاوحد ايوب : ١٧٧
- عساكر - عساكر - الملك الظاهر : ٦٣ ، ١٤٢ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٧ ، ٢٢٤
- عساكر - عساكر - الملك الكامل محمد : ٦٣ ، ١٠٦ ، ٢٠٤ ، ٢٦٠
- عساكر - عساكر - الملك المجاهد اسد الدين (صاحب حمص) : ٩٩ ، ١٤٢
- عساكر - عساكر - الملك النصور (صاحب حماة) : ٩٨ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٤
- عساكر من الارمن : ٢٩٢
- عساكر - عساكر - الموصل : ١٩ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٩٧
- العشائر : ٢٩٨
- مظماء الروم : ٦٤
- العلماء : ٩

- الملويون : ١٧٩
العمال (على البلاد) : ٢٤٠
علبة القوم : ١٣٥
العوام = (العامة)
عسان (قبيلة) : ٦٨
الفلمان : ٩٤ ، ١٦٨
فلمان أم الملك الناصر — ابن سيف الاسلام طفتكين — : ١٢٨
فلمان عز الدين أسامة : ٢٠٩
فلمان مسعود بن السلطان صلاح الدين : ١٩٨
فارس الفرنج : ٧٥ ، ١٤٣
الفتيان (بخلاط) : ١٧٨
فتيان (من الفتوة) : ٢٠٦
الفرس : ٢٠٧
فرسان الداوية — أو الديوية — والاستبارية — : ٢٢٣ ، ٢٤٧
الفرقة الاسدية = (الامراء الاسدية)
الفرقة الصلاحية = (الامراء الصلاحية)
الفرنج : ٢٦ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،
٢٣٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٤١ ،
٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٨٤
فرنجة اطرابلس : ١٦٦
الفرنجة بالساحل = (فرنجة الساحل)
الفرنجة الخارجون من البحر : ١٤٧
فرنجة الساحل : ١٤١ ، ١٧٥
فرنجة صقلية : ١٣٥
الفرنجة الملاحون : ٣٦٤
الفرنجة الوافدون عبر البحار : ١٤٦
الغلة : ٢١٦
الفقراء : ٤٠ ، ٦٣ ، ١٢٨
الفقهاء : ٩ ، ٣٥ ، ١٦٥ ، ١٦٩
فقهاء حلب : ١٩٥
الفقهاء الحنفية : ٢٢
الفقهاء الشافعية : ٢٢
الفقهاء المذاهب : ١٦٩
الفنانون : ١٠٣
الفوارس : ٣٢٨
القرام : ٢١٣
القصاد = (انظر : الرسل)
القضاة : ١٦٩ ، ٢٤٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٨٦
القينات : ٢٣٩

- كبار الامراء : ١٣٥
 كبار الامراء الصلاحية : ٢٢٠
 كبراء دولة الملك الافضل : ٣٩
 الكتاب : ٢٤٥ ، ٢٩٢
 الكرج : ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠١
 الكفار : ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ،
 ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٨ ، ٣٨٢
 اللاتين : ٢٢٥
 المرتبون في المراكز والاطراف : ٣٠٦
 المستجد من الاجناد : ٣٧٦
 المسلمون : ٢٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٤ ،
 ٣٨١ ، ٣٨٣
 المشركون : ٢٢٥ ، ٣٢٨
 المصريون = (اهل مصر)
 المطربات : ٢١٤
 المطففون : ٣٧١
 المسكر = (المساكين)
 معسكر الملك الافضل = (عساكر الملك الافضل)
 معسكر الملك العزيز = (عساكر الملك العزيز)
 معمر حلب : ٢١٤
 المعمون : ٨
 المفنون : ١٨٩
 المفاردة (جماعة) : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٢٣٩
 المقاتلة : ٢٠٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٣١٧
 مقاتلة يافا (من الفرنج) : ٧٥
 مقدمة عسكر عز الدين — كيكافوس بن كيكافوس — : ٢٦٧
 مقدمو الحلبيين : ١٢٢
 مقدمو المساكين : ٣٧٠
 مقدمو الفرنج : ٧٨ ، ١٤٣
 مقدمو الحال (بدمشق) : ٣٠
 المقدمون : ٢٤ ، ٦٠ ، ٩٤ ، ٢٥١ ، ٢٩٦
 المقطمون : ٨٦
 الملاحون : ٢٠٢ ، ٢٠٣
 ملوك الاطراف : ٢٠٦ ، ٢٦٣
 الملوك الاكابر (من الفرنج)
 ملوك الايوبيين : ٧ ، ١٣٨
 ملوك البحر (من الفرنج) : ٣٥١
 ملوك بنى ايوب = (ملوك الايوبيين)
 ملوك البيت الاتابكي (بالموصل) : ٢٠٦
 ملوك الشرك : ٦

- ملوك الصليبان : ٣٥٩
 ملوك الفرنج : ٣٢٠
 ملوك مصر : ٣١٦
 الملوك من أهل بيت الملك العادل : ١٧٢ ، ١٨٢
 ملوك الموصل : ١٠
 ملوك النصرانية : ٣١٠ ، ٣١١
 الملوك والامراء الذين في مسكر الملك العادل : ١٩٧
 الممالك الايوبية : ٢٧٤
 الممالك : ٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ٢٥٢ ، ٢٩٧ ، ٣٢٩
 الممالك (في العصر المملوكي) : ٧
 ممالك الخليفة - العباسي - : ١٧٨
 ممالك شاهر من - صاحب خلاط - : ١٧٥ ، ١٧٧
 ممالك عز الدين اسامة : ٢٠٩
 ممالك الملك الظاهر : ١٠٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢
 مملكة الملك الافضل : ٢٦٤
 مملكة الموصل : ٢٦٢
 المواصل : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ٢٠١
 المؤذنون : ٢٣٥
 المؤرخون : ٥٦ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ٢٤٩
 المؤرخون العرب : ٢٢٥
 بنو ميسر : ٨٤
 النجارون : ٣١٩
 النجد : ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢
 نجد الملوك - الايوبية - : ١٥٤
 النحاتون : ٢١٦
 ندماء الملك الافضل : ٤٠
 النساء (ونسوة) : ٦٣ ، ١٩٣
 نساء الفرنج : ٢٤١
 نساء وحرم قطب الدين - محمد بن عباد الدين زنكي - : ١٩٣
 النقابون : ٧١ ، ١٠١ ، ٣٢٨
 النقابون - من الحلبيين - = (الحلبيون النقابون)
 النواب : ١٥
 النواب بالقدس : ١٥
 نواب صاحب ماردين : ٢٠٤ ، ٢٠٥
 نواب عز الدين ابراهيم بن المقدم (ببحرين) : ١٠١
 نواب الملك الافضل : ١١٦
 نواب الملك العزيز - محمد بن الملك الظاهر - (بتل باشر) : ٢٦٨
 نواب واصحاب الامراء الاسدية (بالقاهرة) : ٤٧
 الوزراء : ٢٤٥
 الوصائف : ٢١٤
 الوعاظ : ٢٦٩
 الولاية النورية : ٢٩٨

فهرس المواقع والأمكنة والبلدان

أمد : ١٥٦ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢٦٥

أبلستان : ٢٦٥

أبو شزة = (بوشزة)

أبو قبيس : ٤

أربل : ١٦ ، ١٠٣ ، ١٥٦ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١١ ، ٢٢٧

أرجيش : ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٠

أرزن الروم : ١١٨ ، ١٧٦ ، ١٩٥ ، ٢١٧

أرسوف : ٢٢٥

أرض الداروم = (الداروم)

أرض السواد = (السواد)

أرم ذات العماد : ٢٢٣ ، ٢٤٦

أرمينية : ١٧٧

أسكندرية : ٨٢ ، ٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠١

أسوار تبين : ٧٦

أسواق حلب : ١٩٨

أشمون طناح : ٢٥٩

أطرابلس = (طرابلس الشام)

الأطراف الإسلامية : ٢٩٧

أعمال بعلبك : ٤

أعمال جبلة : ٤٣

أعمال حلب : ٢٦٤ ، ٢٧٠

أعمال خلاط : ١٧٦ ، ١٩٠

الأعمال الخلاطية = (أعمال خلاط)

أعمال دمشق : ١٠ ، ٦٨

أعمال شبختان : ١٤٠

الأعمال الشرقية : ١١٣

أعمال صيدا : ١١

الأعمال الفيومية : ٨٢

أعمال اللاذقية : ٤٣

أعمال مصر = (الأعمال المصرية)

الأعمال المصرية : ١١ ، ٣٠٠ ، ٣٠١

أعمال المغرب : ٢٩٥

أعمال الملك الأفضل : ١٥

أعمال الموصل : ٧٩ ، ١٥٦

- أعمال نابلس : ١١
 أعمار (برج بالقرب من حصن الاكراد) : ١٧٣
 الأموج : ٣١
 أفامية : ٤٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٢
 أفريقية : ٣١٩
 أفغانستان : ٢٢١
 الأقحوانة : ٣٢٧
 أقطار بغداد : ٢٣٠
 البيرة : ١٥٨ ، ٢٤٠
 الألوت : ٢١٠ ، ٢١١
 أنطاكية : ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩
 ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥١
 أنقرة : ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢١٧ ، ٢١٨
 أنكورية = (انظر : أنقرة)
 الأهرام : ٨٢
 إيطالية : ٢٦٠
 أيلة (نقر) : ٢٩٤
 إيوان دار العدل (بحلب) : ١٨٠
 باب البريد : ٩٦
 باب توما (بدمشق) : ٦٤
 باب جيرون (بدمشق) : ٩٦
 باب دار الملك (بالموصل) : ٢٢
 باب السلامة (بدمشق) : ٩٦
 باب شرقى (بدمشق) : ٦٤
 الباب الصغير الشامى (من باب شرقى بدمشق) : ٦٤
 باب العراق (بحلب) : ٩ ، ٢٣٩
 الباب العمادى (بالموصل) : ٢٦٢
 باب العمارة (بدمشق) : ٦٣
 باب العميان (بحماة) : ١٢٣
 الباب الغربى (بحماة) : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٦٣
 باب الفرديس (بدمشق) : ٦٠ ، ٩٦
 باب الفرج (بدمشق) : ٦٠ ، ٦٣
 الباب القبلى (بحماة) : ١٢٣
 باب الميناء (بالقرب) : ١٦٥
 باب النصر (بدمشق) : ١٨٢
 البارة : ١٢١
 بارين = (بعين)
 باشورة : ١٨٦
 بانقوبا : ٢٦٩
 بانياس : ١١٧ ، ٢٠٠ ، ٢٥٥ ، ٢٧٤ ، ٢٩٧
 البحر الأحمر : ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨

- البحر الأعظم : ٢٥٩
بحر الحجاز = (أنظر : البحر الأحمر)
البحر المالح = (البحر المتوسط)
البحر المتوسط : ٢٥٩ ، ٢١٩
بحر الهند : ٢٩٤
البحيرة : ٨٤
بحيرة تنيس : ٢٥٩
بحيرة قدس : ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٦٥
بدر : ٦٣
بلخشان = (بلخشان)
بر الجيزة = (جيزة دمياط)
بر دمياط : ٢٥٩ ، ٢٦٠
بر النصورة : ٢٥٩
برج الرصاص : ٢٦٨
برج السلسلة (عند كفر دمياط) : ٢٦٠
برقة : ٢٩٥
البركة = (بركة الجب)
بركة الجب : ٢٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٩٤ ، ١٠٩
بركة الحاج = (بركة الجب)
بركة الحاج = (بركة الجب)
جزاعة : ٢٧٠
بصرى : ٤ ، ٦٧ ، ١١٩ ، ٢٧٥
بصرين : ٤ ، ٤٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١٤١
بعلبك : ٤ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٧٥
بغداد (دار السلام) : ٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٩
٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣
٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٦١
بغراس : ٢٣٣
البقاع : ٢٦
البقعاء : ١٥٦
يكاس : ٨١
بكراثيل (حصن) : ٤٥
بلاد ابن لاون : ١٥٥ ، ١٧١ ، ١٨٧ ، ٢٣٤
بلاد الأرمن : ٢٣٣
بلاد الاسلام : ٧١ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٥٤ ، ٢٩٧ ، ٣٤٦ ، ٣٦٧
البلاد الاسلامية = (بلاد الاسلام)
بلاد الاسماعيلية = (بلاد الباطنية)
بلاد الباطنية : ٢٢٤
البلاد التي بيد الملك العادل = (البلاد الشرقية)
البلاد الجزرية : ١٨ ، ١٨٠ ، ١٩٢
بلاد الجزيرة : ٢٨٤ ، ٢٨٦

- بلاد چهاركس : ٢١٠
 بلاد الحرمين : ٢٥٠
 بلاد حلب : ٢٢٧ ، ٢٦٣
 بلاد حمص : ١٧٢
 بلاد خلاط : ١٧٥ ، ١٧٦
 بلاد الروم : ٦٣ ، ١٦١
 بلاد الروم (السلجوقية) : ١٥٢ ، ١٦٦ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣
 ٢٢٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣
 بلاد الساحل = (الساحل)
 البلاد الساحلية : ٢٥٤
 بلاد السلطان عز الدين كيكافوس : ٢٣٣
 بلاد سنجار : ١٩٢
 بلاد السواد = (السواد)
 البلاد الشامية = (الشام)
 بلاد الشرق = (البلاد الشرقية)
 البلاد الشرقية : ٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٧ ، ١٠٤
 ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٨٣ ، ١٩٠
 ١٩١ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٥١ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤
 بلاد الشرك : ١٨٦
 بلاد العجم : ٢١١
 بلاد الغرب = (المغرب)
 بلاد الفرنج : ٢٦٥
 بلاد الفرنج الملاحين : ٣٦٤
 بلاد القبله : ٣١٢
 البلاد القدسية : ٢٩٨
 بلاد قطب الدين - محمد بن عماد الدين زنكى - : ١٩١
 بلاد الكفار : ١٤٥ ، ٢٩٤ ، ٣٢٦
 بلاد الكفر = (بلاد الكفار)
 بلاد المسلمين : ١٧٢ ، ٢٣٦
 بلاد المشرق = (البلاد الشرقية)
 البلاد المضمومة الى ميافارقين : ١١٦
 بلاد الملك المنصور : ١١٤
 بلاد نابلس : ١١
 بلاد النوبة = (النوبة)
 بلاد الهرميين : ٣٥٠
 بلاد اليمن = (اليمن)
 البلاط (من بلد حلب) : ٢٣٥ ، ٢٣٦
 بلبيس : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٣ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٨ ، ٢٩٣
 بلخشان : ٢٢١
 بهسنا : ٢٦٦
 بوشزة (قرية) : ١٥٧

- بوقبيس = (ابو قبيس)
 بيت جبريل : ٢٢٥
 البيت العتيق : ٢٧٤
 بيت القدس = (القدس)
 البيت المقدس = (القدس)
 بيروت : ٧١ ، ٧٤
 بيسان : ٢٥٥
 بيوت الدبوبة والاستبارية : ٢٤٢
 تبين : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧
 تربة - او قبر - الخيزران (بيفداد) : ٢٢٩
 تربة صلاح الدين (بدمشق) : ٦٤
 التربة الظاهرية (بحلب) : ١٩٨
 تدمر : ٤
 تل باشر : ٤ ، ٤٥ ، ١٣١ ، ٢٢٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨
 تل خالد : ٢٦٨
 تل الصافية : ٢٣٥
 تل صفرون : ١٢٢
 تل العجول (قرب غزة) : ٧٤
 تل قباسين : ٢٦٧
 تل موزن (من شبختان) : ١٩
 تليفتر : ١٥٦ ، ١٥٦
 توزر : ٢٩٥
 نيماء : ٦٣
 الجامع الاحمر = (الجامع الجاهدي ، بالوصل)
 الجامع الاموي (بدمشق) : ٦٤
 جامع حلب : ٢٢٥
 الجامع الخضر = (الجامع الجاهدي ، بالوصل)
 جامع قلعة حلب : ٢٢٨
 الجامع الجاهدي (بالوصل) : ١٠٣
 جبل بانقوسا : ١٩٦
 جبل جور : ١٠٩ ، ١١٦
 جبل السماق : ٨١
 جبل ماردين : ١٠٢ ، ١٠٣
 جبلة : ٤٣ ، ٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٦
 الجبول : ٢٧٠
 جبيل (ثغر) : ٢٦ ، ٢٢٥
 الجزيرة : ١٧ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢
 جزيرة ابن عمر = (الجزيرة)
 جزيرة ابن عمر واعمالها = (الجزيرة)
 جزيرة العرب : ٢١٨
 الجسر (بالوصل) : ١٠٣

- جسر باب الحديد (بدمشق) : ٦٥
 جسر الحديد : ١٤٠ ، ١٧٠
 جسر الخشب (ظاهر دمشق) : ٩٥ ، ٢٢٦
 جنينة الفريق (شرقى محلة السفاحية بحلب) : ٩
 الجهة البحرية (من القاهرة) : ٢٦
 جوجر (قرية من مديرية الفريية) : ٢٥٩
 جوشر : ١٨٦
 جيزة دمياط : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
 جيلان : ١٨٦
 حلوة الافتريس (بدمشق) : ٦٠
 حارم : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣
 حانى : ١٠٩ ، ١١٦
 حجرة الذهب : ٢٤١
 حلود مصر : ٢٣٥
 حران : ١٨ ، ١٩ ، ٧٩ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٢٣ ، ١٥٦ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣
 ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٦٤ ، ٢٧١
 حزم (تحت جبل ماردين) : ١٢٩
 الحرمان - الشريفان - : ٢٩٤
 حروص : ٢٤٠
 حصن افامية : ٤ ، ١٢٢
 حصن الاكراد : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٢٢٣
 حصن برزية : ٤
 حصن تبين : ٣٣٤ ، ٣٤٨
 حصن الداروم : ٧٠
 حصن غزة : ٧٠
 حصن كينا : ١٩١
 حصن موشى : ١٧٦
 حصن وان : ١٧٦ ، ١٧٧
 حطين (تل) : ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢
 حلب (الشهباء) : ٣ ، ٨ ، ٩ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٨
 ٦٣ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣
 ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٦٦
 ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٦
 ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥
 ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١
 ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١
 حماة : ٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٣
 ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٤
 ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
 ٢٤٨
 حمام طبرية : ٣٢٩

حمص : ٤ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٣ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٦٤ ،
١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦

حيفا : ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧

الخابور : ٢٠ ، ٧٨ ، ١٩٢ ، ١٩٧

خان ابن المقدم (بدمشق) : ١٢٥

خيز - اقطاع - الملك الكامل محمد : ١١٢

خيز الملك العادل (الاممال الشرقية) : ١١٣

خسفين : ٢٥٥

خلاط - اخلاط - : ١٦ ، ١٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،

٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

الخليل : ٢٣٥

الخوابي (حصن) : ٢٢٤ ، ٢٢٩

دارا : ١٥٦ ، ١٩١

الدار الاسدية (تجاه المدرسة العزيزية بدمشق) : ٦٤

دار الحديث (بجوار المدرسة النورية بحلب) : ٩

دار الحرم (بالقاهرة) : ٨٣

دار رضوان (بقلعة دمشق) : ١٨١

دار الضرب (بدمشق) : ٤٠

دار العدل (بحلب) : ٢٣٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩

الدار العزيزة : ٧ ، ٣٠١

دار علاء الدين - صاحب نابلس - : ١٦٤

دار القاضي بهاء الدين - ابن شداد - (بحلب) : ١٦٥

دار الملك الظاهر خضر بن الملك الناصر (باليلروقية) : ٢٦٩

دار المملكة (دار عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى ، بالموصل) : ٢١

دار نور الدين - ارسلان شاه - (بالموصل) : ١٩٤

دار الوزارة (بالقاهرة) : ٨٣ ، ٩٣ ، ١٦٢ ، ٢٠٧ ، ٢٢٦

دار وزير الخليفة (العباسي) : ١٦٩

الداروم : ٦١ ، ٢٠٩

داريا : ٣١

دجلة (نهر) : ١٠٣ ، ١٨٩ ، ٢٠٢

دربساك : ١٧٠ ، ٢٣٤ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦

درسال : ٢٥٢

دسقان : ١٧٨

دقوقا : ٧٠

دمشق : ٣ ، ٨ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ،

٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ،

٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،

١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ،

٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،

٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

- دمياط (ثغر) : ٨٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٩٣
 دنيسر : ٢٢
 ديار بكر : ٧٩ ، ١٩٢ ، ٣٢٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦
 ديار مصر = (مصر)
 الديار المصرية = (مصر)
 الدير : ٣٣٥
 ذات الصفا (من قرى الفيوم المنسوبة) : ٨٢
 ذيل العقبة = (ذيل عقبة الكسوة)
 ذيل عقبة الكسوة : ٩٨
 رابع : ٣١٦ ، ٣١٨
 رأس عين : ١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ١٩٨ ، ١٩٩
 رأس الماء : ٢٨ ، ٣٠ ، ١٠٧
 الراوندان : ١٣١
 الرباط المجاهدى (بالوصل) : ١٠٣
 ربض بيروت : ٧١ ، ٧٤
 ربض حصن الاكراد : ٢٦٥
 ربض دربساك : ١٧٠
 ربض صافيثا : ٢٦٥
 ربض ماردين : ٨٠ ، ٢٠٤
 الرحبة : ٤
 رستاق صافيثا : ٢٦٥
 رشيد : ١٦١ ، ٢٥٩
 رعبان : ٢٦٦ ، ٢٦٨
 الرقة : ١٩ ، ٢٠ ، ٤٢ ، ١٩٣
 الرقيطا (ضيعة على باب حماة) : ١٦٣
 الرملية : ١٦٢ ، ٢٥٤ ، ٣٣٥
 الرها : ١٨ ، ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ٢١٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧١
 رومية الكبرى : ٢٥٤
 رياح المنوفية : ٢٥٩
 الزاوية الغربية (من جينة الفريق ، شرقى محلة السفاحية ، بحلب) : ٩
 زبيدة (باليمن) : ١٣٧ ، ١٣٨
 زمزم : ٢٧٩
 الساحل (ساحل الشام) : ٧٤ ، ١٧٢ ، ٢٠١ ، ٢٥٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٣٥ ، ٣٥١
 ٣٨٣ ، ٣٥٩
 الساحل الحجازى : ٣١٦ ، ٣١٨
 ساحل الحرم : ٢٩٤
 السانح : ١٠٨ ، ١١٠
 سبتة : ١٦١
 سرمين : ٢٧٠
 سروج : ١٩ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ١٩٣ ، ٢٧١
 السربن : ٧٣

- سلمية : ٤ ، ١٦٣
- سميساط : ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩
- سنبجار : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧
- سواحل الحجاز = (الساحل الحجازي)
- سواحل الحوراء : ٣١٦ ، ٣١٨
- سواحل اليمن والحجاز : ٣١٧
- السواد : ٢٧ ، ٤٦ ، ٢٥٥
- سور دمشق : ١٤١
- سوق المسكر (بحارم) : ١٧٠
- السويداء : ١٩١
- سيواس : ٢١٧
- الشام : ١٠ ، ١٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦
- الشام الفرنجي : ٣٨٢
- شاطيء فرع دمياط الغربي : ٢٥٩
- شبهتان : ١٩
- الشرف القبلي (من دمشق) : ٦٥
- الشرقيين (بدمشق) : ٩٥
- الشرق = (أنظر : البلاد الشرقية)
- شطونف (قرية بمديرية المتوفية) : ٢٥٩
- الشفر : ٨١
- الشقيف : ٢٥٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤٧
- شقيف دركوش : ٨١
- الشهباء = (حلب)
- الشوبك : ٤
- شيزر : ٤ ، ٥٨ ، ٢٢٨
- صافيشا : ٢٦٥
- صحراء المزة : ٣٠
- صرخد : ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ٢١٠ ، ٢٧١
- الصخرة المقدسة - الشريفة - : ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٤١
- الصعيد الاعلى : ٣٠٠ ، ٣٠١
- صفد : ٣٤٩
- صفورية : ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٤٧
- صفين : ٤٢
- صقلية : ١٦١ ، ٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣١١
- صلدى : ٢٢٤

- صنعاء : ١٣٦
صنعاء الشام (على الشرف القبلى من دمشق) ٦٥
صهيون : ٤ ، ٤٥
صور : ٧١ ، ٧٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩
صيدا : ١١ ، ٢٥٥
طبرية : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧
طرابلس (الشام) : ١٤٣ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢٢٣ ، ٢٥١
طريق حماة : ٤٥
طريق اللجون والرملة : ٤٨
طنبدا : ٨٦
طنبشا = (طنبدا)
الطور - طور سيناء - : ٢١٦
الطور - جبل - (قرب عكا) : ١٥٩ ، ٢١٥ ، ٢٥٧ ، ٢٢٤ ، ٢٤٧
المادلية (منزلة) : ٢٦٠
مالقين : ٢٧٠ ، ٢٧٥
مالية : ٦٨
العباسة : ١٧٢
المتابين - محلة - (ببغداد) : ١٨٤
عجلون (حصن) : ٤ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ١١٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
عدن : ٢١٨
العراق : ١٦١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٢٨
عريش مصر : ٢٧٤
عزاز : ١٣١
مسقلان : ٢٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨
عقبة فيق : ٢٥٥
عقبة مدرة : ١٠٠
عكا (ثغر) : ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٣٥٨
عمان : ٣٢٩
عمل بعرين : ١٤٨
عمل ماردين : ١٩٥
مويلية : ٦٨
صيداب : ٣١٦
مين تاب : ٩٥
عين القيارة : ٢٠٢
عين المباركة (على باب حلب) : ١٦٧
غرقوس (حصن) : ١٨٧
غزة : ٧٤ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨
الغزوة الفرنجية - غزوة الفرنج - (في البحر الاحمر) : ٣١٦ ، ٣١٧
الفسولة : ١٨١

- الغور : ٣٠ ، ١٠٠
 فارس : ٢٠٧ ، ٢٤٧
 الفتوح الصلاحية : ٢٦ ، ٢١٥
 الفرات : ١٦ ، ١٩ ، ٨٠ ، ١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢٤٨
 الفوار (من أرض السواد) : ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٨
 قوة : ١٦١
 القولة : ٢٣٤ ، ٢٤٧
 الفيوم : ٨٢
 القاهرة : ١١ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
 ١١٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٢٩٣
 قبة مثمعة الشكل (فوق غرفة مرقد الامام عبد الرحمن بالدرسة العزية بالوصل) :
 ٢٢
 قبر معروف الكرخي (ببغداد) : ٢٢٩
 قبر موسى عليه السلام : ٦٨
 قبرص (جزيرة) : ١٦١ ، ٢٢٣
 القبلة : ٢٩٤
 القدس - الشريف - : ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ٥٢ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ،
 ١٠٠ ، ١٥٩ ، ٢١٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
 ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
 القرادي (ضيعة) : ١٤٠ ، ١٩٥
 قرى اطرابلس وبساتينها : ١٧٣
 قرى الفيوم : ٨٢
 القريتين : ١٠٧
 قسطنطينية : ١٦٠ ، ١٦٦ ، ٢٢٥ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣١١
 قسطنطينية : ٢٩٥
 القصبة : ٧١
 القصر (بالقاهرة) : ٥٤ ، ٢٩٣
 القصر (من الغور) : ٣٠ ، ١٧٢
 قفصة : ٢٩٥
 قلعة ايلة : ٣١٧ ، ٣١٨
 قلعة بعين : ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٤
 قلعة بكاس : ٨١
 قلعة بهسني : ٢٥٣
 قلعة بيروت : ٧٤
 قلعة جعبر : ١٦ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣٣ ، ٢٧٦
 قلعة حلب : ٤٣ ، ٤٥ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢١٢ ، ٢٥١
 قلعة حماة : ١٤٧
 قلعة دمشق : ١٢٣ ، ١٥٤ ، ١٨١
 قلعة الراوندان : ١٣١
 قلعة رعبان : ٢٦٤
 قلعة الشفر : ٨١

- قلعة قوس : ٢٠٦
 قلعة الطور : ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٧
 قلعة مزار : ٧١
 قلعة مقر : ٢٠٦
 قلعة فرح : ١٨٨
 قلعة ماردين : ٨٢ ، ٩٥
 قلعة نجم : ٤ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ٢٧١
 قلعة نصيبين : ٧٩
 قلعة وان = (حصن وان)
 قسامة : ٢٥٩
 قورص : ١٧١
 قيسارية : ٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧
 القيسارية الكبرى (بالقاهرة) : ١١
 الكرك : ٤ ، ١٦ ، ١٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٣١ ، ٣٥٠
 الكسوة : ٣٠ ، ٦٨ ، ١٠٧
 كفر زمار : ١٥٧
 كفر سبت : ٣٢٧
 كفر سول : ٢٤٠
 كفر طاب : ٤ ، ٤٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٢
 كفر كنا : ١٥٩
 كوكب (حصن) : ٤ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ١١٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٣٥٠
 اللاذقية : ٤ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٦ ، ٢٥٢
 لد : ١٦٢ ، ٢٥٤ ، ٣٣٥
 لك : ٢٩٥
 لؤلؤة (قلعة) : ٢٣٣
 ماردين : ١٦ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٩٥٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
 المارستان (بالموصل) : ١٠٣
 ماوراء الفرات من ولايات : ١٦
 محلة السفاحية (بحلب) : ٩
 المخيم بصفين (مكان نزول الملك الافضل والملك العادل) : ٤٢
 المدارس الشافعية (التي بظاهر حلب) : ٢٤١
 المدرسة الحامية = (المدرسة الجوانية)
 المدرسة الخاتونية البرانية : ٦٥
 مدرسة ست الشام - بدمشق - = (انظر : المدرسة الشامية البرانية والمدرسة الشامية الجوانية)
 المدرسة الشامية البرانية (بدمشق) : ٦٣
 المدرسة الشامية الجوانية (بدمشق) : ٦٣
 المدرسة صاحبية (مدرسة القاضي بهاء الدين بن شداد بحلب) : ٩
 المدرسة الظاهرية ، انشأها الملك الظاهر بحلب) : ٢٤١
 المدرسة العزية (نسبة الى عز الدين مسعود بن مودود بن زكي ، بالموصل) : ٢٢

- المدرسة العزيزية (بدمشق) ٦٤
المدرسة الفلكية (بدمشق) : ٦٠
مدرسة القاضي بهاء الدين بن شداد بحلب = (المدرسة الصحابية)
المدرسة المجاهدية (بالموصل) : ١٠٣
مدرسة نور الدين أرسلان شاه (بالموصل) : ٢٢ ، ٢٠٣
مدرسة نور الدين محمود بن زنكى للشافعية (بحلب) : ٩
مدرسة الساحل - الشامي - : ٢٢٢ ، ٢٢٥
مديرية الشرقية : ٣٠٨
مديرية الغربية : ٢٥٩
مديرية المنوفية : ٢٥٩
المدينة - النبوية - : ٦٩ ، ٣١٢
المرج = (مرج عكا)
مرج دابق : ١٧٠
مرج الصفر : ٣١ ، ٣٦ ، ١٠٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠
مرج عكا : ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٨٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨
مرزبان : ٢٦٦
مرعش : ١٨٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦
المرقب (حصن) : ١٤٨ ، ١٦٥
مرقد الامام عبد الرحمن (بالمدرسة العزية بالموصل) : ٢٢
مركز اشمون جريس : ٢٥٩
مركز سمند : ٢٥٩
مركز منوف : ٢٥٩
المسجد الاقصى : ٣٤ ، ٢٩٩ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧
مسجد خاتون (بدمشق) : ٦٤ ، ٦٥
مسجد خاتون المظنية = (مسجد خاتون بدمشق)
مسجد فلوسى (بدمشق) : ٦٠
مسجد القدم (قرب عالية ومويلية) : ٦٨ ، ٩٩
المسجد الذى اسرى الله اليه بعبده = (المسجد الاقصى)
المنهد : ١٧٩
مشيخه الصوفية (بالشام) : ٢٥٧
مصر : ٣ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٥١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦
مصر الاسلامية : ٨٦

مضجع الرسول — عليه الصلاة والسلام — : ٢٩٤

المررة : ٤ ، ١١٤ ، ١٢٢

معلبا : ٢٢٤ ، ٢٤٧

المغرب : ١٦١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٨ ، ٣١٩

مفردات المررة : ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٤

مفردة المررة = (مفردات المررة)

مقام الخليل — عليه السلام — (الكعبة) : ٢٩٤

مقام ابراهيم عليه السلام (بحلب) : ١٩٨

مقامات الاولياء (بقرية جوجر) : ٢٥٩

مكة : ٦٣ ، ١٢٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٧٧

مكتب الايتام (بالوصل) : ١٠٣

ملاذكرد : ١٧٦ ، ١٧٧

المالك الايوبية : ٥٧

المالك الشامية = (الشام)

المالك الشرقية = (البلاد الشرقية)

منبج : ٤ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

منزلة الفرنج (في جيزة دمياط) : ٢٥٩

المنصورة : ٢٢٧

منية بدر خميس : ٢٥٩

منية القرنى : ٢٥٩

مؤنة : ٢٧٤

الموزر : ١٧

موش : ١٧٥

الموصل : ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٠٢

١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١٤

١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٦١

٢٢٧ .

موقعة — وقعة — حطين : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

ميفارقين : ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٣٣ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٨

٢٧١ ، ٢٧٤

الميدان الاخضر : ٦٣ ، ٩٥ ، ٢٦٦

نابلس : ١٥ ، ٧٤ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٦٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

٢٧٥ ، ٢٢٤ ، ٢٤٧

الناصرية : ٢٢٤ ، ٢٤٧

نصيبين : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٥٦ ، ١٩٢ ، ١٩٧

النهر الاسود : ١٧٠

نهر جور : ٢٤٠

النوبة : ١٢٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥

نوبة دمياط (أيام صلاح الدين) : ٢٩٣ ، ٢٩٦

نيقية : ٢٢٥

النيل (نهر أو بحر) : ٥٢ ، ١١٥ ، ١٦١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٨٠

نينوى : ١٥٦

الهند : ٢٩٥

وادي براءة : ٢٦٧

وادي الشقراء : ٦٥

الباروتية : ٢٧٠

يافا : ٧٥ ، ١٦٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٥

يثرى = (المدينة النبوية)

اليمن : ٣ ، ٢٩ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٢٧ ، ٢٥١ ،

٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٢٩ ، ٣٤٩

فهرس المصطلحات

- آداب الفتوة : ٢٠٧
 الآلات : ٦٠ ، ٦٢ ، ٢١٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧
 آلات الذهب والفضة التي تصلح للبخور والطيب : ٢٢٨
 آلات الفرنج : ٢٦١
 آلات القتال : ٣٠
 أنابك : ٢٠٢
 أنابك السكر : ٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
 أنابك الملك المنصور محمد بن الملك العزيز عثمان : ٩٠ ، ٩٢ ، ١١٠ ، ٢٢٣
 أنابك الملك الناصر بن سيف الاسلام طفتكين : ١٢٧
 أنابك نور الدين بن الملك القاهر : ٢٦٢
 الأنابكية : ٨ ، ٨٩ ، ١١١ ، ٢٥٢
 أنابكية حسام الدين يولق أرسلان : ١٧
 أنابكية الملك (باليمن) : ١٢٨
 أنابكية الملك المنصور بن الملك العزيز : ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٩
 أنواب سوسى ودبيقى : ١٨٥
 أنواب عتابى بغدادى وموصلى : ١٨٤
 أنواب عتابى خوارزمى : ١٨٤
 أنواب معتق : ١٨٥
 الأحاديث النبوية : ٢٢٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
 اخبار عساكر الملك الأفضل : ١٠٨
 ارتفاع (ج : الارتفاعات ، وهى أوجه الإيرادات المالية المختلفة للدولة : ٥٥
 الأزواد : ٢١٧
 أساطيل صاحب صقلية : ٢٩٦
 أستاذ دار : ١٨٩ ، ١٩٧
 أستاذ دار أرسلان شاه بن مسعود : ٢٠٢
 أستاذ دار الملك العادل : ١٨٠
 أستاذ دار الملك العزيز : ٢١
 أستاذ دار الملك المعظم عيسى بن العادل : ٢١٠
 أستاذية دار الملك العزيز : ١١
 اسرار الفتوة : ٢٠٧
 اسطول : ج : أساطيل . ١٦١ ، ٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣١٩ ، ٣٤٣
 اسطول صلاح الدين : ٣١٩
 اسطول الصليبيين : ٢١٢
 الاسطور المصرى : ٢١٢

أسطول من الفرنج : ١٦١

اسقاط الملك الظاهر لكثير من الكوس : ٢٣٩

الاسلام : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

6 226 222 6 222 6 22. 6 227 6 228 6 218 6 212 6 2.9 6 297 6 297

6 27. 6 277 6 27. 6 207 6 204 6 20. 6 28V 6 287 6 280 6 288 6 229

YAT 6 YAT 6 YAT 6 YV9

امواق الرقيق : ٢٠٥

اطمئین = (انظر : اطمین)

الأعلاق النفسية : ١٧٩

أعلام الإسلام : ٢٢٢ ، ٢٤٦

أعلام التوحيد : ٢٣٥

اقامة الخطبة والسكة باسم نور الدين ارسلان شاه بين الملك القاهر / بالموصل ٢ : ٢٦٢

اقامة الخطبة والسكة للملك العادل (يحلب) : ١١٤ ، ١١٥

اقبیس : ۲۲۷

اقطاع (ج : اقطاعات) : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٢٦ ، ١٣١ .

388 6 37. 6 279 6 201 6 289 6 2.8

اقطاع ابن المقدم : ١٣٢

انقطاع الأمير صادم الدين قايماز النجيبى (بالسواد) : ٢٧

اقطاع الملك الافضل لعز الدين جريدك النوري : ٥٢

اقطاع الملك العادل لشمس الدين عبد الملك بن المقدم : ١٢١

الانقطاعات الخالية (في العصر المملوكي) : ٧

الاقوات : ٨٠ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٧٠ ، ١٩٧

اکدیش (ج : اکادیش) : ۱۸۵

أكديش رومية : ١٨٥

امام الباطنية : ٢١١

امبراطور الدولة البيزنطية : ٢٢٥

الأمثلة الشريفة المشرفة : γ

أمداد غزاة الفرنج الى الشرق (في زمن الحروب الصليبية) : ٢٦٠

أمداد الفرنج : ٢٥٤

الاموال : ٢٦ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،

• 2016 220 6 238 6 220 6 22. 6 187 6 183 6 179 6 178 6 173 6 171

206 291 277

الاموال بالكرك : ١٠٤

أموال التجار : ٩٨

أموال الرعايا المعصومة : ٢٩٤

أموال الرعية : ٢٦٢

أموال عز الدين أسامة : ٢١٠

الاموال المطلوبة : ٢٩٦

أمیر الحاج : ۱۱۹ ، ۱۷۸

أُمِّ الْعَرَبِ : ٢٦٦

امير مكة : ٢١١

- الانعام المفاوى : ٦ ٤ ٥
الانعام (ج : انعامات) : ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢
الانعام الشريف : ٢٥٤
الوامر الصلاحية : ٢٧٢
الايام الامامية الناصرية : ٢٤٤
الايام الظاهرية : ٢٤٩
الايام الكاملة : ٢٥٧
الايام الناصرية : ٢٢٢ ، ٢٥٧
الايام النورية : ٢٥٧
الباب الشريف : ٧
البارود : ٢٠٧
بختى : ٢١٤
برج (ج : أبراج وأبرجة) : ٦٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٤٠
برج منيع (على النيل عند قصر دمياط) : ٢٥٨
برك أسطوان - أو برك أسطوان ، أو بركستوان - : ٢٢١
البريد : ١٩٩
البسطة : ٢ ، ١٠٨
البشارة (ج : البشائر) : ١٦ ، ١٠١ ، ٢٦٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٧٩
٢٨١
البشارة بعودة انطاكية الى المسلمين : ٢٢٢
بطشة (نوع من المراكب) : ٢١٩
بقيار (نوع من العمامة الكبيرة) : ٢٤٥
البلخش (جوهر احمر شفاف : نسبة الى بلخشان) : ٢٢١
البندق : ٢٠٧
بندقية : ٢٠٧
بنوة النبوة : ٢٨٠
البوق (ج : بوقات) : ٦٣
بوقات الملك العادل : ٥١
بيت المال (ج : بيوت الاموال) : ٣٥٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥
بيت مال الملك العزيز : ٥٣
البيكار (ج : بياكير ، لفظ فارسي بمعنى الحرب) : ٢٠٤
بيعة (ج : بيع) : ٢٢٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٦
تابوت الملك الناصر - صلاح الدين - : ٥٥
التثليث : ٢٤٢
تحفة (ج : تحف) : ١٩٦
تخت : ٢١٤
تذكرة : ٢٨٩
تربة (ج : ترب) : ٩ ، ٢٢ ، ٥٥ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٢٦٢
التركش = (التلكش)
التشريف (ج : تشريفات) : ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٨٤
التشريف الامامى (الوارد الى الملك العادل) : ١٨٠
تشريف جليل (من الخليفة الناصر لدين الله الى الملك الظاهر) : ٢٢٢

- التقليد (ج : تقاليد وتقليدات) : ٧ ، ١٨٠ ، ٢٦٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٦٤
- التقليد الامامى (للملك العادل) : ١٨٢
- التقليد لبدر الدين - لؤلؤ - بالنظر فى امور الدولة والتشريفات : ٢٦٢
- التقليد من الخليفة لنور الدين ارسلان شاه - ابن الملك القاهر - بالملكة : ٢٦٢
- تلکش (اللفظ فارسي بمعنى الجعية او الكنانة) : ١٨٤
- توقيع (ج : توقييع) : ٢٦٥ ، ٢٨٤
- نقل (ج : انقال) : ١٠٧ ، ١٥٧ ، ٢٧٦ ، ٣٢٧
- عروب اسود واسع الكم (خلعه رسول الخليفة على كل من الملك الاشرف والملك العظم ابن الملك العادل) : ١٨٢
- نوب اطلس (ج : الثواب اطلس) : ٢٤ ، ١٨٤
- نوب خطايى : ١٨٤
- الجامع = (مسجد)
- جامكية (ج : جامكيات) : ٩٤ ، ٢٣٩
- جبة اطلس اسود بطراز مذهب (من خلعة الخليفة العباسى الى الملك العادل) : ١٨١
- الجراية (ج : جرايات) : ٢٣٩
- الجزية : ٦٨ ، ٢٩٢
- جلاهق - - ج : جلاهقات - = (البندق)
- جلد قندسى كبير (ج : جلود قندسى كبار) : ١٨٤
- جلود قندس صغير : ١٨٤
- الجوالى : ٢٦٢
- الجواهر النفيسة : ٢٧٦
- الجوسق (ج : جواسق) : ٤٤ ، ١٩٢
- الحراقة (ج : حراقات ، نوع من السفن) : ٢٠٢ ، ٢٦٠
- الحروب الصليبية : ٢٦٠
- حزام الفتوة = (شدة العقد)
- الحسبة : ٢٢٥ ، ٣٠٥ ، ٣٦٤ ، ٣٧١
- حصان اشهب بمركب ذهب (من خلعة الخليفة العباسى الى الملك العادل) : ١٨١
- خطيب قلعة حلب : ٢٤١
- حمل (ج : احمال) : ٢١١
- حمل الشام (الى الديوان العزيز) : ٨
- خانقاه - وخانكاه - (ج : خانقاهات وخانكاهات) : ١٨٧ ، ٢٥٧
- الخبز (ج : اخباز ، بمعنى الاقطاع) : ٨١ ، ١٠٨
- الخدمة : ٥ ، ٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٨٢
- خدمة الخليفة - العباسى - : ١٧٨
- الخدمة الشريفة النبوية : ٣٥٤
- خدمة الملك الافضل : ٩٢
- خدمة الملك الظاهر : ١٢
- خدمة الملك العادل : ٣٦ ، ١١٥
- خدمة الملك العزيز : ٥٤
- الخراج : ٢٩٥ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦
- خزانة (ج : خزائن) : ٢٦٦
- خزانة الزرد : ١٣٥

- خرانة السلاح : ١٢٥
 خزانة السلطان : ٨٥
 خزانة الملك العادل : ٢٧٦
 خزانة من خلع ولياب (مطية الملك الظاهر لابن فساد) : ٩
 خزائن الاموال : ٢٥٩
 الخزائن بالقلعة - قلعة حلب - : ٢٥١
 الخصرة (شعار الملك المعز اسماعيل بن سيف الاسلام ، باليمن) : ١٢٧
 الخطبة بحلب واعمالها (للكامل بن الملك العادل) : ٢٦٩
 خطبة بنى العباس (باليمن) : ١٢٧
 خطبة عقد الزواج (في العصر الايوبي) : ٢٤
 الخطبة على منابر الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية (للكامل بن الملك العادل) : ١٢٣
 الخطبة للامام المستضيء بأمر الله (باصمال المغرب) : ٢٩٥
 الخطبة للملك العزيز (بحلب) : ٧١
 الخلع التشريعية : ١٨٢
 خلع الملك الظاهر على الملك الاشرف واصحابه : ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣
 الخلعة (ج : خلع) : ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٣٦٣ ، ٢٩٥
 خلعة الخليفة (على الملك العادل) : ١٨١
 الخمس - الصلوات - : ٢٤٢
 خيمة (ج : خيام وخيم) : ٥٩ ، ٩١ ، ١٠٧ ، ٢٦٤
 خيمة حمراء (للكامل بن الملك العادل) : ٢٣٠
 خيمة فخر الدين جهاركس : ٩٢
 خيمة الملك الاشرف موسى (ببائقوسا) : ٢٦٩
 خيمة الملك المؤيد : ٩١
 دبوس حديد : ٨
 الدودي (ج : درادى ، هو السم) : ٢٣٦
 الدرهم (ج : دراهم) : ٤٠ ، ٧٧ ، ١٢١ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
 الدرهم المنقود : ٢٧٣
 دزدارية قلعة الموصل : ١٠٣
 الدستور : ١١٧ ، ١٢٣ ، ٢٠٨
 دستور الملك الظاهر للتركمان : ١٧٠
 دستور الملك الظاهر لزين الدين الباياسي : ١٢٣
 دهليز الملك الافضل (بالميدان الاخضر) : ٩٥
 الدمرة الهادية : ٢٠٢
 دور الضرب : ٣٠٥
 دينار (ج : دنانير) : ٤٠ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٥ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٧٩ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٦
 دينار سورية : ١٢٣
 دينار مصرية : ٨٥ ، ٢٧٦
 الدوان (ج : دواوين) : ٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦
 دوائر الانشاء : ٧
 دوائر الانشاء (بمقداد) : ٢

- ديوان الجيش (في العصر المملوكي) : ٧
- ديوان الخاتون بنت حسام الدين تمرغاش بن ايلغازي بن ارتق : ٢١
- ديوان الخلافة (ببغداد) : ٣١٠ ، ٣٥٤ ، ٣٦١
- الديوان العزيز : ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٣٩٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧
- الديوان العزيز النبوي الناصري = (الديوان العزيز)
- ديوان المفرد : ٩٤
- ديوان النظر (في العصر المملوكي) : ٧
- الذخائر : ٧٩ ، ٨١ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٩١ ، ٢٧٦ ، ٣٦٧
- ذخائر عز الدين اسامة : ٢١٠
- رايات الملك العادل : ٥١
- راية صغيرة صفراء اللون (انظر : سنجق)
- الراية العباسية السوداء : ٢٤٠
- الرباط (ج : ربط) : ١٠٣ ، ١٨٧
- ربع مطلق : ١١
- رتبة المقطع : ٧
- الرساق - والرسداق - (ج : رساتيق) : ٢٥٥ ، ٢٩٢
- رسم المعونة : ٢٧٠
- رسول ابن لاون الى الملك الظاهر : ٢٣٥
- رسول الاتابك - طغريل الخادم - (الى الملك لاشرف موسى) : ٢٦٥
- رسول ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي الى عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي : ٧٩
- رسول حسام الدين ابي الهيجاء السمين الى الملك العادل : ٥٠ ، ٥١
- رسول الخليفة (الى الملك العادل) : ١٨١ ، ١٨٢
- رسول الخليفة الناصر لدين الله (الى الشام ومصر) : ٢٢٨
- رسول الخليفة الناصر لدين الله الى الملك الظاهر : ٢٢٢
- رسول الداوية الى الملك المنصور - صاحب حماة - : ١٤٥ ، ١٤٧
- رسول عز الدين - كيكافوس - الى الملك الظاهر : ٢٣٥
- رسول مظفر الدين كوكبورى : ١٩٤
- رسول الملك الافضل الى اخيه الملك العزيز : ٢٩
- رسول الملك الافضل على الى الخليفة العباسي : ٨
- رسول الملك الافضل الى صارم الدين قايمار النجفي : ٢٧
- رسول الملك الافضل الى عمه الملك العادل : ٢٩ ، ٣٠
- رسول الملك الظاهر الى اخيه الملك الافضل : ٢٨
- رسول الملك الظاهر الى الملك العادل : ٢١٢ ، ٢١٣
- رسول الملك الظاهر الى الملك العزيز : ٥٨
- رسول الملك العادل (الاتابك شهاب الدين طغريل) : ٢٥٦
- رسول الملك العادل (الى الخليفة الناصر لدين الله) : ٢٥٧
- رسول الملك العادل الى الملك العزيز : ٥٣
- رسوم الاحتفال بضم فتي جديد الى نظام الفتوة : ٢٠٦
- الركاب العادلي : ٢٥١
- الركوب بالسجق : ٤٤
- ركوب الملك العادل بالسجق : ١٨٢

- ركوة الملك الكامل بالله شريف الامام ١٨٢
 ركوة ٢٢٨
 رماح ذهب استنها جوهر منظوم : ٢٢١
 رمى البندق : ٢٠٧
 الرياسة (بعلب) : ٢٢٨
 زردية ، ح : زرديات : ١٢١
 السرادار : ٢٠٥
 سراق الملك العزيز : ٢٦
 سراويل الفتوة : ٢٠٦ ، ٢٠٧
 سروج مجوهر : ٢٢١
 سرية (ج . سرايا) : ٢٥٥
 السمر الحربية الكبيرة و العصور الوسطى : ٢٦٠
 سمر مصر : ٢٠٢
 سبعة : ج : سمر : ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٥١
 سبعة حربية : ٢٠٢
 السكة : ٢٧ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ١٢٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩
 السلاح - أسلحة - : ٨١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢
 ٢٥٩ ، ٢٦٧
 سلاسل من حديد غلاظ (في النيل عند نهر دمياط) : ٢٥٨
 السلسلة الممتدة من برج السلسلة (في دمياط) : ٢٥٩
 سلطان بلاد الروم : ١٦٠ ، ١٩٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧
 سلطان البيت الأيوبي : ٧١
 سلطان الروم = سلطان بلاد الروم
 سلطان المسلمين : ٢٥٦
 سلوة : ٢٠٢
 السناجق السلطانية : ٤٤
 السنة الخراجية : ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦
 السنة الشمسية : ٢٧٤
 السنة العربية : (السنة الهلالية)
 سنة علالية : ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦
 السنجق - ج : سناجق ، الرمح أو الراية : ٢٥ ، ٤٤ ، ٩٠ ، ٢٥٦
 سهم غرب : ...
 السواد - الامط - (شعار بني العباس) : ٢٨٤ ، ٢٩٤
 السيف الحلي : ٢٨٤
 سيف محلي من التشريف الجليل الى الملك الظاهر : ٢٣٢
 شامة : ٥٥
 شارة - ج : شارات - سبعة حربية صغيرة : ٢٠٢ ، ٢٠٣
 شدة العهد - حراء الفتوة : ٢٠٦
 الشحه الظهور : ٢٥
 الشعار الاسود - شعار الدولة العثمانية : ٢٣
 شعر : ح : شعر : ٧٧

- شعار الملك الظاهر : ١٥٥
 الشهور الخراجية : ٢٧٥
 الشهور الهلالية : ٢٧٥
 شوانى المسلمين : ٢٦٠
 قسطنطين - أو قسطنطينية - (ج : شوانى) : ١٤٦ ، ١٩٤ ، ٢١٩
 صاحب آمد : ١٥٦ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢٦٥
 صاحب اربيل : ١٦ ، ١٠٣ ، ١٥٦ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢١١
 صاحب اردن الروم : ١٧٦ ، ١٩٥ ، ٢١٧
 صاحب الارمن : ١٤٠
 صاحب اطرابلس : ١٧٣ ، ١٧٥
 صاحب افامية : ٤٤
 صاحب البيرة : ١٥٨ ، ٢٤٠
 صاحب الالوت : ٢١٠ ، ٢١١
 صاحب أنطاكية : ١٤٠ ، ١٤٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩
 صاحب باتياس : ٢٠٠ ، ٢٧٤
 صاحب بعدين : ٤٥
 صاحب بعلبك : ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٩٠
 صاحب بلاد الروم (السلجوقى) : ١٥٢ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠
 ٢٥٢
 صاحب البلاد الشرقية : ٢٧٤
 صاحب تل باشر : ٤٥ ، ١٣١ ، ٢٢٤
 صاحب الجزيرة : ١٧ ، ١٥٦ ، ١٨٧ ، ١٩١
 صاحب جزيرة ابن عمر = (صاحب الجزيرة)
 صاحب جزيرة ابن عمر وأعمالها = (صاحب الجزيرة)
 صاحب حصن كيفا : ١٩١
 صاحب حلب : ٨ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٨١ ، ١٤١
 ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤١
 صاحب حماة : ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٣
 ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٠
 ٢٢٣ ، ٢٢٤
 صاحب حمص : ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٦٣ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٦٨ ، ١٧٣
 ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٣ ، ٢٦٦
 صاحب الخطبة والسكة (فى جميع الممالك الايوبية) : ٢٧٤
 صاحب خلاط (صاحب أخلاط) : ١٦ ، ١٩ ، ١٩٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
 صاحب دارا : ١٥٦ ، ١٩١
 صاحب دمشق : ٢٧٣ ، ٢٧٤
 صاحب الروم (السلجوقى) : ٢٢٣
 صاحب سر الملك العزيز وحاجبه : ٥٥
 صاحب سمياط : ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣
 صاحب سنجار : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٧
 ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٦

- صاحب السويداء : ١٩١
صاحب الشام : ٧٥ ، ١٨٢ ، ٢٥١ ، ٢٩٦
صاحب الشرق : ٢٥١
صاحب فيز : ٥٨
صاحب مرغد : ١٢٦
صاحب مقلية : ٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣١١
صاحب مجلون : ٣٩ ، ٥٥ ، ١١٩ ، ٢٠٨
صاحب عين ناب : ٩٥
صاحب القدس : ٧٤ ، ٧٦
صاحب قسطنطينية : ١٦٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٠
صاحب الكرك : ٣٣١
صاحب كفر طاب : ٤٥
صاحب كوكب : ٣٩ ، ٥٥ ، ١١٩ ، ٢٠٨
صاحب ماردين : ١٦ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٨٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
صاحب مرقش : ٢٣٦
صاحب مصر (صاحب الديار المصرية) : ٤١ ، ٧٥ ، ١٨٢ ، ٢٥١ ، ٢٧٤
صاحب مكة : ٢١٠ ، ٣٧٧
صاحب الموصل : ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٧٨ ، ١٠٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٦١
صاحب مياقارقين : ١٥٦ ، ١٩٠ ، ٢٧٤
صاحب نابلس : ٧٤ ، ٩١ ، ١٦٤
صاحب اليمن : ٧٢ ، ٢٥١ ، ٢٤٩
صاحبة أوزن الروم : ١١٨
صليب الصليوت : ٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦
صناعة الانشاء : ١١٠
الصبيحة البدوية : ٣٥٩
صرب السكة و المالك الشامية والشرقية والتدبير المصرية (للملك العادل) : ١٢٣
صرب السكة للملك العزيز (بحلب) : ٧١
صيفة : ج : ضياح : ٨١ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٤ ، ١٦٣ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٣٦٣
الطاعة الامامية (العباسية) : ٦
طقوس الفتوة : ٢٠٦ ، ٢٠٧
طبلسار : ١٦٤ ، ١٦٥
عدة (ج : عدد) : ٦٠ ، ٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٩٦ ، ٣٢٥ ، ٣٦٧
عدد ولباس و خيل السلطان صلاح الدين (هدية الملك الافضل بن صلاح الدين الى الديوان العزيز) : ٨
العشيري (نوع من المراكب) : ٢٠٢
عصابة مجوهرة من الملك الظاهر الى روحه صيفة خاتون : ٢١٤
مطبخ : ٩٨ ، ١٠٠
مغرة جوهري من الملك الظاهر الى روحه صيفة خاتون : ٢١٤
مغرة : ٥٩ ، ٢١٠

علم أسود مكتوب عليه بالبياض القاب الخليفة (من خلعة الخليفة العباسي الى الملك

العدل) : ١٨١

علم الملك العدل (بسنجر) : ١٩٣

ملوثة (ج : علوفات) : ١٠٧

ملوفات الدواب : ١٨٣

العلوم الشريفة : ٥

عمارة الطور : ٢١٥

عمارة القدس : ١٥

عمارة قلعة دمشق : ١٨٢

عمارة مرافق الجامع المجاهدي (بالموصل) : ١٠٣

عمامة سوداء (خلعة رسول الخليفة علي كل من الملك الاشرف والملك المعظم ابني الملك

العدل) : ١٨٢

عمامة سوداء بطراز مذعب (من خلعة الخليفة العباسي على الملك العدل) : ١٨١

عمل (ج : أعمال) : ٢٥٥

عيد الاضحى : ١٠١

عيد الصليب : ١٤٦

عيد الفطر : ٢٥٦

الفائسية (السرج او الفطاء المزركش فوق البرذعة) : ٢٥٠ ، ٢٤٢

غاشية الحصان او الفيل المزركشة = (انتشر : برك أسطوان)

الفلاء (بمكا) : ١٤٠

الفلاء العظيم (بالديار المصرية) : ١٢٧

غلام الامير ابراهيم المهراني : ٣٢٨

الفتوة : ٢٠٦ ، ٢٠٧

الفتى (من الفتوة) : ٢٠٦

فرجية (ج : فرجيات ، نوع من القباء المسترسل) : ٢٢١

فرجية فرو سمور مفضاة بثوب اظن اسود (من التشريف الجليل من الخليفة الى

الملك الظاهر) : ٢٢٢

قاضي الاسكندرية : ٨٥

قاضي اقصر : ٢٣٥

قاضي بلبيس : ١١٨

قاضي حلب : ١٦٤

قاضي حمص : ١٥١

قاضي المسكر : ١٨٠

قاضي مسكر عر الدين - كيكارس - في النظر : قاضي اقصر

قاضي القضاة : ٣٤

قاضي القضاة بدمشق والملازم : ١٣٣

قاضي قضاة حماة وأعمالها : ٢٢٨

قاعة (ج : قاعات) : ١٨٧

قافلة (ج : قوافل) : ٦٨ ، ٣٢٨

قال النجاشية : ٢٩٥

قباء (ج : قببة) : ١٣٤ ، ٨٤ ، ١٨٥

- العباء المسترسل : ٢٢١
 القفر : ٢٤٨
 قروبوس السرج : ٨٢
 الفضاء : ١٢٣ ، ١٦٤
 فضاء الاسكندرية : ٨٥
 فضاء حلب : ١٢٣
 فضاء حلب وبلادها : ١٢٣
 فضاء دمشق : ١٢٤
 فضاء الديار المصرية : ٥٤
 قطع الخطبة والسكة لابي نصر محمد بن الامام الناصر لدين الله من سائر الافاق : ١٦٩
 قطع الملك الافضل خطبة الملك العادل (بسميساط) : ١٥٢
 قطيعة : ٢٤١
 قلائد من العنبر المذهب من الملك الظاهر الى زوجته ضيفة خاتون : ٢١٤
 القمص (في وقعة حطين) : ٢٢١
 القندس (كلب الماء) : ١٨٤
 قنطارية (ج : قنطاريات) : ١٤٩
 قود : ٧٠
 قوس (ج : اقواس وقسي) : ٢٠٧ ، ٢٣٦
 القولنج : ١٦٠
 قومص من البحرية : ١٤٩
 كاتب انشاء الملك العادل : ١١٣
 كاتب البيت : ٢٣
 كأس الفتوة : ٢٠٦ ، ٢٠٧
 الكتاب : ١١١
 كتب الصلاحية ، الى الملك الظاهر : ١٢٠
 الكجاوات : ٢١٤
 الكراع : ٣٧٠
 الكرة : ٢٠٨
 كرسى الوعظ : ١٨٠ ، ٢٢٣
 كسوة : ٩٤
 كلف الملك العادل : ١٣٢
 كلفة (ج : كلف) : ١٥ ، ٢٥٨
 كمة (ج : كمام) : ١٢٤ ، ١٨٤ ، ١٨٥
 كند : ١٤٦
 كنيسة (ج : كنائس) : ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩
 كوس (ج : كوسات) : ٥١ ، ٢٤٠
 كوسات الملك العادل : ٥١
 الكوسى (الذى يضرب بالصنوج النحاس) : ٥١
 لباس الجند : ١٣٨
 لباس الفقراء : ١٣٨
 لبس الملوك شعار الحرن خدمة للخليفة : ٢٣٠

- لواء (ج : ألوية) : ٢٦٥
لواء السواد الاعظم (الشعار العباسي) : ٢٩٢
مال دمشق واعمالها : ٦٥
مال الرعية (بمصر) : ٨٢
المثال (ج : مثالات وامثلة) : ٢٨٤ ، ٧
مجالس العرض العلية : ٢١١
المجلس : ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣
المجلس السيفي (مجلس سيف الاسلام طفتكين بن ايوب) : ٢٥١ ، ٢٥٠
المجلس العالي الملكي الانضلي : ١٥٢
المجلس العالي الملكي . الناصري : ٢٢٤
الحاير : ٢١٤
الحبة العباسية : ٢٨٣
محراب من العصر الاتاكي (بالجامع المجاهدي بالموصل) : ١٠٣
محفة : ٢٧٥ ، ٢٧٦
محلة (ج : محال) : ١٨٤ ، ٢٣٠
المختص بالخباله (من الفرنج) : ١٤٠
المختص والى البر (بحماة) : ١٢٥ ، ١٢٦
المخيم (ج : مخيمات) : ٢٢
مخيم الملك الظاهر : ١٠٠
مخيم الملك العزيز : ٦٤
مدبر مملكة حسام الدين يولق ارسلان بن ابلغازي بن ابى الارتقى : ٨٠
مدد (ج : امدادات) : ٩٦ ، ٢٦٧
مدرج : ٢٢٩
مدرسة (ج : مدارس) : ٩ ، ٢٢ ، ٦٠ ، ١٠٣ ، ١٨٧ ، ٢٧٤
مذهب الشافعي : ٢١١
مربعة : ٧
مراكب الاسطول النصورة : ٢٢٤ ، ٢٤٨
المراكب الاسلامية : ٢١٦
المراكب الحجازية واليمنية : ٢١٦
المراكب الحربية : ٢١٦ ، ٢١٧
مراكب العدو = (مراكب الفرنج)
مراكب الفرنج : ٢٥٩ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩
المراكب الفرنجية = (مراكب الفرنج)
المراكب الواصلة في البحر المالح الى الديار المصرية : ٢٥٨
مرسوم (ج : مراسيم) : ٢٧٣
مركب (ج : مراكب) : ٢٠٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢١٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨
مركب كبير للفرنج : ٢٦٠
مركب - للفرنج - مقاتل وحامل : ٢٩٢
مرمات الفرنج : ٢٦١
المرمة - Maremma - (ج : مرمات ، نوع من السفن الحربية الكبيرة في المصور الوسطى) : ٢٦٠

الواريق : ٢٠٧

المساجد الجامعة : ٢٠٢

مستحفظ باب لوما : ٦٤

مستحفظ نجر جليل : ٢٦

مسجد (ج : مساجد) : ١١ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ١٠٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٩٤ ،

٢٠٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦

المصاب الصلاحي : ١٢

المصاف : ١٠٨ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ٢٠٤ ، ٢٩١ ، ٢٢٨

مصوغات ذهب ونضة (عطية الملك الظاهر لابن تيمون) : ٩

مضارب وجحافل الملك العزيز : ٢٦

مضرب (ج : مضارب) : ٢٩٧

المظالم : ٢٦٤

المعاشي والارزاق (لجرائد الجند) : ٢٧١

المعمودية : ٢٢٢ ، ٢٤٦

مفاتيح الخزائن : ٢٢٩

المفردة (من ضياع المرة) : ١١٤

المقام العالي الناصري : ٢٧٩

المقامات الشريفة النبوية : ٢١١

مقدم الاستبارية : ١٤٦

مقدم الاسدية : ٨٨

مقدم الامراء الاكراد : ٤٧

مقدم التركلية (من الفرنج) : ١٤٩

مقدم الداوية : ١٤٦

مقدم الصلاحية : ٨٨ ، ١١٧

مكس (ج : مكوس) : ٦٧

الملة الاسلامية = (الاسلام)

ملك الارمن : ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

ملك الالمان : ٢٥٧

ملك الانكليز : ٧٥

ملك بلاد التوبة : ٢٨٥

ملك الروم : ٢٢٥ ، ٢٩٣

ملك الفرنج : ٧٥

ملك الكرج : ٢٠١

ملك الهندية : ١٤٦

مملوك ارسلان شاه بن مسعود : ٢٠٢

مملوك الدار العزيزة : ٦

مملوك ظهير الدين ابراهيم : ١٩

مملوك العتبات الشريفة : ٢٧٩

مملوك عز الدين فرخشاہ بن شاهنشاه بن ايوب : ٧٦

مملوك الملك الظاهر : ٢٢٨ ، ٢٤٠

مملوك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل : ٢١٠

- ملوك نجم الدين أيوب بن شادي ٢٧
 منابر اليمن ١٢٧
 منارة ٦٨
 المناشدة النبوية : ٣٥٩
 مناصعات لد والرمة : ١٦٢
 منجيق ح : منجفات ومحاسن : ٧٣ ، ٨١ ، ١٠١ ، ١٧٢ ، ١٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٤١
 منشور ج : مناشير ٦٨ ، ٢٩٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥
 منشور الاقطاع ، في مصر المملوكي : ٧
 منشور شريف أمامي : ٣٦٣
 منشور الخليفة الناصر (بشأن الفتوة) : ٢٠٧
 منظر : ٨٣
 المنفر (الذي يضرب بالبق) : ٥١
 موارد النبوة والامامة : ٣٦٢
 مؤرخ الموصل : ٢٢
 موكب السلطنة : ٢٥
 موكب الملك الظاهر : ٣٦
 الميرة (ج : مير) : ١٠٠ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ٢٢٤ ، ٢٦٠ ، ٢٩٨ ، ٣٦٧
 الميرة المتواصلة (من انطاكية الى حلب) : ١٤٠
 الناظر في أسواق الرقيق : ٣٠٥
 ناموس البيت الاتابكي : ٢٠٣
 ناموس الفتوة : ٢٠٦
 النائب بقلعة جعبر : ١٠٥
 نائب شمس الدين بن المقدم ، بأفامية ... ١٢٢ ، ١٣١
 نائب القاضي بهاء الدين - ابن شداد - في الحكم (بحلب) : ٢٢٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨
 نائب الملك العادل بالدبار المصرية : ١١٢
 نائب الملكة (بالموصل) : ١٠٣
 نيل (ج : نبال) : ٢٠٧ ، ٢١٠
 نثر الدنانير (عند ليس الملك العادل خلعة الخليفة) : ١٨١
 نثر الذهب (عند ليس الملك العادل خلعة الخليفة) : ١٨١
 نثر النثار : ٢١٣
 نجدة (ج : نجدات) : ٧٤ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ٢٢٤ ، ٣٥٩ ، ٣٨٢
 نجدة الملك الامجد ، الى الملك المنصور صاحب حماة : ١٤٣
 نجدة الملك الظاهر (الى الملك العادل) : ١٧٣
 نجدة الملك الظاهر ، الى الملك المنصور صاحب حماة : ١٤٣
 سيج مخطط : ١٨٤
 شاة ، ج : شاب : ١٢٢
 الصراية ، دين : ٢٩٢
 نفقة ، ح : نفقات : ٢٩٥ ، ٣٦٧

- التفقه و الاولياء : ٢٦٣ ، ٢٧٠
التوبية : ٣٢
الهجرة النبوية ٣٢
هدايا سنية : ١٩٦
الهدنة الدمشقية : ٢٩٧
هدية ابن لاور ، الى الملك الظاهر : ٢٣٥
هدية منبجة (من الملك الظاهر الى الملك العادل) : ٢٢٠
هدية عز الدين - كيكاس - ، الى الملك الظاهر : ٢٢٣
هدية الملك الافضل بن صلاح الدين الى الديوان العزيز : ٨
هدية الملك الظاهر الى الامام الناصر لدين الله : ٩
والى حاره : ٢٥٢ : ٢٥٣
الوثائق الديوانية : ١٠
الورقة المشققة في العصر المملوكي : ٧
وزير مفتقر الدين كوكبوري : ١٩٤
وزير الملك الافضل : ٥٦ ، ١١٢
وزير الملك الظاهر : ٩٤ ، ١١٤ ، ٢٤٩
وزير الملك العادل : ١٢٩ ، ١٦٧
وزير الملك الكامن محمد بن الملك العادل : ١٦٧
وسادة السيادة : ٣٧
الوفاء النورية : ٢٩٧
وصف : ج : وقوف وأوقاف : ١٥ ، ٦٠ ، ٦٨
ولاية الجبر : ١٢٥ ، ١٦٣
ولاية العهد : ١٦٩
ولاية عهد الامم : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٠٩
البرزك - او البركية - طلائع الجيش : ٤٨ ، ٢٧٠
يحيى الدولة : ٣٣
يوم عاشوراء : ٨٢

فهرس المصطلحات التي عرف بها في الحواشي

٦\١٨٤	اثواب عتابي
١\٥٥	ارتفاع (ج : ارتفاعات)
٣\٢٢٧	الاقبى
٣\١٨٥	أكديش (ج : أكاديش)
٣\٢٥٨	البرج والسلاسل (عند ثغر دمياط)
٤\٢٢١	برك اسطوان (او برك اسطوان ، او بركنوان)
٢\٢٤٥	بقيار
٢\٢٢١	البلحش
١\٢٠٧	البندق
٥\٢٠٤	البكار (ج : بياكير)
٥\١٤٨ ، ٢\١٤٦	تركبلى (او التركبلية)
٧\١٤٨	الجرخية
١\٢٣٦	الدردى (ج : درادى)
٢\٢٥٥	الرسناو - والرسداق - (ج : رساتيق)
١\٤٤	الركوب بالسنجق
٢\١٣٥	زردخاناه
٨\١٤٨	الزنبورك
١\٢٥	السنجق (ج : سناجق)
٤\٢٠٢	شبارة (ج : شبارات)
٨\١٤٦	شبنى
٢\٢٥	العائيه
٢\٢٠٦	العتوة
١\٢٢١	فرجة (ج : فرجيات)
٢\١٣٤	قباء (ج : قبية)
٧\١٨٤	القدس (كتب الماء)
٣\١٤٩	فطارنة (ج : فطارنات)
٣\١٦٠	القرونج

٢/٢٠٦	كأس الفتوة
٢/١٨٥ ، ٢/١٨٤ ، ٣/١٢٤	الكمة (ج : كمام)
٥/١٤٦	كند
٣/٥١	كوسات
٤/٢٢٥	الشكري (لقب ملك الروم)
٢/٧	المثال (ج : مثالات وامثلة)
١/٢٦٠	المرمة - Maremma (ج : مرمات)
٥/٢٢٩ ، ٥/١٢	المفاردة
٢/١٤٦	مقدم الاستبارية
٢/١٦٢ ، ٦/١٣٥	والى البر (وولاية البر)
١/٤٨	يزكية - او يزك -

فهرس الكتب التي ذكرت بالمتن

الصفحات

ابن الاثير : صباه الدين نصر الله بن محمد الجرجي :	
= المنهل السائر	١٠
= المعاني المتقدمة	١٠
ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن علي الشيباني الجرجي :	
= الكامل في التاريخ	١٠
ابن الاثير : مجد الدين ابو السماعات المبارك بن محمد الجرجي :	
= جامع الامول في الحديث	١٠
العماد الكاتب الاصفهاني : ابو عبد الله محمد بن محمد :	
= السبرق الثمامي	١٢٨
= خريدة القصر	١٢٨
= النصرة في اخبار وزراء الدولة السلجوقية	١٢٨
الناصر لدين الله : ابو العباس احمد بن المستنصر بامر الله ، الحليفة العباسي :	
= روح الصارمين	٢٢٢ ٢٢٨

فهرس الوثائق

الصفحات

- ١ - كتاب ، من الانشاء العمادى ، من الملك الافضل على بن صلاح الدين ، الى الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين ، بالاستمرار على نهج صلاح الدين فى الجهاد ٥ - ٦
- ٢ - كتاب ، بالانشاء العمادى ، من الملك الافضل على بن صلاح الدين ، الى الامام الناصر لدين الله ، يستبطن وصول الامثلة الشريفة والاجابة المسعفة ٦ - ٧
- ٣ - رسالة ، من الملك الظاهر ، الى الملك المنصور - صاحب حماة - يطلب منه ان يسير معه لمحاربة الملك العادل ١٢١
- ٤ - كتاب ، من المختص والى البربحمة ، الى الملك المنصور - صاحب حماة - يخبر فيه بقتل الملك المعز اسماعيل بن سيف الاسلام ظهير الدين طفتكين بن ايوب ١٣٦
- ٥ - قطعة من كتاب ، من صفى الدين عبد الله بن على بن شكر - وزير الملك العادل - الى الملك المنصور - صاحب حماة - يخبره فيه بكتابة الملك العادل الى كل من صاحبي حمص وبعلبك ، بانفاذ عساكرهما الى الملك المنصور نجدة له على فرنج الساحل وهو نازل ببعرين ١٤٢
- ٦ - قطعة من كتاب ، من صفى الدين بن شكر - وزير الملك العادل - الى الملك المنصور - صاحب حماة - يخبره فيه بكتابة الملك العادل ، الى الملوك الايوبية بالشام ، بتسيير عساكرهم الى الملك المنصور اعانة له على جهاد فرنج الساحل وهو مرابط بقلمة بعرين ١٤٢ - ١٤٣
- ٧ - قطعة من كتاب ، من الملك العادل ، الى الملك المنصور - صاحب حماة - مهنا اياه بهزيمته الفرنج عند حصن الاكراد ١٤٥
- ٨ - قطعة من كتاب ، من الملك العادل ، الى الملك الافضل ، يفيد بتغيره عليه ، لاحوال ظهرت منه اوجبت ذلك ١٥٢
- ٩ - قطعة من كتاب ، من الملك العادل . الى الملك المنصور - صاحب حماة - يرد فيه على طب الاستبصار الصلح : ويحثه على التشدد مع الفرنج ١٥٢ - ١٥٣
- ١٠ - رسالة . من ابر لاور - ملك الارمن - الى الملك الظاهر يؤكد له فيه خدمته وتبعيته ٢٣٥

فهرس الشعر والشعراء

القافية	رقم الصفحة	اسم الشاعر
سنين	٢٧ - ٢٨	الملك الافضل على بن صلاح الدين
متر	٤٠	لم يذكر
ماينام	٤٩ - ٥٠	ابن سناء الملك
على	٦٩	الملك الافضل على بن صلاح الدين
طاهر	٦٩	الناصر لدين الله (الخليفة العباسي)
طالبي	٦٩	الملك الافضل على بن صلاح الدين
يحصل	٦٩ ، هـ ٢	الملك الافضل على بن صلاح الدين
مدول	٧٢	شرف الدين بن عنين
سامة	٧٤	عماد الدين الكاتب الاصفهاني
السلامة	٧٤ ، هـ ١	لم يذكر
المقدم	٧٧	ابن سناء الملك
تحسب	١١٣	الملك العادل ابو بكر بن أيوب
شفيح	١١٤	الملك العادل ابو بكر بن أيوب
غيب	١٢٠	شرف الدين بن عنين
قريب	١٤٢	صفي الدين بن شكر
والامل	١٤٣ - ١٤٥	بهاء الدين اسعد بن يحيى السنجاري
طائره	١٤٧ - ١٤٨	سالم بن سعادة الحمصي
رمى	١٤٩ - ١٥٠	سالم بن سعادة الحمصي
رمانة	١٥٧ - ١٥٨	كمال الدين على بن النبيه المصري
صانع	١٧٨ - ١٧٩	لم يذكر
شفا	١٨٥ - ١٨٦	شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلبي
مسددا	١٩٨ - ١٩٩	شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلبي
ملرا	٢١٤ - ٢١٥	شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلبي
بديجور	٢١٦ - ٢١٧	كمال الدين على بن النبيه المصري
ماتقابلة	٢٢١ - ٢٢٢	شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلبي
عناء	٢٢٤ ، هـ ١	الشيخ تقي الدين على بن ابي بكر الهروي
الردى	٢٣٠ - ٢٣١	شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلبي
الجواد	٢٣١	كمال الدين بن النبيه المصري (القاضي)
يعذب	٢٤٤ - ٢٤٥	شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلبي
والمشاني	٢٤٥	مهذب الدين ابو المحاسن ماجد بن محمد ابن القيسراني

القافية	رقم الصفحة	اسم الشاعر
اللسان	٢٤٥ - ٢٤٦	الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين
ومخالبه	٢٤٦	شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلبي
سيلا	٢٤٦ - ٢٤٨	شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلبي
فداها	٢٤٩	القاضي جهاد الدين بن شداد
الساري	٢٧٢	لم يذكر
بالكري	٢٧٢ - ٢٧٣	شرف الدين بن عتيق
المأمول	٢٩٠	القاضي الفاضل
أوائله	٣٠٩	القاضي الفاضل
العمرين	٣٢٥	القاضي الفاضل
نصود	٣٥١	جريد
غيبه	٣٥١	لم يذكر

تصويبات

نعت عن العين أثناء الطبع بعض الحروف والنقط فوقعت بعض الأخطاء وفيما يلي
ثبت بالهام وما عداه يدرکه القارىء بفطنته ويدل عليه الأسلوب

الصحيحة	السطر	الصواب	الصحيحة	السطر	الصواب
ج	٦	ينانش	١٤٨	١١	الصرب
٧	١٣	نقع	١٥٠	٢	الخضم
٢٢	١	المعزبة	١٥٢	١٤	يقصده
٤٨	١١	ذكر	١٥٤	١٤	من انطاكية
٧٩	٧	حزان	١٧٣	١٣	وعانت
٨١	٢	بيده	١٧٤	٣	وكثرت
٨١	٥	دركوش	١٧٥	١٠	صارت
٨١	٨	بن قلع	٢٠٩	١٨	جهاركس
٨٥	١٥	وجمت وجمة	٢٣٦	٣	غنه
٩٣	١٢	التاجي	٢٣٩	٦	بنفى
٩٣	١٢	المفاردة	٢٥٥	١٣	نازل
٩٣	٨	الملوكى	٢٦٦	١٢	عالت
٩٦	٤	على دمشق	٢٦٧	١٢	بزامة
١٠٣	٢٥	العصور	٢٨٥	٢	كذلك
١٣٥	٣	ص ٦٠	٢٨٧	٢٢	الإدماء
١٤٣	٢	يستقيم	٢٤٧	٢١	الفولة
١٤٨	٧	كرت	٢٦٤	٢	الاجماع
			٢٧١	١٢	أولوا